فتح الرحمن

بكشف ما يلتبس في القرآن

تأليف

شيخ الإسلام الإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري

حققه وعلق عليه

الشيخ محمد علي الصابوني

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - 2005م

موقعنا على الإنترنت:
www.almaktaba-alassrya.com

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ١١ - ٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١ ٦٥٥٠١٥
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧ ٧٢٠٣١٧
E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN 9953- 34-205-9

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقّق

الحمدُ للَّهِ ربّ العالمين، الذي كشف لعباده المتقين، عن أسرار كتابه المبين، وأطلعهم على دقائقِ كنوزه، وروائعِ آياتهِ، والصَّلاةُ والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، الذي خَصَّه اللَّهُ بالمعجزَةِ الخالدة «معجزةِ القرآن» وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن كتاب «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن» لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري، من المخطوطات النادرة، والكتب النفيسة، التي يحتاج إليها طلبة قسم الدراسات العليا فرع «الكتاب والسنة» وقد بذل المؤلف ـ رحمه اللَّه ـ قُصارى جهده، لتوضيح ما يلتبس من آيات القرآن الكريم، ليبرز لنا تلك الدرر النفيسة، والكنوز الثمينة، التي احتواها هذا الكتاب المجيد، وليكشف لنا عن دقائق أسرار القرآن، في تعبيره الرفيع، وبيانه المعجز.

وقد عثرت في «المكتبة المحمودية» بالمدينة المنوَّرة، على نسخةٍ مخطوطة، لهذا السِّفر القيِّم، كما رأيت في مكتبة «جامعة أم القرى» بمكة المكرمة، نسخةً مخطوطة أخرى لهذا الكتاب النفيس، ولكنَّها قد طُمست منها بعض العبارات، وقد اعتمدت عليها في تحقيق هذه المخطوطة، وقد اتضح لي نقص بعض الصفحات فيها، فاستعنت بالنسخة المصوَّرة من إسبانيا، التي أُهديت إلى جامعة أم القرى تحت رقم ١٣٨٥ من الجامعة الإسلامية، أطلعني عليها بعض الإخوة المسؤولين في قسم المخطوطات، كما اطلعتُ على نسخةٍ أخرى في مكتبة «الحرم المكيّ» الشريف، وقد ساعدتني واستفدت منها للمقارنة بين النسخ الثلاث، عند غموض بعض العبارات، أو سقوطها، وأما ما طُبع من هذا الكتاب «فتح الرحمن» على هامش التفسير المسمَّى «السراج

المنير" للخطيب الشربيني فلم يكن كاملاً، وإنما هو لبعض سورٍ كريمة، من أول سورة البقرة إلى نهاية سورة التوبة، وليس فيه شيء من التحقيق العلمي، الذي ينشده الباحث، ويسعى إليه المحقّق.

وقد عملتُ عند تحقيق هذه المخطوطة، على ترقيم الآيات فيها، في كل سورةٍ من السُوَر التي تناولتها، ليسهل على القارىء فهمُها واستيعابُها، كما نبّهتُ إلى مكان الآية ورقمها في الآيات التي استشهد بها المؤلف، ووضعتُ بعض التعليقات الهامَّة في الحاشية، لا سيما إذا أتى المؤلف برأيٍ مرجوح، أو قولٍ غريب في تفسير الآيات الكريمة، يخالف ما ذهب إليه الأئمة المحققون من أهل التفسير.

وإنني أحمد الله عزَّ وجل أن يسَّر لي الطريق، وذلَّل الصعاب، لإتمام هذا العمل المفيد، وأشكر "دار القرآن الكريم" لصاحبها الأخ الفاضل الأستاذ محمد بسام الأسطواني على جهودها في إخراج هذا السِّفر القيّم، بهذا الرونق القشيب، كما أشكر جميع الإخوة الذين ساعدوني في تحقيق هذه المخطوطة، وأسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وأن يوفّقنا لخدمة دينه، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

خادم الكتاب والسنة

الشيخ محمد علي الصابوني

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدّمَة المؤلف

الحمد للَّه الذي نوَّر قلوبَ العارفين بكتابِهِ العظيم، وأطلعهم على خبايا[1] الزوايا بالبرهان القويم، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنام، وعلى آلِهِ وصحبِهِ البَرَرة الكرام.

وبعد:

فهذا مختصرٌ في ذكرِ آياتِ القرآنِ المتشابهاتِ، المختلفةِ بزيادةٍ، أو تقديمٍ، أَو إبدالِ حرفٍ بآخر، أو غيرِ ذلك مع بيان سبب تكراره، وفي ذكر أُنموذجٍ من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها، صريحاً أو إشارةً، جمعتُهُ من كلام العلماء المحققين، ما فَتح اللَّهُ به من فيضِ فضلِهِ المتين، وسميته بـ:

«فتحُ الرحمن بكشف ما يَلْتبسُ في القرآن»

واللَّهَ أسألُ أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) خبايا: المراد بها الأسرار الخفية الدقيقة.

سُورَةُ الفَاتِحة

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[1] **[الفاتحة: ١]** أي أبتدئ. وتقديرُ العامِلِ مؤخراً كما صنعتُ أولى من تقديمه، ليفيد الاختصاص، والاهتمام بشأن المقدَّم.

وإنَّما قُدِّم في قوله: «إقرأ باسم ربك» للاهتمام بالقرآن، لأن ذلك أوَّلُ سورةٍ نزلت.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ **[الفاتحة: ٣]** كرَّره لأن الرحمة هي الإنعامُ على المحتاج، وذكرَ في الآية الأولى المُنْعِمَ دونَ المُنْعَمِ عليهم، وأعادها مع ذكرهم بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **[الفاتحة: ٢]** الخ.

فإن قُلتَ: الرحمنُ أبلغُ من الرحيم فكيف قدَّمه؟ وعادةُ العرب في صفات المدح الترقّي من «الأدنى» إلى «الأعلى» كقولهم: فلانٌ عالمٌ نِحرير.. لأن ذكر الأعلى أوّلاً، ثم الأدنى، لم يتجدد بذكر الأدنى فائدة، بخلاف عكسه؟!

قلت: إن كانا بمعنى واحدٍ كندمان ونديم، كما قال الجوهري وغيره فلا إشكال، أو بأنَّ «الرحمن» أبلغ كما عليه الأكثر[2]، فإنما قدَّمه لأنه اسمٌ خاصٌ باللَّه تعالى كلفظ «اللَّه».

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **[الفاتحة: ٥]** كرَّر ﴿إِيَّاكَ﴾ **[الفاتحة: ٥]** لأنه لو حذفه في الثاني لفاتت فائدة التقديم، وهي قطع الإشراك

---

(١) هذا على القول بأن البسملة آيةٌ من سورة الفاتحة.

(٢) صيغة «الرحمن» أبلغ من «الرحيم» لأن لفظ الرحمن يدل على الكثرة والسَّعة والامتلاء كما تقول: شبعان، وملآن، وغضبان لمن امتلأ شبعاً، وريّاً، وغضباً، بخلاف «الرحيم» فلا تفيد المبالغة، فمعنى «الرحمن» واسع الرحمة، وقيل: «الرحمنُ» صفةٌ تتعلق بالذات، و«الرحيمُ» صفةٌ تتعلق بالعباد: **﴿إنه بهم رؤوف رحيمٌ﴾**.

بين العاملَيْن، إذ لو قال: «إيَّاكَ نعبدُ ونستعينُ» لم يظهر أن التقدير إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين.. أو إيَّاكَ نعبدُ ونستعينك!!

فإن قلتَ: إذا كان «نستعينك» مفيداً لقطع الاشتراك بين العاملَيْن، فلِمَ عَدَلَ عنه مع أنه أخصرُ، إلى «وإيَّاكَ نستعين»؟

قلتُ: عَدَلَ إليه ليفيد الحصر بين العاملَيْن مع أنه أخصر.

فإن قلتَ: فلمَ قَدَّمَ العبادة على الاستعانة، مع أن الاستعانة مقدمة، لأن العبد يستعين اللَّهَ على العبادة ليُعينه عليها؟

قلتُ: الوَاوُ لا تقتضي الترتيبَ، أو المرادُ بالعبادةِ التوحيدُ[1] وهو مقدَّم على الاستعانة على سائر العبادات.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [**الفاتحة: ٧**]. كرَّرَ «الصراط» لأنه المكان المهيَّأ للسّلوك، فذكر في الأول المكان دون السَّالك، فأعاده مع ذكره بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الخ.. المصرَّح فيه بما يخرج «اليهود» وهم المغضوب عليهم، و«النصارى» وهم الضالُّون.

فإن قلتَ: المراد «بالصراط المستقيم» الإسلامُ، أو القرآن، أو طريق الجنة كما قيل.. والمؤمنون مهتدون إلى ذلك، فما معنى طلب الهداية له، إذ فيه تحصيلُ الحاصل؟

قلتُ: معناه ثبِّتْنا وأَدِمْنا عليه مع الاستقامة كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾[2] [**النساء: ١٣٦**].

فإن قلتَ: ما فائدةُ دخول «لا» في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [**الفاتحة: ٧**] مع أن الكلام بدونها كافٍ في المقصود؟

قلتُ: فائدتُه توكيدُ النفي المفاد من «غير».

* * *

(١) أي الإيمان، وهذا قد روي عن ابن عباس في ﴿**اعبدوا ربكم**﴾ وحّدوه وآمنوا بألوهيَّته.

(٢) أي اثبتوا على الإيمان والزموا التمسك به، فإن الشيطان قد يصرف الإنسان عن الإيمان فيزيغ قلبه ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**﴾.

سُورَةُ البَقَرَةِ

١ ـ قَوْلُه تعَالَى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]. كُرِّرَ في أوائل ستِّ سور[١].

وزاد في «الأعراف» صاداً ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١] لقوله بعده ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ...﴾ [الأعراف: ٢] الآية.

وفي «الرعد» راءً ﴿الٓمٓرٰ﴾ [الرعد: ١] لقوله بعده ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ...﴾ [الرعد: ٢] الآية.

واعلم أن حرف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر اللَّهُ بعلمه، وهي سِرُّ القرآن.

وفائدة ذكرها طلبُ الإِيمان بها.

وقيل: هي معلوماتُ المعاني، وعليه:

فقيل: كل حرف منها أول اسم من أسماء اللَّه. فالألف من «اللَّه» واللام من «اللطيف» والميم من «المجيد» والصَّادُ من «صادق» والرَّاء من «رؤوف».

وقيل: هي أقسامٌ أقسم اللَّه بها لشرفها.

وقيل: غيرُ ذلك وأنَّ تسميتَها حروفاً مجازٌ، وإنما هي أسماءٌ مسمياتها الحروف المبسوطة[٢]. وعليه فقيل: مُعْربة، وقيل: مبنيَّةٌ، وقيل: لا، ولا[٣]، وقد بيَّنتُ ذلك في غير هذا الكتاب.

---

(١) هي البقرة ﴿الٓمٓ ذَلِكَ الكتابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ وآل عمران ﴿الٓمٓ اللَّهُ لا إِلَهَ إلّا هُوَ الحيُّ القيُّومُ﴾ وفي العنكبوت ﴿الٓمٓ. أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتركوا﴾ وفي الروم: ﴿الٓمٓ. غُلبتِ الرُّومُ﴾ وفي لقمان ﴿الٓمٓ. تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ وفي السجدة ﴿الٓمٓ. تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فِيهِ من ربِّ العالمين﴾ فهذه ستُّ سور.

(٢) الأرجح في الحروف المقطعة ما ذهب إليه المحققون من أئمة التفسير أن هذه الحروف الهجائية للتنبيه على «إعجاز القرآن» وهو اختيار ابن كثير وجمع من العلماء الأعلام، وقد وضحنا هذا الرأي في كتابنا الجديد «صفوة التفاسير» فارجع إليه في أول سورة البقرة ١/ ٢٥.

(٣) أي ليست معربة ولا مبنيَّة.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] أي لا شكَّ فيه.

فإن قلتَ: كيف نفى الرَّيْب، وكم ضالٌ ارتاب فيه؟

قلتُ: المراد أنه ليس محلاً للرَّيب(١)، أو لا ريب فيه عند اللَّه، ورسوله، والمؤمنين.

أو ذلك نفيٌ بمعنى النَّهي، أي لا ترتابوا فيه لأنه من عند اللَّه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا . . .﴾ [الحج: ٧].

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] وفيه تحصيلُ الحاصل، لأن المتقين مهتدون؟

قلتُ: إنما صاروا متَّقينَ باستفادتهم الهُدَى من الكتاب، أو المراد بالهدى الثباتُ والدوام عليه(٢).

أو أراد الفريقين واقتصر على المتقين، لأنهم الفائزون بمنافع الكتاب، وللإِيجاز كما في قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ . . .﴾(٣) [النحل: ٨١].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] أي يعلمون. واليقينُ: العلمُ بعد أن لم يكن، ولهذا لا يُقال لعلم اللَّهِ يقينٌ(٤).

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

فإن قلتَ: لمَ ذَكَرَ ذلك مع قوله قبلُ «هُدَى للمُتَّقِينَ»؟

قلتُ: لأنه ذكر هنا مع «هُدًى» فاعِله، بخلاف ثَمَّ.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

فإن قلتَ: لِمَ حُذِفَ الواوُ هنا، وأُثبتت في «يسٓ»؟

---

(١) المراد لا مجال للإِرتياب بالقرآن فإنه لوضوح بيانه، وسطوع برهانه، لا ينبغي لأحدٍ أن يرتاب فيه.

(٢) تخصيصُ المتقين بالذكر للتشريف لهم والتكريم، لأنهم هم المنتفعون بهدْيه وضيائه.

(٣) أي والبرد فحذف الثاني للإِيجاز ومعنى الآية: جعل لكم ثياباً تدفع عنكم ضرر الحرّ والبرد، فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر.

(٤) توضيح القول أن اليقين هو العلمُ بالشيء بعد أن كان صاحبُه شاكّاً فيه، ولذلك لا يقال: تيقَّن اللَّه الأمرَ.

قلتُ: لأن ما هنا جملةٌ هي خبر عن اسم «إنَّ» وما هناك جملةٌ عُطفت على أخرى[١].

فإن قلتَ: ما فائدةُ بعثةِ الرسل بعد قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية؟

قلتُ: لئلا يكون للناس حجة، أو لأنَّ الآية نزلتْ في قومٍ «لا يؤمنون ولو جاءتهم كلُّ آية» فبعثةُ الرسل انتفع بها آخرون فآمنوا.

٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩].

إن قلتَ: كيف قاله، مع أن المخادعة إنما تُتصوَّر في حقّ من تخفى عليه الأمور، ليتمَّ الخداعُ من حيث لا يعلم، ولا يخفى على اللَّه شيءٌ؟

قلتُ: المراد يخادعون رسول اللَّه، إذْ معاملةُ اللَّهِ معاملةُ رسوله، كعكسه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، أو سمَّى نفاقَهم خداعاً لشَبهِهِ[٢] بفعل المخادع.

٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

إن قلتَ: كيف خصَّ الفساد بالمنافقين، مع أن غيرهم مفسدٌ؟

قلتُ: المرادُ بالفسادِ الفسادُ بالنفاق، وهم كانوا مختصِّين به.

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥].

إن قلتَ: الاستهزاءُ من باب العَبَث والسخرية، وذلك قبيحٌ على اللَّه تعالى ومنزَّه عنه؟

قلتُ: سمَّى جزاء الاستهزاء استهزاءً مشاكلةً[٣] كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] والمعنى أن اللَّه يجازيهم جزاء استهزائهم.

---

(١) في سورة يسٓ قال اللَّه: ﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم﴾ بذكر واو العطف، وهنا في البقرة قال اللَّه: ﴿سواءٌ عليهم﴾ فلم يذكر حرف العطف، وقد بيَّن المصنف رحمه اللَّه أنها هنا خبرُ «إنَّ» فلا تحتاج إلى واو عطف، وفي يسٓ جاءت جملة مستقلة معطوفة على ما سبق.

(٢) في المخطوطة لشبهةٍ وهو خطأ، وصوابُه كما أثبتناه لشبَهِه.

(٣) المشاكلة عند علماء البلاغة هي: الاتفاقُ باللفظ مع الاختلاف بالمعنى كقول الشاعر: «قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه. قلت اطبخوا لي جبَّةً وقميصاً» ومعلوم أن الجُبَّة لا تطبخ وإنَّما تُخاط، فهذا على سبيل المشاكلة.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩].

إن قلتَ: ما فائدة قوله: «من السَّماء» مع أن الصيِّبَ لا يكون إلَّا منها؟

قلتُ: فائدتُه أنه عرَّف السماءَ، وأضاف الصيِّب إليها، ليدلَّ على أنه من جميع آفاقِ السَّماء، لا من أُفُقٍ واحد، إذْ كُلُّ أُفُقٍ يُسمَّى سماءً، ونظيرُ ذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1] [الأنعام: ٣٨].

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم . . .﴾ [البقرة: ١٩].

عبَّر بالأصابع عن أناملها[2]، والمرادُ بعضها لأنهم إنما جعلوا بعض أناملها.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي أنه لا أنداد[3] له.

فإن قلتَ: المشركون لم يكونوا عالمين بذلك، بل كانوا يعتقدون أنَّ له أنداداً؟

قلتُ: المرادُ وأنتم تعلمون أن الأنداد لا تقدر على شيءٍ ممَّا مرَّ قبل ذلك، أو وأنتم تعلمون أنه ليس في التوراة والإنجيل جوازُ اتخاذ الأنداد.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

إن قلتَ: لِمَ ذُكرت «مِنْ» هنا، وحُذفت في سورتَيْ «يونس» و«هود»؟

قلتُ: لأن «مِنْ» هنا للتَّبعيضِ، أو للتَّبيينِ، أو زائدة على قول الأخفش، بتقدير رجوع الضمير في «مثلِه» إلى «مَا» في قوله: «مِمَّا نَزَّلْنَا» وهو الأوجه.

والمعنى على الأخير: فأتوا بسورةٍ مماثلةٍ للقرآن، في البلاغة وحُسْنِ النَّظْم، وعلى الأوَّلَيْن: فأتوا بسورةٍ مما هو على صفته في البلاغة، وحُسن النَّظم، وحينئذٍ فكأنه منه، فحُسن الإتيان بـ«مِنْ» الدالة على ما ذكر.

بخلاف ذلكَ، فإنه قد وصف السور بالافتراء، صريحاً في «هود»، وإشارة

---

(١) تتمة الآية الكريمة: ﴿ولا طائرٍ يطير بجناحيه﴾ ومعلوم أن الدابة لا تكون إلا في الأرض، والطائر لا يطير إلا بجناحين، فذكرُ ذلك هو من باب التأكيد.

(٢) هذا من المجاز المرسل، وهو من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء.

(٣) أنداداً: أي أشباهاً وأمثالاً والمراد لا تجعلوا للّه شركاء معه فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد.

في «يونس» فلم يَحْسُنْ الإتيان بـ«مِنْ» الدالَّة على ما ذُكر، لأنها حينئذٍ تُشعر بأنَّ ما بَعْدها من جنس ما قَبْلَها، فيلزم أن يكون قرآناً وهو محالٌ.

ويجوز جعلُ «مِنْ» للابتداء، بتقدير رجوع الضمير في «مثله» إلى عبدنا أي «محمد» والمعنى: فأتوا بسورةٍ مبتدأةٍ من شخصٍ مثل محمد[(١)].

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

أي من غيره، وهو بهذا المعنى في جميع ما جاء منه في القرآن. وقد يستعمل بمعنى «قبل» كقولهم: المدينة دون مكة، ولا أقومُ من مجلسي دون أن تَجيء، ولا أفارقُك دون أن تُعطيني حقِّي.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤].

إن قلتَ: كيف عرَّف النَّار هنا، ونكَّرها في التحريم[(٢)]؟

قلتُ: لأن الخطاب في هذه مع المنافقين، وهم في أسفل النَّار المحيطة بهم، فعُرِّفت بلام الاستغراق، أو العهد الذهني، وفي تلك مع المؤمنين، والذي يُعذَّب من عصاتهم بالنَّار، يكون في جزءٍ من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها.

وقيل: لأن تلك الآية نزلت قبل هذه بمكة، فلم تكن النار التي وقودُها النَّاس والحجارة معروفةً فنكَّرها ثَمَّ، وهذه نزلت بالمدينة فعُرِّفَتْ، إشارةً إلى ما عرفوه أولاً. ورُدَّ هذا بأن «آية التحريم» نزلت بالمدينة بعد الآية هنا.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ . . .﴾ [البقرة: ٢٥].

إن قلتَ: كيف شرَطَ في دخول المؤمنِ الجنَّة العملَ الصالح، مع أن مجرَّد الإيمان كافٍ في دخولها!؟

---

(١) هذا المعنى بعيد، لأن الغرض من التحدي أن يأتوا بمثل سورة من سور القرآن، في الفصاحة، وحسن النظم والبيان، فقوله: ﴿**من مثله**﴾ صفة للقرآن لا لمحمد عليه السلام.

(٢) في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الَّذين آمنوا قُوا أنفسَكُم وأهليكم ناراً . .**﴾ الآية فقد جاءت هنا نكرةً لتهويل أمرها، وتعظيم شأنها كأنه يقول: ناراً عظيمة متأججة ملتهبة، لا طاقة للإنسان على تحمل سعيرها وعذابها، فإذا كانت هذه النار في حقِّ العصاة المؤمنين، فلا شكَّ أنها تكون أهول وأعظم في حقِّ المنافقين.

قلتُ: المرادُ بالعمل الصالح: الإِخلاصُ في الإِيمان، أو الثبات عليه إلى الموت[١].

أو المرادُ بدخول الجنَّة دخولها مع الفائزين.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً . . . ﴾ [البقرة: ٣٠].

أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً.

أو «آدم» بمعنى خليفة عني بأمري.

أو خليفةً عن ملائكتي أو عن الجنّ.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ . . . ﴾ [البقرة: ٣٤] أي تكرمةً لا عبادة.

١٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا . . . ﴾ [البقرة: ٣٥].

إن قلتَ: لم قال هنا «وَكُلَا» بالواو، وفي الأعراف «فَكُلَا» بالفاء؟

قلتُ: لأنَّ «اسْكُنْ» هنا معناه استقرَّ، لكون «آدم» و«حواء» كانا في الجنة، والأكلُ يُجامع الاستقرار غالباً، فلهذا عطف بالواو[٢] الدَّالة على الجمع.

والمعنى: اجمعا بين الاستقرار والأكل.

---

(١) العمل الصالح ليس شرطاً لدخول الجنة، بدليل ما ورد في الصحيح «يدخل الجنة من مات وهو يشهد أنه لا إلّه إلا اللّه» وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة في غزوة تبوك لمَّا دعا ﷺ أن يجمعوا فضل زادهم، ثم دعا لهم عليها بالبركة.. وفيه قال ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه، لا يلقى اللّهَ بهما عبدٌ غير شاكٌ فيهما إلَّا دخل الجنة» وإنما العمل الصالح لتفاوت الدرجات في الجنة.

(٢) قوله تعالى: ﴿**اسكنْ أنتَ وزوْجُكَ الجنة وكُلَا**﴾ في البقرة وردت بالواو، وفي سورة الأعراف ﴿**اسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجنة فكُلا**﴾ بالفاء، وفي كلا الآيتين فإن قوله تعالى: «اسْكنْ» ليس بأمرٍ من السكون الذي ضدّهُ الحركة، وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإِقامة، فلم يصلح إلا بالواو، ويكون المعنى اجمعا بين الإِقامة فيها والأكل من ثمارها، والذي في الأعراف من السكنى الذي معناه اتخاذ الموضع مسكناً، لأن اللّه أخرج إبليس من الجنة بقوله ﴿**أخرج منها مذءوماً مدحوراً**﴾ وخاطب آدم فقال: ﴿**ويا آدمُ اسكنْ أنت وزوجُك الجنَّة فكُلا**﴾ أي اتخذا لأنفسكما مسكناً في الجنة فكلا من حيث شئتما، فكان الفاء أولى، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زماناً محدداً» انتهى. أفاده الكرمان في كتابه «برهان القرآن» والخطيبُ ذهب إلى أن ما في «الأعراف» خطابٌ لهما قبل الدخول، وما في «البقرة» بعده. واللّه أعلم.

وفي الأعراف: معناه أدخل لكونهما كانا خارجين عنها، والأكلُ لا يكون مع الدخول عادة بل عَقِبه، فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب.. وقد بسطتُ الكلام على ذلك في الفتاوى.

١٩ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا ... ﴾ [البقرة: ٣٨].

كرَّر الأمر بالهبوط للتوكيد.

أو لأن الهبوط الأول من الجنة، والثاني من السماء.

أو لأن الأول إلى دار الدنيا، يتعادون فيها ولا يُخلدُّون، والثاني إليها للتكليف، فمن اهتدى نجا، ومن ضلَّ هَلك.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ... ﴾ [البقرة: ٣٨].

وفي «طه» ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ... ﴾ [طه: ١٢٣].

إن قلتَ: لِمَ عبَّر هنا بـ«تَبِعَ» وَثَمَّ بـ«اتَّبَعَ» مع أنهما بمعنى؟

قلتُ: جرياً على الأصل هنا، وموافقة لقوله: «يومئذٍ يتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ» ثَمَّ[1].

ولأن القضيَّة لما بُنيت من أول الأمر على التأكيد بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ﴾ [طه: ١١٥] ناسبَ اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد.

٢١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ... ﴾ [البقرة: ٤٢].

إن قلتَ: لا تَغايُر بينهما، فكيف عطف أحدهما على الآخر؟

قلتُ: بل هما متغايران لفظاً كما في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[2] [البقرة: ١٥٧].

أو لفظاً ومعنى، لأن المراد بلبسهم الحقَّ بالباطل، كتابتُهم في التوراة ما ليس فيها، وبكتمانهم الحقَّ قولُهم: لا نجد في التوراة صفة محمد.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٦].

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ الثاني، مع أنَّ ما قبله يُغني عنه؟

---

(١) ثَمَّ: بفتح الثاء وتشديد الميم بمعنى هناك، والمراد في سورة «طه» آية رقم (١٢٣) حيث وردت ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾.

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٥٧) والمراد بالصلوات الرحمة المقرونة بالتعظيم.

قلتُ: لا يُغني عنه، لأنَّ المراد **بالأول**: أنَّهم ملاقوا ثواب ربهم، على الصبر والصلاة.

وبالثاني: أنَّهم موقنون بالبعث، وبحصول الثواب على ما ذُكر.

٢٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ...﴾ **[البقرة: ٤٨]**.

فإن قلتَ: ما الحكمةُ في تقديم الشَّفاعة هنا، وعكسُه فيما يأتي(١)؟

قلتُ: للإشارة هنا إلى مَنْ ميلُه إلى حبِّ نفسه أشدُّ منه إلى حبِّ المال، وثَمَّ إلى مَنْ هو بعكس ذلك.

٢٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ...﴾ **[البقرة: ٤٩]**.

فإن قلتَ: ما الحكمةُ في ترك العاطف هنا، وذكرِه في سورة إبراهيم(٢)؟

قلتُ: لأن ما هنا من كلام اللَّه تعالى، فوقع تفسيراً لما قبله.

وما هناك من كلام موسى وكان مأموراً بتعداد المِحَن في قوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] فعدَّد المِحَن عليهم، فناسب ذكر العاطف(٣).

٢٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ **[البقرة: ٥٧]**.

إن قلتَ: ما الحكمةُ في ذكر «كانوا» هنا وفي الأعراف، وفي حذفها في آل عمران؟

قلتُ: لأن ما في السورتين، إخبارٌ عن قوم ماتوا وانقرضوا، فناسب ذكرها، وما في «آل عمران» مَثَلٌ ضربه تعالى لأعمالهم بقوله: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾(٤) **[آل عمران: ١١٧]** إلى آخره.

---

(١) يريد قوله تعالى: **﴿ولا يُقْبَلُ منها عَدْلٌ ولا تَنْفعها شَفَاعَةٌ﴾** في نفس سورة البقرة، فقد قدَّم «العدل» بمعنى الفداء على الشفاعة، وهنا قدَّم الشفاعة على العدل.

(٢) يعني قوله تعالى: **﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعذابَ وَيُذَبِّحُونَ أبناءَكُمْ﴾** فقد وردت بواو العطف بخلاف ما في البقرة.

(٣) السرُّ في ترك العاطف في البقرة، أن اللفظ جاء تفسيراً لما سبق من قوله: **﴿سوء العذاب﴾** فكان ذلك كالتوضيح والبيان له، أما في إبراهيم فهو غير تفسير ولا بيان، لأن المعنى أنهم يعذبونهم بأنواع العذاب وبالذبح أيضاً فهو نوع آخر من العذاب.

(٤) قال تعالى: **﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ في هذهِ الحياةِ الدنيا كمثَلِ ريحٍ فيها صِرٌّ أَصَابتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسَهم يظلمون﴾** آل عمران آية رقم (١١٧).

٢٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ ...﴾ [البقرة: ٥٨].

فإن قلتَ: ما الحكمةُ في العطف بالفاء هنا، وفي الأعراف بالواو؟

قلتُ: لأنه عبَّر هنا بالدخول، وهو سريعُ الانقضاء، فلا يناسبه مجامعة الأكلِ له، وإنما يناسبه تعقيبه له، فعطف بالفاء. وعَبَّر بالأعراف بالسكون[١]، أي الاستقرار وهو ممتدٌّ يجامعه الأكلُ، فعطف بالواو.

٢٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ...﴾[٢] [البقرة: ٥٨].

إن قلتَ: لِمَ قدَّمه على قوله: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] وعَكس في الأعراف.

قلتُ: لأنه هنا وقع بياناً لكيفية الدخول المذكور قبله، بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ...﴾ بخلافه ثَمَّ.

٢٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

إن قلتَ: لِمَ ذكرَ هنا بالواو، وفي الأعراف بدونها؟

قلتُ: لأنَّ اتصالَه هنا أشدُّ، لإسناد القول فيه إلى اللّٰه تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟﴾. بخلافه ثَمَّ، فالأليقُ به حذفُ الواو ليكون استئنافاً.

٢٩ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ...﴾ [البقرة: ٥٩].

إن قلتَ: هم لم يُبدِّلوا غير الذي قيل لهم، وإنما بدَّلوه نفسه، لأنهم قيل لهم قولوا: ﴿حِطَّةٌ﴾ فقالوا: حنطة.

قلتُ: بل بدَّلوا غير الذي قيل لهم، لأن معناه: فبدَّل الذين ظلموا قولاً قيل لهم، فقالوا قولاً غير الذي قيل لهم.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وإذْ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم..﴾ الأعراف آية رقم (١٦١).

(٢) في البقرة قال تعالى: ﴿وادخلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّة﴾ وفي الأعراف قال: ﴿وقولوا حِطَّةٌ وادخلوا البَابَ سُجَّداً﴾ فقدَّم وأخَّر، وقد بيَّن الشيخ السِّر في ذلك، وهو أنه في البقرة جاء الخطاب من اللّٰه ﴿وإذْ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ بينما في الأعراف جاء بصيغة الغائب ﴿وإذْ قيل﴾ ولذلك عطف بالواو في البقرة ﴿وسنزيد المحسنين﴾ فتدبَّرْه فإنه دقيق.

وزاد في الأعراف[1] ﴿مِنْهُمْ﴾ موافقةً لقوله قبله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ولقوله بعده: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

٣٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ...﴾ [البقرة: ٥٩].

عبَّر بدله في الأعراف بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ [الأعراف: ١٣٣] لأنَّ لفظ «الرسول» و«الرِّسالة» كثُر ثَمَّ، فناسب التعبير بأرسلنا.

٣١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ...﴾ [البقرة: ٦٠]. عبَّر بدلَه في الأعراف بقوله: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦] والأول أبلغُ لأنه انصبابُ الماء بكثرة، والانبجاسُ: ظهورُ الماء، فناسب ذكر «الانفجار» هنا الجمعُ قبله بين الأكل والشرب، الذي هو أبلغ من الاقتصار على الأكل.

٣٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

إن قلتَ: العثُوُّ: الفسادُ، فيصير المعنى: ولا تفسدوا في الأرض مفسدين.

قلتُ: لا محذور فيه، غايتُه أن ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حالٌ من فاعل ﴿تَعْثَوْا۟﴾ فهي حالٌ مؤكدة كما في قوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] أو حالٌ مؤسِّسَة إذ «العُثُوُّ» لكونه التَّمادي في الفساد، أخصُّ من الفساد. فالمعنى ـ كما قال الزمخشري ـ لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم.

٣٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

إن قلتَ: كيف قالوا: ﴿عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ وطعامهم كان طعامين: «المَنَّ» و«السَّلوى»؟.

قلتُ: المرادُ بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدَّل[2]، أو بالطَّعامين أنهما ضربٌ واحدٌ، لأنهما من طعام أهل التلذُّذ والتَّرف، أو أنهما كانا يؤكلان مختلطيْن.

---

(١) في سورة الأعراف ﴿فبدَّل الَّذِينَ ظَلَمُوا منهمْ قَوْلاً غيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ بزيادة «منهم» فقد ناسبت هذه الزيادة ما ورد قبلها ﴿ومن قوم موسى﴾ وما ورد بعدها ﴿منهم الصالحون﴾ فقد جاءت متناسبةً متناسقةً في الضمائر.

(٢) ما أشار إليه أولاً هو القول الأظهر أي أنه لا يتبدَّل ولا يختلف، كقول العرب: طعامُ الأمير واحدٌ، أي أنه دائماً جيد مفتخر، مع أنه ألوانٌ وأشكال.

٣٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾ [البقرة: ٦١] عَرَّف الحقَّ هنا، ونكَّره في «آل عمران[١]» و«النساء»! لأنَّ ما هنا لكونه وقع أولاً إشارةً إلى «الحقِّ» الذي أذن اللَّه أن يُقتل النَّفسُ به، وهو قوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ [الإسراء: ٣٣] فكان التعريف أولى، وهناك أُريد به «بغير حقٍّ»[٢] في معتقدهم ودينهم، فكان بالتنكير أولى.

فإن قلتَ: قتلُ النبِّيينَ لا يكون إلّا بغير الحقِّ، فما فائدةُ ذلك؟

قلتُ: فائدتُه التصريحُ بصفةِ فعلهم القبيح، لأنه أبلغُ في الشناعة[٣].

فإن قلتَ: لَمَ مكَّنَ الكافرين من قتلِ الأنبياءِ؟

قلتُ: كرامةً لهم، وزيادةً في منازلهم، كمن يُقْتَلُ في الجهادِ من المؤمنين[٤].

٣٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ . . . ﴾ [البقرة: ٦٢].

فإن قلتَ: لَمَ قدَّم النَّصارى على الصَّابئين هنا، وعكَسَ في المائدة والحجِّ؟

قلتُ: لأن النَّصارى مقدَّمون على الصَّابئِين في الرتبة، لأنهم أهلُ كتابٍ، فقُدِّموا في «البقرة» لكونها أوَّلاً. والصَّابئون مقدَّمون على النَّصارى في الزمن، فقُدِّموا في «الحَجِ»، ورُوعي في «المائدة» المعنيان، فقُدِّموا في اللفظ وأُخِّروا في المعنى، إذِ التقديرُ: والصابئون كذلك كما في قول الشاعر:

فمنْ يَكُ أمْسَى في المدينةِ رَحْلُه ... فـإنّـي وَقـيَّـارٌ بـهَـا لَـغَـريـبُ

إذِ التَّقديرُ: فإني لغريبٌ بها وقيَّارٌ كذلك.

٣٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥].

فإن قلتَ: كيف أُمروا بذلك مع أنه ليس في وسعهم؟

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ **إن الذين يكفرون بآيات اللَّه ويقتلون النبيين بغير حقٍّ** . . ﴾ آل عمران (٢١).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ **وكفرهم بآيات اللَّهِ وقتلِهِمُ الأنبياء بغير حقٍّ** ﴾ النساء آية (١٥٥).

(٣) أقول: لو قتل اليهودُ أحدَ المؤمنين لكان في منتهى الإجرام والشناعة، فكيف بقتلهم الأنبياء والمرسلين؟ ولذلك شنَّع عليهم القرآن الكريم.

(٤) ليس في قتل الأنبياء ما يعارضُ وعد اللَّه لهم بالنصر في قوله: ﴿ **إنا لننصرُ رسلنا** ﴾ وقوله: ﴿ **إنهم لهم المنصورون** ﴾ فالقتل كرامةٌ من اللَّه لهم لينالوا ثواب الشهداء، والنصر إنما هو بغلبة الحجة، وانتشار دينهم، وانتصار مبادئهم، وقهر عدوهم.

قلتُ: هذا أمرُ إيجادٍ لا أمْر إيجابٍ، كقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

٣٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

إن قلتَ: «بَيْنَ» تقتضي شيئين فأكثر، فكيف دخلت على «ذلك» وهو مفرد؟

قلتُ: «ذَلِكَ» يُشارُ به إلى المفرد، والمثنَّى، والمجموع، ومنه قولُه تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]

وقولُه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقولُه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ...﴾ [آل عمران: ١٤] ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

فالمعنى: عَوانٌ بين الفارض والبكر[1].

٣٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩].

فإن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ اليدِ، مع أنَّ الكتابةَ لا تكون إلَّا بها؟

قلتُ: فائدتُه تحقيقُ مباشرتهم ما حرَّفوه بأنفسهم، زيادةً في تقبيح فعلهم.

٣٩ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

إن قلتَ: لِمَ قال هنا «معدودة» وفي آل عمران «معدودات»[2]؟

قلتُ: إشارة إلى الجمع بين الأصل والفرع، إذِ الأصلُ في الجمع بالألف والتَّاء إذا كان واحده مذكَّراً، أن يُقتصر في الوصف على تأنيثه مفرداً كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣] وقد يأتي «سُرُرٌ مرفوعاتٌ» على الجمع، فهو فرع عن الأول، فذكر في «البقرة» على الأصل، لكونها أول، وفي «آل عمران» على الفرع.

٤٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

---

(١) معنى «العَوَان» الوسط، و«الفارضُ» المسنَّة، و «البكر» الفتيَّةُ.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَن تمسَّنا النَّارُ إلَّا أيَّاماً مَعْدُوداتٍ﴾ فقد ذكرت بصيغة الجمع آية (٢٤) آل عمران بخلاف البقرة.

فإن قلتَ: التولّي والإعراضُ واحدٌ، فلمَ جُمع بينهُما؟

قلتُ: لا محذور فيه لأن قوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[١] حالٌ من فاعل توليتم، فهي حالٌ مؤكِّدة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾. أو مؤسسة إذِ المعنى: ثم وليتم عن الوفاء بالعهد، وأنتم معرضون عن النظر والفكر في عاقبة ذلك.

٤١ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]

فإن قلتَ: لمَ قال هنا «لَنْ» وفي الجمعة «لا»[٢]؟

قلتُ: لأنَّ «لَنْ» أبلَغ في النفي منْ «لا»، حتى قيل: إنَّها لتأبد النفي، ودعواهم في البقرة بالغةٌ قاطعة، وهي كونُ الجنَّةِ لهم بصفة الخلوص[٣]، فناسب ذكْرُ «لَنْ» فيها.

ودعواهم في «الجمعة» قاصرةٌ مردودة، وهي زعمهم أنهم أولياء اللَّه، فناسبَ ذكرُ «لا» فيها.

٤٢ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ...﴾ [البقرة: ٩٦].

فإن قلتَ: لمَ خُصُّوا بالذّكر، مع دخولهم في الناس في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]؟

قلتُ: لشدَّة حرصهم على الحياة، لإنكارهم البعث.

٤٣ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

إن قلتَ: لمَ قال هنا «لا يؤمنون» وفي غيره «لا يعقلون»، «لا يعلمون»؟

قلتُ: لأَنَّ الآية هنا نزلت في كفارٍ نقضَ بعضهم العهد، وجحد بعضهم الحقَّ، ولم يجتمع هذان الأمران في غير هذه السورة.

٤٤ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي من السِّحر،

---

(١) إنما جيء بالجملة إسمية ﴿وأنتم معرضون﴾ لبيان أن عادتهم الإِعراضُ عن العهود والمواثيق، كعادة الآباء والأجداد.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدَّمت أيديهم واللَّه عليم بالظالمين﴾ الجمعة آية (٧).

(٣) أشار الشيخ إلى قوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند اللَّه خالصةً من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾.

فهو معطوفٌ على السِّحر قبله، وسوَّغ عليه تغايُرهما لفظاً، والمَلَكان أنزلهما اللَّه تعالى لتعليم السِّحر، ابتلاءً منه للناس[١].

فإن قلتَ: هذا يدلُّ على جواز تعليم السحر، فلا يكون حراماً!؟

قلتُ: الحرامُ تعليمُه ليُعمل به، لا ليُجتنب فإنه جائزٌ، كما لو سُئل إنسانٌ عن الزِّنا، لزمه بيانه للسائل ليعرفه فيجتنبه[٢].

٤٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ إلى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

إن قلتَ: كيف أثبتَ لهم العلم أولاً مؤكداً بلام القَسَم، ونفاه عنهم آخراً؟

قلتُ: المثبتُ لهم علمهم بأنَّ من اختار السِّحر، ما له في الآخرة من نصيب، والمنفيُّ عنهم علمهم بحقيقة ما يصيرون إليه فيها.

أو المثبتُ لهم العلمُ مطلقاً، والمنفيُّ عنهم العقل، لأنه أصل العلم، فإذا انتفى انتفى[٣].

٤٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣].

أي من السِّحر، وهو خبرٌ لمثوبةٌ.

فإن قلتَ: «خيرٌ» أفعلُ تفضيل، ولا خير في السِّحر؟

قلتُ: ليس «خيرٌ» هنا أفعل تفضيل، بل هو لبيان أنَّ المثوبة فاضلة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾[٤] [فصلت: ٤٠]؟ كما يُقال: الرجوع إلى الحقّ

---

(١) الحكمة من تعليم الملكَيْن السِّحرَ للناس، أن السَّحرة كثروا في ذلك العهد، فبعث اللَّه المَلَكَيْن لتعليم الناس وجوه السحر ليفرقوا ويميزوا بين السحر والمعجزة، وابتلاءً لإيمان الناس واللَّه أعلم.

(٢) هذا كما قال الشاعر:

عـرفـتُ الـشـرَّ لا لـلـشـرِّ لـكـن لِـتَـوَقِّـيـهِ
ومـن لا يـعـرفِ الـشـرَّ مـن الـنَّـاسِ يَـقَـعْ فـيـهِ

(٣) أي إذا انتفى عنهم العقل انتفى عنهم العلم، والآية جارية على الأسلوب المعروف في فنون البلاغة، من أن العالم بالشيء إذا لم يعمل به، ينزَّل منزلةَ الجاهل به.

(٤) تتمة الآية: ﴿أفَمَن يُلْقى في النَّارِ خيرٌ أمْ مَن يأتي آمناً يومَ القِيامةِ﴾؟ سورة فصلت آية (٤٠).

خيرٌ من التّمادي في الباطل. أو هو أفعل تفضيل، وخاطبهم اللَّهُ على اعتقادهم أن تعلُّم السِّحر خيرٌ، نظراً منهم إلى حصول مقصودهم الدنيوي به.

٤٧ ـ **قوله تعالى**: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم . . .﴾ [البقرة: ١٠٩]. ذِكْرُ ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ تأكيدٌ، إذِ الحَسَد لا يكون إلا من قِبل النَّفس.

٤٨ ـ **قوله تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] قال ذلك هنا، وقال في آل عمران: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾[1] [آل عمران: ٧٣]. لأنَّ معنى الهُدَى هنا «القِبْلةُ»، لأنَّ الآية نزلت في تحويلها، وتقديره: قل إن قبلة اللَّه هي الكعبةُ.

ومعناه ثَمَّ «الدِّينُ» لقوله تعالى قَبلُ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

٤٩ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠].

إن قلتَ: ما الحكمةُ في ذكر «الَّذي» هنا، وذكرِ «ما» في قوله بعدُ: «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ» وفي الرعد: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الرعد: ٣٧]؟

قلتُ: المرادُ بالعلم في الآية الأولى «العلمُ الكاملُ» وهو العلمُ باللَّهِ وصفاتِه، وبأنَّ الهدى هدى اللَّه، فكان الأنسب ذكرُ «الذي» لكونه في التعريف أبلغُ من «ما».

والمراد بالعلم في الثانية[2] والثالثة[3] «العلمُ بنوعٍ» وهو في الثانية العلمُ

---

(١) ما ذهب إليه الشيخ رحمه اللَّه قولٌ له وجهٌ، والصوابُ أن المراد بالهدى في سورة البقرة هو الدين أيضاًوالمعنى: قل لهم يا محمد: إن الإسلام هو الدِّينُ الحقُّ، وما عداه فهو ضلال، وإيرادُ اللفظِ هنا معرَّفاً مع اقترانه بضمير الفصل «هو الهدى» لإفادة الحصر، فقد حصر الهداية في دين اللَّه، وفي سورة آل عمران معناه: قل لهم إن الهداية بيد اللَّه، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وليس بالتمسك باليهودية أو النصرانية، واللَّه أعلم.

(٢) الآية الثانية هي قوله تعالى: ﴿**ولَئِن اتَّبعتَ أهواءَهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين**﴾ البقرة آية (١٤٥).

(٣) الآية الثالثة هي قوله تعالى: ﴿**وكذلك أنزلناه حُكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من اللَّه من ولي ولا واق**﴾ الرعد آية (٣٧).

بأن قِبلةَ اللَّه هي الكعبةُ، وفي الثانية الحكم العربي، فكان الأنسب ذكرُ «ما».

ولقلَّةِ النوع في الثانية، بالنسبة إليه في الثالثة، زيد قبلَ «ما» في الثانية «مِنْ» الدالَّةِ على التَّبعيض[١].

٥٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ [البقرة: ١٢٢] إلى ﴿شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ١٢٣]. تكرَّر مع نظيرهِ قبلُ[٢]، مبالغةً في النُّصح.

٥١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ ...﴾ [البقرة: ١٢٥] قاله هنا بلفظ «والعَاكِفينَ» وفي الحج بلفظ «والقَائِمينَ» والمرادُ منها المقيمون، وغايَرَ بينهما لفظاً، جرياً على عادة العرب من تفنُّنِهم في الكلام.

٥٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا ...﴾[٣] [البقرة: ١٢٦].

فإن قلتَ: لم نكَّر البلد هنا وعرَّفه في إبراهيم؟

قلتُ: لأن الدعوة هنا، كانت قبل جعل المكان بلداً دائم الأمنِ في الأول، وبلداً آمناً في الثاني.

٥٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ...﴾ [البقرة: ١٢٩].

ذكره هنا وفي «الجمعة» بترك الأنفس إيجازاً، وذكرها في «آل عمران» في قوله: ﴿إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٤] لأن اللَّه تعالى منَّ على المؤمنين فيها، فجعله من أنفسهم ليكون موجب الجنة أظهر.

ونظيرُه ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨] لمَّا وصفه

---

(١) لقوله تعالى: **﴿ولئنِ اتَّبعتَ أهواءَهُمْ منْ بعدِ ما جاءكَ منَ العلمِ﴾** فزاد هنا في البقرة «مِنْ» المفيدة للتبعيض، بخلاف آية الرعد فلم تُذكر فيها «مِنْ».

(٢) ذُكرت هذه الآية قبل هذا الموضع بنفس السورة في قوله: **﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وأني فضَّلتكم على العالمين. واتقوا يوماً لا تَجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً..﴾** آية رقم (٤٧) وذكرت هنا أيضاً بنفس الصيغة إلى قوله شيئاً آية رقم (١٢٢) وقد بيَّن الشيخ رحمه اللَّه الحكمة من ذلك فتدبره.

(٣) الحكمة في تنكير البلد في البقرة **﴿بلداً آمناً﴾** أنه كان قبل بناء البلد، حيث لم يكن بها أحد، فطلب من اللَّه أن تُجعل بلداً وأن تكون آمنةً، وفي سورة إبراهيم عرَّف البلد **﴿اجعلْ هذا البلدَ آمناً﴾** لأنه كان بعد بنائها، فطلب من اللَّه أن يجعل فيها الأمن والاستقرار، فتدبره فإنه نفيس.

بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية، جعله من أنفسهم، ليكون موجب الإِجابة والإِيمان به أظهر.

٥٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

إن قلتَ: إنَّ الموت ليس في قدرة الإِنسان حتَّى يُنهى عنه؟

قلتُ: النهيُ في الحقيقة، إنما هو عن عدم إسلامهم حال موتهم، كقولك: لا تُصلِّ إلَّا وأنتَ خاشعٌ، إذِ النهيُ فيه إنما هو عن ترك الخشوع حال صلاته، لا عن الصلاة.

والنكتةُ في التعبير بذلك، إظهار أن موتهم لا على الإِسلام، موتٌ لا خير فيه، وأن الصلاة التي لا خشوع فيها كـ«لا صلاة»!

٥٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦].

إن قلتَ: لِمَ قال هنا «قُولُوا» و«إِلَيْنَا» وفي آل عمران: ﴿قُلْ﴾ و«عَلَيْنَا»[١].

قلتُ: لأن «إلى» للانتهاء، وهو لا يختصُّ بجهة، والكتبُ منتهيةٌ إلى المؤمنين بعد نزولها على الأنبياء، والخطابُ هنا للمؤمنين لقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ و«على» للاستعلاء وهو مختص بالأنبياء، وأفضلُهم نبيُّنا وهو المخاطب ثَمَّ بقوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] فكان الأنسب هنا وثَمَّ ما ذُكر. وكُرِّر «ومَا أُنزِلَ» لاختلاف المنزَّل إلينا، والمنزَّل على إبراهيم وما عُطف عليه.

٥٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ . . .﴾ [البقرة: ١٣٦].

ذكْرُ «مَا أُوتِيَ» هنا، وحذفُه في «آل عمران»[٢] اختصارٌ، كما هو الأنسب بالآخر، أو لأن الخطاب هنا عامٌّ، وثَمَّ خاصٌّ كما مرَّ فكان الأنسب ذكره في الأول، وحذفه في الثاني.

---

(١) في البقرة ﴿**قولوا آمنّا باللّهِ وما أُنزلَ إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**..﴾ آية رقم (١٣٦) فوردت بصيغة «قولوا» ولفظ «إلينا»، وفي آل عمران﴿**قُلْ آمنا باللّهِ وما أُنزلَ علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل**..﴾ آية (٨٤) فقد وردت بصيغة «قل» و«علينا» لأن الخطاب فيها للرسول ﷺ، وقد بين الشيخ الحكمة.

(٢) في قوله تعالى ﴿**وما أوتي موسى وعيسى والنبيُّون من ربهم**..﴾ آية رقم (٨٤).

فإن قلتَ: لم قال هنا ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ولم يقل: «وَمَا أُنزِلَ إِلى موسى» كما قال قبلُ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٦]؟

قلتُ: للاحتراز عن كثرة التكرار.

فإن قلتَ: لمَ كرَّر «وَمَا أُوتِيَ» هنا، وحذفه في آل عمران؟

قلتُ: إنَّما حذفه ثَمَّ للاغتناء عنه بقوله قبله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١].

٥٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ . . .﴾ [البقرة: ١٣٧].

فإن قلتَ: إن أُريد بـ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ اللَّهُ تعالى، فاللَّهُ لا مِثْل له، أو دين الإِسلام فكذلك؟

قلتُ: القصدُ بالآية إنما هو التعجيزُ كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] أو كلمة «مثلِ» زائدة للتوكيد كما في قوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس: ٢٧] أو الباء زائدة كما في قوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] و«مَا» مصدريَّةٌ والمعنى بمثل إيمان من آمنتم به وهو اللَّه، أو دينُ الإِسلام.

٥٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ . . .﴾ [البقرة: ١٤١] ذكَرها مع أَنَّ مضمونَها معلومٌ لِكل مميِّز، للتنبيه على عِظَم العصيان واجتنابه، كما أنَّ قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] ذُكر مع أنه معلومٌ، للتنبيه على أن الكفر ممَّا يعود بسوء العاقبة عليهم، وكرَّرها مبالغة في النصح، أو لأن «الأمَّة» في الأولى للأنبياء، وفي الثانية لأسلاف اليهود والنصارى. أو لأن الخطاب في الأولى لهم، وفي الثانية لنا تحذيراً عن الإِقتداء بهم.

٥٩ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ . . .﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

إن قلتَ: كيف قال: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهو لم يزل عالماً بذلك؟

قلتُ: هذا ونحوهُ باعتبار التعلُّقِ، والمعنى: ليتعلَّق علْمُنا به موجوداً، أو المعنى: ليعلمَ رسولُنا والمؤمنون، لأنهم أخصَّاؤه، أو لتميّز الثابت عن المتزلزل، كقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٦٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ . . .﴾ [البقرة: ١٤٣].

«كان» للماضي وهو هنا للحال، وتأتي في القرآن لخمسة معانٍ:

أ ـ للحال ومنه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

ب ـ وللماضي المنقطع ومنه ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨] وهو الأصل في معانيها.

ج ـ وللاستقبال ومنه ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

د ـ وللدوام ومنه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

هـ ـ وبمعنى صار ومنه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1] [البقرة: ٣٤].

٦١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا . . .﴾ [البقرة: ١٤٤].

فإن قلتَ: هذا يقتضي عدم رضا النبي ﷺ بالتوجه إلى بيت المقدس، مع أن التوجه إليه كان بأمر اللَّه؟

قلتُ: المراد بالرضا هنا رضا المحبة بالطبع، لا رضا التسليم والانقياد لأمر اللَّه.

٦٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] كُرِّر ثلاث مرّات، لأن **الأول** في المسجد الحرام، **والثاني** خارجه، **والثالث** خارج البلد[2]، وعليها يُنزَّل قوله قبل كلٍّ منها ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: ١٤٩].

٦٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ . . .﴾ [البقرة: ١٤٥] أي اليهود والنصارى، ولكلٍّ منهما قبلة، لكنْ لمَّا كانت القبلتان باطلتيْن، كانتا في حكم البطلان واحدةً، فلهذا قال: «قبلَتهم»[3].

---

(١) وردت هذه الآية في أمر إبليس ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلملائِكةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجدُوا إلَّا إبليسَ استكبر وكانَ مِنَ الكافِرينَ**﴾ أي صار بإبائه واستكباره من الكافرين.

(٢) تكرُّر الأمر باستقبال الكعبة ثلاث مرات، قال القرطبي: والحكمة في هذا التكرار، أن الأول لمن هو بمكة، والثاني لمن هو ببقية الأمصار، والثالث لمن خرج في الأسفار «القرطبي ٢/ ١٦٨».

(٣) قبلة أهل الضلال واحدة، كما أن ملة أهل الكفر واحدة.

٦٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] قال في الأنعام مثله ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] وفي آل عمران: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠] بغير نون التوكيد. لأنَّ ما في «آل عمران» جاء على الأصل، ولم يكن فيها ما اقتضى إدخال نون التوكيد، بخلاف ما هنا، فإنَّ قبله التوكيد بأنَّ في قوله: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦].

وفي الأنعام: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] فناسب التوكيد فيهما بالنون.

٦٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ...﴾ [البقرة: ١٥٠].

إن قلتَ: كيف يكون للظالمين من اليهود حجَّةٌ على المؤمنين؟

قلتُ: حجَّتُهم قولُهم: ما تحوَّل محمدٌ عن الكعبة، إلَّا أنه بدا له الرجوع إلى قبلةِ آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم[١]!!

وهذا باطلٌ، وإنما سُمِّي حجَّةً كقوله: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: ١٦] لشبهه لها صورةً، فالمعنى إلا أن يقولوا ظلماً وباطلاً، كقولك لرجلٍ: ما لكَ عندي حقٌّ إلَّا أن تظلم أي إلا أن تقول الباطل.

٦٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] عطفٌ على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.

٦٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ الثاني مع أن الأول يقتضيه؟

قلتُ: لا نسلِّم أنه يقتضيه، لأن المراد بالكفر ستر النِّعمة[٢]، والشّكرُ لا يقتضي عدمَه.

٦٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٠] تُرك «مِنْ بَعْدِ

---

(١) الأمر بالتوجه نحو الكعبة المشرَّفة يدفع حجة اليهود بقولهم: يجحد ديننا ويتَّبع قبلتنا!! ويدفع حجة المشركين بقولهم: يدَّعي ملَّة إبراهيم ويخالف قبلته!! فأمره تعالى بالتوجه إلى البيت الحرام، ليدفع أقوال الظلمة من اليهود والمشركين.

(٢) من أطاعَ اللَّهَ فقد شكره، ومن عصاه فقد كفره.

ذَلِكَ» هنا، وذكر في «آل عمران»[١] لأنه لو ذكره هنا مع قوله قبله ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٥٩] لالتبس أو لتكرَّر.

٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

إن قلتَ: كيف قال: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وأهل دين من مات كافراً لا يلعنونه؟

قلتُ: المرادُ بالناس المؤمنون، أو هم وغيرهم. وأهل دينه يلعنونه في الآخرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ...﴾ [العنكبوت: ٢٥] وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ...﴾ [البقرة: ١٦٣].

إن قلتَ: ما فائدة ذكرِ ﴿إِلَـٰهٌ﴾ مع أن ﴿وَٰحِدٌ﴾ يُغني عنه؟

قلتُ: فائدتُه التصريحُ بالإلَهية المقصودة، وإن تضمَّنه قوله: ﴿وَٰحِدٌ﴾ كما تضمَّن انفراده بالقدم، وبصفات ذاته، وبعدم التركيب.

٧١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] خصَّهما بالذِّكر لأنهما أعظم المخلوقات، وجَمَع السَّماءَ دون الأرض، للانتفاع بجميع آحادها، باعتبار ما فيها من نور كواكبها وغيره، بخلاف الأرض إنما يُنتفع بواحدةٍ من آحادها وهي ما نشاهدها منها.

٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ...﴾ [البقرة: ١٧٠] عبَّر هنا بـ «ما ألفينا» وفي «المائدة»[٢] وفي لقمان[٣] بـ«ما وجدنا» لأن «ألفى» يتعدَّى إلى مفعولين دائماً، و«وَجَد» يتعدَّى إليهما تارة، وإلى واحدٍ أخرى،

---

(١) في آل عمران: ﴿إلَّا الذينَ تابُوا من بعدِ ذلكَ وأصلَحُوا فإنَّ اللَّه غفورٌ رحيمٌ﴾ آية (٨٩) وقد بيَّن الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ السبب في ذلك، وهو دفعُ الالتباس، أو التكرار الذي يتنافى مع النظم الكريم.

(٢) في المائدة ﴿وإذَا قيلَ لَهمْ تَعالَوْا إلى مَا أنزلَ اللَّهُ وإلى الرسُولِ قالُوا حَسْبُنَا مَا وَجدنا عليهِ آباءنَا ..﴾ آية (١٠٤).

(٣) في لقمان ﴿وإذَا قيلَ لهمُ اتَّبعوا ما أنزلَ اللَّهُ قالوا بلْ نَتَّبعُ ما وجدنَا عليهِ آباءنا ..﴾ آية (٢١).

كقولك: وجدتُ الضالَّةَ فهو مشترك، وألفى خاصٌ، فكان الموضع الأول أنسب به.

٧٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

إن قلتَ: لم قال هنا «لا يعقلونَ» وفي المائدة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] [المائدة: ١٠٤]؟

قلتُ: لأن العلم أبلغ درجةً من العقل، بدليل وصف اللّه به دون العقل، ودعواهم ثَمَّ أبلغ من ههنا، لقولهم ثَمَّ ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٤] وههنا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ فكان الأنسبُ نفيَ كلٌ بما يناسبه.

٧٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ...﴾ [البقرة: ١٧١] ظاهرُه تشبيهُ الكفَّار بالراعي وليس مراداً.

فإن قلتَ: فما وجهُه؟

قلتُ: فيه إضمارٌ تقديره: ومَثَل واعظِ الذين كفروا كمثلِ الراعي[2].

أو للأنعام: أو ومثَلُ الذينَ كفروا كمثل بهائم الراعي. أو ومثَلُ الذين كفروا في دعائهم الأصنامَ كمثل الراعي.

٧٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ...﴾ [البقرة: ١٧٣] قَدَّم «بِهِ» هنا وأخَّره في المائدة، والأنعام، والنحل، لأن الباء للتعدية، كالهمزة والتشديد، فهي كالجزء من الفعل، فكان الموضع الأول أولى بها وبدخولها. وأخرَّ في بقية المواضع، نظراً للمقصود فيها من ذكر المستنكر، وهو الذبح لغير اللّه، والحصر بـ«إنَّما» في المحرَّمات هنا متروكُ الظاهر، لما زاد في المائدة من «المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السَّبُع».

---

(١) قال تعالى: ﴿قالواحسبُنا ما وجدنا عليه آباءنا، أوَ لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ المائدة آية (١٠٤).

(٢) هذا مثلٌ بالغٌ في الروعةِ والجمال، فقد مثَّل تعالى للكفار بالبهائم والأنعام، التي لا تفقه ما يقول الراعي، أكثر من سماع الصوت دون أن تفهم المعنى، ولا تدرك ماذا يقول لها، وهو خلاصة قول ابن عباس، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ١/ ١١٤.

٧٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ . . .﴾ [البقرة: ١٧٣] ذكره هنا، وتَرَكه في المواضع الثلاثة المذكورة آنفاً اقتصاراً، كما هو الأنسب بالآخر.

٧٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . . .﴾ [البقرة: ١٧٣] قاله هنا، وقال في الأنعام ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] لأن لفظ الربِّ تكرَّر ثَمَّ مراتٍ، مع ذكر ما يحتاج إلى التربية، من الثمار، والحبوب، والحيوان، من «الضأن والمعز والإبل والبقر» في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] الخ، فكان ذكرُ الربِّ ثَمَّ أنسب.

٧٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ . . .﴾ [البقرة: ١٧٤].

إن قلتَ: كيف نفى عنهم الكلام هنا، وأثبته لهم في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾؟ [الحجر: ٩٢].

قلتُ: المنفيُّ هنا الكلام بلطفٍ وإكرامٍ، والمثبت ثَمَّ سؤال توبيخ وإهانة، أو في القيامة مواقفُ، ففي موقفٍ لا يكلمهم، وفي موقفٍ يكلمهم. ومن ذلك آيةُ النفي المذكورة[١]، مع قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢].

٧٩ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ . . .﴾ [البقرة: ١٨٠] فيه عطفُ الخاصّ على العام[٢]، ونسخُ ما كانوا يفعلونه من الوصيّة للأبعد دون الأقرب، طلباً للفخر والشَّرف.

٨٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١].

إن قلتَ: لم خصَّ السَّميع بالذّكر هنا، والغفران[٣] فيما بعده؟

قلتُ: لقوله هنا، «بعد ما سمعه» وثَمَّ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ مع آية الأنعام ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول . .﴾ آية رقم (٢٢) فقد أثبتت سؤالهم عن الشركاء وهو سؤال توبيخ وتأنيب.

(٢) الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه من عطف العام على الخاص، فإن الأقربين يدخل فيهم الوالدان، لا كما قال الشيخ أنه من عطف الخاص على العام، ولعلّه سبق قلم.

(٣) أشار إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفاً أو إثماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إثم عليهِ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٨١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ . . .﴾ [البقرة: ١٨٣] التشبيهُ في أصلِ الصَّوم لا في كيفيَّته، إذِ الإِفطارُ منه كان مباحاً من الغروب إلى وقت النَّوم فقط، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية.

٨٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قيَّد بـ «منكم» هنا، وفي قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] وتركه في قوله: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر﴾ اكتفاءً بقوله قبله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فإن قلتَ: ما فائدة ذكرِ إعادة المريض والمسافر بعد؟

قلتُ: رفعُ توهُّمِ نسخ التخيير بين الصوم والفدية بعموم قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

أو أن آيتها الأول نزلت في تخييرهما بين الصوم والفدية، والثانية في تخييرهما بين الصوم والإِفطار والقضاء.

٨٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] صفة لهدًى وبيِّنات قبله، ومتعلِّقٌ بمحذوفٍ أي كونُ القرآن هدًى وبيِّناتٌ، من جملة هدى اللَّه وبيِّناته، لكنْ عبَّر عن البيِّنات بالفرقان، لأن فيه زيادة معنى لازم للبيِّنات، وهو كونُه يفرق بين الحق والباطل، ولأن في لفظ الفرقان تواخي (١) الفواصل.

٨٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

إن قلتَ: نجدُ كثيراً من الدَّاعين لا يُستجاب لهم؟

قلتُ: إنما لم يستجبْ لهم لانتفاء شرط الإِجابة، إذْ شرطُها طاعةُ اللَّه، وأكلُ الحلالِ، وحضُور القلبِ.

أو لأنَّ الدَّاعي قد يعتقد مصلحته في إجابة دعوته، واللَّهُ يعلم أن المصلحة في تأخيرها.

---

(١) مراده التوافق والتناسب بين الفواصل، فلما ذكر تعالى شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، ذكر بعده لفظ الفرقان، لتتناسب الفواصل في جمالٍ رائعٍ يطرق الآذان، واللَّه أعلم بأسرار كتابه.

أو يعطيه بدلها، فقد روى الحاكم خبر «ما من مسلم يدعو اللَّهَ تعالى بدعوةٍ، إلّا آتاه اللَّه إيَّاها، أو صرف عنه من السُّوء مثلها، أو ادَّخر له من الأجر مثلها، ما لم يدعُ بإثم».

٨٥ ــ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

إن قلتَ: لِمَ قال هنا ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ وقال في التي بعدها ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[١] [البقرة: ٢٢٩]؟

قلتُ: لأن الحدَّ هنا نهيٌ وهو قوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] وما كان من الحدود نهياً، نُهيَ فيه عن المقاربة.

والحدُّ فيما بعدُ أمرٌ، وهو بيان عدد الطلاق بقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] الآية، وما كان أمراً نُهيَ عنه عن الاعتداء وهو مجاوزة الحدِّ.

٨٦ ــ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

كلُّ ما جاء من السؤال في القرآن، أُجيب عنه بـ﴿قُلْ﴾ بلا فاءٍ، إلَّا في قوله في «طه» ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ ...﴾ [طه: ١٠٥] الآية، فبالفاء، لأن الجواب في الجميع، كان بعد وقوع السؤال. وفي «طه» قبله إذْ تقديره: إن سئلتَ عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً[٢].

٨٧ ــ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ...﴾ [البقرة: ١٩٣].

تُرك «كلُّه» هنا، وذكره في الأنفال[٣]، لأن القتال هنا مع أهل ملَّةٍ فقط، وثَمَّ مع جميع الكفار، فناسب ذكرُه ثَمَّ.

---

(١) في قوله تعالى: **﴿فإن خفتم ألّا يقيما حدودَ اللَّه فلا جُناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود اللَّه فلا تعتدوها، ومن يتعد حدود اللَّه فأولئك هم الظالمون﴾** البقرة آية (٢٢٩).

(٢) الحكمة في ذكر الفاء في قوله تعالى: **﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾** أن الآية وردت قبل حدوث السؤال ووقوعه، وكأنه يقول له: إن سألك أحد عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً، بخلاف بقية الأسئلة فإنها جاءت بغير فاء مثل **﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للَّه والرسول﴾** لأنها جاءت بعد وقوع السؤال **﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى..﴾**.

(٣) في قوله تعالى: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ كلُّه للَّهِ..﴾** الأنفال آية (٣٩).

٨٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ . . . ﴾ [البقرة: ١٩٦].

إن قلتَ: ما فائدة ذكره بعد الثلاثة والسبعة، وذكر «كاملة» بعد قوله: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ ﴾؟

قلتُ: فائدةُ الأول دفعُ تصحيف سبعةٍ بـ«تسعة»، وتأكيدُ العلم بالعدد تفصيلاً وإجمالاً.

وفائدة الثاني التأكيد كما في «حولين كاملين».

أو معناه كاملة في الثواب مع كونها متفرقة.

أو واقعة بدلاً عن الهَدْيِ.

٨٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ . . . ﴾ [البقرة: ١٩٨].

إن قلتَ: ما فائدةُ تكرار الذكر؟

قلتُ: فائدته التنبيه على إرادة الذِّكرِ، وزيادة فائدةٍ أخرى في الثاني وهي «كما هداكم» بمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته.

أو الإِشارة بالأول إلى الذكر باللفظ، وبالثاني إلى الذكر بالقلب.

٩٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

إن قلتَ: كيف عطف الإِفاضة، مع أنها الإِفاضة من عرفات؟

قلتُ: ثُمَّ للترتيب الإِخباري لا الزماني.

أو المراد بالإِفاضة الثانية، الإِفاضة من مزدلفة إلى مِنَى، لا من عرفات.

٩١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ . . . ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

إن قلتَ: ما فائدة قوله فيها: ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] مع أنه معلوم بالأَوْلى ممَّا قبله؟

قلتُ: فائدتُه رفعُ ما كان عليه الجاهلية من أن بعضهم قائل بإثم المتعجل، وبعضهم بإثم المتأخر.

أو المعنى: لا إثم على المتأخر في ترك الأخذ بالرخصة، مع أن اللَّه يُحبُّ أن تُؤتى رُخَصُه كما يحبُّ أن تُؤتى عزائمُه.

فإن قلتَ: التعجيلُ في اليوم الثاني[١]، لا فيه وفي اليوم الأول، فكيف قال: «في يومين»؟

قلتُ: المعنى في مجموع اليومين الصادق بأحدهما وهو الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وهما لا يخرجان إلا من الملح لا من العذب.

٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال ذلك هنا، وقال في آل عمران: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] الآية.

وفي التوبة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة: ١٦] الآية.

غاير بما ذُكر في الثالثة، لأن الخطاب في الأولى للنبي والمؤمنين، وفي الثانية للمجاهدين، وفي الثالثة للمؤمنين.

٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ . . .﴾ [البقرة: ٢١٥].

إن قلتَ: كيف طابق الجوابُ السؤال، لأنهم سألوا عن المُنفَق، فأُجيبوا ببيان المَصْرِف؟

قلتُ: بل طابقه بقوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢١٥] وزاد عيه بيان المصرف بما بعده، فالجوابُ أعمُّ، ونظيره قوله ﷺ وقد سئل عن الوضوء بماء البحر: «**هو الطَّهور ماؤه، الحِلُّ ميتته**».

٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . . .﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ذكر ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هنا، وتركه في آخر السورة، وفي الأنعام اختصاراً، للعلم به ممَّا هنا.

---

(١) المراد اليوم الثاني من أيام التشريق لا من أيام العيد، وهو يوافق اليوم الثالث من أيام العيد.

٩٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١].

بفتح التَّاء هنا، وبضمها في قوله: ﴿**تُنْكِحوا المشركين**﴾.

لأن الأول من «نَكَحَ» وهو يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، والثاني من «أَنْكَحَ» وهو يتعدَّى إلى اثنين، الأول في الآية «المشركين»، والثاني محذوفٌ وهو «المؤمنات»[١].

٩٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ . . .﴾ [البقرة: ٢٣١].

هو هنا بالتخفيف، من «أَمْسك» وفي الممتحنة بالتخفيف والتشديد[٢]، لمناسبة تخفيف لما هنا ما قبله من قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١].

ومناسبة تخفيف وتشديد ما هناك ما قبله من قوله: ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم﴾ [الممتحنة: ٨] وقوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨] وخُفِّف في الطلاق قولُه: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ١] لمناسبة تخفيفه ما قبله من قوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

٩٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧].

فإن قلتَ: عزمُهم الطَّلاق ممَّا يُعلم لا ممَّا يُسمع، فكيف قال: «إن اللَّه سميع»؟

قلتُ: العازم على الشيء يُحدِّث به نفسه، وحديث النَّفس ممَّا يسمعه اللَّه ووسوسة الشيطان، مع أن الغالب في عزم الطلاق المقاولة مع الزوجة.

٩٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ . . .﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أفعل ههنا بمعنى فاعل[٣].

٩٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ . . .﴾ [البقرة: ٢٣٢].

قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ هنا، وقال في الطلاق: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ﴾

---

(١) تقديره: ولا تُنكحوا المشركين المؤمنات أي لا تزوجوهم بالمؤمنات حتَّى يؤمنوا باللَّه ورسوله، فالفعل هنا رباعي يتعدَّى إلى مفعولين.

(٢) في قوله تعالى: ﴿**ولا تُمسِكوا بِعِصَمِ الكوافر**﴾ وقرئ: ولا تَمسَّكوا بعصم الكوافر.

(٣) أي أزواجهنَّ حقيقون بردهنَّ إليهنَّ، فلفظة «أحقُّ» هنا ليست للمفاضلة، وقيل: هي للتفضيل والمعنى: الأزواج أحقُّ من آبائهنَّ، واللَّه أعلم.

[الطلاق: ٢] لما كانت كاف «ذلكَ» لمجرد الخطاب، لا محلَّ لها من الإعراب، جاز الاقتصار على الواحد كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٥٢] وجاز الجمع نظراً للمخاطبين كما في الطلاق.

فإن قلتَ: لمَ ذكر «منكم» هنا، وترك ثَمَّ؟

قلتُ: لترك ذكر المخاطبين هنا في قوله ذلك، واكتفى بذكرهم ثَمَّ فيه.

١٠٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ . . .﴾ [البقرة: ٢٣٤].

قال في هذه الآية ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وقال في الآية الأخرى[(١)] ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] لأن التقدير في هذه: فيما فعلن في أنفسهن، بأمر اللَّه المعروف من الشرع.

وفي تلك: فيما فعلن في أنفسهنَّ من فعلٍ من أفعالهنَّ معروفٍ جوازه شرعاً.

١٠١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

إن قلتَ: هذا يقتضي موتَهم مرتين، وهو منافٍ للمعروف أن موت الخلق مرةٌ واحدة؟

قلتُ: لا منافاة إذِ الموتُ هنا عقوبة مع بقاء الأجل، كما في قوله تعالى في قصة موسى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

وثَمَّ موتٌ بانتهاء الأجل، ولأنَّ الموت هنا خاصٌّ بقومٍ، وثَمَّ عامٌ في الخلق كلِّهم، فيكون ما هنا مستثنى إظهاراً للمعجزة.

١٠٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

إنما ذكر لفظ الناس هنا وفي «يوسف»[(٢)] و«المؤمن»[(٣)] وتركه في «يونس»[(٤)] و«النَّمل»[(٥)].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهنَّ من معروف . .﴾ البقرة آية (٢٤٠).

(٢) قال تعالى: ﴿ذلك من فضلِ اللَّهِ علينا وعلى النَّاس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون﴾ يوسف آية (٣٨).

(٣) قال تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ لذو فضلٍ على النَّاس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون﴾ المؤمن آية (٦١).

(٤) قال تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ لذو فضلٍ على الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون﴾ يونس (٦٠).

(٥) قال تعالى: ﴿وإنَّ ربكَ لذو فضلٍ على النَّاس ولكنَّ أكثرهم لا يشكرون﴾ النمل آية (٧٣).

لأنَّ ما في الثلاثة الأولى، لم يتقدمه كثرة تكرر لفظ «الناس»، فناسب الإظهار، وما في «يونس» تقدَّمه ذلك فناسب الإضمار، لئلا تزيد كثرة التكرار، وما في «النمل» تقدَّمه إضمار الموحَى إليه ومخاطبته فناسب الإضمار، وبعضهم أجاب بما فيه نظرٌ فتركتهُ.

١٠٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم . . .﴾ [البقرة: ٢٥٣].

كرَّره بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣] تأكيداً، وتكذيباً لمن زعم أنَّ ذلك لم يكن بمشيئة اللَّه.

١٠٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ . . .﴾ [البقرة: ٢٥٤].

أي بغير إذن اللَّه لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؟

وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

أو لا شفاعة من الأصنام والكواكب التي يعتقدها الكفار.

١٠٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ . . .﴾ [البقرة: ٢٥٤].

حصر الظلم في الكافرين[١]، لأن ظلمهم أشدُّ، فهو حصرٌ إضافيٌّ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

١٠٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

عبَّر فيها بالمضارع لا بالماضي مع أن الإخراج قد وُجد.. لمناسبة التعبير به قبله في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولأنَّ المضارع يدلُّ على الاستمرار، فيدلُّ هنا على استمرار ما ضمنه الإخراج من اللَّه تعالى، في الزمن المستقبل في حقِّ من ذُكر.

---

(١) قال عطاء بن دينار: الحمد للَّه الذي قال: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ ولم يقل: «والظالمون هم الكافرون» ومراده أنه لو عكس لوقع الكثيرون في الكفر والضلال، لأن الظلمة كثيرون.

فإن قلتَ: كيف يَخرجُ الكفَّارُ من النور، مع أنهم لم يكونوا في نورٍ؟

قلتُ: لمقابلة ما ذُكر قبله في المؤمنين، ولأن الكفار هنا هم «اليهود» وقد كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ لما يجدونه من نعته في كتبهم، فلما بُعث كفروا به.

١٠٧ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ....﴾[١] [البقرة: ٢٦٠].

أي بقدرتي على الإِحياء، قال له ذلك مع علمه بإيمانه بذلك، ليجيب بما أجاب به، فيعلم السامعون غرضه من طلبه لإِحياء الموتى.

١٠٨ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قاله مع أنَّ قلبَه مطمئنٌ بقدرة اللَّه تعالى على الإِحياء، ليطمئنَّ قلبُه بعلم ذلك عياناً، كما اطمأنَّ به برهاناً.

أو ليطمئنَّ بأنه اتخذه خليلاً، أو بأنه مستجاب الدعوة.

١٠٩ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

خصَّ الطير بالذِّكر من سائر الحيوان، لزيادته عليه بطيرانه.

قيل: وكانت الأربعة: ديكاً، وطاووساً، ونسْراً، وغُراباً.

وفائدةُ: التقييد بالأربعة في الطيرِ، وفي الأجبلِ[٢] بعده، الجمعُ بين الطبائع الأربع في الطير، بين مهاب الرياح من الجهات الأربع في الأجبل.

١١٠ ـ قـوْلُـه تـعَـالَـى: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ...﴾ [البقرة: ٢٦٢].

إن قلتَ: كيف مدح المنفقين بترك المنِّ، وقد وصف نفسه بالمنِّ، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؟

قلتُ: المنُّ يقال للإِعطاء، وللاعتداد بالنعمة واستعظامها، والمراد في الآية المعنى الثاني.

---

(١) سؤال الخليل إبراهيم عليه السلام لم يكن عن شكٍّ في قدرة اللَّه، ولكنه كان سؤالاً عن الكيفية ﴿كيف تحيي الموتى﴾ مع إيمانه الجازم بالقدرة الربانية، فسأل عن الكيف ليرى بالعيان ما كان يعتقده بالجَنان، ولهذا ورد في الصحيح «نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم» ومعناه: نحن لم نشكَّ فإبراهيم أحرى بعدم الشك.

(٢) الأجبُل: الجبال، جمع جَبَل يقال: جبالٌ وأجبُل.

فإن قلتَ: من المعنى الثاني ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

قلتُ: ذلك اعتدادُ نعمةِ الإيمان، فلا يكون قبيحاً، بخلاف نعمة المال.

على أنه يجوز أن يكون من صفات اللَّه تعالى، ما هو مدحٌ في حقّه، ذمٌّ في حقِّ العبد، كالجبَّار، والمتكبِّر، والمنتقِم.

١١١ ـ قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ . . .﴾ [البقرة: ٢٦٦].

فإن قلتَ: لِمَ خصَّ النَّخيل والأعناب بالذِّكر، مع قوله بعد: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟

قلتُ: لأنَّ النخيل والأعناب أكرم الشجر، وأكثرها منافع.

١١٢ ـ قوله تعالَى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ . . .﴾ [البقرة: ٢٧١].

ذكر «مِنْ» هنا خاصة، موافقةً لما بعدها في ثلاث آيات، ولأن الصَّدقات لا تكفِّر جميع السيِّئات.

١١٣ ـ قوله تعالَى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا . . .﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فإن قلتَ: هذا يُفهم أنهم كانوا يسألون برفق، مع أنه قال: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]؟

قلتُ: المرادُ نفيُ المقيّد والقيد جميعاً كما في قوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١] وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

١١٤ ـ قوله تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا . . .﴾ [البقرة: ٢٧٥].

خصَّ الأكل بالذِّكر مع أنَّ غيره كاللّبس، والادّخار، والهبة كذلك، لأنه أكثرُ وأهمُّ انتفاعاً بالمال، إذْ لا بدَّ منه.

أو أُريد بالأكل الانتفاعُ، كما يُقال: فلانٌ أكل ماله، إذا انتفع به في الأكل وغيره.

١١٥ ـ قوله تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ . . .﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فإن قلتَ: كيف قالوا ذلكَ، مع أن مقصودهم تشبيه الربا بالبيع المتَّفق على حِلِّه؟

قلتُ: جاء ذلكَ على طريق المبالغة، لأنه أبلغُ من اعتقادهم أن الربا حلالٌ كالبيع، كالتشبيه في قولهم: القمرُ وجهُ زيدٍ[1]، والبحرُ ككفِّه، إذا أرادوا المبالغة.

أو أنَّ مقصودهم أنَّ البيع والربا يتماثلان من جميع الوجوه، فساغ قياسُ البيع على الربا كعكسه.

١١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن مرتكب الكبيرة كآكل الربا لا يُخلَّد في النَّار؟

قلتُ: الخلودُ يُقال لطول البقاء، وإن لم يكن بصيغة التأبيد، كما يُقال: خلَّد الأميرُ فلاناً في الحبس إذا أطال حبسه.

أو المراد بقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ العائد إلى استحلال أكل الربا، وهو بذلك كافر، والكافرُ مخلَّد في النَّار على التأبيد.

١١٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي من إنظار المعسر.

فإن قلتَ: إنظارُ المعسِر واجبٌ، والتصدُّق عليه تطوُّعٌ، فكيف يكون خيراً من الواجب؟

قلتُ: التَّطوعُ المحصِّل للواجب، لِمَا اشتمل عليه من الزيادةِ كما هنا أفضلُ من الواجب، كما الزُّهد في الحرام واجب، وفي الحلال تطوُّعٌ، والزهد في الحلال أفضل.

---

(١) هذا النوع عند البلاغيّين يسمى بـ«التشبيه المقلوب» وهو أبلغ أنواع التشبيه، حيثُ يجعل المشبَّه به مشبَّهاً، زيادةً في الإيضاح والبيان، وأصل الكلام في المثال: وجه زيدٍ كالقمر، فعكَسَ وجعل المشبه به مشبهاً فقال: القمر وجه زيد، فكأن القمر على جماله جزء من جمال وجه زيد، وكذلك في الآية جعلوا الربا المحرَّم كأنه هو الأصل المباح، وشبَّهوا به البيع في الحلّ ﴿**إنما البيعُ مثلُ الربا**﴾ وهو زيادةٌ في عدوانهم وطغيانهم واستحلالهم لما حرَّمه الله.

١١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

قال فيه وفي الجاثية بـ﴿مَا كَسَبَتْ﴾[1] [الجاثية: ٢٢] وقال في آخر النحل: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾[2] [النحل: ١١١] وفي آخر الزمر: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾[3] [الزمر: ٧٠].. موافقةً لما قبْل كلٍّ منها، أو بعده، أو قبْله وبعده.

إذْ ما هنا قبْله ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وبعده: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقبله في آخر النَّحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا ... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وبعده: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النحل: ١١٩].

وقبل ما في الجاثية: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٠].

وبعد ما في الزمر: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

١١٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ مع أنه معلوم من ﴿تَدَايَنتُم﴾؟

قلتُ: فائدتهُ الاحتراز عن «الدَّيْن» بمعنى المجازاة، يُقال: داينتُ فلاناً بالمودَّة، أي جازيتُه بها، وهو بهذا المعنى لا كتابة فيه ولا إشهاد.

وقيل: فائدتُه رجوع الضمير إليه في قوله: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] إذْ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الدَّيْنَ، والأولُ أحسنُ نظماً.

١٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿وخَلَقَ اللّهُ السّمواتِ والأرضَ بالحقّ ولتُجزى كلُّ نفس بما كسبتْ وهم لا يُظلمون﴾ الجاثية آية (٢٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿يومَ تأتي كلُّ نفسٍ تجادل عن نفسها وتُوفّى كلُّ نفسٍ ما عملت وهم لا يُظلمون﴾ النحل آية (١١١).

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيتْ كلُّ نفسٍ ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ الزمر آية (٧٠).

قُرِئ «تَذْكُرَ» بالتخفيف والتشديد.

فإن قلتَ: كيف جعل «أَنْ تَضِلَّ» علةً لاستشهاد المرأتين بدل رجل، مع أن علّته إنما هو التذكير.

قلتُ: بل علّته «أن تَضِلَّ» لأن الضلال من إحداهما يكثر وقوعُه، فصَلُح أن يكون علّة لاستشهادهما، وبتقدير عدم صلوحه فالتعليل «بأنْ تَضِلَّ» في الحقيقة إنما هو للتذكير، ومن شأن العرب إذا كانت للعلّة عِلّة، قدَّموا ذكر علّة العِلَّة، وجعلوا العِلَّة معطوفة عليها بالفاء، لتحصل الدلالتان معاً بعبارة واحدة، كقولك: أعددتُ الخشبة أن يميل الجدار، فأدعمتُه بها، فالإِدعامُ علَّةٌ في إعداد الخشبة، والميْلُ علّةُ الإِدعام.

١٢١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٣].

فإن قلتَ: كيف شرط السفر في الارتهان مع أنه ليس بشرطٍ فيه؟

قلتُ: لم يذكره لتخصيص الحكم به، بل لكونه مظنة عوز الكاتب، والشاهد، الموثوق بهما.

١٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٣].

فإن قلتَ: ما فائدة ذكر القلب، مع أن الجملة موصوفة بالإثم؟

قلتُ: لمَّا كان كتمانُ الشهادة هو إضمارُها في القلب، وإثمه مكتسباً بالقلب وبه، أسند الإثم إليه، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغُ، كما يُقال: هذا ممَّا أبصَرَتْه عينايَ، وسمعتْه أذناي، وعلِمه قلبي.

١٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٤].

إن قلتَ: كيف قال في الإِخفاء ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ مع أن حديث النفس لا إثم فيه، للحديث المشهور فيه، ولأنه لا يمكن الاحتراز منه؟

قلتُ: ذلك منسوخٌ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أو المرادُ بالإخفاء: العزمُ القاطعُ، والاعتقادُ الجازم.

أو ذلك إخبارٌ بالمحاسبة لا بالمعاقبة، فهو تعالى يُخبر العبادَ بما أخفوا وأظهروا، ليعلموا إحاطة علمه، ثم يغفر أو يُعذِّب فضلاً وعدلاً.

١٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ...﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قدَّم المغفرة في هذه السورة وغيرها، إلَّا في «المائدة» فقدَّم العذاب[١]، لأنها في المائدة نزلت في حقِّ السارق والسارقة، وعذابُهما يقع في الدنيا فقدَّم العذاب، وفي غيرها قُدِّمت المغفرة رحمةً منه للعباد، وترغيباً لهم إلى المسارعة إلى موجباتها.

١٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

إن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في هذا الإخبار مع أنَّ الأنبياء في أعلى درجات الإيمان؟

قلتُ: فائدتُه أن يُبيِّن للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به خوَّاصه ورسله، ونظيره في «الصَّافَّات» أنه ذكر في كل نبيٍّ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٨١].

١٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ...﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فإن قلتَ: كيف قال ذلك مع أن «بَيْنَ» لا تُضافُ إلَّا إلى اثنين فأكثر؟

قلتُ: «أَحَدٌ» هنا بمعنى الجمع الذي هو «آحاد» كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] فكأنه قال: لا نُفرِّق بين آحادٍ من رسله[٢].

---

(١) وذلك في قوله تعالى: **﴿ألمْ تعلمْ أنَّ اللَّهَ لهُ ملكُ السمواتِ والأرضِ، يُعذِّبُ من يشاء ويغفرُ لمنْ يشاءُ واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾** المائدة آية (٤٠) وذلك لأنها وردت بعد قوله تعالى: **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾** فناسب تقديم العذاب على المغفرة.

(٢) المراد بالتفريق بين الرسل الإِيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر، وليس المراد به التفضيل بينهم فإن ذلك حاصل بنص الكتاب **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾**. ويدلُّ على ما ذكرنا قوله تعالى: **﴿إنَّ الذينَ يكفرون باللَّهِ ورسُلِهِ ويُريدون أنْ يُفرِّقوا بينَ اللَّهِ ورسُلِهِ ويقولونَ نؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ﴾** فهو كالتوضيح والبيان لمعنى التفريق بين الرسل.

١٢٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي في الخير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي في الشَّرِّ.

فإن قلتَ: ما الدليلُ على أن الأول في الخير، والثاني في الشرّ؟

قلتُ: «اللَّامُ» في الأول و«عَلَى» في الثاني، لأنهما يستعملان في ذلك عند تقارنهما كما في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقولهم: الدَّهرُ يومان: يومٌ لك، ويومٌ عليك.

وقول الشاعر:

على أنني راضٍ بأن أحملَ الهوى وأخلُص منه لا عَليَّ ولا لِيَا

فإن قلتَ: لم خصَّ الكسب بالخير، والاكتساب بالشرّ؟

قلتُ: لأن الاكتساب فيه أعمالٌ، والشرُّ تشتهيه النفس وتنجذب، فكانت أجدَّ في تحصيله، بخلاف الخير، ولأن في ذلك إشارة إلى إكرامه تعالى وتفضّله على الخلق، حيث أثابهم على فعل الخير من غير جدٍّ واعتمال، ولم يؤاخذهم على فعل الشرِّ إلا بالجد والاعتمال.

«انتهت أبحاثُ سورة البقرة»

* * *

سُورَة آل عِمْرَان

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ . . .﴾ [آل عمران: ٣].

إنْ قلتَ: كيف قال هنا «نَزَّل» ثم قال: «وأَنْزَل» مرتين؟

قلتُ: للاحتراز عن كثرة التكرار.

وخُصَّ المشدَّدُ بالأول لمناسبته «مصدِّقاً».

وقيل: لأن القرآن نزل منجَّماً، والتوراةَ والإِنجيل نزلا جملةً واحدة، فحيث عُبِّر فيه بـ«نَزَّل» أُريد الأول، أو «أنزل» أُريد الثاني.

وردَّ الأولُ بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

والثاني بقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤] إن أُريد به القرآن.

وبقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وبقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . .﴾ [آل عمران: ٣].

سمَّى ما مضى بأنه «بين يديه» لغاية ظهور أمره.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

قدَّم الأرضَ على السماء هنا وفي موضع من «يونس»(١) و«إبراهيم» و«طه» و«العنكبوت». . عكسَ الغالبِ في سائر الآيات، لأن المخاطبين في الخمس كائنون في الأرض فقط، بخلافهم في غيرها كذا قيّد.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وما يعزبُ عن ربكَ من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء﴾ يونس آية (٦١).

إن قلتَ: كيف قال ذلك و«مِنْ» للتبعيض، وقال في هود: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] وهو يقتضي إحكام آياتِه كلِّها؟

قلتُ: المرادُ بـ«المحكماتِ» هنا النَّاسخاتِ، أو العقليَّاتُ، أو ما ظهر معناها.

كما أن المراد بـ«المتشابهات» المنسوخاتُ، أو الشرعيَّاتُ، أو ما كان في معناها غموضٌ ودقَّة.

والمرادُ بقوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أن جميع القرآن صحيحٌ ثابت، مصونٌ عن الخَلَل والزَّلَل.

ولا تنافي بين «متشابهاتٍ» وقوله: ﴿وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾[1] إذِ المرادُ بـ«متشابهات» ما مرَّ.. وبـ«متشابهاً» أنه يشبه بعضُه بعضاً في الصِّحَّة، وعدم التناقضِ، وتأييد بعضِه لبعضٍ.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

قاله بلفظ الغَيْبَة، وقال في آخر السورة ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] بلفظ الخطاب.. لأن ما هنا متَّصلٌ بما قبْلَه وهو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩] اتصالاً لفظياً فقط.

وما في آخرها متَّصِلٌ بما قبْلَه وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] اتِّصالاً لفظياً ومعنوياً، لتقدم لفظ الوعد.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ...﴾ [آل عمران: ١١].

---

(١) أشار إلى قوله تعالى في سورة الزمر ﴿**اللَّهُ نزَّل أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً**﴾ وقد نبَّه الشيخ رحمه الله إلى التوفيق بين آية «آل عمران» الدالة على أن القرآن نوعان: متشابه، ومحكم، وبين ما جاء في سورة «هود» أن القرآن كله محكم، وما جاء في سورة الزمر أن القرآن كله متشابه، وخلاصة القول: أنه لا تعارض بين الآيات، إذْ كل آيةٍ لها معنى خاص غير المعنى السابق، فقوله تعالى: ﴿**أحكمت آياته**﴾ بمعنى أنه ليس به عيبٌ ولا خَلَلٌ، وأنه كلامٌ حقٌّ لا يتطرأ إليه الباطل، وقولُه تعالى: ﴿**كتاباً متشابهاً**﴾ أي أنه يشبه بعضُه بعضاً في الحُسْنِ، وجودة النظم، وفصاحة الألفاظ، وعدم التناقض، وأما آية آل عمران ﴿**منه آياتٌ محكماتٌ.. وأُخر متشابهات**﴾ فيراد بالمحكم ما عُرف تأويله، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه.

قال هنا وفي موضعٍ من الأنفال[١] ﴿كَذَّبُوا﴾ وفي آخر منها «كَفَرُوا»[٢] تفنُّناً، جرياً على عادة العربِ في تفنُّنهم في الكلام.

٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ....﴾ [آل عمران: ١٣].

أي ترى الفئةُ الكافرةُ المسلمةَ بمثليْ عدد نفسها، أو بالعكس[٣] على الخلاف.

إن قلتَ: هذا ينافي قوله في الأنفال: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] إذ قضيتُه أن كلاً منهما ترى الأخرى قليلة؟

قلتُ: التقليلُ والتكثيرُ في حالَيْنِ:

قلَّلَ اللَّهُ المشركين في نظر المؤمنين، وعكسه أولاً، حتى اجترأت كلٌّ منهما على قتال الأُخرى.

ثمَّ كثَّر اللَّهُ المؤمنين في نظر المشركين لما التقتا، حتى جَبُنوا وفَشِلوا.

وكثَّر اللَّه المشركين في نظر المؤمنين، وأراهم إيَّاهم على ما هم عليه ـ وكانوا في الحقيقة أكثر من المؤمنين ـ ليعلموا صدق وعد اللَّه في قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦] فإن المؤمنين غلبوهم في هذه الغَزَاةِ وهي «غزاةُ بدرٍ» مع أنهم كانوا أضعاف عدد المؤمنين.

٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

كرَّر فيها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأن الأول قولُ اللَّهِ، والثاني حكاية قول الملائكة وأولي العلم.

أو لأن الأول جرى مجرى الشهادة، والثاني مجرى الحكم بصحةِ ما شهدته الشُّهودُ.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿كدأب آل فرعونَ والذينَ من قبلهِمْ كفروا بآيات اللَّه فأخذهم اللَّه بذنوبهم إن اللَّه قويٌّ شديد العقاب﴾ الأنفال آية (٥٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿كدأب آل فرعون والذينَ من قبلهِم كذَّبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ الأنفال آية (٥٤).

(٣) يريد القول الآخر للمفسرين، وهو أن الفئة المسلمة كانت ترى الفئة الكافرة مثليها وهذا هو الأرجح.

وقال جعفر الصادق: **الأول**: وصفٌ، **والثاني**: تعليمٌ، أي قولوا واشهدوا كما شهدتُ.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ **[آل عمران: ٢٣]**.

إن قلتَ: التولّي والإِعراضُ واحدٌ ـ كما مرَّ في البقرة ـ فلم جَمَع بينهما؟

قلتُ: لأن المعنى يتولون عن الدَّاعي، ويُعرضون عمّا دعاهم إليه وهو كتاب اللَّه، أو يتولون بإيذائهم، ويُعرضون عن الحقِّ بقلوبهم.

أو كان الذي تولّى علماؤهم، والذي أعرض أتباعهم[(١)].

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **[آل عمران: ٢٦]** خصَّ الخير بالذِّكر ـ وإن كان بيده الشَّر أيضاً ـ لأن الكلام إنما ورد فيه، ردًّا على المشركين فيما أنكروه، وَوَعَدَ اللَّهُ به نبيَّه ﷺ، ووعد النبي ﷺ به الصحابة رضي اللَّه عنهم.

أو أراد الخير والشرَّ، واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ . . .﴾[(٢)] **[النحل: ٨١]** وإنما خصَّ الخير بالذكر لأنه هو المرغوب فيه.

١١ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ . . .﴾ **[آل عمران: ٢٧]**. أي تدخله فيه بأن يزيد كلٌّ منهما ما نَقَص من الآخر.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ **[آل عمران: ٣٠]**. كرَّره توكيداً للوعيد[(٣)].

والأحسنُ ـ كما قال التفتازانيُّ ـ ما قيل: إنَّه ذكره أولاً للمنع من

---

(١) أقول: جملة ﴿**وهم معرضون**﴾ جاءت إسمية بعد الجملة الفعلية ﴿**يتولى فريقٌ منهم**﴾ تأكيداً للتولي لإفادة الاستمرار، أي وهم قومٌ طبيعتُهم الإِعراض عن الحق، والإِصرارُ على الباطل، فهذه فائدة الجملة واللَّه أعلم.

(٢) سورة النحل آية (٨١) ومعنى الآية أنه تعالى جعل لكم الثياب لتحفظكم من الحرّ والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر.

(٣) جاء ذكر التحذير مرتين: في آية النهي عن موالاة الكافرين حيث قال ﴿**إلّا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم اللّهُ نفسَه وإلى اللّه المصير**﴾ وفي آية المجازاة والحث على فعل الخير حيث قال ﴿**ويحذركم اللّه نفسه واللّه رؤوفٌ بالعباد**﴾.

موالاة الكافرين، وثانياً للحثّ على عمل الخير، والمنع من عمل الشرّ.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ . . .﴾ [آل عمران: ٣٦].

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرهِ مع أنه معلومٌ؟

قلتُ: فائدته اعتذارها عمَّا قالته ظناً، فإنها ظنَّت ما في بطنها ذكراً، فنذرتْ أن تجعله خادماً لبيت المقدس، وكان من شريعتهم صحة هذا النَّذر في الذكور خاصة، فلمَّا خاب ظنُّها استحيتْ حيثُ لم يُقبَل نذرها فقالت ذلك، معتذرةً أنها لا تصلح لما يصلح له الذَّكَر من خدمة المسجد[(١)]، فمنَّ اللَّه عليها بتخصيص «مريم» بقبولها في النذر، دون غيرها من الإناث فقال: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

إن قلتَ: كيف نادت الملائكةُ زكريا وهو قائمٌ يصلي، وأجابها وهو في الصلاة؟

قلتُ: المرادُ بالصلاة هنا الدُّعاءُ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠].

فإن قلتَ: لِمَ خصَّ «يحيى» عليه السلام بقوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩] مع أن كل واحدٍ من المؤمنين، مصدِّقٌ بجميع كلمات اللَّه تعالى؟

قلتُ: لأن معناه مصدِّقاً بـ«عيسى» الذي كان وجودُه بكلمة من اللَّه تعالى وهو قولُه: كنْ من غير أبٍ في الوجود أو المرتبة، وكان تصديق يحيى لعيسى أصدَق من تصديق كل أحدٍ به.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ . . .﴾ [آل عمران: ٤٠].

---

(١) هذا على قول بعض المفسرين أن هذه الآية ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ من قول امرأة عمران، فيكون هذا القول منها على سبيل الاعتذار، وقال آخرون: الجملة معترضة من كلام اللَّه تعالى لها ومعنى الآية: ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي وُهبتها بل هذه أفضل، وهذا القول أظهر واللَّه أعلم.

قدَّم هنا ذكر «الكِبَرِ» على ذكرِ المرأة، وعكس في «مريم»[1] لأن الذَّكَر مقدَّمٌ على الأنثى، فقدَّم كبَره هنا وأخَّر ثَمَّ لتتوافق الفواصل في «عتيًّا، وَسَوِيًّا، وعشيًّا، وصبيًّا» وغيرها.

فإن قلتَ: كيف استبعد زكريا ذلك، ولم يكن شاكاً في قدرة اللَّه تعالى عليه؟

قلتُ: إنما قال ذلك تعجباً من قدرة اللَّه تعالى، لا استبعاداً.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]. قال في حقّ زكريا ﴿يَفْعَلُ﴾ وفي حقّ مريم بعدُ ﴿يَخْلُقُ﴾[2] [آل عمران: ٤٧]. مع اشتراكهما في بشارتهما بولدٍ.

لأن استبعاد زكريا لم يكن لأمرٍ خارق، بل نادرٍ بعيد فحسن التعبيرُ بـ«يفعل».

واستبعاد مريمُ كان لأمرٍ خارقٍ، فكان ذكر «الخلقِ» أنسب.

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا . . .﴾ [آل عمران: ٤١].

إن قلتَ: ما الجمعُ بين قوله هنا «**ثلاثة أيام**» وقوله في مريم «ثلاثَ ليالٍ»؟

قلتُ: كلٌ منهما مقيَّدٌ بالآخر، فلا بد من الجمع بينهما.

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

كرَّر «اصطفاك» لأن الاصطفاء الأول للعبادة التي هي خدمة «بيت المقدس» وتخصيص مريم بقبولها في النَّذر مع كونها أنثى، والاصطفاء الثاني لولادة عيسى.

---

(١) في مريم ﴿قالَ ربِّ أنَّى يكونُ لي غلامٌ وكانتِ امرأتي عاقراً وقدْ بلغتُ من الكِبَرِ عتياً﴾ مريم آية (٨).

(٢) في قوله تعالى: ﴿قالتْ رَبِّ أنَّى يكونُ لي ولدٌ ولم يَمسَسْني بشرٌ قال كذلكِ اللَّهُ يخلقُ ما يشاءُ إذا قضى أمراً فإنَّما يقولُ لهُ كُنْ فيكونُ﴾ والسرُّ في هذا التفريق هو أن خلق عيسى من غير أبٍ إيجادٌ واختراع، من غير سببٍ عادي، فناسبه ذكر الخَلْق، وهناك الزوج والزوجة موجودان، ولكنَّ وجود الشيخوخة والعقم مانعٌ في العادة من وجود الولد، فناسبه ذكر الفعل واللَّه أعلم.

١٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ... ﴾ [آل عمران: ٤٧].

قال هنا ﴿ وَلَدٌ ﴾ وفي مريم «غلامٌ».

لأن ذكر المسيح تقدَّم هنا وهو ولدها، وفي مريم تقدَّم ذكرُ الغلام.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ... ﴾ [آل عمران: ٤٤].

إن قلتَ: كيف نفى وجودَ النبي ﷺ في زمن مريم، مع أنه معلوم عندهم، وتَرَكَ ما كانوا يتوهمونه من استماعه ذلك الخبر من حُفَّاظه؟

قلتُ: لأنهم يعلمون أنه ﷺ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وإنما كانوا منكرين للوحي، فنفى اللَّهُ الوجودَ الذي هو في غاية الاستحالة، على وجه التهكُّم بالمنكرين للوحي، مع علمهم أنه لا قراءة له ولا رواية.

٢١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ... ﴾ [آل عمران: ٤٥]. فيه التفاتٌ إذِ القياسُ «ابْنُكِ».

فإن قلتَ: كيف قال «ابن مريم» والخطابُ معها، وهي تعلمُ أنَّ الولد الذي بُشِّرتْ بِهِ يكون ابنَها؟

قلتُ: لأن النَّاسَ يُنسبون إلى الآباء، لا إلى الأمهات، فأُعلمتْ بنسبتهِ إليها أنه يُولد من غير أبٍ، فلا يُنسب إلَّا إلى أمه.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٦].

إن قلتَ: أيُّ معجزةٍ لعيسىٰ عليه السلام في تكليمه النَّاسَ كهلاً؟

قلتُ: معناه تكلُّمه في الحالتيْن بكلامِ الأنبياء، من غير تفاوتٍ بين الطفولة والكهولة، التي يستحكم فيها العقل وتُنبَّأ فيها الأنبياء.

وقال الزجَّاجُ: هذا أُخرج مخرج البشارة لمريم، ببقاء «عيسى» إلى وقتِ الكهولة[١].

---

(١) هذا دلالة واضحة على حياة سيدنا عيسى عليه السلام، وأنه سينزل في آخر الزمان ويُحدِّث الناس في زمن كهولته، ففي الآية البشارة ببقاء السيد المسيح حتى يستكمل بقية حياته.

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ . . . ﴾[1] [آل عمران: ١١٠] الآية.

نسبةُ هذه الأفعال إلى عيسى، لكونه سبباً فيها ومعنى «بإذن الله» بإرادته، وقال هنا «فأنفخ فيه» وفي المائدة ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [المائدة: ١١٠] بإعادة الضمير هنا ألى الطير أو الطين، وفي المائدة إلى هيئة الطَّير، تفنُّناً جرياً عى عادة العرب في تفنُّنهم في الكلام. وخَصَّ ما هنا بتوحيد الضمير مذكراً، وما في المائدة بجمعه مؤنثاً[2] !!

قيل: لأنَّ ما هنا إخبارٌ من عيسى قبل الفعل فوحَّده، وما في المائدة خطاب من اللَّه له في القيامة، وقد سبق من عيسى الفعلُ مرَّاتٍ فجمعه.

٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ . . . ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ذُكر هنا مرتين بهذا اللفظ، وفي المائدة **أربعاً** بلفظ «بإذني»!! لأنه هنا من كلام عيسى، وثمَّ من كلام اللَّه.

٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عمران: ٥١]. وهو كقوله في مريم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ وقال: في الزخرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ بضمير الفعل، الدَّالُ على حصر المبتدأ في الخبر، بمعنى إن اللَّه ربي لا أبَ كما زعمتِ النَّصارى، ولم يتقدَّم ذلك ما يغني عن الحصر، فحسن ذكرُ «هو» بخلافه في الأُخْرَيَيْنِ، فإنه ذكر في آل عمران عشر آيات من قصة مريم وعيسى، وفي مريم عشرون آية منها، فأغنى ذلك فيهما عن ذكر «هو».

٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

قال هنا بـ«أنا» وفي المائدة[3] بـ«أننا» لأن ما فيها أول كلام الحواريين، فجاء على الأصل، وما هنا تكرارٌ له بالمعنى، فناسب فيه التخفيف، لأنَّ كلاًّ من التخفيف والتكرار فرعٌ، والفرع بالفرع أولى.

---

(١) في قوله تعالى: **﴿وإذْ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني . .﴾** المائدة آية (١١٠).

(٢) أراد قوله تعالى: **﴿فتنفخ فيها﴾** في المائدة بصيغة الجمع المؤنث، وفي آل عمران **﴿فأنفخ فيه﴾** بتوحيد الضمير مذكراً.

(٣) في قوله تعالى: **﴿قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾** المائدة آية (١١١).

٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ . . .﴾ [آل عمران: ٥٥].

إن قلتَ: كيف قاله واللَّه رفعه ولم يَتوفَّه؟

قلتُ: لما هدَّده اليهودُ بالقتل، بشَّره اللَّه بأنه لا يقبض روحه، إلّا بالوفاة لا بالقتل، والواوُ لا تقتضي الترتيب. أو إني متوفي نفسك بالنوم[١] من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا . . .﴾ [الزمر: ٤٢] ورافعك وأنت نائم لئلا تخاف، بل تستيقظُ وأنتَ في السَّماء آمنٌ مقرَّب.

٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ . . .﴾ [آل عمران: ٥٩].

إن قلتَ: كيف قاله وآدمُ خُلق من التراب، وعيسى من الهواء، وآدمُ خُلق من غير أب وأم، وعيسى خُلق من أم؟

قلتُ: المرادُ تشبيهه به في الوجود بغير أبٍ، والتشبيهُ لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه.

٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ . . .﴾ [آل عمران: ٧٥].

إن قلتَ: لِمَ خصَّ أهل الكتاب بذلك، مع أن غيرهم منهم الأمينُ والخائنُ؟

قلتُ: إنَّما خصَّهم باعتبار واقعة الحال، إذْ سببُ نزول الآية أن «عبد اللَّهِ بن سلام» أُودع ألفاً ومائتيْ أوقيةً من الذهب، فأدَّى الأمانةَ فيها، و«فنحاص بن عازوراء» أُودع دينارَ فخانه. ولأنَّ خيانة أهل الكتاب المسلمين، تكون عن استحلالٍ[٢] بدليل آخر الآية، بخلاف خيانة المسلم المسلمَ.

---

(١) هذا القول ضعيف، والصحيح أن معناه إني رافعك إلى السماء حياً بروحك وجسدك، ثم مميتُك بعد استيفائك كامل أجلك، فهو من المقدَّم والمؤخر ـ كما قال قتادة ـ والمقصودُ بشارتُه عليه السلام بنجاته من اليهود، ورفعه إلى السماء حياً سالماً دون أذى منهم، ثم بعد انتهاء حياته على وجه الأرض سيموت كما يموت سائر البشر، وفي الآية ردٌ على النصارى في زعمهم أنه إلهٌ، فكيف يموت لو كان ربّاً وإلَهاً!! أو نقول: إنه وعدٌ لعيسى باستيفاء كامل عمره، أي إني موفِّيك يا عيسى أجَلَك كاملاً ثم أُميتُك عند انتهاء الأجل، فيكون من التوفية لا من الوفاة.

(٢) أشار المؤلف رحمه اللَّه إلى قوله تعالى: ﴿ذلكَ بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ أي ليس علينا في أكل أموال العرب إثم أو حرج فاستحلّوا أموالهم.

٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي . . .﴾ [آل عمران: ٨١] أي عهدي[١].

٣١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا . . .﴾ [آل عمران: ٨٣].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن أكثر الإِنس والجنِّ كفرة؟

قلتُ: المرادُ بهذا الاستسلامُ والانقيادُ لما قدَّره عليهم، من الحياةِ والموت، والمرضِ والصّحةِ، والشقاءِ والسعادة[٢]، ونحوها.

٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ . . .﴾ [آل عمران: ٩٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن المرتدَّ وإِن ازداد ارتداده مقبولُ التوبة؟

قلتُ: الآية نزلتْ في قومٍ ارتدُّوا، ثم أظهروا التوبة بالقول، لسترِ أحوالهم، والكفرُ في ضمائرهم[٣].

٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا . . .﴾ [آل عمران: ٩٩] قال ذلك هنا، وقال في الأعراف[٤]: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا . . .﴾ [الأعراف: ٨٦] بزيادة «به» و«الواو» جرياً هناك على الأصل، في ذكر «به» لكونه معمولاً، وذكر «واو العطف» إذ مدخولُها معطوفٌ على «توعدون» المعطوف عليه «تَصُدُّون» وجرياً هنا على موافقة «ومن كفر» في عدم ذكر «به».

---

(١) نبَّه الشيخ إلى أن الإِصر كما يطلق على الثقل والشدة كما في قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ كذلك يُطلق على العهد ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي عهدي، سُمِّي إصراً لأنه ممَّا يُشدُّ ويُعقد.

(٢) هذا أحد الأقوال في تفسير الآية، وقال بعضهم معنى ﴿طوعاً وكرهاً﴾ المسلمُ أسلم طوعاً فنفعه إسلامه، والكافر أسلم كارهاً في وقت البأس والشدَّة فلم ينفعه ذلك، كقوله ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده..﴾ الآية وهذا قول قتادة وهو الأظهر.

(٣) وقيل: نزلت في اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن، فأمثالُ هؤلاء مطبوعٌ على قلوبهم، وتوبتُهم كاذبة فلذلك لن تُقبل منهم التوبة.

(٤) في قوله: ﴿ولا تقعدوا بكل صراطٍ تُوعدون وتصدُّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً..﴾ الأعراف آية (٨٦).

وإنما لم يذكر الواو هنا، لأنَّ «تبغونها» وقع حالاً، والواو لا تزاد مع الفعل إذا وقع حالاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦].

٣٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، ولم يقل: أنتم خيرُ أمّةٍ؟

قلتُ: لأنَّ معناه: كنتم في سابق علم اللَّه، أو في يومِ أخذِ الميثاق على الذرية.

فأَعْلَم بذلك أن كونهم خير أمّةٍ، صفةٌ أصليةٌ فيهم، لا عارضةٌ متجدِّدة، أو معنى «كنتم» وُجدتم، بجعل «كان» تامَّة.

٣٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن غير الإيمان لا خير فيه، حتى يُقال إن الإِيمان خيرٌ منه؟

قلتُ: ليس «خير» هنا أفعل تفضيل، بل هو خيرٌ، أو هو أفعل تفضيل، وإِيمانهم بمحمد ﷺ مع إيمانهم بموسى وعيسى، خيرٌ من إيمانهم بموسى وعيسى فقط.

٣٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ...﴾ [آل عمران: ١١٧] الآية. أي حرٌّ أو بردٌ شديدٌ[1].

٣٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ...﴾ [آل عمران: ١٢٠] وصف «الحسنة» بالمسِّ، و«السيئة» بالإِصابة، توسعةً في العبارة، وإلَّا فهما بمعنى واحد[2] في الأمرين، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٥٠].

---

(١) نبّه المؤلف إلى أن معنى الصِرّ: الحرُّ الشديد، أو البرد الشديد، وأصلُ الصرِّ من الصرير الذي هو الصوت، ويراد به في الآية الريح الشديدة الباردة التي لها صوتٌ مزعج.

(٢) وذهب بعض المفسرين إلى أن التعبير بالمسِّ ﴿إن تمسَسْكم حسنةٌ﴾. والتعبير بالإِصابة ﴿وإن تصبكم سيئةٌ﴾ فيه إشارة لطيفة، إلى أن الحسنة ولو كانت بأيسر الأشياء، تسوء الأعداء، ولو كانت مسّاً خفيفاً، وأن المصيبة لا تشمتهم إلا إذا كانت عظيمة ومتمكنة إلى الحدِّ الذي يُشفي غليلهم، وهذا من أسرار بلاغة القرآن واللَّه أعلم.

وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ١٩، ٢٠].

٣٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ . . .﴾ [آل عمران: ١٢٦] هذه تخالف آية الأنفال[١] في ثلاثة أمور:

أ ـ لأنه ذكر في هذه «لكم» لتمام القصة قبلها، وتركها ثَمَّ إيجازاً أو اكتفاءً بذكرهِ له قبل في قوله «فاستجاب لكم».

ب ـ وقدَّم «قلوبكم» على «به» هنا، وعكس في الأنفال ليزاوج بين الخطابيْن هنا في «لكم» و«قلوبكم».

جـ ـ وذكر هنا وصفيْ «العزيز» و«الحكيم» تابعَيْن بقوله ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٦٢] وثَمَّ ذكرهما في جملة مستأنفة بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠] لأنه لمَّا خاطبهم هنا، حسُن تعجيلُ بشارتهم بأنَّ ناصرهم عزيزٌ حكيمٌ. ولأنَّ ما هناك قصة «بدرٍ» وهي سابقةٌ على ما هنا، فإنها في قصة «أُحد» فأخبر هناك بأنه «عزيزٌ حكيمٌ» وجعل ذلك هنا صفةً لأن الخبر قد سبق.

٣٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . . .﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي إلى أسبابها كالتوبة[٢].

إن قلتَ: كيف قال ذلك وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «العجلةُ من الشيطان، والتأني من الرحمن»؟!

قلتُ: استُثني منه ـ بتقدير صحته ـ التوبةُ، وقضاءُ الدَّيْن الحالِّ، وتزويج البكر البالغِ، ودفن الميت، وإكرام الضيف.

(١) في قوله تعالى: ﴿وما جعله اللهُ إلَّا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ الأنفال آية (١٠).

(٢) نبَّه المؤلف إلى أن المسارعة في أعمالِ الخير، لا تدخل في العجلة المنهيِّ عنها، فإن الأعمال الصالحة تنبغي المبادرة إليها كما قال تعالى: ﴿فاستبقوا الخيراتِ﴾ وقال ﷺ: ﴿بادروا بالأعمال . .﴾ الحديث.

٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ . . . ﴾ [آل عمران: ١٣٥] صرَّح بذكر الفاحشة مع دخولها في ظلم النفس، لأنَّ المراد بها نوعٌ من أنواع ظلم النفس، وهو الزنى، أو كلُّ كبيرة، وخُصَّ بهذا الاسم تنبيهاً على زيادة قبحه.

٤١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ . . . ﴾ [آل عمران: ١٣٥] أي يسترها.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنه قال: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]؟ وقال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾؟ [الجاثية: ١٤].

قلتُ: معناه: ومن يغفر الذنوب من جميع الوجوه إلا اللَّه؟ وهذا لا يوجد من غيره.

٤٢ ـ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٦]. ذكره بواو العطف هنا، وتركها في العنكبوت[(١)]، لوقوع مدلولها هنا بعد خبرين متعاطفيْن بالواو، فناسب عطفُه بها ربطاً، بخلاف ما في العنكبوت إذ لم يقع قبلَ ذلك إلا خبرٌ واحد. كنظيره في الأنفال في قوله ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[(٢)] [الأنفال: ٤٠].

ونظير الأول قولُه في الحج «فنعم المولى» وإنْ كان العطفُ فيه بالفاء.

٤٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ [آل عمران: ٢] الآية. معطوف على مقدَّر، والتقديرُ: وتلك الأيامُ نداولها بينَ النَّاسِ، ليتعظوا وليعلم اللَّه الذين آمنوا.

٤٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . ﴾ [آل عمران: ١٦١] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، وقد قال ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤]؟

---

(١) في قوله تعالى: ﴿غُرَفاً تَجري مِنْ تَحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها نِعْمَ أجرُ العَامِلينَ﴾ العنكبوت (٥٨).

(٢) في قوله تعالى: ﴿وإن تولَّوْا فاعلموا أنَّ اللّه مولاكم نعْمَ المولى ونعمَ النَّصِيرُ﴾ الأنفال آية (٤٠).

قلتُ: معناه يأتي به مكتوباً في ديوانه، أو يأتي به حاملاً إثمه[١].

ومعنى «فُرادى» منفردين عن أهلٍ، ومالٍ، وشركاء، ينتصرون بهم.

٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٢] [آل عمران: ١٦٣] أي ذوو درجات.

فإن قلتَ: الضميرُ في «هم» يعودُ على الفريقينِ، وأهلُ النَّار لهم دركاتٌ لا درجاتٌ؟

قلتُ: الدَّرجات تُستعملُ في الفريقين، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾[٣] [الأنعام: ١٣٢] وإنِ افترقتا عند المقابلة في قولهم: المؤمنون في درجاتٍ، والكفَّارُ في دركاتٍ.

٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ...﴾ [الحج: ١٠] قال ذلك مع أنهم كانوا في زمن النبي ﷺ وما قتلوا أنبياء قطُّ، لكنهم لما رَضُوا بقتل أسلافِهم أنبياءهم، نُسب الفعلُ إليهم.

٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]. قاله هنا.. بجمع اليد، لأنه نزل في قوم تقدَّم ذكرهم، وقال في الحجِ بتثنيتها لأنه نزل في «النضر بن الحارث» أو في «أبي جهل» والواحد ليس له إلَّا يدان.

٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

فإن قلت: «ظلَّام» صيغة مبالغةٍ من الظلم، ولا يلزم من نفيها نفيه، مع أنه منفيٌّ عنه قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾؟ [الكهف: ٤٩]

قلتُ: صيغةُ المبالغة هنا لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم، كما في قوله

---

(١) ورد في الحديث الشريف أنه يأتي حاملاً له على عنقه يوم القيامة، فضيحةً له على رؤوس الأشهاد، ولا ينافي هذه الآية الكريمة ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ فإن المراد أنهم يأتون بلا أعوان ولا أنصار، وبدون أهلٍ أو ولد.

(٢) قال تعالى: ﴿ولكلٍ درجاتٌ ممَّا عملوا وما ربُّك بغافلٍ عمَّا يعملون﴾ الأنعام آية (١٣٢).

(٣) قال تعالى: ﴿ذلكَ بما قدَّمت يداكَ وأن الله ليس بظلَّامٍ للعبيد﴾ الحج آية (١٠).

تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح: ٢٧] إذ التشديد فيه لكثرة الفاعلين، لا لتكرار الفعل.

أو الصيغةُ هنا للنسبة، أي لا يُنسب إليه ظلمٌ، فالمعنى ليس بذي ظلمٍ.

٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ...﴾ [آل عمران: ١٨٤] جوابُ الشرط محذوف، إذْ لا يَصْلُح قولُه: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ جواباً له، لأنه سابق عليه.

والتقديرُ: فإن كذَّبوك فتأسَّ بمن كُذِّب من الرسل قبلك، فهو من إقامة السبب مقام المسبَّب.

٥٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ...﴾ [آل عمران: ١٨٥] أي أجسادها إذ النَّفْس لا تموت، ولو ماتت لَمَا ذاقت الموت في حال موتها، لأن الحياة شرطٌ في الذوق وسائر الإدراكات، وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] معناه حين موت أجسادها.

٥١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ...﴾ [آل عمران: ١٨٧].

إنْ قلتَ: ما فائدةُ ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ بعد ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ مع أنه معلومٌ منه؟

قلتُ: فائدتُه التأكيدُ، أو المعنى لتبيننُّه في الحال، ولا تكتمونه في المستقبل.

٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ...﴾ [آل عمران: ١٩٢].

إن قلتَ: هذا يقتضي خزيَ كلِّ من يدخلُها، وقولُه: «**يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**» يقتضي انتفاء الخزي عن المؤمنين فلا يدخلون النار؟

قلتُ: «أخزى» في الأول من «الخِزْي» وهو الإذلالُ والإهانة، وفي الثاني من «الخِزاية» وهي النَّكالُ والفضيحةُ، وكلُّ من يدخل النار يذلُّ، وليس كلُّ من يدخلها يُنكَّل به.

فالمراد بالخزي في الأول الخلودُ.. وفي الثاني تَحلَّةُ القَسَم. أو التطهير بقدر ذنوب الداخل.

٥٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ . . . ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

إن قلتَ: المسموعُ النِّداءُ لا المنادي؟

قلتُ: لما قال ﴿ مُنَادِيًا يُنَادِى ﴾ صار معناه: نداءَ منادٍ، كما يُقال: سمعتُ زيداً يقول كذا، أي سمعت قوله، فمنادياً مفعول سمع، و«يُنادي» حال دالَّةٌ على محذوفٍ مضافٍ للمفعول.

٥٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

فإن قلتَ: كيف قال الثاني مع أنه معلومٌ من الأول؟

قلتُ: المعنى مختلفٌ، لأن الغُفران مجرَّد فضلٍ، والتكفيرُ محو السيئات بالحسنات.

٥٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ . . . ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي على ألسنتهم.

فإن قلتَ: ما فائدةُ الدُّعاء، مع علمهم أن اللَّه لا يُخلف الميعاد؟

قلتُ: فائدتُهُ العبادةُ، لأن الدُّعاء عبادة، مع أن الوعد من اللَّه للمؤمنين عام، يجوز أن يُراد بِهِ الخصوص، فسألوا اللَّه أن يجعلهم ممن أرادهم بالوعد.

٥٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦].
النَّهيُ في اللفظ «للتقلُّب» وفي الحقيقة «للنبي» والمرادُ أمته.

والقصدُ بذلك النَّهيُ عن الاغترار بالتقلُّب، ففي ذكر الغرور تنزيل السبب منزلة المسبَّب، والمنعُ عن السبب ـ وهو غرور تقلُّبهم له ـ منعٌ للمسبَّب وهو الاغترار بتقلبهم.

والمراد بتقلبهم: تصرُّفهم في التجارات، والأموال، والانتقال بِها في البلاد متنعِّمين، والفقيرُ إنما يتألم وينكسر قلبُه، إذا رأى الغنيَّ يتقلَّب ويتمتع بها، فلذلك ذكر التقلب.

«تمت سورة آل عمران»

* * *

سُورة النسَّاء

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا . . .﴾[١] [النساء: ١] أي حواء.

فإن قلتَ: إذا كانت مخلوقةً من «آدمَ» ونحنُ مخلوقون منه أيضاً، تكون نسبتُها إليه نسبةَ الولد، فتكونُ أختاً لنا، لا أُمّاً؟

قلتُ: خلقُها من آدم لم يكن بتوليد، كخلق الأولاد من الآباء، فلا يلزم منه ثبوت حكم «البنتيَّة» و«الأختيَّة» فيها.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ . . .﴾ [النساء: ٢] أي إذا بلغوا، وإن لم يُسمَّوا أيتاماً بعد البلوغ، وإنما سُمُّوا أيتاماً هنا لقرب عهدهم بالبلوغ، ففيه مجاز الكون[٢].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] أي مضمومة إليها.

إن قلتَ: أكلُ مال اليتيم حرامٌ، وإن لم يُضمَّ إلى مال الوصيّ، فَلِمَ خُصَّ النهيُ بالمضموم؟

قلتُ: لأن أكل مال اليتيم مع الاغتناء عنه أقبحُ، فلذلك خصَّ النهي به، ولأنهم كانوا يأكلونه مع الاغتناء عنه، فجاء النهي على ما وقع منهم.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ . . .﴾ [النساء: ١١] أي سواء أكان الولد ذكراً أو أنثى.

---

(١) النساء آية (١) وهذا هو الظاهر أن «حواء» خلقها الله من آدم، وقيل: «منها» أي من جنسها وهو قولٌ مرجوح، والظاهر الأول الذي ذهب إليه المؤلف رحمه الله.

(٢) مجاز الكون: يريد المجاز باعتبار ما كان أي أعطوا الذين كانوا يتامى أموالهم إذا بلغوا، ففيه مجاز مرسل باعتبار ما كان.

وما يأخذه الأب فيما إذا كان الولد «أنثى»، من الزائد على السدس، إنما يأخذه تعصيباً، والآيةُ إنما وردت لبيان الفرض.

٥ ـ قوْله تعَالَى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

ذكر «الواو» فيه هنا، وتركها في التوبة[١]، موافقة لذكرها هنا قبله، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣] وبعده في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] بخلاف ذلك.

٦ ـ قوْله تعَالَى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ ...﴾ [النساء: ١٥] أي مَلَك الموتِ، إذ المتوفي هو الموتُ، ولا يصحُّ به المعنى بغير إضمار، إذ يصير المعنى حتى يميتهنَّ الموتُ[٢].

٧ ـ قوْله تعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ...﴾ [النساء: ١٧] أي إنما قبولُها عليه لا وجوبُها، إذْ وجوبُها إنما هو على العبد، وتوبةُ اللَّه رجوعُه على العبد بالمغفرة والرحمة.

فإن قلتَ: لم قيّد «بجهالةٍ» مع أن من عمل سوءً بغير جهالة، ثم تاب قُبلت توبتُه؟

قلتُ: المرادُ «بالجَهَالةِ» الجَهَالَةُ بقدر قُبح المعصية، وسوء عاقبتها، لا بكونها «معصية» و«ذمّاً»!!

وكلُّ عاصٍ جاهلٌ بذلك حال معصيته، لأنه حال المعصية مسلوبٌ كمالَ العلم به، بسبب غلبة الهوى.

٨ ـ قوْله تعَالَى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ...﴾ [النساء: ١٧].

ليس المراد بـ«القريب» مقابلةُ البعيد، إذْ حكمهما هنا واحدٌ، بل المرادُ

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ومساكنَ طيّبةً في جناتِ عدنٍ ورضوانٌ من اللّهِ أكبرُ ذلِكَ هُوَ الفوزُ العظيمُ﴾ التوبة آية (٧٢).

(٢) قال في السراج المنير: معنى الآية احبسوهن في البيوت واجعلوها سجناً لهنَّ، وامنعوهنَّ عن مخالطة الناس، حتى يتوفاهن الموتُ أي ملائكتُه اهـ السراج المنير ١/ ٢٧٥.

من قوله: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ مِنْ قبلِ معاينةِ سبب الموت، بقرينة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨].

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ...﴾ [النساء: ٢٠].

إن قلتَ: حرمةُ الأخذ ثابتة، وإن لم يكن قد آتاها المسمَّى، بل كان في ذمَّته أو في يده؟

قلتُ: المرادُ بالإيتاء: الالتزام والضَّمانُ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي التزمتم وضمنتم.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ مع أن «البُهتانَ» الكذبُ مكابرةً، وأخذُ مهرِ المرأةِ قهراً ظلمٌ لا بُهتان؟

قلتُ: المراد بالبهتان هنا الظلم[1] تجوُّزاً، كما قال به ابن عباس وغيرُه.

وقيلَ: المرادُ أنه يرمي امرأته بتهمةٍ، ليتوصل إلى أخذ المهر.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ...﴾ [النساء: ٢٢].

إن قلتَ: المستثنَى منه مستقبلٌ، والمستثنى ماضٍ، فكيف صحَّ استثناؤه من المستقبل؟

قلتُ: «إِلَّا» بمعنى «بعد» أو «لكنْ» كما قيل في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[2] [الدخان: ٥٦] والاستثناءُ هنا كهوَ في قوله:

وَلَا عَيْبَ فيهِمْ غَيرَ أنَّ سيوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكَتَائِبِ

والمعنى: إنْ أمكن كونُ فُلولِ السيوفِ من الكتائب عيباً، فهو عيبٌ فيهم، فهو من باب التعليق بالمستحيل.

---

(١) **معنى الآية**: «أتأخذونه باطلاً وظلماً» اهـ صفوة التفاسير ١/ ٢٦٧.

(٢) الدخان آية (٥٦) ومعنى الآية: «لا يذوقون في الجنة الموت، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى في الدنيا، فلم يعد ثمة عليهم موتٌ؛ بل خلودٌ أبد الآبدين» اهـ صفوة التفاسير ٣/ ١٧٨.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

إن قلتَ: كيف جاء بلفظ الماضي، مع أن نكاحَ منكوحةِ الأب، فاحشةٌ في الحال والاستقبال؟

قلتُ: «كَانَ» تُستعمل تارةً للماضي المنقطع نحو: كان زيدٌ غنياً، وتارةً للماضي المتَّصل بالحال نحو ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا . . .﴾ [النساء: ٩٦] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] ومنه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [النساء: ٢٢].

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ . . .﴾ [النساء: ٢٣] ذكرُ ﴿فِي حُجُورِكُم﴾ جَرَى على الغالب، فلا مفهوم له، إذِ الربيبةُ الّتي ليست في «الحَجْرِ» حرامٌ أيضاً، بقرينة تركِه في قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ . . .﴾ [النساء: ٢٣].

إن قلتَ: ما فائدةُ ذلك مع أنه مفهوم من قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] ومن مفهوم قوله ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾.

قلتُ: فائدتُه رفعُ توهُّمِ أنَّ «قيْدَ الدخولِ» خرج مَخرج الغالب، كما قيل: في حجوركم.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ . . .﴾ [النساء: ٢٤].

اقتصر عليه هنا، لأنه في «الحرائر» المسلمات، وهنَّ إلى الخيانةِ أبعدُ من بقيَّةِ النساء.

وزادَ بعدُ في قوله ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾[1] [النساء: ٢٥] لأنه في «الإماء» وهنَّ إلى الخيانة أقربُ من حرائر المسلمات.

وزاد أيضاً في المائدة في قوله ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤] قولَه: ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] لأنه في «الكتابيات» الحرائر، وهنَّ إلى الخيانة أقرب من الحرائر المسلمات.

---

(١) أَخدانٍ: جمع خِدنٍ وهو الصديق للمرأة والصاحب لها يزني بها سراً، وهذا قول ابن عباس.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ . . .﴾ [النساء: ٢٥] أي الإِماء، ففي «آتوهُنَّ» حذفُ مُضافٍ، أي وآتوا مواليهنَّ أجورهنَّ، لأن مهورهنَّ إنما تُعطى لمواليهنَّ لا لهنَّ.

فإن أُعطي لهنَّ بإذن مواليهنَّ فلا حذف.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ . . .﴾(١) [النساء: ٢٥] أي تزوَّجْن.

فإن قلتَ: الإِحصان ليس قيداً في وجوب تنصيف الحدِّ على الأَمَةِ إذا زنت، بل هو عليها أُحْصِنَتْ أوْ لا؟

قلتُ: ذكرُ الإِحصانِ خرج مَخْرج جواب سؤالٍ، فلا مفهوم له، إذِ الصحابة عرفوا مقدار حدُّ الأمة التي لم تتزوَّجْ، دون مقداره من التي تزوجت، فسألوا عنه فنزلت الآية.

١٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ . . .﴾ [النساء: ٢٦] اللامُ في «ليبين» بمعنى «أنْ» كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١] وقوله: «وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ» وقولِه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ٨] وقد قال في محلٍّ آخر ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٢].

١٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً . . .﴾ [النساء: ٢٩] أي أموال تجارة، خَصَّ التُّجارة بالذُّكر عن غيرها، كالهِبةِ، والصَّدقةِ، والوصيَّة، لأنَّ غالب التصرف في الأموال بها، ولأن أسباب الرزق متعلقة بها غالباً.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ . . .﴾ [النساء: ٤٢] أي بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

٢١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣] الآية.

---

(١) تتمة الآية: ﴿فإذا أُحْصِنَّ فإنْ أتينَ بِفَاحِشةٍ فعليهنَّ نصفُ ما على المحصنات من العذاب﴾ النساء آية (٥). والمعنى: فإذا أحصنَّ بالزواج فعليهن نصف ما على الحرائر من عقوبة الزنى. اهـ من الصفوة ١/ ٢٧٠.

زاد في المائدة عليه «منه»، لأنَّ المذكور ثَمَّ جميعُ واجباتِ الوضوء والتيمُّم، فحسُنَ البيانُ والزِّيادةُ، بخلاف ما هنا فحسُنَ التَّركُ.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ....﴾ الآية [النساء: ٤٧].

قال ذلك هنا، وقال في غيره «يا أهل الكتاب» لموافقة التعبير هنا قبله وبعده «بالذين أوتوا».

ولأنه تعالى استخفَّ بهم هنا قبلُ، وختم بعد بالطمس وغيره، بخلاف ذلك في غير هذا الموضع.

٢٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ....﴾ [النساء: ٤٨] أي من العَالِم المتعمد.

٢٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ختم الآية مرَّة بقوله: «فقد افْتَرَى إثماً عَظِيماً».

ومرَّه بقوله: «فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بعيداً».

ولا تكرارَ فيه وإن اشتركا في الضلال، لأن الأول نزل في اليهود، والثاني في كفارٍ لا كتاب لهم، وخصَّ ما نزل في «اليهود» بالافتراء، لأنهم حرَّفوا وكتموا ما في كتابهم وذلك افتراء، بخلافه في الكفار الذين لا كتاب لهم.

٢٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ....﴾ [النساء: ٥٠] الآية.

إن قلت: كيف ذمَّهم على ذلك، بما قاله ونهى عنه بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [يوسف: ٥٥] مع قول النبي ﷺ: «**واللّهِ إنّي لأمينٌ في السماء، أمينٌ في الأرض**» وقول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1] [يوسف: ٥٥]؟

قلتُ: إنما قال النبيُّ ما قاله حين قال المنافقون «إعْدِلْ في القسمة»[2] تكذيباً

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في قصة طويلة، وفيها أن «ذا الخويصرة، المنافق قال للنبي ﷺ: إعدل فإنك لم تعدل، فقال رسول اللّه ﷺ: وَيْلَكَ ومنْ يعدلُ إذا لم أعدلْ؟ وفيه أن النبي ﷺ قال: ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء».. الحديث وانظر جامع الأصول ١٠/ ٨٣.

(٢) إنما قال ذلك يوسف عليه السلام تحدثاً بنعمة اللّه وبياناً لِحِنْكَته ومعرفته، لا تزكيةً للنفس.

لهم، حيثُ وصفوه بخلافِ ما كان عليه من العدل والأمانة، وإنما قال «يوسف» ما قاله، ليتوصَّل إلى ما هو وظيفةُ الأنبياء، وهو إقامةُ العدل، وبسطُ الحقّ[٢].

ولأنه عَلِمَ أنه لا أحد في زمنه أقوم منه بذلك العمل، فكان متعيِّناً عليه.

٢٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ....﴾ [النساء: ٥٦]

أي بأن تُعاد إلى حالها الأول، غيرَ منضجة أي متحرّقة، فالمرادُ تُبدَّل الصفة لا الذَّاتُ، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

٢٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

وهو عبارةٌ عن المستلذِّ المستَطَاب كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] جرياً على المتعارف بين الناس، وإلَّا فلا شمس في الجنة طالعة، ولا غاربة[١]، كما أنه لا بكرة فيها ولا عشيّة.

٢٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ....﴾ الآية [النساء: ٦٩].

إن قلت: هذا مدحٌ لمن يطيعُ اللَّهَ والرسول، وعادةُ العرب في صفات المدح، الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى، وهذا عكسُه؟

قلتُ: ليس هو من ذاك الباب، بل المقصودُ منه الإخبارُ إجمالاً عن كون المطيعين للَّهِ ولرسوله، يكونون يوم القيامة مع الأشراف، وقد تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] ثم فصَّلهم بذكر الأشراف فالأشراف بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩] إلى آخره جرياً على العادة في تعديد الأشراف، ومثلُه ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وكذلك ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

٢٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

إن قلت: كيف وصف فيه كيد الشيطان بالضعف، وفي قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢] [يوسف: ٢٨] وصف كيد النِّساءِ بالعِظَم، مع أن كيد الشيطان أعظم؟

---

(١) لقوله تعالى: **﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾** الدهر آية (١٣).

(٢) تتمة الآية: **﴿من النبيينَ والصِدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾** النساء آية (٦٩) فقد بدأ بالنبيين، ثم بالصديقين، ثم بالشهداء، والصالحين على حسب ترتيبهم في الشرف ورفعة المنزلة والقدر.

قلتُ: المرادُ أن كيد الشيطان ضعيفٌ بالنسبة إلى نصرةِ اللَّه أولياءَه، وكيدُ النساءِ عظيم بالنسبة إلى الرجال.

٣٠ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [النساء: ٧٩].
جَمَع بينه وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] الواقع ردّاً لقول المشركين ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [النساء: ٧٨].

بأن قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي إيجاداً.

وقوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] أي كسباً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. وبأن قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩] الآية حكايةُ قول المشركين[1]، والتقدير: فما لهؤلاءِ القومِ لا يكادونَ يفقهونَ حديثاً فيقولون: ما أصابك؟ الآية.

٣١ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. يدلُّ بمفهومه على أن في القرآن اختلافاً قليلاً، وإلّا لما كان للتقييد بوصف الكثرة فائدة، مع أنه لا اختلاف فيه أصلاً، إذ المرادُ بالاختلاف فيه: التناقض في معانيه، والتباين في نظمه.

وأُجيبَ: بأن التقيد بالكثرة، للمبالغة في إثبات الملازمة، أي لو كان من عند غير اللَّه، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فضلاً عن القليل، لكنّه من عند اللَّه، فليس فيه اختلافٌ كثيرٌ ولا قليل.

٣٢ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

إن قلتَ: كيف استثنى القليلَ، بتقدير انتفاء الفضل والرحمة، مع أنه لولاهما لاتَّبع الكلُّ الشيطان؟

---

(١) ما ذكره الشيخ غير مُسَلَّم، فإن الآية ليست حكاية عن قول المشركين، وإنما هي بيانٌ وتوضيحٌ من المولى جلَّ وعلا، إلى أن الحسنة بمحض فضل اللَّه، وأن السيئة بكسب الإنسان، كما قال تعالى: **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾** ولا تعارض بين الآيات فقوله: **﴿قل كل من عند اللَّه﴾** أي خلقاً وإيجاداً أي الحسنة والسيئة بتقدير اللَّه وإيجاده، والآية الثانية: **﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** أي تسبباً وكسباً بسبب الذنوب والعصيان، فتدبَّره فإنه دقيق.

قلتُ: الاستثناءُ راجعٌ إلى ﴿أَذَاعُوا بِهِۦ﴾ [النساء: ٨٣] أو إلى ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] أو إلى ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لكنْ بتقييد الفضل والرحمة بإِرسال الرسول، أي لاتبعتم الشيطانَ في الكفر والضلال، إلّا قليلاً منكم كانوا يهتدون بعقولهم، إلى معرفة اللَّه وتوحيده، كـ «قِسّ بن ساعدة» و «ورقة بن نوفل» قبل البعثة، والخطابُ في الآية للمؤمنين.

٣٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ [النساء: ٩١] أي دُعوا إليها ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩١] أي عادوا إليها، وقُلِبوا فيها أقبح قلب.

٣٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا . . .﴾ الآية [النساء: ٩٢].

فإن قلتَ: «إلّا» هنا في قوله «إلّا خطأً» ما معناها؟

قلتُ: «إلّا» بمعنى «ولا» كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النمل: ١٠، ١١] وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠].

٣٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً . . .﴾ الآية [النساء: ٩٥].

إن قلتَ: كيف قال هنا «درجة» وقال في التي بعدها «درجات»؟

قلتُ: المرادُ بالأول تفضيلُهم على القاعدين بعذر، لأن لهم أجراً لكونهم من الغزاة بالهمَّة والقصد، ولهذا قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] أي الجنَّة.

والمرادُ بالثاني تفضيلُهم على القاعدين بلا عذر، لأنهم مقصِّرون ومسيئون، فكان فضلُ الغزاة عليهم درجات، لانتفاء الفضل لهم.

٣٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ . . .﴾ الآية [النساء: ٩٧].

إن قلتَ: هذا الجواب ليس مطابقاً للسؤال، بل المطابقُ له: كنّا في كذا، أو لم نكنْ في شيء؟

قلتُ: المرادُ بالسؤال توبيخُهم بأنهم لم يكونوا على الدِّين، حيثُ قدروا

على الهجرة ولم يُهاجروا، فصار قول الملائكة «فيمَ كنتم» مجازاً عن قولهم: لِمَ تركتُم الهجرة؟ فقالوا اعتذاراً عمَّا وُبِّخوا به «كُنَّا مستضعفين في الأرض».

٣٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ...﴾ الآية [النساء: ١٠٠]. أي ثبت وتحقَّق، أو وجب بوعد الله بقوله: «إنَّا لا نُضيعُ أجْر مَنْ أحسن عملاً».

٣٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾ [النساء: ١٠٠] أي متحولاً يتحوَّلُ إليه، من «الرَّغام» وهو التُّراب، وسُمِّيت المهاجَرةُ مراغمةً، لأن من يُهاجر يُراغم قومه، لما يجد في ذلك البلد من النعمةِ والخير، ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه، الذين كانوا معه في بلده الأصليّ، فإنه إذا استقام حالُه في البلد الأجنبيّ، ووصل خبرُه إلى أهل بلده، خجلوا من سوء معاملتهم له، ورغِمَتْ أنوفُهم بذلك.

٣٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ...﴾ الآية [النساء: ١٠١].

تقييدُ القصرِ بالخوف جرى على الغالب، فلا مفهوم له، إذْ للمسافر القصرُ في الأمن أيضاً.

٤٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ...﴾ الآية [النساء: ١٠٤].

إن قلتَ: رجاءُ الفريقين مشتركٌ، إذِ الكفَّارُ يرجون الثواب في قتالهم المؤمنين، لاعتقادهم أنه قُرْبةٌ للَّهِ، كالمؤمنين في قتالهم الكفَّارَ؟

قلتُ: ممنوعٌ إذِ المرادُ بالكفَّار عبدةُ الأوثانِ، ونحوهم ممن لا يعتقد الجزاء، فاعتقادُهم فاسدٌ لبنائه على فاسد، فرجاؤهم وهميٌّ فهو كالمعدوم.

٤١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ...﴾ الآية [النساء: ١١٠] المرادُ بعمل السُّوءِ ما دونَ الشِّركِ، وبظلم النَّفسِ الشِّرْكُ. أو بعمل السُّوءِ الذَّنبُ المتعدِّي ضررُه إلى الغير، وبظلم النَّفس الذنبُ القاصرُ عليها.

٤٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ...﴾ الآية [النساء: ١١٣].

إن قلتَ: ظاهرهُ نفيُ وقوع الهَمِّ منهم بإضلاله، والمنقولُ خلافُه؟

قلتُ: المرادُ بالهَمِّ المؤثِّرُ أي لَهمَّتْ هَمّاً يُؤثِّر عندك، والمرادُ بالإضلالِ

الإِضلالُ عن الشريعة أي لهمَّتْ أن يضلوك - أي يَصْرِفوك - عن دينك وشريعتك، وكلٌّ من هذين الهمَّيْن لم يقع.

٤٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ . . .﴾ [النساء: ١١٥] قاله هنا بالإظهار «يُشَاقِقْ» كنظيره في الأنفال[١]، وقاله في الحشر[٢] بالإدغام، لأن «أل» في اللَّهِ لازمة، بخلافها في الرسول، ولأن حركة الحرف الثاني في ذلك وإن كانت لالتقاء الساكنَيْنِ كاللازمة لمجاورتها اللازم، فلزم الإدغامُ في «الحشر» دون غيرها، وإنما أظهر في الأنفال مع وجود لفظ «اللَّهِ» لانضمام الرسول إليه في العطف، لأن التقدير فيه أن الحرف الثاني اتَّصَل بالمتعاطفَيْن جميعاً، إذِ الواوُ تُصيِّرهما في حكم شيءٍ واحد.

٤٤ - قوْلُه تَعالَى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ . . .﴾ الآية [الحشر: ٤]. أي إن مات مصرّاً عليه، فإنْ تاب منه لم يُجْزَ به.

٤٥ - قوْلُه تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ الآية [النساء: ١٣٥]، أخَّر «للَّهِ» عن قوله بالقِسْطِ هنا، اهتماماً بطلب القِسْطِ أي العدل، وَعَكَسَ في المائدة[٣]، لأن «للَّهِ» فيها متعلِّقٌ بقوَّامين، لكون الآية ثَمَّ في الوُلاةِ بدليل قوله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨] أي كونوا أيها الولاةُ قوّامين في أحكامكم للَّه لا للنفع.

٤٦ - قوْلُه تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .﴾ الآية [النساء: ١٣٦]، أي داوموا على الإيمان[٤]، إذْ لو حُمِل على ظاهرِه، لكان تحصيلاً للحاصل.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ذلك بأنَّهمْ شاقُّوا اللَّهَ ورسولَه، وَمَنْ يُشَاقِق اللَّهَ ورسولَهُ فَإِنَّ اللَّه شديدُ العقاب﴾ الأنفال آية (١٣).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم شاقُّوا اللَّهَ ورسوله، ومن يُشاقِّ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ شديد العقاب﴾ الحشر آية (٤).

(٣) في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذينَ آمنُوا كونُوا قوّامينَ للَّهِ شُهَداءَ بالقِسْطِ . .﴾.

(٤) المراد بقوله: ﴿آمنوا﴾ أي اثبتوا على الإيمان وواظبوا عليه، ولا تخدعكم الحياةُ الدنيا، وهذا مثلُ دعاءِ المؤمنين ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وهم مهتدون، أي ثبِّتنا عليه.

٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [النساء: ١٤١].
سَمَّى ظفر المسلمين فتحاً، وظَفَر الكافرين نصيباً[١] بعده، تعظيماً لشأن المسلمين، وتحقيراً لحظِّ الكافرين، لتضمُّنِ الأول نصرةَ دينِ اللَّه، وإعلاءَ كلمته، ولهذا أضاف الفتحَ إليه تعالى، وحظُّ الكافرين في ظفرهم دنيويٌّ.

٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾[٢] [النساء: ١٥٦]
كرَّره لتكرار الكفر منهم، فإنهم كفروا بموسى وعيسى وبمحمد ﷺ.

٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [النساء: ١٥٧].

إن قلتَ: اليهودُ الداخلون تحت لفظ (أهلِ الكتاب)، كانوا كافرين بعيسى، فكيف أقرُّوا بأنه رسولُ اللَّه؟!

قلتُ: قالوه استهزاءً كما قال فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[٣] [الشعراء: ٢٧].

٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ . . .﴾ الآية [النساء: ١٥٧] وصفُهم بالشكِّ لا يُنافي بعده وصفهم بالظنِّ، لأنَّ المراد بالشكِّ هنا «شكُّ الظنِّ» واستثناءُ الظنِّ من العلم في الآية منقطعٌ، فـ«إلَّا» فيها بمعنى «لكِنْ» كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] ونحوه.

٥١ ـ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ . . .﴾ الآية [النساء: ١٦٦].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وإن كان للكافرينَ نصيبٌ قالوا ألم نستحوذْ عليكم ونَمْنعْكُم من المؤمنين﴾ النساء آية (١٤١).

(٢) سورة النساء آية (١٥٦) والتكرارُ ورد بعد قوله تعالى: ﴿فبما نَقْضِهِمْ ميثاقهم وكفرهم بآيات الله﴾.. ثم قال: ﴿وبكفرهم..﴾ الآية.

(٣) إنما قال فرعون ذلك على وجه السخرية والاستهزاء، فإن فرعون لا يؤمن برسالة موسى عليه السلام، ولهذا قال: ﴿رسولكم﴾ بالإضافة إليهم، ولم يقل: إن هذا الرسول، وأكَّده بقوله: ﴿أُرسِلَ إليكم﴾ كلُّ هذا القول منه، كان على وجه السخرية والاستخفاف بدعوة موسى عليه السلام.

إن قلتَ: كيف قال: «**أنزلَه بعلمِهِ**» ولم يقل: بقدرته، أو بعلمه وقدرته، مع أنه تعالى لا يُنزل إلَّا عن علمٍ وقُدرة؟!

قلتُ: معناه أنزله مُلتبساً بعلمه، أي عالماً به، أو وفيه علمُه أي معلومُه.

٥٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ . . .﴾ [النساء: ١٧١] الآية.

فإن قلتَ: كلامُه تعالى صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته، وعيسى مخلوقٌ وحادث، فكيف صحَّ إطلاقُ الكلمة عليه؟!

قلتُ: معناه أن وجوده كان بكلمة اللَّه تعالى، وهي قوله: «كُنْ» من غير واسطةِ أبٍ، بخلاف غيره من البشر سوى آدم، وإنما خصَّ ذلك بعيسى، لأنه جيء به للردِّ على من افترى عليه وعلى أمه مريم عليهما السلام.

انتهت سورة النساء

* * *

سُورَةُ المائِدَة

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ...﴾ الآية [المائدة: ٣].

أي وما أكل منه السَّبُع وهو الباقي، إذْ ما أكله السَّبعُ عُدِم وتعذَّر أكله، فلا يَحْسُنُ تحريمُه.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾ الآية [المائدة: ٣].

حذفت الياء فيه، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ [المائدة: ٤٤] لفظاً وخطّاً.

أما لفظاً: ففي هذه لالتقاء الساكنين، وفي تلك فتبَعاً لهذه.

وأما خطّاً: فتبعاً لحذفها لفظاً، وأُثبِتتْ فيما عدا ذلك عملاً بالأصل.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًاۚ ...﴾ الآية [المائدة: ٣].

جملةٌ مستأنفةٌ، لا معطوفةٌ على أكملتُ في قوله «اليوم أكملتُ لكم دينكم» وإلَّا كان مفهومُ ذلك، أنه لم يرضَ لهم الإسلام ديناً، قبل ذلك اليوم، وليس كذلك.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ...﴾ الآية [المائدة: ٤].

إن قلتَ: ما فائدة ذكره بعد قوله «وما علمتم من الجوارح» والمكلِّب هو معلِّمُ الكلابِ للصيد وفيه تكرارٌ؟

قلتُ: قد فُسِّر «المكلِّب» بأنه المُغْري للجارح فلا تكرار، وفي الآية إضمارٌ بقرينة قوله ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] أي ومَصِيدُ ما علَّمتم من الجوارح، وإلَّا فالجوارح لا تحلُّ وإن كانت معلَّمة.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ...﴾ الآية [النساء: ٥].

قياسُ قولِهِ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [التغابن: ٩] أن يُقالَ: وَمَنْ يكفرْ باللَّهِ،

فالمرادُ بالكفر هنا الارتدادُ، والباءُ بمعنى «عَنْ» كما في قوله ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١] أي ومن ارتدَّ عن الإِيمان.

وقيل: المرادُ بالإِيمان المؤمَنُ به، تسميةً للمفعول بالمصدر، كما في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [المائدة: ٩٦] أي مصيدُه.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [النساء: ٧].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] [المائدة: ٨].

غايَر بينهما، لأنَّ الأول وقع في النية، المأخوذة من آية التيمُّم والوضوء، والنيَّةُ محلُّها ذات الصُّدور، والثاني في العمل.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [النساء: ٩].

رفع (أَجْرَ) هنا، ونَصَبَه في الفتح، في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] موافقة للفواصل.

ومفعولُ «وَعَدَ» هنا محذوفٌ تقديره خيراً.

فإن قلت: كيف قال: وعملوا الصَّالحاتِ، ولم يقل: وعملوا السَّيئات، معَ أن المغفرة إنما هي لفاعلِ السَّيئات؟!

قلتُ: كلُّ أحدٍ ممَّن ليس بمعصوم، لا يخلو عن سيِّئة، وإن كان ممن يعمل الصالحات، فالمعنى أنَّ من آمن وعمل حَسناتٍ، غُفرتْ له سيئاتُه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

فإن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع أنَّ من كفر قبل ذلِكَ، فهو كذلك؟

قلتُ: نعمْ لكنَّ الكفر بعدما ذُكِرَ من النِّعَمِ أقبحُ ممَّا قبله.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿**ولا يجرمنَّكم شنآنُ قوم على ألَّا تَعدِلُوا اَعْدِلُوا هو أقربُ للتَّقْوى واتقوا اللَّه إن اللَّه خبير بما تعملون**﴾ النساء آية (٨) أي خافوا عقابَ اللَّه واحذروه، فاللَّه مطَّلعٌ على أعمالكم، ومجازيكم عليها يوم الدين.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ . . . ﴾ الآية [المائدة: ١٣].

وقال بعده ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٤] لأن الأول في أوائل اليهود، والثاني فيمن كانوا في زمن النبي ﷺ، أي حرَّفوها بعد أن وضعها اللَّه مواضعها، وعرفوها وعملوا بها زماناً.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ . . . ﴾ الآية [المائدة: ١٤].

إن قلتَ: لمَ قال ذلك ولم يقل: من النَّصارى.

قلتُ: إنما قاله توبيخاً لهم، لأنهم كانوا كاذبين في دعواهم أنهم نصارى، ادِّعاءً منهم لنصرة اللَّهِ، بعدما اختلفوا إلى «نسطورية» و«يعقوبيّة» و«ملكانيّة» أنصار الشياطين[1].

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ . . . ﴾ الآية [المائدة: ١٥].

إن قلتَ: لمَ عَفَا، أي تَرَك كثيراً ممَّا أخفَوْه من كتابهم، مع أنه مأمورٌ ببيانه؟

قلتُ: إنما لم يبيِّنْه لأنه لم يُؤمر ببيانه، أو لأن المأمور ببيانه، ما يكون فيه إظهارُ حكم شرعيّ، كصفته، وبعثته، والبشارة به، وآية الرجم[2]، دون ما لم يكن فيه ذلكَ ممَّا فيه افتضاحُهم، وهتكُ أستارهم، فيعفو عنه.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

---

(١) صدق الشيخ فإن هؤلاء الضالين (أنصار الشيطان) لا أنصار الرحمن، فإنهم يبذلون جهدهم لإطفاء نور اللَّه، وطمس عقيدة التوحيد التي جاء بها رسلُ اللَّه صلوات اللَّه عليهم أجمعين، فهي منهم مجرد دَعوى كاذبة، يزعمون فيها أنهم أنصار اللَّه.

(٢) معنى الآية الكريمة، أن الرسول ﷺ جاء بالحقّ الساطع، يبيِّن لهم الكثير مما كانوا يخفونه في كتبهم، من صفته عليه السلام، الموجودة في التوراة والإنجيل، ومن آية الرجم، وقصة أصحاب السبت الذين مُسخوا إلى قردة وخنازير، ويعفو عن كثير ممَّا فيه فضيحة لهم فلا يبيِّنه، وفي الآية دليل على صحة نبوته في كشف ما أخفوه في كتبهم، مع أنه أميّ لم يقرأ كتبهم.

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع أن العبد ما لم يهده اللَّه لا يتَّبع رضوانه فيلزم الدَّورُ؟

قلتُ: فيه إضمارٌ تقديرُه: يهدي به اللَّهُ منْ علِم أنه يريد أن يتَّبع رضوانه، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1] [العنكبوت: ٦٩] الذين أرادوا سبيل المجاهدة لنهدينهم سبيل مجاهدتنا.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

فإن قلت: لمَ كرَّرها وختم الأولى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[2] [البقرة: ٢٨٤] والثانية بقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾؟.

قلتُ: لأنَّ الأولى نزلت في النَّصارى، حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ١٧] فردَّ اللَّه عليهم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩] تنبيهاً على أنه مالكٌ لعيسى وغيره، وأنه قادرٌ على إهلاكه وإهلاك غيره.

والثانيةُ: في اليهود والنَّصارى، حين قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨] فردَّ اللَّه تعالى بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ تنبيهاً على أن الجميع مملوكون له، ومصيرهم إليه، يُعذِّب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ولو كان «عيسى» ابنه لم يملكه ولم يعذبه، إذ الأب لا يملك ابنه ولا يعذِّبه.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ . . .﴾ الآية [المائدة: ١٨].

فإن قلتَ: كيف أخبر اللَّه عنهم أنَّهم قالوا: نحنُ أبناءُ اللَّهِ، مع أنه لم يُعرفْ أنَّهم قالوه؟!

قلتُ: المرادُ بـ «أبناء اللَّهِ» خاصَّتُه[3]، كما يُقال: أبناءُ الدنيا، وأبناءُ الآخرة.

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦٩) وتتمة الآية: ﴿وإنَّ اللَّه لَمَعَ المحسنين﴾.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وللَّهِ ملكُ السمواتِ والأرضِ وما بينهما يخلقُ ما يشاءُ واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ وفيها أيضاً زيادة ﴿يخلُقُ ما يشاءُ﴾ النساء آية (١٧).

(٣) جَمَعَ تعالى بين قول اليهود والنصارى، ومعنى الآية: قال اليهود نحن أبناءُ اللَّه =

وقيل: فيه إضمارٌ تقديرُه: نحنُ أبناءُ أنبياءِ اللَّهِ.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ...﴾ الآية **[المائدة: ١٨]**.

إن قلتَ: كيف يصحُّ الاحتجاج عليهم به، مع أنهم ينكرون تعذيبَهم بذنوبهم، مدَّعين أن ما يُذنبون بالنَّهار يُغفرُ بالليل، وبالعكس؟

قلتُ: هم مقرُّون بأنهم يُعذَّبون أربعين يوماً، مدة عبادتهم العجل، في غيبة «موسى» عليه الصلاة والسلام لميقات ربه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ **[البقرة: ٨٠]**.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ...﴾ **[المائدة: ٢٠]**.

قال ذلك هنا، وقال في إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ﴾ [إبراهيم: ٦] لموافقة ما قبله وما بعده من النِّداء، أو لأن التصريح باسم المخاطب مع حرف الخطاب، يدلُّ على تعظيم المخاطَب به، وقد ذُكِرَ هنا نِعَمٌ جِسامٌ، وهو قوله: «جَعَلَ فيكمْ أَنْبياء» فناسب ذكر «يا قوم» بخلاف ذلك في إبراهيم.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ **[المائدة: ٢٣]**.

هو من مقول الداخلين.

فإن قلتَ: من أين عَلما أنَّهم غالبون حتَّى قالا ذلك؟!

قلتُ: من جهةِ وُثوقِهم بإخبار موسى عليه السلام بقوله: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ **[المائدة: ٢١]**.

وقيل: عَلِمَا ذلكَ بغلبة الظنِّ، وما عهداه من صُنْعِ اللَّه تعالى بموسى عليه السلام من قهر أعدائه.

١٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾ **[المائدة: ٢٦]**.

إن قلتَ: هذا يُنافي قوله قبلُ ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؟

= وأحباؤه، وقالت النصارى مثل ذلك، ومرادهم أنهم بمنزلة الأبناء إلى اللَّه، وحبُّ اللَّهِ لهم كحبِّ الوالد لولده، وهذا كذب وافتراء على اللَّه، ولهذا كذَّبهم تعالى بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبكم بذنوبكم﴾.

قلتُ: لا منافاة لأنَّ المعنى: كتبَها لكم، بشرط أن تُجاهدوا أهلها، فلمَّا أبَوْا حُرِّمتْ عليهم.

أو كلٌّ منهما «عَامٌّ» أُريد بهِ «خاصٌّ» فالكتابة للبعض، وهم المطيعون، والتحريمُ على البعضِ، وهم العاصون.

١٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا ....﴾ الآية [المائدة: ٢٧].

هو للجنس، والمرادُ إذْ قَرَّبا قربانينِ.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

إن قلتَ: كيف يصحُّ جواباً لقوله: «لأَقْتُلنَّكَ»؟

قلتُ: لمَّا كان الحسدُ لأخيه على تقبُّل قربانه، هو الحاملُ له على توعُّده بالقتل، قال: إنما أُتيتَ من قبَلِ نفسِك، لانسلاخها من لباس التَّقوى، فلم يُتقبَّلْ قُربانُك[١].

٢١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ....﴾ الآية [المائدة: ٢٩].

أي بإثم قتلي، وإثمكَ الذي ارتكبته من قبْلي، وهو توعُّدك بقتلي.

فإن قلتَ: كيف قال «هابيلُ» لقابيلَ ذلكَ، مع أنَّ إرادةَ الشخصِ السُّوءَ، والوقوعَ في المعصية لغيره حرام؟!

قلتُ: في ذلك إضمارُ[٢] «لا» تقديره: إني لا أريد أن تبوء بإثمي، كما في قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] أي لا تفتأ، أو إضمارُ مضاف تقديره: إني أريد انتفاء أن تبوء كما في قوله تعالى: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي حبَّه.

---

(١) توضيح معنى الآية، أن (هابيل) قال لأخيه (قابيل): لمَ تقتلني ولم أرتكب جُرْماً؟ قال: لأن اللّه تقبَّل قربانك، ولم يتقبَّلْ قرباني!! فقال له هابيل: **﴿إنما يتقبَّل اللّهُ من المتقين﴾** فكان الجواب موافقاً للسؤال.

(٢) لا حاجة إلى هذا الإِضمار إذ المعنى: إني أُريد أن أكون مظلوماً لا ظالماً، فإن قتلتني فذاك أحبُّ إليَّ من أن أقتلك، وعند ذاك ترجع بإثم قتلي، وإثمك الذي كان منك.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

إن قلتَ: هذا يقتضي أن «قابيل» كان تائباً، والنَّدمُ توبةٌ لخبرِ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» فلا يستحقُّ النَّارَ؟!

قلتُ: لم يكن ندمُه على قتلِ أخيهِ، بل على حمْلهِ على عنُقهِ، أو على عدم اهتدائه للدَّفن الذي تَعلَّمه من الغراب[(١)]، أو على فقدهِ أخاه، أو على قتل أخيه، لكنَّ مجرَّد النَّدم ليس بتوبةٍ، إذ التوبةُ إنَّما تتحقَّق بالإِقلاع، وعَزْمه على[(٢)] ألَّا يعود، وتدارك ما يمكن تداركه.

٢٣ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾ الآيـة [المائدة: ٣٢].

إن قلتَ: كيف يكون قتلُ الواحِد كقتل الكُلِّ، مع أن الجناية إذا تعدَّدت كانت أقبح؟!

قلتُ: تشبيهُ أحد الشيئين بالآخر، لا يقتضي تساويهما من كلّ وجه، ولأن المقصود من ذلك المبالغةُ، في تعظيم أمر (القتلِ العمدِ) وأنه غايةُ العدوانِ.

أو لأن المعنى: من قَتَل نفساً بغير حقٍّ، كان جميع النَّاس خصومَه في الآخرة مطلقاً، وفي الدُّنيا إن لم يكن له وليٌّ.

أو المعنى: من قَتَل نبيّاً، أو إماماً عادلاً، كان كمن قتل النَّاس جميعاً، من حيث إبطالُ المنفعة عن الكلّ[(٣)].

٢٤ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ...﴾ الآيـة [المائدة: ٤٧].

---

(١) هذا القولُ أظهر من الأول، فإنه لمَّا قتله لم يدْرِ كيف يواري جثَّته، فندم على عدم الاهتداء إلى دفن أخيه، قال ابن عباس: ولو كانت ندامتُه على قتله، لكان النَّدمُ توبة له، وفي الحديث الذي رواه الشيخان «ليس من نفسٍ تُقتلُ ظلماً، إلَّا كان على ابن آدمَ الأول كفلٌ ـ أي وزرٌ ـ من دمها، لأنه كان أوّلَ من سَنَّ القتل». رواه البخاري ومسلم.

(٢) في المطبوع: وعدم ألَّا يعود وهو خطأ.

(٣) الأرجح من الأقوال هو ما قاله البيضاوي: ﴿فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً﴾ من حيثُ إنه هتك حرمة الدِّماء، وسنَّ القتل، وجرَّأ الناس عليه، فالآية وردت مورد التغليظ والترهيب.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الإِنجيل منسوخٌ بالقرآن؟!

قلتُ: معناه «وليحكمْ أهل الإنجيل بما أنزل اللَّهُ فيه، بما لم يُنسخ بالقرآن».

أو المعنى: لمَّا أنزلنا الإِنجيل قلنا: وَلْيحكُمْ أهلُ الإِنجيل بما أنزل اللَّهُ فيه(١).

٢٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

كرَّره ثلاث مراتٍ، وختم الأولى بقوله: «الكافرون» والثانية بقوله: «الظَّالمون» والثالثة بقوله: «الفَاسِقون»!!

قيل: لأنَّ الأولى في حُكَّام المسلمين، والثانية في حُكَّام اليهود، والثالثة في حُكَّام النَّصارى.

وقيلَ: كلُّها بمعنى واحد وهو «الكفرُ» عبَّر عنه بألفاظٍ مختلفة، لزيادة الفائدة، واجتناب التَّكرار.

وقيل: «من لم يحكم بما أنزل اللَّهُ» إنكاراً له فهو كافرٌ، ومن لم يحكم بالحقِّ، مع اعتقاده للحقِّ، وحَكَم بضدِّه فهو ظالمٌ، ومن لم يحكم بالحقِّ جهلاً وحكم بضدِّه فهو فاسقٌ.

وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل اللَّهُ فهو كافرٌ بنعمة اللَّه، ظالمٌ في حكمه، فاسقٌ في فعله(٢).

---

(١) هذا هو الأظهر أي أنه تعالى أمرهم بالعمل بالإِنجيل وقت نزوله عليهم، لا أنه يأمرهم بتطبيق أحكام الإِنجيل الآن، فإنه قد نُسخ بالقرآن، فشريعة محمد ﷺ ناسخةٌ لجميع الشرائع والأديان، ولهذا قال جلَّ ثناؤه **﴿ومن يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**.

(٢) كلُّ هذه الأقوال التي ذكرها الشيخ أقوالٌ لبعض المفسرين، والراجحُ أنَّ اللَّه تعالى وصفَ كلَّ من لم يحكم بما أنزل اللَّه بالكفر، والظلم، والفسق، فجمعَ له هذه الأوصاف الثلاثة، فهو كافرٌ لأنه لم يحكم بشريعة اللَّه، وهو ظالمٌ لنفسه لأنه تعدَّى الحدود، وهو فاسق لأنه خرج عن طاعة اللَّه، فليعتبرْ حكام المسلمين، بهذه الآيات البيِّنات، وَلْيَرْجِعُوا إلى تحكيم شريعة اللَّه، ليردَّ اللَّه لهم عزَّهم، وينصرهم على أعدائهم **﴿ولينصرنَّ اللَّهُ من ينصره إن اللَّه لقويٌّ عزيز﴾**.

٢٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ...﴾ الآية [المائدة: ٤٩].

قلت: أراد به عقوبتهم في الدُّنيا، على تولِّيهم عن الإِيمان، بالسَّبْي، والجزية وغيرهما، وهذه العقوبة منقطعةٌ، بخلاف عقوبة الآخرة، فإنها على جميع الذنوب، من توليهم عن الإِيمانِ، وعن جميع فروعه، ودائمةٌ لا تنقطع.

٢٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إن قلتَ: لِمَ خصَّ «الموقنين» بالذكر، مع أنَّ أحسنيَّةَ حكمِ اللَّهِ لا يختصُّ بهم؟

قلتُ: لأنهم أكثر انتفاعاً بذلك من غيرهم، كنظيره في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

٢٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

إن قلتَ: هذا يقتضي أنَّ منْ وادَّ أهلَ الكتابِ يكونُ كافراً، وليس كذلك؟!

قلتُ: إنما قال ذلك مبالغةً في اجتناب المخالِفِ في الدِّينِ.

أو لأن الآية نزلتْ في «المنافقين» وهم كفَّارٌ، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي ما داموا على ظلمهم، والمعنى: لا يهدي من سبق في علمه أنه يموت ظالماً.

٢٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]

«على» بمعنى اللَّام[(١)]، أو ضَمَّنَ الذلَّةَ معنى «العطف» فعدَّاها تعديته، كأنه قال: عاطفين على المؤمنين.

٣٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] المرادُ بالغلبة فيها، الغلبةُ بالحجَّة والبرهان، فإنها مستمرَّةٌ أبداً، لا بالدَّوْلَةِ والصَّوْلَةِ، وإلَّا فقد غُلبَ حزبُ اللَّهِ غير مرَّة، حتَّى في زمن النبي ﷺ.

---

(١) ويصبح معنى الآية: أذلَّةٍ للمؤمنين، أعزةٍ على الكافرين، أي رحماءَ متواضعين للمؤمنين، أشدَّاءَ متعزِّزينَ على الكافرين.

٣١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ...﴾ الآية [المائدة: ٦٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن المثوبة مختصَّةٌ بالإِحسان؟

قلتُ: لا نُسلِّم اختصاصها بذلك لغةً، بل هي الجزاء مطلقاً، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] وقوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ [المطففين: ٣٦] أي هل جوزوا؟ غايتُه أن الثواب قد يكون خيراً، وقد يكون شراً، يُقصد به «التهكُّمُ والاستهزاءُ» كلفظ البشارة، لا اختصاص له لغةً بالخير، بل هو شاملٌ للشرِّ، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] وقضيَّتُه أنَّ أقامةَ الكتاب، توجبُ سعة الرِّزق، والرخاء.

فإن قلتَ: ليس الأمر كذلك، لأنَّا نجد كثيراً من المؤمنين، ضيِّقي المعيشة في الدنيا؟

قلتُ: القضيَّةُ خاصَّةٌ بأهل الكتاب، لأنهم شكَوا ضيقَ الرزق، حتَّى قالوا ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] فأخبرهم اللَّهُ، أنَّ ذلك التضييق عقوبة لهم، بعصيانهم وكفرهم، واللَّه تعالى يجعل ضيق الرزق وسعته، نعمة في بعض عباده، ونقمةً على الآخرين، فلا يلزم من توسيع الرزق: الإِكرامُ، ولا من تضييقه: الإِهانة.

٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

إن قلتَ: ما فائدته مع أنه معلومٌ أنه إذا لم يُبلِّغْ ما أُنزِل إليه، لم يكن قد بلَّغ الرسالة؟

قلتُ: فائدته الحثُّ على تبليغ معايب اليهود، حتَّى لو فُرض كتمانُ حرفٍ واحدٍ، كان في الإِثم ككتمان الجميع.

أو الأمر بتعجيل التبليغ، لأنه كان عازماً على تبليغ جميع ما أُنْزِل إليه، إلَّا أنه أخَّر البعض خوفاً على نفسه، مع بقاء العزم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] أي من القتل، لا من جميع

أنواع الأذى، كشجِّ الوجه، وكسْرِ الرباعية[(١)(٢)].

أو لعلَّ الآية نزلت بعد أُحدٍ، لأن المائدة من أواخر ما نزل من القرآن!!

٣٤ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ...﴾ الآية [المائدة: ٧٢]. كرَّر الآية، وختم هذه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ والثانية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

لأن «اليعقوبية» من النَّصارى، زعموا أنَّ اللَّه تجلَّى في زمنٍ، على شخص «عيسى»، فظهرت منه المعجزاتُ، فصار إلهاً.

والملكانية[(٣)] منهم زعموا أن اللَّه اسمٌ يجمع «أمَّا، وإبناً، وروحَ القُدُس» فصار كل منهم إلهاً واحداً، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فكرَّرَ الآية لذلك، وأخبر تعالى عنهم أنهم كلَّهم كفَّارٌ.

٣٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

المرادُ بالظَّالمين هنا المشركون، بقرينةِ ما قبله، إذِ الظَّالمون من المسلمين لهم ناصرٌ، وهو النبيُّ ﷺ لشفاعته لهم يوم القيامة.

٣٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

فائدةُ ذكرِه بعد قوله ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧] أن المراد بالضَّلال الأول ضلالُهم عن الإنجيل، وبالثاني: ضلالُهم عن القرآن.

---

(١) الصحيح أن ذكر المثوبة هنا ﴿مثوبةً عند اللَّه﴾ جارٍ على أسلوب والسخرية والاستهزاء، سمَّى العقاب ثواباً للسخرية والتهكُّم، كأنه يقول: هذا الثوابُ الذي تمنحه لهم، هو اللعنةُ، والغضبُ، والسُّخطُ، كقوله سبحانه: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾.

(٢) أشار المؤلف إلى ما جرى للنبي ﷺ في «غزوة أحد» فقد شُجَّ وجهُه الشريف، وكسرت رباعيته ـ أي مقدمة أسنانه ـ فقال ﷺ: كيف يفلح قومٌ شجُّوا رأس نبيهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى اللَّه؟! فأنزل اللَّه: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أخرجه مسلم.

(٣) النَّصارى فرقٌ عديدة كما أشار المؤلف، فمنهم من يعتقد بألوهية عيسى، ومنهم من يعتقد أنه ابن اللَّه، ومنهم من يعتقد أنه ثالث ثلاثة، والكلُّ في ضلال، لأنهم ألَّهوا بشراً، وجعلوا الإلَه الواحد الأحد، مجموعة من الأقانيم (الأب، والابن، وروح القدس) الجميع آلهة، والكلُّ واحد، وهو كفرٌ صريح، وتخبُّطٌ وهذيان، فكيف تكون الثلاثة واحداً، والواحد ثلاثة؟. تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٣٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ . . .﴾ الآية [المائدة: ٧٩].

إن قلتَ: النَّهيُ عن المنكر بعد فعله لا معنى له؟!

قلتُ: فيه حذف مضافٍ، أي كانوا لا يتناهون عن معاودة منكرٍ فعلوه، أو عن مثله، أو عن منكرٍ أرادوا فعله[١]، أي لا يمتنعون، أو المعنى كانوا لا ينتهون عن منكرٍ فعلوه، بل يُصِرُّون عليه.

٣٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٧]. أي من المنافقين أو اليهود.

إن قلتَ: كلُّهم فاسقون، لا كثيرٌ منهم فقط؟!

قلتُ: المرادُ بالفسقِ، فسقُهم بموالاة المشركين، ودسِّ الأخبار إليهم، لا مطلق الفسق، وذلك مخصوص بكثير منهم، وهم المذكورون في قوله تعالى قبل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٨٠].

٣٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ . . . .﴾ الآية [المائدة: ٩٠].

إن قلتَ: هذه المذكورات من عملِ العبدِ، لا من عمل الشيطان؟!

قلتُ: في الكلام إضمارٌ، أي تعاطي هذه الأشياء من عمل الشيطان.

فإن قلتَ: مع هذا الإِضمار كيف قال: ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، وتعاطي هذه الأشياء من عمل الإِنسان، لا من عمل الشيطان؟!

قلتُ: لمَّا كان تعاطي هذه الأشياء، بوسوسة الشيطان وتزيينه ذلك للفُسَّاقِ، صار كما لو أغرى رجلٌ رجلاً بضرب آخر فضربه، فإنه يجوز أن يُقال للمُغْري هذا من عملك.

فإن قلتَ: لم خصَّ من الأشياء المذكورة «الخمر» و«الميسر» بالذِّكر، في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾؟ [المائدة: ٩١].

---

(١) المراد أنهم كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً، عن منكر من المنكرات أرادوا أنه يفعلوه، أو عزموا على فعله.

قلتُ: خصَّهما بالذكر تعظيماً لأمرهما، ولأنَّ ما ذُكر من العداوة والبغضاء بين النَّاس، يقع كثيراً بسببهما، دون الباقي.

وقيل: إنما خصَّهما بالذّكر بياناً للواقع، لأن الخطاب للمؤمنين، بدليل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [المائدة: ٩٥] وهم إنما كانوا يتعاطون الخمر والميسر فقط.

٤٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ...﴾ الآية [المائدة: ٩٤]، أي علم ظهور[1].

٤١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ...﴾ الآية [المائدة: ٩٥].

قيل: العمدُ ليس بشرطٍ لوجوب الجزاء، كما بيَّنته السُّنَّةُ، وذكرُه في الآية بيانٌ للواقع، لأن الواقعة التي كانت سبب نزول الآية، كانت عمداً فلا مفهوم له.

٤٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ...﴾ الآية [المائدة: ٩٥]. قيَّد بها تعظيماً له، وإلّا فالشَّرطُ بلوغُه الحرمَ.

٤٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ...﴾ الآية [المائدة: ١٠٣]، أي ما حرَّم أو ما شرع[2]، ولا يصحُّ تفسيرُه بـ«خَلَقَ» لأن الأشياء المذكورة خلقها اللَّه.

٤٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ...﴾ الآية [المائدة: ١٠٥]. أي احفظوا أنفسَكم، وقوموا بصلاحها.

فإن قلتَ: ظاهرُ الآية يقتضي عدَم وجوبِ الأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكر؟

---

(١) إنما فسَّره بذلك، ليدفع شبهة أن اللَّه تعالى لا يعلم الشيء إلّا بعد حدوثه، فهو ما يقول المفسرون عنه: إنه عِلْمُ ظهور لا علم خفاء؛ أي لِيُظْهِر علمَه تعالى لعباده.

(٢) هذه من عادات الجاهلية نهى اللَّه عزَّ وجلَّ عنها، فقد كانوا إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن، آخرُها ذكرٌ، بَحَروها ـ أي شقوا أذنها ـ وحرَّموا ركوبها، وهي البحيرة، وكان الرجلُ يقول: إذا قدمتُ من سفري، أو شفيتُ من مرضي، فناقتي سائبة، ثم يطلقها فلا ينتفع بها وهي السائبة، وإذا ولدت الشاة سبعة أبطن آخرها ذكرٌ أو أنثى قالوا: وصلت أخاها وهي الوصيلة، وإذا نتج من صُلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره وهو الحام، فلما جاء الإِسلام أبطل هذه العادات، قال في السراج المنير: ومعنى **﴿ما جعلَ اللَّهُ﴾** أي ما شرع ذلك، ولا أمر بالتبحير ولا التسييب، ولا غير ذلك.

قلتُ: لا نُسلِّمُ ذلك، فإنها إنما تقتضي أن المطيعَ، لا يُؤاخذ بذنوب المُضَلِّ، أو لأن الآية مخصوصةٌ بما إذا خاف الإنسانُ، عند الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، على نفسه، أو عرضه، أو ماله(١).

٤٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنهم عالمون بماذا أُجيبوا؟

قلتُ: هذا جوابُ دهشةٍ وحيرة، حين تَطيشُ عقولُهم من زفرة جهنَّم.

أو المعنى: لا علمَ لنا بحقيقةِ ما أجابوا به، لأنَّا لا نعلم إلَّا ظاهره، وأنتَ تعلمُ ظاهِرَه وباطنَه، بدليل آخر الآية.

وقيل: المرادُ منه المبالغةُ في تحقيق نصيحتهم، كمن يقول لغيره: ما تقول في فلانٍ؟! فيقول: أنتَ أعلمُ به منّي، كأنَّه قيل: لا يحتاج فيه إلى شهادة لظهوره(٢).

٤٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ الآية [المائدة: ١١٢].

فإن قلتَ: كيف قال الحوراِيُّون ذلك ـ وهم خُلَّصُ أتباعِ عيسى ـ وهو كفرٌ، لأنه شكٌّ في قدرة اللَّه تعالى(٣) وذلك كفر؟!

قلتُ: الاستفهامُ المذكورُ، استفهامٌ من الفعل، لا من القُدرة، كما يقول

---

(١) الآية إنما وردت فيمن أدَّى واجب النصح والتذكير، فلم يُستجبْ له، فلا لوم عليه، أو في آخر الزمان عند فساد الناس، وإعجابهم برأيهم، كما صحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كلِّ امرئٍ برأيه، فعليكم أنفسَكم، لا يضرُّكم ضلالةُ ضلالةُ غيركم» رواه الترمذي، فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يُقبل منه، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ١/ ٣٦٩.

(٢) المراد: لا علم لنا إلى جانب علمك، فأنت العالم بما ردُّوا به علينا، قالوا ذلك على سبيل الشكوى من أقوامهم، وردُّوا العلم إلى اللَّه أدباً، كأنهم يقولون: أنتَ العالمُ بما كابدناه منهم من الشدائد والأهوال.

(٣) لم يكن سؤالهم عن شكٍ في قدرة اللَّه تعالى، لأنهم مؤمنون، وهم خواصُّ أصحاب عيسى ابن مريم، وإنما سألوه سؤال مستخبر: هل يُنزِّل أم لا؟ فإن كان يُنزِّلُ فاسأله لنا، فسؤالهم كان للإطمئنان والتثبت، وهذا خلاصة قول الحسن البصري.

الفقير للغني القادر: هل تقدرُ أن تُعطيني شيئاً؟ وهذه تُسمَّى استطاعة المطاوعة، لا استطاعة القُدرة.

والمعنى: هل يسهُل عليكَ أن تسأل ربك؟ كقولك لآخر: هل تستطيع أن تقوم معي؟ وأنتَ تعلم استطاعته لذلك.

فإن قلتَ: لو كان ما ذُكر مراداً، لما أنكر عليهم عيسى بآخر الآية؟

قلتُ: إنكارُه عليهم إنَّما كان لإتيانهم بلفظٍ، لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره.

٤٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ...﴾ الآية [المائدة: ١١٦].

إن قلتَ: كيف قال عيسى ذلك، مع أنَّ كل ذي نفسٍ، فهو ذو جسم، لأن النَّفْس جوهرٌ قائمٌ بذاته، متعلّقٌ بالجسم تعلُّق التدبير، واللَّهُ منزَّهٌ عن ذلك؟

قلتُ: النَّفْسُ كما تُطلق على ذلك، تُطلق على ذاتِ الشيءِ وحقيقته، كما يُقال: نفسُ الذَّهبِ والفضَّةِ محبوبةٌ أي ذاتُهما، والمرادُ به هنا الثاني[(١)].

٤٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ ...﴾ [المائدة: ١١٧].

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنه قال لهم أيضاً غَيْرَ ما ذُكِر؟

قلتُ: معناه «ما قلت لهم فيما يتعلَّقُ بالإله».

فإن قلتَ: عيسى حيٌّ في السَّماءِ، فكيف قال «فلمَّا تَوَفَّيْتَني»؟

قلتُ: المرادُ بالتوفِّي النَّومُ كما مرَّ، مع زيادة في قوله في آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[(٢)] [آل عمران: ٥٥].

---

(١) مراد الشيخ أن يقول: إن معنى الآية: تعلمُ يا اللَّهُ حقيقة ذاتي، وما انطوت عليه من أسرار، ولا أعلم حقيقة ذاتك، فيراد بالنفس الذات، وقيل: المراد تعلم الخفايا والنوايا، وما انطوت عليه نفسي، ولا أعلم الغيب الذي تعلمه، بدليل قوله: ﴿**إنك أنت علاّمُ الغيوب**﴾ فيكون ذكر ﴿**نفسك**﴾ بطريق (المشاكلة) وهي الاتفاقُ في اللفظ مع الاختلاف في المعنى.

(٢) هذا القول الذي ذكره المصنِّف أنَّ المعنى: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾ أنه يراد به النَّومُ، أي فلمَّا أنمتني قولٌ ضعيفٌ، والصحيحُ أن معنى الآية: فلمَّا قبضتني بالرفع إلى السَّماء، فالتوفِّي =

مع أنَّ السؤال إنَّما يتوجَّهُ، على قول منْ قال: أنَّ السؤال والجواب، وُجدا يوم رفعِه إلى السَّماء، وأمَّا من قال: إنهما يكونان يوم القيامة ـ وعليه الجمهورُ ـ فلا إشكال.

٤٩ ـ قَـولُـه تـعَـالَـى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ . . .﴾ الآيـة [المائدة: ١١٩]، أي يوم القيامة.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أنَّ الصِّدق نافعٌ في الدنيا أيضاً؟

قلتُ: نفعُه بالنسبة إلى نفعِ يومِ القيامة، الذي هو الفوزُ بالجنَّة، والنَّجاةُ من النَّار، كالعَدَم(١).

فإن قلتَ: إن أراد بالصِّدق صدقُهم في الآخرة، فالآخرةُ ليست بدار عمل، أو في الدنيا، فليس مطابقاً لما ورد فيه، وهو الشهادة لعيسى بالصِّدق، بما يُجيب به يوم القيامة؟

قلتُ: أراد به الصِّدق المستمرَّ بالصادقين، في دنياهم وآخرتهم(٢).

«تمت سورة المائدة»

* * *

= لا يرادُ به الموتُ أو النومُ كما قال المؤلف، وإنما يراد به القبضُ (بالروح والجسد) وهو الرفع، مأخوذ من قولهم: توفيتُ ديني منه، أي قبضتُه كاملاً.

(١) النفع الدنيوي مهما كان عظيماً، فإنه بالنسبة إلى النفع الأخرويِّ كالعدم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا الحياةُ الدُّنيا إِلَّا مَتَاعُ الغُرور﴾.

(٢) يقول الله تعالى يوم القيامة، مشيراً إلى صدق عيسى بن مريم: هذا اليومُ يومُ (العدلِ الإلٰهي) ويومُ الجزاء الأخروي، الذي ينتفع فيه الإنسانُ بصدقه، وعمله الصالح، ختم تعالى السورة بهذه الآية الكريمة، وقد رُوي في الصحيح أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيزُ الحكيم﴾ فبكى وقال: اللهمَّ أمتي، أمتي!! فأرسل الله إليه جبريل عليه السلام، وقال له: اذهب إلى محمد فقل له: (إنَّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك) رواه مسلم.

سُورَةُ الأَنْعَام

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ...﴾ [الأنعام: ١] جَمَع السَّماء دون الأرض، لِمَا مرَّ في البقرة... وَجَمع الظُّلمة دون النُّور، لأنها اسم جنس، والنُّورُ مصدرٌ، والمصدرُ لا يُجمع.

وقيل: لكثرة أسبابها[1]، بخلاف النُّور.

و «جَعَلَ» تأتي لخمسةِ معانٍ:

فتأتي: بمعنى «خَلَقَ» كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فصلت: ١٠].

وبمعنى: «بَعَثَ» كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥].

وبمعنى: «قال» كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وبمعنى: «بَيَّنَ» كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أي بيَّناهُ بحلاله وحرامه.

وبمعنى: «صَيَّر» كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ...﴾ [الأنعام: ٣].

فائدةُ: ذكرِ الجهر بعد السرِّ، مع أنه مفهومٌ منه بالأَوْلى، المقابلةُ

---

(١) إنما جمع الظُّلمات لأنَّ شُعب الضلال كثيرةٌ ومتنوعة، وأفرد النُّور لأن مصدره واحدٌ، وهو الرحمن منوِّرُ الأكوان، فالهُدى واحد، والضلال متنوِّع.

و«التأكيد» كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥] بَسَط هنا، واختصر في الشعراء فقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء: ٦] لأنَّ ما هنا سابقٌ على ما هناك، فناسب البسط هنا، والاختصارُ ثمَّ.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٦]، قاله هنا وفي النحل[١] بلا عاطفٍ من واوٍ أو فاء عقب الهمزة، وفي الشعراء[٢] بواوٍ، وفي سبأ[٣]، بفاء. . . لأنَّ مثل هذا الكلام يأتي للإنكار، فإن اعتُبر فيه الاستدلال، لم يؤت بواوٍ ولا فاء، ليكون كالمستأنف.

وإن اعتُبرتْ فيه المشاهدة أُتي بالواو والفاء، لتدلَّ الهمزة على الإنكار، والواو أو الفاء على عطف ما بعدها، على مقدَّر قبْلَها يناسبه في المعنى، المناسب لمعنى ما قبل الهمزة، لكنَّ الفاء أشدُّ اتصالاً بما قبلها من الواو، والتقديرُ في الشعراء: «أكذَّبوا الرسل ولم يروا»؟.

وفي سبأ: «أكفَروا فلم يروا»؟

٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا . . .﴾ الآية [الأنعام: ١١].

قاله هنا بـ«ثُمَّ» الدَّالة على التراخي، وفي غير هذه السورة بالفاء، الدَّالة على التعقيب، مع اشتراكهما في الأمر بالسير، لأن ما في هذه السورة، وقع بعد ذكر القرون، في قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٦] وقوله: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦] فتعدَّدت القرونُ في أزمنةٍ متطاولة، فخُصَّت الآيةُ هنا بـ «ثُمَّ»، بخلاف ما في غير هذه السورة، إذ لم يتقدَّمه شيءٌ من ذلك، فخُصَّت بالفاء[٤].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ألمْ يَرَوْا إلى الطَّيرِ مُسخَّرَاتٍ في جَوِّ السَّماءِ﴾.

(٢) في قوله تعالى: ﴿أوَلَمْ يَرَوْا إلى الأرْضِ كَمْ أنْبتْنا فيها مِن كُلِّ زَوْجٍ كَريم﴾.

(٣) في قوله تعالى: ﴿أفَلَمْ يروا إلى مَا بَيْنَ أيديهم وَمَا خلفهم من السَّماء والأرض﴾.

(٤) كما قال تعالى في سورة النمل: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المجرمين﴾ آية (٦٩).

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣]. خصَّ السَّاكن بالذِّكر دون المتحرك، لأن السَّاكنَ من المخلوقات، أكثرُ عدداً من المتحرّك.

أو لأن كل متحرك يصير إلى السُّكون، من غير عكس.

أو لأن السُكون هو الأصل، والحركةُ حادثةٌ عليه.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ ...﴾ [الأنعام: ١٤] الآية. خَصَّ الإِطعام بالذِّكر، لأن الحاجة إليه أتمُّ.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ...﴾ [الأنعام: ١٩].

إن قلتَ: كيف اكتُفي من النبي ﷺ في الجواب بقوله: «اللَّهُ شَهِيدٌ بَيني وبينكُم» مع أنَّ ذلك لا يكفي من غيره؟

قلتُ: لأنه قادرٌ على إقامة الحجة، على أنه شهيدٌ له، وقد أقامها بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩] بخلاف غيره لا يقدر على ذلك.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١] بدأ الآية هنا بالواو، وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وبدأها في يونس[١] بالفاء، وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

لأن ما قبلها ثَمَّ سببٌ لها، ومعطوفٌ بالفاء، ومذكورٌ فيه المجرمون، فناسب فيها ما ذكر، بخلاف ما هنا، فإن المتقدم فيه معطوف بالواو، ولم يُذكر فيه المجرمون.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. كذبوا في قولهم ذلك، مع معاينتهم حقائق الأمور، ظنًّا منهم أنهم يتخلَّصون به.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أظلمُ ممَّنِ افْتَرى على اللَّهِ كَذِباً أو كذَّبَ بآياتِهِ إنَّهُ لا يُفلحُ المُجْرمونَ﴾ يونس آية (١٧).

فإن قلت: كيف الجمعُ بين هذا وبين قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]؟

قلتُ: في القيامة مواقف مختلفة، ففي بعضها لا يكتمون، وفي بعضها يكتمون، بل يكذبون ويحلفون، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] مع قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

١١ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ...﴾ الآية [الأنعام: ٢٥]. قال هنا «يَسْتمعُ» بالإفراد، وفي يونس ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] بالجمع، لأنَّ ما هنا نزل في قوم قليلين، وهم «أبو سفيان» و «النَّضر بن الحارث» و «عتبة، وشيبة، وأمية، وأُبيّ بن خلف» فنُزِّلوا منزلة الواحد، فأُعيد الضميرُ على لفظ «مَنْ»[1]، وما في «يونس» نَزَل في جميع الكفار، فناسب الجمع، فأُعيد الضميرُ على معنى «مَنْ».

وإنما لم يُجمع ثَمَّ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣] لأن الناظرين إلى المعجزات، أقلُّ من المستمعين للقرآن.

١٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النار﴾. وفي أُخرى بعدها ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] لأنهم أنكروا وجود النَّار في القيامة، وجزَاءَ ربِّهم ونَكَاله فيها، فقال في الأولى «على النار» وفي الثانية ﴿إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي على جزاء ربِّهم، ونكاله في النَّار.

١٣ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]. قاله هنا بدون «نموت ونحيا» وفي «المؤمنون»[2] و«الجاثية»[3] به، لأنهم في

(١) الضمير إمَّا أن يعود على اللفظ، أو على المعنى، فلفظُ (مَنْ) مفرد، ولكن معناها الجمع، قال تعالى: ﴿**ومن يعمل من الصالحات.. فأولئك يدخلون الجنة**﴾ أعاد الضمير على المعنى.

(٢) في قوله تعالى: ﴿**إنْ هيَ إلَّا حياتنا الدُّنيا نموتُ ونحيا وما نحن بمبعوثين**﴾ المؤمنون آية (٣٧).

(٣) في قوله تعالى: ﴿**وقالوا ما هي إلَّا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يهلكنا إلَّا الدَّهرُ**﴾ الجاثية آية (٢٤).

القيامة قالوه بموقفٍ، ولم يقولوه بآخر، فأشار إلى الأمرين بما ذكر.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ...﴾ الآية [الأنعام: ٣٢]. قدَّم اللَّعب هنا وفي «القِتال» و «الحديد» وعكس في «الأعراف»[(١)] و «العنكبوت»[(٢)] لأن اللَّعب زمنُ الصِّبا، واللَّهو زمنُ الشباب، وزمنُ الصِّبا مقدَّمٌ على زمنِ الشباب، فناسبَ إعطاء المقدَّم للأكثر، والمؤخرَ للأقلّ.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]؟.

خصَّ المتَّقينَ بالذِّكر، مع أنّ غيرهم كذلك، لأنهم الأصل وغيرُهم تبعٌ لهم، وقرئ هنا «وللدَّارُ الآخرةُ» بلامَينِ ثانيهما مدغمةٌ في الدَّار، ورفع الآخرة بجعلها صِفةً للدار، وبإِضافة الدَّار إليها بلام واحدة، تبعاً لاختلاف المصاحف في ذلك. وفي «يوسف»[(٣)] بالوجه الثاني فقط تبعاً للمصاحف[(٤)].

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

إن قلتَ: كيف قال لمحمد ذلك[(٥)]، وهو أغلظُ خطاباً من قوله لنوحٍ ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] مع أنَّ محمداً ﷺ أعظمُ رتبةً؟

قلتُ: لأن نوحاً كان معذوراً بجهله بمطلوبه، لأنه تمسَّك بوعدِ اللَّه تعالى، في إنجاء أهله، وظنَّ أنَّ ابنه من أهله.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿الذين اتَّخذُوا دينهم لَهواً ولَعباً وغرَّتهمُ الحَياةُ الدُّنيا ..﴾ الأعراف آية (٥١).

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَما هذه الحياةُ الدنيا إلَّا لَهوٌ ولعبٌ وإِنَّ الدار الآخرة لهيَ الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ العنكبوت آية (٦٤).

(٣) في قوله تعالى: ﴿ولَدَارُ الآخرة خيرٌ للذين اتَّقَوْا أفلا تعقِلُونَ﴾ يوسف آية (١٠٩).

(٤) يريد الشيخ رحمه اللَّه أن في سورة الأنعام وردت القراءتان: ﴿ولَلدارُ الآخرةُ خيرٌ﴾ ﴿والدارُ الآخرةِ خيرٌ﴾ بخلاف ما جاء في سورة يوسف فهي بالإِضافة فقط.

(٥) هذا الأسلوب للتنبيه والتحذير، وليس للتوبيخ، والمراد تنبيه الرسول ﷺ من الغفلة والمعنى: لو أراد اللَّه هداية المشركين لهداهم إلى الإِيمان، فلا تكوننَّ يا محمد من الذين يجهلون حكمة اللَّه ومشيئته الأزلية، فالأسلوب إذاً أسلوب تحذيرٍ وتنبيه.

بخلاف محمد ﷺ لم يكن معذوراً، لأنه كَبُر عليه كفرُهم، مع علمه أنَّ كفرهم وإيمانهم بمشيئة اللَّه تعالى، وأنَّهم لا يهتدون إلَّا أن يهديهم اللَّه تعالى.

١٧ ـ قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

إن قلتَ: ما فائدة ذكره، مع أنه مفهوم من قوله قبله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ لأنهم إذا بعثوا من قبورهم، فقد رجعوا إليه بالحياة بعد الموت؟

قلتُ: ليس مفهوماً منه، لأن المراد به، وقوفهم بين يديه للحساب والجزاء، وهو غير البعث الذي هو إحياءٌ بعد الموت(١).

١٨ ـ قوْله تعالَى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ...﴾ [الأنعام: ٣٧]. وقع جواباً لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [لأنعام: ٣٧].

فإن قلتَ: لو صحَّ جواباً له، لصحَّ من كلِّ من ادَّعى النبوَّة، وطولب بآيةٍ أن يُجيب بذلك؟!

قلتُ: يلتزم ذلك إن تَثْبُتْ نُبوَّتُه بمعجزة، كما ثبت للنبي ﷺ بها، وإلَّا فلا يصحُّ الجوابُ بذلك.

١٩ ـ قوْله تعالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ...﴾ الآية [الأنعام: ٣٨]، فائدةُ ذكرِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بعد دابةٍ، مع أنها لا تكون إلَّا في الأرض، وذكرِ ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ التأكيدُ، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، أو زيادة التعميم والإِحاطة.

٢٠ ـ قوْله تعالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ...﴾ الآية [الأنعام: ٤٠]. أي أرأيتم آلهتكم تنفعكم إن أتاكم عذاب اللَّه؟! وقد جَمَع في هذه الآية ونظيرتها بعدُ(٢)، بين علامتيْ خطابِ «التاء» و «الكاف»، لمزيد الاهتمام للمراد، والذي هو الاستئصال بالهلاك، والتاءُ اسمٌ إجماعاً، والكافُ حرف خطابٍ عند البصريين.

---

(١) قوله: ﴿والموتى يبعثهم اللَّه﴾ لا يُراد بالموتى هنا الذين فارقوا الدنيا، إنما يراد بهم الكفار موتى القلوب، الذين لا يفقهون ولا يؤمنون، شبَّههم بالأموات لعدم انتفاعهم بآيات الذكر الحكيم.

(٢) في قوله تعالى بعدها: ﴿قل أرأيتكُمْ إنْ أَتاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بغتةً أو جَهرَةً هَلْ يُهلَكُ إلا القومُ الظالمونَ﴾ آية (٤٧).

٢١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢]. قال ذلك هنا، وقال في الأعراف «يَضَّرَّعُون» بالإدغام، لأن ههنا وافق ما بعده، وهو قولُه: ﴿ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ ﴾ [الأنعام: ٤٣] ومستقبلُ «تضرَّعوا» «يتضرَّعون» لا غيرُ.

٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦]. كرره طلباً للرغبة في إيمان المذكورين، إذِ التَّقديرُ: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ أي يعرضون عنها، فلا تُعرضْ عنهم، بل كرِّرْها لهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥] أي يفهمون.

وإنَّما ختَم الأولى بقوله: ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ والثانية بقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ لأن الإعراض عن الشيءِ، أقبحُ من عدم فهمه، فوُصِفوا بالأول في الآية الأولى؛ تَبَعاً لما وُصِفوا به قبلها من قسوة قلوبهم، ونسيانهم ما ذُكِّروا به وغيرهما، وذلك مفقودٌ في الثانية.

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ... ﴾[1] الآية [الأنعام: ٦٥]، كرَّر[2] فيها «لكم» لعدم ذكره قبلها وبعدها، ولم يكرِّره في آية هود[3]، اكتفاءً بذكره قبلها مرتين: في قوله: ﴿ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [هود: ٢٥] وقوله: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ ﴾ [هود: ٢٧] وبعدها مرَّة في قوله: ﴿ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤].

٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥]. تَرَكَ تعيينِ سبيلِ المؤمنين[4]، لعلْمِهِ من تبيينِ سبيلِ المجرمين.

٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ... ﴾

---

(١) كررت الآية في قوله تعالى: ﴿انظُرْ كيفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لعلَّهم يفْقَهُونَ﴾ الأنعام آية (٦٥).

(٢) التكرار واضحٌ في هذه الآية: ﴿قلْ لا أقولُ لكمْ عندي خَزَائنُ اللّهِ وَلَا أعلمُ الغَيبَ ولا أقولُ لكم إني مَلَكٌ﴾ الأنعام آية (٥٠).

(٣) في قوله تعالى: ﴿ولا أقولُ لكم عندي خزائنُ اللّهِ ولا أعلمُ الغيبُ ولا أقول إني مَلَكٌ . .﴾ هود آية (٣١).

(٤) أي كذلك نوضح الآية ونبينها، لتظهر طريق المؤمنين من طريق المجرمين، فاكتفى بأحدهما عن الآخر.

الآية [الأنعام: ٦٠]، أي كسبتم فيه، وخصَّ النهارَ بالذِّكر دون اللَّيل، لأن الكسبَ فيه أكثرُ، لأنه زمنُ حركة الإنسان، والليلُ زمنُ سكونه.

٢٦ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ...﴾ الآية [الأنعام: ٦٢]، أي مولى جميع الخلق، وهذا لا يُنافي قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] لأن المراد بالمولى هنا: المالكُ، أو الخالقُ، أو المعبودُ... وثَمَّ النَّاصِرُ.

٢٧ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ...﴾ الآية [الأنعام: ٧٣]، خصَّ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ بيوم القيامة، مع أنه لا يختصُّ به، لوجوده في الدنيا أيضاً، لأن ذلك اليوم، ليس لغيره تعالى فيه قولٌ يُرجع إليه، بل قولُه فيه هو الحقُّ الذي لا يدفعه أحدٌ من العباد، لانكشافِ الغِطاء فيه... ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٩] معَ أنَّ الأمَر له في كل زمان.

ومثلُ ذلك يأتي في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣] وأمَّا ملكُ غيره في الدنيا، فهو إنما يكون خِلافةً عنه، وهبةً منه وإنعاماً، بدليل قوله تعالى في حقِّ «داود» عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [لابقرة: ٢٥١].

٢٨ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ...﴾ الآية [الإنفطار: ٨٤].

إن قلتَ: كيف ذكَر في معرض الامتنان من أولاده «إسحاق» ولم يذكر معه «إسماعيل» بل أخَّره عنه بدرجاتٍ، مع أنه أكبرُ منه؟

قلتُ: لأن إسحاق وُهب له من حُرَّةٍ، وكانت عجوزاً عقيماً... وإسماعيل من أَمَةٍ(١)، فكانت المِنَّةُ في هبة إسحاقَ أظهرَ.

وقيل: لأن القصد هنا ذكرُ أنبياءِ بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولادُ إسحاق، وإسماعيلُ لم يخرج من صلبه نبيٌّ إلا محمدٌ ﷺ.

٢٩ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠] قاله هنا بدون تنوين، وفي يوسف(٢) بالتنوين، لأنه ذكر هنا قبلُ

(١) إسماعيل عليه السلامُ وُلد من (هاجر) وكانت أَمَةً، وأمَّا إسحاق فأمُّه (سارة) زوجة إبراهيم عليه السلام، وهي حُرَّة.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وما تسألُهم عليهِ من أجرٍ إن هو إلَّا ذكرٌ للعَالَمين﴾ يوسف آية (١٠٤).

قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأنعام: ٦٨] بلا تنوين، فناسب ذكرُه هنا كذلك.

٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩٢].

إن قلتَ: كيف قال في وصف القرآن ذلك، مع أن كثيراً ممن يؤمنُ بالآخرة، من اليهود، والنَّصارى وغيرهم، لا يُؤمن به؟!

قلتُ: معناه والذين يؤمنون بالآخرة إيماناً نافعاً مقبولاً، هم الذين يؤمنون به.

٣١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ الآية [الأنعام: ٩٣].

إن قلتَ: كيف أفرده بالذِّكر، مع دخوله في قوله قبلُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا . . .﴾؟ [سبأ: ٨].

قلتُ: إنَّما أفرده بالذُّكرِ، لأنه لمَّا اختصَّ بمزيد قبح، من بين أنواع الافتراء، خُصَّ بالذّكر، تنبيهاً على مزيد العقاب فيه والإثم.

٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩٥]، قال ذلك هنا، وقال في «آل عمران» و «يونس» و«الروم»: ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس: ٣١] بالفعل.

لأنَّ ما هنا وقع بعد اسم فاعل وهو «فالقُ» . . . وقبْلَ اسمَيْ فاعل وهما: فالق، وجاعلُ[(١)]، فناسَبَ ذكرُ «مُخْرِج» لكونه اسم فاعل، وخُصَّ بالإسم لتكرّر الإسمين بعده . . . وخصَّ «يُخرج الحيَّ» قبله بالفعل، إذْ لم يتقدَّمْه إلا اسمٌ واحدٌ.

وما في بقية السُّور، لم يقع قبله وبعده إلَّا أفعال، فناسب ذكرُه بالفعل.

٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩٨]. قاله هنا بلفظ «أنشأكم» وفي غير هذه السورة بلفظ «خلقكم» لأن

---

(١) هذا الذي أشار إليه الشيخ على غير قراءة حفص، أما قراءة حفص فقد جاءت بالفعل ﴿فالقُ الإصباح وجَعَلَ اللَّيلَ سكناً . .﴾ وليست باسم الفاعل «وجاعلُ الليل سكناً».

ما هنا موافقٌ لقوله قبله ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [المؤمنون: ٢١] ولقوله بعده ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١] بخلاف البقية[١].

٣٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

فائدة ذكر قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] فيها بعد قوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ جعلُه توطئةً لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وأما قولُه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ فإنما ذُكر استدلالاً على نفي الولد.

٣٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

إن قلتَ: كيف خصّ الأبصار في الثاني بالذكر، مع أنه تعالى يُدرك كل شيء؟!

قلتُ: خصّه بالذكر لرعاية المقابلة اللفظية، لأنها نوعٌ من البلاغة[٢].

٣٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا... ﴾ [الأنعام: ١١٤].

أن قلتَ: كيف قال: «إليكم» ولم يقل «إليَّ» مع أنه تعالى إنما قال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾؟ [المائدة: ٤٨].

قلتُ: لما كان إنزالُه لأجل تبليغهم، كان كأنه أُنزل إليهم.

٣٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قاله هنا بلفظ الرّب، وبعده بلفظ اللّه، لأنه هنا وقع بين آيات فيها ذكرُ الربِّ مرَّات، وما بعدُ وقع بعد آياتٍ فيها ذكرُ اللّهِ مرات، ولهذا ذكر لفظ «اللّه» قبلُ، في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [الأنعام: ١٠٧] وبعدُ، في قوله تعالى: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

٣٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

---

(١) نبّه المؤلف إلى أن لفظ «أنشأكم» إنما جاء هنا بخلاف سائر الآيات، لكمال التناسب والتناسق بين الآيات، حيث تقدمه لفظ إنشاء وهذا من أسرار القرآن البديعة.

(٢) يُسمّى هذا في علم البلاغة «طباق السّلب» وهو من المحسنات البديعية.

[الأنعام: ١١٧]. قال ذلك هنا بلا «باء» وبالمضارع، موافقة لقوله بعدُ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال: في «النَّحل»(١) و «النَّجم»(٢) و«نَ»(٣): «بمن ضل» بزيادة الباء وبالماضي، عملاً بزيادة الباء في مفعول «أعلم» تقويةً له لضعفه، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠] وعملاً في الماضي بكثرة الاستعمال في قولهم: أعلمُ بمن دبَّ وَدَرَجَ، وأحسنُ من قام وقعد، وأفضلُ من حجَّ واعتمر.

وحيثُ حُذِفتِ الباءُ، أُضمِر فعلٌ من مادة «عَلِمَ» يعملُ في المفعول، لضعف «أَعْلَمُ» عن العمل بلا تقوية، وتقديره في الآية: يعلم من يَضِلُّ.

٣٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. المزيِّنُ لهم هو اللَّهُ لقوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [النمل: ٤]. أو الشيطان لقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [النمل: ٢٤] وكلٌّ صحيحٌ، فالتزيينُ من اللَّه بالإِيجاد والخلق، ومن الشيطان بالإِغواء والوسوسة.

٤٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ الآية [الأنعام: ١٣٠].

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، والرسُلُ إنما كانت من الإِنسِ خاصةً؟!

قلتُ: بل ومن الجن أيضاً على قول الضحاك ومقاتل، أنه أُرسل إليهم رسل، وأمّا على قول غيرهما بمنع ذلك، فالمرادُ برسل الجنِّ، الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ، ثم ولَّوْا إلى قومهم منذرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ...﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩].

٤١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠] كرَّرَ شهادتهم على أنفسهم، لاختلافها

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلمُ بمن ضَلَّ عن سبيلِه وهو أعلمُ بالمُهتدين﴾ النحل آية (١٢٥).

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بمن اهتدى﴾ آية (٣٠).

(٣) في سورة نَ ﴿إن ربك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

باختلاف المشهود به، لأن الأولى شهادتُهم بتبليغ الرسل إليهم، والثانية شهادتهم بكفرهم.

فإن قلتَ: شهادتهم بكفرهم تضمَّنتْ إقرارهم به، وهو منافٍ لجحدِهم في قوله حكاية عنهم ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟!

قلتُ: مواقفُ القيامة مختلفة، ففي موقفٍ أقرُّوا، وفي آخر جحدوا.

أو المراد بشهادتهم: شهادةُ أعضائهم عليهم، حين يُختم على أفواههم، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. وبجحدهم: جحدُهم بأفواههم قبل أن يُختم عليها.

٤٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

قاله هنا وفي مواضع بالفاء، لأنه وقع جواباً بالأمرِ قبله.

وقال في أواخر «هود» بدون فاء[1]، لأنه لم يتقدّمْه أمرٌ، فصار استئنافاً، أو صفة لـ «عاملٌ» أي إني عاملٌ سوف تعلمون.

٤٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ . . .﴾ الآية [الأنعام: ١٤٠].

إن قلتَ: ما فائدتُه بعد قوله: «سَفَهاً» مع أن السَّفه لا يكون إلا بغيرِ علم؟!

قلتُ: معنى قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغير حُجَّة.

٤٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

فائدته بعد قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ أنهم بعد ما ضلُّوا، لم يهتدوا مرَّة أُخرى.

٤٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ . . .﴾ [الأنعام: ١٤١].

إن قلت: مافائدةُ ذكرِه بعد قوله: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ مع أنه معلومٌ أنه إنما يُؤكل من ثمره إذا أثمر؟

(١) أشار إلى قوله تعالى: **﴿ويا قوم اعملُوا على مكانَتِكُمْ إني عاملٌ سوف تعلمون من يأتيه عَذَابٌ يُخزيه﴾** سورة هود آية (٩٣).

قلتُ: فائدتُه نفيُ توهُّم توقُّف إباحة أكلِه، على بُدُوِّ صلاحه.

٤٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ الآية **[الأنعام: ١٤٥]**، أي لا أجد فيه محرَّماً، ممَّا كانوا يُحَرِّمونه في الجاهلية ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ إلى آخره، وإلَّا ففي القرآن تحريمُ أشياء أُخَرَ غيْرَ ذلك، كالرِّبا، وأكلِ مالِ اليتامى، ومالِ الغير بالباطلِ.

٤٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ **[الأنعام: ١٤٧]**.

فإن قلتَ: كيف قال في الجواب ذلك، مع أنَّ المحلَّ محلُّ عقوبة، فكان الأنسبُ أن يُقال: فقل ربُّكُمْ ذو عقوبة شديدة؟!

قلتُ: إنما قال ذلك نفياً للاغترار بسعة رحمته، في الاجتراء على معصيته، وذلك أبلغُ في التهديد، معناه: لا تغترُّوا بسعة رحمته[(١)]، فإنه مع ذلك لا يُرَدُّ عذابه عنكم.

٤٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ . . .﴾ الآية **[الأنعام: ١٤٨]**.

قال ذلك هنا، وقال في النحل: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ . . .﴾ **[النحل: ٣٥]**.

بزيادة: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مرتين، وزيادة «نَحْنُ».

لأن الإِشراك يدلُّ على إثبات شريكٍ لا يجوز إثباته، وعلى تحريم أشياء من دون اللَّه، فلم يحتجْ إلى «منْ دونِهِ» فحُذِفَ، وتبعَهُ في الحذفِ «نحن» طرداً للتخفيف.

بخلاف العبادة فإنها غيرُ مستنكرة، وإنما المستنكرُ عبادةُ شيءٍ مع اللَّه، ولا يدلُّ لفظُها على تحريم شيء، كما دلَّ عليه «أشرك» فلم يكنْ بُدٌّ من تقييده

---

(١) الأولى أن يُقال: إن هذا الأسلوب «أسلوب التعجب» قاله تلطُّفاً بهم، في دعوتهم إلى الإِيمان والمعنى: إن كذَّبك يا محمد هؤلاء اليهود، فقل متعجباً من حالهم: ربُّكم ذو رحمة واسعة، حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، مع شدة إجرامكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية عظيمة: ما أحلمَ اللَّهَ!! أي ما أحلمه على إمهاله للعاصي!!

بقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وناسب استيفاءُ الكلام فيه زيادةُ «نحن» وظاهرٌ أنَّ زيادة ذكرِ التحريم في آية ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ تصريحٌ بما أفاده لفظ «أشركنا».

٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الآية **[الأنعام: ١٥١]**، قال ذلك هنا، وقال في الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ **[الإسراء: ٣١]**.

قدَّم هنا المخاطبين على الغائبين، وعكسَ ثَمَّ، لأن ظاهر قوله هنا: «من إملاق» أي فقر، أن الإملاق حاصلٌ للوالِدَيْنِ المُخَاطَبَيْن، لا توقُّعُهُ فبدئ بهم، وظاهر قوله ثَمَّ ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ أن الإملاق متوقَّعٌ بهم وهم موسرون، فبُدئ بالأولاد، فما هنا يفيد النهي للآباء عن قتلِ الأولاد وإن تلبَّسوا بالفقر، وما هناك يُفيده وإن تلبَّسوا باليُسر.

٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ . . .﴾ الآية **[الأنعام: ١٥٢]**.

إن قلتَ: لم خصَّ العدل بالقول، مع أن الفعل إلى العدل أحوج، فإن الضَّررَ الناشئ من الجور الفعلي، أقوى من الضَّرر الناشئ من الجور القولي؟

قلتُ: إنما خصَّه بالقول، ليُعلم وجوب العدل في الفعل بالأولى، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ **[الإسراء: ٢٣]**.

٥١ ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **[الأنعام: ١٥١]**.

ختم: الآية الأولى بقوله: «تعقلون»، والثانية بقوله: «تذكرون»، والثالثة بقوله: «تتقون».

لأن الأولى: اشتملت على خمسة أشياء عظام، والوصيَّةُ فيها أبلغ منها في غيرها، فختمها بما في الإِنسان من أعظم السجايا وهو «العقل» الذي امتاز به على سائر الحيوان.

والثانية: اشتملت على خمسة أشياء يقبُحُ ارتكابُها، والوصيَّةُ فيها تجري مجرى الزجر والوعظ، فختمها بقوله: «تذكَّرون» أي تتعظون.

والثالثة: اشتملت على ذكرِ الصِّراط المستقيم، والتحريض على اتباعه، واجتناب مُنافيه، فختمها بالتقوى التي هي مَلَاكُ العمل، وخيرُ الزَّاد.

٥٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ...﴾ [الأنعام: ١٦٤]

إن قلتَ: هو منافٍ لنحو قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] ولخبر: «من عمل[١] سيئة فعليه وزرها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة»؟

قلتُ: لا منافَاة إذ الوزرُ في الآيةِ الأولى، محمولٌ على من لم يتسبَّبْ في الفعل بوجهٍ، وفيما عداها على من تسبَّب فيه بوجه كالأمر به، والدلالة عليه، فعليه وزرُ مباشرته له، ووزرُ تسبُّبه فيه.

٥٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ...﴾ الآية [الأنعام: ١٦٥]. قال ذلك هنا، وقال في «يونس»[٢] و«فاطر» ﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤] لأن ما ههنا تكرَّرَ قبلَه ذكرُ المخاطبين مراتٍ، فعرَّفهم بالإضافة، وما في السورتين جاء على الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

٥٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال في الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧] باللام في الجملتين، لأنَّ ما هنا وقع بعد قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ فأتى باللَّام المؤكدة في الجملة الثانية فقط، ترجيحاً للغُفران على سرعة العقاب.

وما هناك وقع بعد قوله: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

---

(١) الحديث رواه مسلم في قصة طويلة وفيه «ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة، كان عليه وزرها ووزرُ منْ عملَ بها من بعده، من غير أن يَنقصَ من أوزارهم شيء». رواه مسلم.

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأرضِ مِنْ بعدِهِمْ لننظُرَ كيفَ تعملون﴾ سورة يونس آية (١٤).

وقوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] فأتى باللَّام في الجملة الأولى، لمناسبة ما قبلها، وفي الثانية تَبَعاً للَّام في الأولى.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ مع أنه حليمٌ، والحليمُ لا يُعَجِّل بالعقوبة على من عصاه؟!

قلتُ: معنى «سريع» شديدٌ، أو المعنى سريعُ العقاب إذا جاء وقته.

«انتهت سورة الأنعام»

* * *

سورة الأعراف

١ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]. أي ضيق من الكتاب أن تبلِّغه مخافة أن تُكذَّب، والنَّهيُ في اللفظ للحرَج، والمرادُ المخاطبُ، مبالغةً في النهي عن ذلك، كأنه قيل: لا تتسبَّبْ في شيء ينشأ منه حرجٌ، وهو من باب «لا أرينَّك ههنا» النهيُ في اللفظ للمتكلِّم، والمرادُ المخاطبُ، أي لا تكن بحضرتي فأراك، ومثلُه ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [طه: ١٦].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] أي أردنا إهلاكها[١].

٣ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨] جَمَع ميزان القيامة مع أنه واحدٌ، باعتبار تعدُّد ما يُوزن به من الأعمال، أو باعتبار أنه يقوم مقام موازين كثيرة، لأنه يميز الذَّرة وما هو كالجبال.

فإن قلتَ: الأعمالُ أعراضٌ فكيف تُوزن؟!

قلتُ: يصيِّرها اللَّهُ أجساماً، أو الموزون صحائفُها[٢].

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ﴾

---

(١) إنما فسَّرها بذلك لأنه جاء بعدها قوله: ﴿**فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون**﴾ أي فجاءها عذابنا ليلاً، أو وقت الراحة ظهراً عند القيلولة، ولو هَلَكتْ قبلُ لما أفاد نزول العذاب.

(٢) ليس هناك شيءٌ غريب وعجيب على قدرة اللَّه، فإن اللَّه تعالى يزن أعمال العباد بالميزان العادل الدقيق كما قال تعالى: ﴿**إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة**﴾ وإذا كان الإنسان في عصرنا استطاع بواسطة الآلات الدقيقة، والمخترعات الحديثة ـ أن يزن حرارة الجسم، وحرارة الجوّ، وأن يزن مقدار ضغط الدم في جسم الإنسان، بكل دقة متناهية، فكيف يعجز اللَّه عن وزن أعمال العباد يوم القيامة، فالواجب التسليم في أمثال هذه الأخبار للحكيم العليم!!

[الأعراف: ١١]. أتى بـ﴿ثُمَّ﴾ الثانية وهي للترتيب، مع أنَّ الأمر بالسجود لآدم، كان قبل خلقنا وتصويرنا. لأن ﴿ثُمَّ﴾ هنا للترتيب الإِخباري، أو لتفاوت ما بين نعمتَي السجود له وما قبله، لأن السجود له أكمل إحساناً، وأتمّ إنعاماً مما قبله.

أو المراد: ولقد خلقنا أباكم ثم صوَّرناه[١]؛ بحذفِ مضافٍ.

٥ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الآية [**الأعراف**: ١٢]، قال ذلك هنا، وقال في الحِجْر: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [**الحجر**: ٣٢].

وفي (ص): ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [**ص**: ٧٥] بزيادة ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ﴾ فيهما.

لأن خطابه هنا قَرُبَ من ذكره، فحسن حذفُ ذلك، وفي تيْنِك لم يَقْرُبْ منه قربه هنا، فحسُن ذكره.

وأما قولُه هنا وفي ص «منعك» وفي الحِجْر «مالك»؟ فتفنُّنٌ، جرياً على عادة العرب في تفنُّنهم في الكلام.

وقولُه: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ قال ذلك بزيادة «لا» كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [**الحديد**: ٢٩] وقال في «ص» بحذفها، وهو الأصلُ، فزيادتها هنا لتأكيد معنى النَّفي في «منعك».

أو لتضمين «منعك» حَمَلَك، وهي على الثاني ليست زائدةً في المعنى.

٦ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [**الأعراف**: ١٣] أي في السماء... خصَّها بالذِّكر لأنها مقرُّ الملائكةِ المطيعين، الذين لا يعصون اللَّهَ، وإلّا فليس لإِبليس أن يتكبَّر في الأرضِ أيضاً.

٧ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [**الأعراف**: ١٣] قاله هنا بحذف الفاء، موافقةً لحذف ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ﴾ هنا. وقال في «الحِجْر»[٢] و«صَ»[٣] بذكرها،

---

(١) هذا القول أرجح أي خلقنا أباكم آدم ثم صورناه أبدع تصوير، وجاء بصيغة الجمع **﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾** تكريماً لآدم وذريته، فإن النعمة على الآباء نعمةٌ على الأبناء.

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة الحجرِ: **﴿قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾**.

(٣) وأشار إلى قوله تعالى في سورة صَ **﴿قالَ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون. قالَ فإنك من المنظرين﴾** آية (٨٠).

موافقة لذكره ثَمَّ، لما تضمَّنه النداء من «أدعوك» وأناديك، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥] قاله هنا بحذف الفاء موافقةً لحذفها في السؤال هنا.

وقال في «الحجر» و«صَ» بذكرها موافقةً لذكرها فيه ثَمَّ.

فإن قلتَ: كيف أُجيبَ إبليس إلى الإنظار، مع أنه إنما طلبه ليُفسد أحوال عباد اللَّهِ تعالى؟!

قلتُ: لما في ذلك من ابتلاء العباد، ولما في مخالفته من أعظم الثواب.

٩ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]. قال ذلك هنا بالفاء، وبالحِجْر[(١)] بحذفها، مع اتفاقهما في مدخول الباء.

وقال: في صَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢] بالفاء، مع مخالفته لتيْنك في مدخول الباء. لأنَّ «الفاء» وقعت هنا في محلها، وفي «صَ» لأنها متسببة عما قبلها، ولا مانع فحسنت، ولم تحسُن في «الحجْر» لوقوع النِّداء ثَمَّ في قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩] والنداء يُستأنف له الكلام ويُقطع، والـ «باءُ» في المواضع الثلاثة للسببيَّة، أو للقَسَم، وما بعدها في «صَ» موافقٌ لما بعدها في غيرها في المعنى، وإن خالفه لفظاً، فلا اختلاف في الحقيقة، إذ غَوَى اللَّهِ للشيطانِ يتضمَّنُ عزَّته تعالى.

١٠ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ....﴾ [الأعراف: ٢١] اللَّام فيه «لامُ العاقبة» والصَّيرورة، لا «لام كيْ»، لأن الغرض إخراجهما من الجنَّة، لا كشف عورتهما[(٢)]، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: **﴿قال ربِّ بما أغويتني لأزيننَّ لهمْ في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾** الحجر آية (٣٩).

(٢) قد يكون هدف «إبليس» هو كشف عورتهما، حتَّى يمنع عنهما رحمة اللَّه، فإن التكشف والتعرّي سببٌ لسخط اللَّه وغضبه، وإبليس عليه اللعنة لا يريد الخير لبني آدم كما قال تعالى: **﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾** وهذا ما يفعله في هذا الزمان بالنساء أعوان الشيطان من دُعاة الضلال.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وقول الشاعر:

لِدُوا لِلْمَوْتِ وابْنُوا لِلْخَرَاب فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إلى التُّراب

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . . .﴾ [الأعراف: ٢٩].

أن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنه تعالى بدأنا أوّلاً نطفةً، ثم عَلَقة، ثم مضغةً، ثم عظاماً، ثمّ لحماً، ونحن نعودُ بعد الموتِ كذلك؟

قلتُ: معناه: كما بدأكم من تُراب، كذلك تعودون منه!! أو كما أوجدكم بعد العدم، كذلك يعيدكم بعده. . . فالتشبيهُ في نفسِ الإِحياءِ والخلق، لا في الكيفيَّة والترتيب.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ . . .﴾ الآية [الأعراف: ٣٢].

أنْ قلتَ: كيف أخبر عن الزِّينة والطيِّبات، بأنهما للذينَ آمنوا في الحياة الدنيا، مع أنَّ المشاهدَ أنهما لغير الذين آمنوا أكثر وأدوم؟

قلتُ: في الآية إضمارٌ تقديره[(١)]: قل هي للذين آمنوا غير خالصةٍ في الحياة الدنيا[(٢)]، خالصةٌ للمؤمنين يوم القيامة.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. قاله هنا وفي سائر المواضع بالفاء، إلّا في «يونس» فبحذفِها[(٣)]، لأن مدخلوها في غير يونس، جملةٌ معطوفةٌ على أخرى، مصدَّرة بالواو، وبينها اتِّصالٌ وتعقيبٌ، فحسُنَ الإتيان بالفاء، الدالة على التعقيب، بخلاف ما في يونس.

وقولُه في الآية ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ معطوفٌ على الجملة الشرطية[(٤)]، لا على جواب الشرط، إذْ لا يصحُّ ترتُّبه على الشرط. . .

---

(١) سقط من المخطوطة لفظ «تقديره» وهي في المصوَّرة مذكورة.

(٢) أقول: لا يُحتاج إلى هذا التأويل، فإن قوله: ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ متعلقة بآمنوا، والمعنى: قل هي لهؤلاء المؤمنين الذين آمنوا في الدنيا، خالصة لهم يوم القيامة، لا يشاركهم فيها غيرهم، بخلاف الدنيا فإن البرَّ والفاجر يشتركون فيها، والله أعلم.

(٣) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**لكلّ أمةٍ أجلٌ إذا جاء أجلُهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون**﴾ يونس آية (٤٩).

(٤) أي لا يتقدم أجل وفاتهم ولا يتأخر برهةً من الزمن.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الميراث هو ما ينتقل من ميِّتٍ إلى حيٍّ، وهو مفقودٌ هنا؟!

قلتُ: بل هو تشبيهُ أهل الجنة وأهل النَّار، بالوارث والموروث عنه، لأن اللَّه خلق في الجنَّة منازل للكفار، بتقدير إيمانهم، فمن لم يُؤمن منهم، جُعل منزلُه لأهل الجنة.

أو لأنَّ دخول الجنة، لا يكون إلَّا برحمة اللَّه تعالى لا بعمل[1]، فأشبه الميراثَ، وإن كانت الدرجاتُ فيها بحسب الأعمال.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ﴾ الآية [الأعراف: ٤٥]. قال ذلك هنا، وقال في هود[2] ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩] لأنَّ ما هنا جاء على الأصل، وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدَّم «بالآخرة» رعايةً للفواصل.

وما في هود، وقع بعد قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] والقياسُ عليهم، فلمَّا عَبَّر عنهم بالظَّالمين، التبسَ أنهم همُ الذين كَذَبوا على ربِّهم أم غيرهُم، فقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩] ليُعلم أنهم هم المذكورون لا غيرُهم.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٦]، أي بعد أن أصلحها اللَّهُ، بالأمر بالعدلِ، وإرسالِ الرسل، أو بعد أن أصلح اللَّهُ أهلَها، بحذف مضاف.

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٧].

قاله هنا وفي «الروم» بلفظ المضارع.

---

(١) أشار المؤلف رحمه اللَّه إلى قول النبي ﷺ: «لن يُدخل أحدَكُمْ عَمَلُه الجنةَ، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّهُ برحمةٍ منه وفضل» رواه الترمذي.

(٢) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عن سبيلِ اللَّهِ ويبغونها عِوَجاً وهم بالآخرة هم كافرون﴾ سورة هود آية (١٩).

وقال في «الفرقان»[1] و«فاطر»[2]: أرسل بلفظ الماضي.

لأنَّ ما هنا تقدَّمه ذكرُ الخوف والطَّمع، في قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦] وهما للمستقبل.

وما في الروم[3]، تقدَّمه التعبيرُ بالمضارع مرَّاتٍ، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ الآية [الروم: ٤٦]، فناسب ذكرُ المضارع فيهما.

وما في «الفرقان» تقدَّمه التعبيرُ بالماضي مرَّاتٍ، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] وتأخر عنه ذلك في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ الآية [الفرقان: ٥٣].

وما في «فاطر» تقدَّمه في أولها «فاطر» و«جاعل» وهما بمعنى الماضي، فناسب ذكرُ الماضي في السورتين.

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٨].

قاله هنا بغير واو، وقاله في «هود» و«المؤمنين» بواو، لأنَّ ما هنا مستأنفٌ لم يتقدَّمه ذكرُ نبيٍّ، وما في هود تقدَّمه ذكرُ الأنبياء مرَّةً بعد أخرى، وما في المؤمنين تقدَّمه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧] وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢] وكلُّها بالواو، فناسب ذكرها فيهما.

١٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦ ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٩].

قاله هنا في قصة «نوح» و«هود» بلا فاء، لأنه خرج مخرج الابتداء، وإن تضمَّن الجواب، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢] بعد قوله: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢].

وقاله في «هود»[4] و«المؤمنين»[5] بالفاء، لأنه وقع جواباً لما قبله، فناسبتْه الفاء.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وهو الذي أرسلَ الرياح بُشْراً بين يدي رحمته ..﴾، الفرقان آية (٤٨).

(٢) في قوله تعالى: ﴿واللَّهُ الذي أرسلَ الرياح فتثيرُ سَحَاباً ..﴾ سورة فاطر آية (٩).

(٣) في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الذي يرسلُ الرياح فتثيرُ سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ..﴾، الروم آية (٤٨).

(٤) أشار إلى قوله تعالى: ﴿فقال الملأُ الذينَ كفروا مِنْ قومه ما نراك إلَّا بشراً مثلنا﴾.

(٥) أشار إلى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الملأُ الذين كفروا من قومِهِ ما هَذا إلَّا بشرٌ مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ آية (٢٧).

فإن قلتَ: كيف وصف الملأ بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأعراف: ٦٦] في قصة هود، دون قصة نوحٍ عليهما الصلاة والسَّلام؟!

قلتُ: لأنه كان قد آمنَ بهودٍ بعضُهم، فلم يكونوا كلهم قائلين له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦] بخلاف قوم نوحٍ، فإنه لم يكن فيهم من آمن به إذ ذاك.

وَنُقِضَ: بأنه تعالى، وصف أيضاً الملأ من قوم نوحٍ بالكفر في سورة هود.

وأُجيب: بجواز كون هذا القول وقع مرتين، المرة الثانية بعد إيمان بعضهم، بخلاف المَّرة الأولى.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: في قصة نوح ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ . . .﴾ [الأعراف: ٦١]. قال فيها بلفظ المضارع في الجملة الثانية، مناسبة للمضارع في الأُولى، كما عطف الماضي على الماضي في قوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[1] [الأعراف: ٩٣].

وقاله في قصة هود بلفظ اسم الفاعل[2]، مناسبةً لاسم الفاعل قبله في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦] وبعده في قوله «أمينٌ».

وعبَّر في قصة «نوح» و«هود» بالمضارع في الجملة الأولى، وفي قصة «صالح»[3] و«شُعَيب»[4] بالماضي فيهما، لأن ما في الأَوَّلَيْن وقع في ابتداء الرسالة، وما في الآخَرَيْن وقع في آخرها.

٢١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ **[الأعراف: ٧٨]**.

---

(١) سورة الأعراف آية (٩٣) وتتمة الآية: **﴿فكيف آسَى على قوم كافرين﴾**.

(٢) أشار إلى قوله تعالى: **﴿أبلغكم رسالاتِ ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين﴾** الأعراف آية (٦٨).

(٣) أشار إلى قوله تعالى في قصة صالح: **﴿فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالةَ ربِّي ونصحتُ لكم ولكنْ لا تحبون الناصحين﴾** الأعراف آية (٧٩).

(٤) أشار إلى قوله تعالى في قصة شعيب: **﴿فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات رَبِّي ونصحتُ لكم فكيف آسى على قومٍ كافرين﴾** الأعراف آية (٩٣).

قاله هنا مرتين[١]، وفي العنكبوت مرَّةً، بالإِفراد.

وقال في «هود» ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧] مرتين بالجمع لأن ما في المواضع الأُوَل، تقدَّمه ذكرُ الرَّجعة أي الزلزلة، وهي تختصُّ بجزءٍ من الأرض، فناسبها الإِفراد. وما في الأخيرين، تقدَّمه ذكرُ الصَّيْحة، وكانت من السَّماء، وهي زائدةٌ على الرجفة، فناسبها الجمعُ.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: في قصة صالح: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٧٩] قال ذلك فيها بالتوحيد[٢]، وقاله في قصة شعيب بالجمع..

لأن ما أمر به شعيبٌ قومَه من التوحيد، وإيفاء الكيل، والنَّهي عن الصدِّ، وإقامة الوزنِ بالقسط، أكثرُ ممَّا أمرَ به صالحٌ قومه.

أو لأن شعيباً: أُرسل إلى أصحاب الأيكة، وإلى مدين، فجُمعَ باعتبار تعدُّد المرسَل إليهم.. و«صالح» عليه السلام وحَّد باعتبار الجنس.

فإن قلتَ: كيف قال صالح لقومه، بعدما أخذتهم الرجفةُ وماتوا: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٧٩] الآية، ومخاطبةُ الحيِّ للميْت لا فائدة فيه؟

قلتُ: بل فيه فائدة، وهي نصيحة غيره، فإن ذلك يُستعمل عُرفاً فيما ذكر، لأن من نصح غَيْرَه، فلم يَقبل منه حتى قُتل، ويراه ناصحُه فإنه يقول له: كم نصحتُك فلم تقبل حتى أصابك هذا!! حثّاً للسَّامعين له، على قبولهم النصيحة[٣].

٢٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

---

(١) أي في سورة الأعراف وردت الآية مرتين بالإِفراد في لفظ «دارهم» مرَّة في قصة صالح: ﴿**فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين**﴾ آية (٧٨) ومرة في قصة شعيب ﴿**فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين**﴾ آية (٩١).

(٢) أي بالإِفراد: ﴿**رسالةَ ربي**﴾ في قصة صالح، وأما في قصة شعيب فقد جاءت بالجمع ﴿**رسالاتِ ربي**﴾ وقد بيَّن المصنف رحمه الله السرَّ في ذلك.

(٣) هذا كما قال النبي ﷺ لقتلى المشركين عندما أُلقوا في القليب ببدر: يا فلان ويا فلان، يناديهم بأسمائهم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقاً.. القصة.

عبَّر هنا بلفظ السَّرف والإِسم، وفي «النَّمل» بلفظ الجهل والفعل[١] تكثيراً للفائدة في التعبير عن المراد، بلفظيْن متساوييْن معنىً، إذْ كلُّ سَرَفٍ جهلٌ، وبالعكس، ورعايةً للفواصل في التعبير بالإِسم والفعل، إذِ الفواصلُ هنا أسماء وهي: «العالمين، المرسلين، النَّاصحين» إلى آخرها.

وفي النَّمل أفعال وهي: «يعلمون، يتقون، يبصرون» فناسب الإِسم هنا، والفعلُ ثَمَّ.

٢٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ . . .﴾ [الأعراف: ٨٢] قاله هنا بالواو، وفي «النمل»[٢] وفي «العنكبوت»[٣] في الموضعيْن بالفاء.

لأن ما هنا تقدَّمه اسمٌ هو «مُسْرِفون» والاسم لا يناسبه التعقيبُ، وما في تَيْنِكَ تقدَّمه فعلٌ، هو «تجهلون» و«تقطعون» و«تأتون في ناديكُمُ المنكر»، والفعل يناسبُه التعقيبُ، فناسبَ ذكرُ الفاءِ الدَّالة عليه ثَمَّ، وذكرُ «الواو» هنا.

٢٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ . . .﴾ [الأعراف: ٨٨]. فيه تغليبُ الجمعِ على الواحد، إذ منهم شعيبٌ، ولم يكن في ملَّتهم حتى يعود إليها، وكذا قولَ شعيب: ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩] على أن «عادَ» تأتي بمعنى صار، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] والمعنى: إن صرنا في ملَّتكم.

٢٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ . . .﴾ [الأعراف: ١٠٠].

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**أئنكمْ لتأتون الرجال شهوةً من دونِ النساء بل أنتم قومٌ تجهلون**﴾ النمل آية (٥٥).

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**فما كانَ جوابَ قومِهِ إلّا أنْ قالُوا أخرجُوا آلَ لوطٍ من قريتكُمْ**﴾ النمل آية (٥٦).

(٣) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**فَمَا كَانَ جوابَ قومِهِ إلّا أنْ قالوا آئتِنَا بعذابِ اللّهِ إنْ كنتَ مِنَ الصَّادقين**﴾ العنكبوت آية (٢٩).

قاله هنا بحذف المعمول وهو «به».. وفي «يونس»[1] بإثباتِه تَبَعاً لما قبلهما في الموضعين.

إذْ قبلَ ما هنا ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقبل ما في يونس: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [آل عمران: ١١] بإثباته.

٢٧ ـ قَوْله تَعالَى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]. مع قوله بعدُ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

قاله هنا أولاً بالنون، وإضمار الفاعل، وثانياً بالياء وإظهار الفاعل، وقال في «يونس» بالنون والإضمار[2].. لأن الآيتين هنا تقدمهما الأمران: الياء مع الإظهار مرتين في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] والنون مع الإضمار في قوله: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] فناسب الجمعُ بين الأمرين هنا.

والآية ثَمَّ تقدَّمها النونُ مع الإضمار فقط، في قوله: «فنجيناهم» «وجعلناهم» «ثم بعثنا» فناسبَ الاقتصار على النون مع الإضمار ثَمَّ.

٢٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦].

إن قلتَ: لم قال فرعون هذا، بعد قوله: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾؟

قلتُ: معناه إن كنت جئتَ بآيةٍ من عند الله فأتني بها.

فإن قلتَ: كيف قال تعالى هنا حكايةً عن السَّحرة الذين آمنوا وعن فرعون ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦] ثم حكى عنهم هذا في «طه» و«الشعراء» بزيادةٍ ونقصان، واختلاف ألفاظٍ في الألفاظ المنسوبة إليهم، والقصةُ واحدة، فكيف اختلفت عبارتهم فيها؟

قلتُ: حكى الله ذلك عنهم مراراً، بألفاظ متساويةٍ معنى، جرياً على عادة

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**ثم بعثنا من بعده رُسُلاً إلى قومِهم فجاءوهُمْ بالبيِّناتِ فما كانُوا ليؤمنُوا بما كذَّبوا بِهِ من قبلُ كذلكَ نَطبعُ على قُلُوبِ المعتدين**﴾ يونس آية (٧٤).

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**كذلك نطبع على قلوب المعتدين**﴾ يونس آية (٧٤).

العرب في التفنُّن في الكلام، والحذفِ في محلٍ، إحالةً على ذكره في محلٍ آخر، وإنما خولف في ذلك، لئلا يُملَّ إذا تمحَّض تكراره.

والحكمةُ في تكرار قصة موسى وغيرها من القصص، تأكيدُ التحدي، وإظهارُ الإعجاز، ولهذا سمَّى اللَّه القرآن «مثاني» لأنه تُثنَّى فيه الأخبارُ والقصص، أو إفادة الغائب عن المرَّة السابقة، فقد كان أصحابُ النبي ﷺ يحضرُ بعضُهم، ويغيبُ بعضُهم في الغزوات، فإذا حضر الغائبون، أكرمهم اللَّه تعالى بإعادة الوحي، تشريفاً لهم.

٢٩ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

إن قلتَ: كيف نسبَ القول هنا للملأ، ونسبه في الشعراء لفرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾؟ [الشعراء: ٣٤].

قلتُ: قاله فرعون وهم، فحكى قوله ثَمَّ، وقولهم وحدهم أو معه هنا.

٣٠ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]. قاله هنا بحذف «بسحره» وقاله في الشعراء بإثباته[١]، لأن الآية هنا بُنيتْ على الاختصار، ولأن ما قبل الآية هنا وهو «لساحرٌ عليمٌ» يدلُّ على السحر، بخلاف الآية ثَمَّ.

٣١ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١] قاله هنا بلفظ «وأرسل» وفي الشعراء بلفظ «وابعث»[٢] وهما بمعنى واحد، تكثيراً للفائدة في التعبير عن المراد، بلفظيْن متساوييْن معنًى.

٣٢ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]. قاله هنا وفي «يونس» بلفظ «ساحر» موافقةً لما قبله، وهو ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ هنا، و«إنه لا يفلح الساحرون» في يونس.

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**قال للملأ حوله إن هذا لسَاحرٌ عليمٌ. يريد أن يخرجكمْ من أرضكمْ بسحرِهِ فماذَا تأمرون**﴾ الشعراء آية (٣٤).

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاه وابعَث في المَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾ الشعراء آية (٣٦).

وقرئ «بكل سَحَّار» موافقة لما في الشعراء[١].

٣٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ . . .﴾ [الأعرف: ١٢٣]. قاله هنا بلفظ «به» وقال في طه والشعراء بلفظ «له». لأن الضمير هنا عائدٌ إلى ربِّ العالمين، وفي تَيْنِكَ إلى موسى، لقوله فيهما «إنه لكبيركم».

وقيل: «آمنتم به» و«آمنتم له» واحد.

٣٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

إن قلتَ: كيف سمَّوْا ذلكَ آيةً مع قولهم: ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾؟!.

قلتُ: إنما سمَّوه آيةً استهزاءً بموسى، لا اعتقاداً أنه آية.

٣٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

إن قلتَ: ما الجمعُ بينه وبين قوله في الشعراء: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾؟ [الشعراء: ٥٧] الآية.

قلتُ: معنى «دمَّرنا» أبطلنا ما كان يصنع فرعون وقومه، من المكر والكيد بموسى عليه السلام ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ يبنون من الصرح، الذي أمر فرعون هامانَ ببنائه، ليصعد بواسطته إلى السَّماء.

وقيل: هو على ظاهره من أنَّ معنى «دمَّرنا» أهلكنا، لأن اللَّه تعالى أورث ذلك بني إسرائيل مدَّة، ثمَّ دمَّره.

٣٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

أي نعمةٌ عظيمةٌ، إن جعلتَ الإشارة راجعة إلى الإنجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٤١].

أو محنةٌ عظيمةٌ، إن جعلتَ الإشارة راجعة إلى قتل الأبناء، واستحياءِ النساء[٢]،

---

(١) في قوله تعالى: ﴿يأتوكَ بِكلِّ سحَّارٍ عليم﴾ الشعراء آية (٣٧).

(٢) القول الثاني أرجح أن فيها محنة عظيمةً، وابتلاءً كبيراً لهم لأمرين: أولاً: أن المحنة =

في قوله تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]. إذِ البلاءُ بين «النعمة» و«المحنة» قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف:١٦٨] وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ...﴾ [الأعراف: ١٤٢] الآية.

فإن قلتَ: المواعدةُ كانتْ أمراً بالصَّومِ في هذا العدد، فكيف ذكرَ الليالي مع أنها ليست محلاً للصوم؟!

قلتُ: العربُ في أغلب تواريخها، إنما تذكرُ الليالي، وإن أرادت الأيام، لأنَّ الليل هو الأصلُ في الزمان، والنَّهار عارضٌ، لأن الظُّلمة سابقةٌ في الوجود على النور، مع أن الليل ظرف لبعض الصوم وهي النيَّة، التي هي ركنٌ فيه.

٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ...﴾ [الأعراف: ١٤٢].

إن قلتَ: ما فائدتُه مع علمه ممَّا قبله؟

قلتُ: فائدتُه التوكيد، والعلمُ بأن العشر ليالٍ، لا ساعات، ورفعُ توهُّم أن العشر داخلةٌ في الثلاثين، بمعنى أنها كانت عشرِين وأُتمَّت بعشر.

٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي أنا أول من آمن من بني إسرائيل في زمني.

أو بأنك لا تُرى في الدنيا بالحاسَّة الفانية.

٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] «بأحسنها» أي التوراة.

إن قلتَ: كيف قال «بأحسنها» مع أنهم مأمورون بجميعِ ما فيها؟

قلتُ: معنى «بأحسنها» بحسَنها وكلُّها حسنٌ.. أو أُمروا فيها بالخير، ونُهوا عن الشرِّ، وفعلُ الخير أحسنُ من ترك الشرِّ، أو أن فيها حسناً وأحسن، كالقَوَد والعفو، والانتصار والصبر، والمأمور به والمباح، فأُمروا بما هو الأكثر ثواباً.

= بالبلاء أشدُّ وأعظم على النفس من المحنة بالنعماء، **وثانياً**: لأن الإِشارة تعود إلى أقرب المذكورَيْن، وهو هنا تقتيل الأبناء واستحياء النساء والله أعلم.

٤١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ . . .﴾ [الأعراف: ١٤٨] ليس المرادُ من بعد زمنِ موسى، لأن اتخاذ قومه ذلكَ إنما كان في زمنه، بل المرادُ من بعد ذهابه إلى الجبل، أو من بعد عهده إليهم أن لا يعبدوا غير اللّه.

٤٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٤٩] أي ندموا على عبادتهم العجل.

إن قلتَ: كيف عبَّر عن الندم بالسُّقوط في اليد؟

قلتُ: لأن عادة من اشتدَّ ندمه على فائتٍ، أن يعضَّ يده غمّاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] فتصيرُ يده مسقوطاً فيها، لأن فاه قد وقع فيها.

٤٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا . . .﴾ [الأعراف: ١٥٠] الآية.

إن قلتَ: يعني غضبانَ عن أسف؟

قلتُ: لا، لأنَّ «الأسِفَ» الحزينُ، وقيل: الشديدُ الغضب.

٤٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. الجملة الثانية فيها حالٌ من الألواح، والمعنى: أخذ الألواحَ، والحالُ أن فيما نُسِخَ فيها ـ أي كُتب ـ هُدىً ورحمة.

٤٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي اتبعوا القرآن الذي أُنزل معه ـ أي النبي ـ ﷺ.

فإن قلت: القرآن لم ينزل مع النبي، بل عليه، وإنما نزل مع جبريل؟!

قلتُ: «معه» بمعنى مقارناً لزمنه، أو بمعنى عليه، أو هو متعلقٌ باتَّبعوا أي اتبعوا القرآن كما اتَّبعه هو، مصاحبينَ له في اتباعه.

٤٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] خصَّ الصلاة بالذكر، مع دخولها فيما قبلَها، إظهاراً لمرتبتها، لكونها عمادَ الدين، وناهيةً عن الفحشاء والمنكر.

٤٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ...﴾ [الأعراف: ١٧٦] الآية.

فإن قلتَ: هذا تمثيلٌ لحال «بلعام»[1] فكيف قال بعده ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الأعراف: ١٧٧] ولم يُضرب إلَّا لواحد؟

قلتُ: المَثَلُ في الصُّورة وإن ضُرب لواحد، فالمرادُ به كفَّارُ مكة كُلُّهم، لأنهم صنعوا مع النبي ﷺ، بسبب ميلهم إلى الدنيا، من الكيد والمكر، ما يُشبه فعل «بلعام» مع موسى.

أو أنَّ ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ راجعٌ إلى قوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] لا إلى أول الآية.

٤٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ...﴾ [الأعراف: ١٧٩].

إن قلتَ: كيف جمع بين الأمرين؟

قلتُ: المراد بالأول تشبيههم بالأنعام، في أصل الضلال لا في مقداره، وبالثاني في بيان مقداره. **وقيل**: المرادُ بالأول التشبيه في المقدار أيضاً، لكنْ المرادُ به طائفة، وبالثاني أخرى، ووجهُ كونهم أضلَّ من الأنعام، أنها تنقاد لأربابها، وتعرف من يُحسنُ إليها، وتجتنبُ ما يضرُّها.. وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم، من إساءة الشيطان، الذي هو عدوُّهم.

٤٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إن قلتَ: كيف خصَّ المؤمنين بالذِّكرِ، مع أنه نذيرٌ وبشيرٌ للنَّاس كافة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؟ [سبأ: ٢٨].

قلتُ: خصَّهم بالذِّكر، لأنهم المنتفعون بالإنذار والبشارة.

٥٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ...﴾ [الأعراف: ١٨٩] الآية.

إن قلتَ: كيف قال عن «آدم وحواء» ذلكَ، مع أن الأنبياء معصومون عن مطلق الكبائر، فضلاً عن الشِّرك الذي هو أكبرُ الكبائر؟!

---

(١) هو «بلعام بن باعوراء» وقيل: بلعم، من علماء بني إسرائيل، وهو مثلٌ لعالم السوء، الذي باع دينه طمعاً في حطام الدنيا، فضرب الله له مثلاً بالكلب اللاهث في حالتيّ التعب والراحة.

قلتُ: فيه حذفُ مضافٍ، أي جعل أولادُهما[١] شركاءَ له ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] أي آتى أولادهما، بقرينة قوله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] بالجمع. **ومعنى** إشراك أولادهما فيما آتاهُم اللَّهُ، تسميتهم أولادهم بـ«عبد العُزَّى» و«عبد مناة» و«عبد شمس» ونحوها، مكان «عبد اللَّه» و«عبد الرحمن» و«عبد الرحيم».

٥١ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ . . .﴾ [الأعراف: ١٨٨]. قدَّم النَّفع هنا على الضُرّ، وعكس في «يونس»[٢] لأن أكثر ما جاء في القرآن، من لفظيْ: الضُرّ، والنفع معاً، جاء بتقديم الضُرّ على النفع، ولو بغير لفظهما، كالطَّوْع والكُره في الوعد، لأن العابد يعبد معبوده، خوفاً من عقابه أولاً، ثمَّ طَمَعاً في ثوابه ثانياً، كما قال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [السجدة: ١٦]، وحيث تقدَّم النَّفع على الضُرّ، تقدَّمه لفظ تضمَّن نفعاً، وذلك في ثمانية مواضع: «هنا وفي الرَّعدِ[٣]، وسبأ[٤]، والأنعامِ[٥]، وآخر يونس[٦]، وفي الأنبياء[٧]، والفرقانِ[٨]، والشُّعراءِ»[٩][١٠].

(١) هذا هو الصحيح أن الضمير يعود على ذرية آدم بدليل قوله: ﴿فتَعَالى اللَّهُ عمَّا يشركون﴾ بالجمع.

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبدونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهم وَلَا يَنفعُهمْ﴾ يونس آية (١٨).

(٣) في قوله تعالى: ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكونَ لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾ الرعد آية (١٦).

(٤) في قوله تعالى: ﴿فاليوم لا يملكُ بعضكم لبعضٍ نفعاً ولا ضَرّاً . .﴾ سبأ آية (٤٢).

(٥) في قوله تعالى: ﴿قل أندعو من دون اللَّه ما لا ينفعنا ولا يضرنا . .﴾ الأنعام آية (٧١).

(٦) في قوله تعالى: ﴿ولا تَدْعُ منَ دونِ اللَّهِ مَا لا ينفعُكَ ولا يَضُرُّكَ فإنْ فعلتَ فإنَّكَ إذاً من الظَّالمينَ﴾ يونس آية (١٠٦).

(٧) في قوله تعالى: ﴿قال أفتعبدونَ من دون اللَّه ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرُّكم . .﴾ الأنبياء آية (٦٦).

(٨) في قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون اللَّه ما لا ينفعُهم ولا يضرُّهم وكان الكافرُ على ربِّه ظهيراً﴾ الفرقان آية (٥٥).

(٩) في قوله تعالى: ﴿قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرُّون﴾ الشعراء آية (٧٣).

(١٠) والثامنة في الأعراف: ﴿ولا تدعُ من دونِ اللَّهِ ما لَا يَنفعكَ ولا يضُرُّكَ . .﴾ الأعراف آية (١٠٦).

فقدَّم هنا النفع لموافقة قوله قبله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الأعراف: ١٧٨] الآية. وقوله بعده: ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] إذِ الهدايةُ والخير من جنس النفع، وقدَّم الضُرَّ في آخر يونس على الأصل، لموافقة قوله قبله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨].

«تمت سورة الأعراف»

* * *

سُورَة الأنفَال

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ **[الأنفال: ٢]** الآية. أي خافت، والمرادُ بالمؤمنين هنا، وفي قوله بعدُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ **[الأنفال: ٤]** الكاملون.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **[الأنفال: ٢]**.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن حقيقة الإِيمان ـ عند الأكثر ـ لا تزيد ولا تنقص، كالإِلَٰهية والوحدانية؟

قلتُ: المرادُ بزيادته آثارُه من الطمأنينة، واليقين، والخشية ونحوها، وعليه يُحمل ما نُقل عن الشافعي من أنه يقبل الزيادة والنقص.

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ **[الأنفال: ٥]** الآية، الكاف للتشبيه أي امضِ على ما رأيته صواباً، من تنفيل الغُزاة في قسمة الغنائم وإن كرهوا[١]، كما مضيت في خروجك من بيتك بالحق وهم كارهون.

٤ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ **[الأنفال: ٨]**.

إن قلتَ: فيه تحصيل الحاصل؟

قلتُ: لا، لأن المراد بالحقِّ الإِيمان، وبالباطل الشرك.

فإن قلتَ: ما فائدة تكرار ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ هنا مع قوله قبلُ ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **[الأنفال: ٧]**.

قلتُ: فائدتُه أنه أُريد بالأول، ما وعدَ اللَّهُ به في هذه الواقعة، من النَّصر والظفر بالأعداء، بقرينة قوله عَقِبه ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) قال الطبري المعنى: كما أخرجك ربك بالحقّ على كُرهٍ من فريقٍ من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحقّ بعدما تبين. الطبري ١٣/ ٢٩٣.

وبالثاني تقوية الدِّين، ونصرةُ الشريعة، بقرينة قوله عقبه ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] الآية.

إن قلتَ: كيف نفى عن المؤمنين قتْلَ الكفَّار، مع أنهم قتلوهم يوم بدر، ونفى عن النبي ﷺ رميهم، مع أنه رماهم يوم بدر بالحصباء في وجوههم؟!

قلتُ: نفيُ الفعل عنهم وعنه باعتبار الإِيجاد، إذ الموجد له حقيقةً هو اللَّهُ تعالى، وإثباته لهم وله باعتبار الكسب والصورة[1].

٦ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]. ثنَّى في الأمر، وأفرَد في النهي، تحرُّزاً بالإِفراد عن الإِخلال بالأدب من النبي ﷺ، عن نهيه الكفار في قِرانه بين اسمه واسم اللَّه تعالى، في ذكرهما بلفظٍ واحدٍ، كما رُوِيَ أن خطيباً خطبَ فقال: «من أطاعَ اللَّهَ ورسوله فقد رشدَ، ومن عصاهما فقد غوى» فقال له النبي ﷺ: «بئس خطيبُ القوم أنت، هلَّا قلتَ: ومن عصى اللَّه ورسوله فقد غوى»!!

أو أفرد باعتبار عوده إلى اللَّهِ وحده، لأنه الأصل، مع أن طاعة اللَّه، وطاعة رسوله متلازمتان. أو أنَّ الاسم المفرد، يأتي في لغة العرب ويُراد به الإِثنان والجمع، كقولهم: إنعامُ فلانٍ ومعروفُه يُغنيني، والإِنعامُ والمعروف لا ينفعُ مع فلان، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

٧ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] معناه: ولو علم اللَّه فيهم إيماناً في المستقبل، لأسمعهم سماع فهم وقبول، أو لأنطق لهم الموتى، يشهدون بصدق نبوَّتك كما طلبوا، ولو أسمعهمْ أو أنطق لهم الموتى، يشهدون بما ذُكر، بعد أن علم أن لا خير فيهم، لتولَّوْا وهم معرضون، لعنادهم وجحودهم الحقَّ بعد ظهوره[2]، وتقدَّم في البقرة الكلام على الجمع بين التولّي والإِعراض.

---

(١) معنى الآية: فلم تقتلوهم أيها المسلمون بقوتكم وقدرتكم، ولكنَّ اللَّه قتلهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وما رميت يا محمد في الحقيقة أعين الكفار بقبضةٍ من تراب، ولكنَّ اللَّه أوصلها إليهم، فالأمرُ في الحقيقة له سبحانه وتعالى.

(٢) الغرضُ من الآية تسليةُ النبي ﷺ في عدم إيمان المشركين، فإن اللَّه تعالى لو علم فيهم =

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية.

إن قلتَ: قد عذَّبهم اللَّهُ يومَ بدرٍ والنبيُّ ﷺ فيهم؟

قلتُ: المراد ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] مقيمٌ بمكة، وتعذيبهم ببدر إنما كان بعد خروجه من مكة.

أو المرادُ: ما كان اللَّه ليعذبهم العذاب الذي طلبوه وهو إمطار الحجارة[(١)] وأنت فيهم.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤] الآية.

إن قلتَ: هذا يُنافي قولَه أولاً ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾؟! [الأنفال: ٣٣].

قلتُ: لا منافاة، لأن الأول مقيَّدٌ بكونه ﷺ فيهم، والثاني بخروجه عنهم.

أو المراد: بالأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذابُ الآخرة.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] الآية، أي إلّا صفيراً وتصفيقاً.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤] الآية.

إن قلتَ: فائدة تقليل الكفَّار في أعين المؤمنين ظاهرٌ، وهو زوال الرعب من قلوب المؤمنين، فما فائدةُ تقليل المؤمنين في أعين الكفار، في قوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾؟ [الأعراف: ٤٤].

قلتُ: فائدته ألّا يبالغوا في الإستعداد لقتال المؤمنين، لظنِّهم كمال قدرتهم

= الخير والإيمان لهداهم إليه، ولكنهم لفرط جحودهم وعنادهم، لو أسمعهم اللَّه على سبيل الفرض ـ وقد علم أن لا خير فيهم ـ للجُوا في كفرهم وعنادهم.

(١) المرادُ بالعذاب هنا عذاب الاستئصال، الذي طلبوه في كلمتهم الشنيعة **﴿وإذْ قالوا اللّهُمّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطرْ علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾** فهم قد طلبوا الهلاك لأنفسهم لسفههم، فذكر تعالى أنه لا يعذبهم ذلك العذاب الشامل، إكراماً لرسوله ﷺ حيثُ بعثه اللَّه رحمةً للعالمين، وقد جرت سنة اللَّه تعالى، ألّا يعذب أمة ونبيُّها بين ظهرانيها، كما قال ابن عباس: لم تُعذَّبْ أمةٌ قَطُّ ونبيُّها فيها!!

فيقدموا عليهم، ثُمَّ تفجؤهم كثرةُ المؤمنين، فيُدهشوا، ويتحيروا، ويفشلوا.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ **[الأنفال: ٤٦]** الآية.

أي لا تتنازعوا في أمر الحرب، بأن تختلفوا فيه، وإلَّا فالمنازعةُ في إظهار الحقِّ مطلوبة، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ **[النحل: ١٢٥]**.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ **[الأنفال: ٤٨]**.

إن قلتَ: كيف قال الشيطان ذلك، مع أنه لا يخافه، وإلَّا لَمَا خالفه وأضلَّ عبيده؟!

قلتُ: قاله كذباً كما قاله قتادة[(١)]، أو صدقاً كما قاله عطاءٌ، لكنَّه خالف عناداً.

أو الخوف بمعنى العلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ **[البقرة: ٢٢٩]** أي أعلمُ صدق وعد اللّهِ نبيَّه النصر.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **[الأنفال: ٤٩]**. جوابه محذوف أي يَغْلِبْ، دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي غالبٌ.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ **[الأنفال: ٥٤]** الآية. كرَّره[(٢)] لأنَّ الأول إخبار عن عذابٍ، لم يمكِّنِ اللّهُ أحداً من فعله، وهو ضربُ الملائكة وجوههم وأدبارهم، عند نزعِ أورواحهم.

والثاني: إخبار عن عذاب مكَّن اللّهُ النَّاس من فعلِ مثله، وهو الإِهلاك والإِغراق.

أو معنى الأول ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ **[الأنفال: ٥٢]** فيما فَعَلوا، والثاني ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فيما فُعِلَ بهم.

---

(١) قال قتادة: قال إبليس: ﴿**إني أرى ما لا ترون**﴾ وصدق فقد رأى الملائكة يتقدمهم جبريل، وقال: ﴿**إني أخافُ اللّه**﴾ وكذب واللّهِ، ما به مخافةُ اللّه، ولكنه علم أنه لا قوة له ولا منعة. وانظر كتابنا صفوة التفاسير ١/٥٠٨.

(٢) جاءت الآية مكررة مرتين الثانية: ﴿**كدأبِ آلِ فرعونَ والذينَ من قبلهم كذّبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعونَ وكلٌ كانوا ظالمين**﴾ والأولى هي التي ذكرها وتتمتها ﴿**كفروا بآياتِ اللّهِ فأخذهم اللّه بذنوبهمْ إنَّ اللّه قويٌ شديدُ العقاب**﴾.

أو المرادُ بالأول كفرهم باللَّه، وبالثاني تكذيبهم الأنبياء.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥] فإن قلتَ: ما فائدة قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بعد ذكرِ ما قبله؟!

قلتُ: مرادُه أن يُبيِّنَ أنَّ شرَّ الدوابِّ هم الذين كفروا، واستمرُّوا على كفرهم إلى وقتِ موتهم.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ....﴾ [الأنفال:٦٦] الآيتين. حاصلُه أنَّ البعض منا يقاوم عشرة أعشاره منهم قبل التخفيف، ويقاوم ضعفه بعده.. وقد كرَّر كلاً من المعنيين في الآيتين.

وفائدة التكرارِ الدَّلالة على أن الحال مع الكثرة والقلة لا يختلف، فكما تَغلِبُ العشرون المائتين، تغلب المائةُ الألف، وكما تغلبُ المائةُ المائتين، يغلبُ الألفُ الألفين.

١٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]. ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي ثوابها، وإلَّا فهو كما يريد الآخرة، يريدُ الدنيا وإلَّا فما وُجدتْ.

١٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢]. قدَّم هنا ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ على قوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَعَكَسَ في «براءة»[(١)] لأنَّ ما هنا تقدَّمه ذكرُ المال والأنفس، في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ وقوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال:٦٨] أي من الفداء، وقوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٩] وما في براءة تقدَّمه ذكر ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢] فناسب تقديم ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٧٢] وتقديم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ثَمَّ.

«تمت سورة الأنفال»

* * *

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ التوبة آية (٢٠).

سُورَةُ التَّوبَة

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

إن قلتَ: لم ترك البسملة فيها دون غيرها؟

قلتُ: لاختلاف الصحابة في أنَّ «براءة» و«الأنفال» سورتان، أو سورةٌ واحدةٌ، نظراً لأن كلّاً منهما نزل في القتال، فترك بينهما فُرْجة، عملاً بالأول، وتُركتْ البسملة عملاً بالثاني.

أو لأنَّ البسملة أمانٌ، وبراءة فيها قتلُ المشركين ومحاربتُهم، فلا مناسبة بينهما.

أو لأنَّ الأنفال، لمَّا تضمَّنت طلبَ موالاة المؤمنين، بعضهم بعضاً، وأن ينقطعوا عن الكفَّار بالكلِّية، وكان قولُه تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تقريراً وتأكيداً، لذلك تُركتْ البسملة بينهما[(١)].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]. كرَّره لأنَّ الأول للمكانِ، والثاني للزمانِ المذكور قبل، في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ...﴾ [التوبة: ١١]. كرَّره لاختلاف جزاء الشرطِ، إذْ جزاء الشرط في الأول، تخليةُ سبيلهم[(٢)] في الدنيا، وفي الثاني أخوَّتُهم لنا في الدِّين، وهي ليست عينَ تخليتهم، بل سبُبها.

---

(١) الأظهر أن سبب ترك التسمية، أن البسملة آية رحمةٍ، وهذه آيات نزلت بالعذاب، فلا تناسب بين ذكر آية الرحمة والعذاب، كما قاله عليٌّ رضي الله عنه، والله أعلم.

(٢) أشار إلى قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم إن الله غفور رحيم**﴾ آية رقم (٥).

٤ ـ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً...﴾ [التوبة: ٨]. ﴿إِلًّا﴾ أي قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ أي عهداً.

كرَّر ذلك بإبدال الضمير بـ«مؤمنٍ» في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] لأن الأول وقع جواباً لقوله: ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي الكفار. والثاني وقع إخباراً عن تقبيح حالهم.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]. خصَّ فيه «أئمة الكفر» بالذِّكر، وهم رؤساءُ الكفر وقادتُهم، لأنهم الأصلُ في النكثِ، والطَّعْنِ في الدِّين.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣٠] قائل ذلك في كلٍّ منهما بعضُهم، لا كلُّهم، فـ«أل» فيهما للعهد، لا للاستغراق، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ [آل عمران: ٤٢] الآية. إذِ القائل لها ذلك إنما هو جبرئيل عليه السلام.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ...﴾ [التوبة: ٣٠]. فائدة قوله: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ مع أن القول لا يكون إلَّا بالفم، الإعلام بأن ذلك مجرَّد قول، لا أصل له، مبالغةً في الرَّدِّ عليهم.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ...﴾ [التوبة: ٣٣] الآية. فائدة ذكر «دين الحقِّ» مع دخوله في الهُدَى قبله، بيانُ شَرَفِهِ وتعظيمه، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

أو أنَّ المراد بالهدى القرآنُ، وبالدِّينِ الإسلامُ.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣٤]. أفردَ الضميرَ، مع تقدُّم اثنين «الذهب والفضة» نظراً إلى عوده إلى الفضة لقربها، ولأنها أكثرُ من الذَّهب.

أو إلى عوده إلى المعنى[١]، لأن المكنوز دراهمُ ودنانير، ونظيرُه قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩].

---

(١) هذا القول أرجح، فإن الضمير يعود إلى ما كنزوا من أموال، أي والذين يكنزون الأموال ثم لا ينفقونها في سبيل الله.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ . . .﴾ [التوبة: ٣٦].

إن قلتَ: لِمَ خَصَّ الأربعة الحُرُم بذلك، مع أن ظلم النفس منهيٌّ عنه في كل زمانٍ؟

قلتُ: لم يَخُصَّها به، إذِ الضمير عائدٌ إلى «اثنا عشر شهراً» كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، لا إلى الأربعة الحُرُم فقط.

أو خصَّها به لقربها، أو لمزيد فضلها وحرمتها عندهم في الجاهلية.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ . . .﴾ [التوبة: ٤٤]. أي لا يستأذنوك في التخلُّف عن الجهاد.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن كثيراً من المؤمنين، استأذنوه في ذلك لعذرٍ، أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

قلتُ: لا منافاة، لأن ذلك نفيٌ بمعنى النهي كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] أو هو منسوخٌ كما قال ابن عباس بقوله: «لم يذهبوا حتى يستأذنوه».

أو المراد أنهم لا يستأذنوه في ذلك لغير عذر.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

إن قلتَ: كيف أمرهم بالقعود عن الجهاد، مع أنه ذمَّهم عليه؟

قلتُ: إنما أَمْرُهم بذلك أمرُ توبيخ، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] بقرينة قوله: ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ أي من النساء، والصِّبيان، والزَّمنَى، الذين شأنُهم القعودُ في البيوت.

أو الآمِر لهم إنما هو الشيطان بالوسوسة، أو بعضُهم بعضاً.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ . . .﴾ [التوبة: ٤٧].

فإن قلتَ: إذا علم اللَّهُ أن المنافقين، لو خرجوا مع المؤمنين للجهاد، ما

زادوهم إلّا خبالاً أي فساداً، ولأوضعوا خلالهم أي لأسرعوا في السَّعي بينهم بالنميمة، فكيف أمرهم بالخروج مع المؤمنين؟

قلتُ: أمرهم بالخروج لإلزامهم الحجَّة، ولإظهار نفاقهم.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٥٣]. أي كافرين ولو بالنفاق[١]، بقرينة قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤].

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ قاله هنا بالباء في المتعاطفين، وقاله ثانياً، وثالثاً بحذفها من المعطوف، لأن ما في الأول غاية التوكيد بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ فأكَّد المتعاطفين بالباء، ليكون الكلام على نسق واحد، بخلاف الثاني[٢] والثالث[٣]، لم يتقدمهما ذلك.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ . . .﴾ [التوبة: ٥٥] الآية. قاله هنا بالفاء، وقاله بعد بالواو[٤].

لأن الفاء تتضمَّنُ معنى الجزاء، والفعلُ قبلها في قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ٥٤] وقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] لكونه مستقبلاً، يتضمَّن معنى الشَّرط، فناسب فيه الفاء، وما بعدُ ذكر قبله ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤] والفعلُ فيهما لكونه ماضياً، لا يتضمَّن معنى الشرط، فناسب فيه الواو، وقولُه: ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ ذكره هنا بـ(لا) وفيما بعد بدونها، لما في زيادتها هنا من التوكيد المناسب لغاية التوكيد، بالحصر فيما قبلها، وذلك مفقودٌ فيما بعد.

---

(١) المنافق أقبح من الكافر، لذلك كان عذابه أشدُّ، حيث جمع بين الكفر والخبث بإظهاره والإيمان.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله . .﴾.

(٣) في قوله تعالى: ﴿ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا باللَّهِ ورسولِهِ . .﴾.

(٤) في قوله تعالى: ﴿ولا تُعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريدُ اللَّهُ أن يُعذِّبهم بها في الدنيا وتزهقَ أنفسُهم وهم كافرون﴾ التوبة آية (٨٥).

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ...﴾ [التوبة: ٦٠] الآية. أضاف فيها الصَّدقات، إلى الأصناف الأربعة الأولى بلام المُلْك، وإلى الأربعة الأخيرة بـ«في» الظرفية، للإشعار بإطلاق المُلْك في الأربعة الأولى، وتقييده في الأخيرة، حتى إذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجع، بخلافه في الأولى، كما هو مقرَّرٌ في الفقه، وكُرِّر في الأخيرة في قوله: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠] حثًّا على الإعانة في الجهاد لشرفه.

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [التوبة: ٦١] الآية. عدَّى الإيمان إلى الله بالباء، لتضمُّنه معنى التصديق، ولموافقته ضدَّه وهو الكفر، في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وعدَّاه إلى المؤمنين باللام، لتضمُّنه معنى الانقياد، وموافقةً لكثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥] وقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]؟

وأما قوله تعالى في موضع ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١] وفي آخر ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [يونس: ٥١] فمشتركُ الدلالة، بين الإيمان بموسى، والإيمان بالله، لأن من آمنَ بموسى حقيقةً آمن بالله كعكسه.

١٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ...﴾ [التوبة: ٦٣] خبرٌ عن المنافقين الذين سبق ذكرُهم، فإنهم مخلَّدون في النَّار، فلا يُشكل بأنَّ المؤمن العاصي، لا يُخلَّدُ في النَّار.

٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ...﴾ [التوبة: ٦٤].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن إنزال السورة إنما هو على النبي لا عليهم؟

قلتُ: «على» بمعنى «في» كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أو أن الإنزال هنا بمعنى القراءة عليهم.

فإن قلتَ: الحذرُ واقع منهم على إنزال السورة، فكيف قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤]؟

قلتُ: معناه إن الله مظهرٌ ما تحذرون ظهوره من نفاقكم، بإنزال هذه

السورة، وهو المناسب لقوله: ﴿ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ ﴾ أو مظهرٌ ما تحذرون من إنزال هذه السورة.

فإن قلتَ: ﴿ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ ﴾ تَحصيلُ الحاصل، لأنهم عالمون به؟

قلتُ: تنبِّئُهم بأسرارهم، وما كتموه، شائعةً ذائعة، وتفضحهم بظهور ما اعتقدوا أنه لا يعرفه غيرهم.

٢١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ [التوبة: ٦٧] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك هنا بـ «مِنْ» وقال في قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ بلفظ «أولياء» مع أنَّ «مِنْ» أدلُّ على المجانسة، لاقتضائها البعضية، فكانت بالمؤمنين أولى، لأنهم أشدُّ تجانساً في الصفات؟!

قلتُ: المراد بقوله: ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ على دين بعض، لأن «مِنْ» تأتي بمعنى «على» كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ [الأنبياء: ٧٧] وقوله: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٦] أي يحلفون على عدم وطئهنَّ، والمرادُ بقوله: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ أنصارهم وأعوانهم في الدِّين، وعلى ذلك فكلٌّ من اللفظيْن يصلح مكان الآخر، لكن للولاية شرفٌ، فكانت أولى بالمؤمنين والمؤمنات.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٩] أي المنافقون والمنافقاتُ حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، أما حبطها في الدنيا، فمن حيثُ كيدهم ومكرُهم وخداعُهم، التي كانوا يقصدون بها إطفاء نور اللَّه، ويأبى اللَّه إلا أن يُتم نوره. وأما حبطُها في الآخرة، فمن حيثُ أن عباداتِهم وطاعاتِهم، أتوا بها رياءً وسمعةً ونفاقاً، فحبطت أعمالهم من الخبيثات المذكورات، حيث لم يحصُل بها غرضهم في الدنيا ولا في الآخرة.

وأمّا عباداتُهم التي تجري بها أحكامُ المسلمين عليهم، كحقن دمائهم وأموالهم، فينتفعون بها في الدنيا خاصةً ولا عبرة به.

٢٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤].

إن قلتَ: لِمَ خصَّص الأرض بالذكر، مع أنهم لا وليّ لهم في الأرض، ولا في السماء، ولا في الدنيا ولا في الآخرة؟!

قلتُ: لمّا كانوا لا يعتقدون الوحدانية، ولا يصدِّقون بالآخرة، كان اعتقادهم وجود الوليّ والنَّصير، مقصوراً على الدنيا، فعبَّر عنها في الأرض.

أو أراد بالأرض أرض الدنيا والآخرة.

٢٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] الآية.

إن قلتَ: لِمَ خصَّ السَّبعين، مع أنهم لا يُغفر لهم أصلاً، لقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] ولأنهم مشركون، واللَّهُ لا يَغفر أن يُشرك به؟

قلتُ: لأن عادة العرب جرتْ بضرب المثل في الآحاد بالسبعة، وفي العشرات بالسبعين، استكثاراً ولا يريدون الحصر.

فإن قلتَ: لو كان المراد ذلك، لما خفيَ على أفصح العرب، وأعلمهم بأساليب الكلام، حتى قال لما أُنزلت هذه الآية: لأزيدنَّ على السبعين، لعلَّ اللَّهَ أن يغفر لهم.

قلتُ: لم يَخْفَ عليه ذلك، وإنما أراد بما قال إظهار كمال رأفته، ورحمته بمن بُعث إليهم، وفيه لطفٌ بأمته وحثٌّ لهم على المراحم، وشفقة بعضهم على بعض، وهذا دأبُ الأنبياء عليهم السلام، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

٢٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]. قاله هنا بالبناء للمفعول، وقال بعده ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣] بالبناء للفاعل، لأن الأول تقدَّمه مبنيٌّ للمفعول وهو قوله: «وإذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ» والثاني تقدَّمه ذكر اللَّه مرَّاتٍ، فناسب بناء الأول للمفعول، والثاني للفاعل، ليناسب الفاعل ما قبله، ثم ختم كلاً منهما بما يناسبُه، فقال في الأول «لا يفقهون» وفي الثاني: «لا يعلمون» لأنَّ العلم فوق الفقه أي الفهم.

٢٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ٩٤] قاله هنا بـ«ثُمَّ» بحذف «والمؤمنون». وقاله بعدها بالواو، وبذكر «والمؤمنون»(١).

لأنَّ الأول: في المنافقين، ولا يطَّلع على ضمائرهم إلَّا اللَّه، ثم رسولُه بإطلاع اللَّهِ إياه عليها. **والثاني** في المؤمنين، وطاعاتُهم وعباداتُهم ظاهرةٌ للَّه ولرسوله وللمؤمنين، وختم الأول بقوله: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ ليفيد قطعه عمَّا قبله، لأنه وعيدٌ.. وختم الثاني بقوله: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] ليفيد وصله بما قبله لأنه وعدٌ، فناسب في الأول «ثُمَّ» وحذفَ «والمؤمنون» وفي الثاني «الواو» وذكر «والمؤمنون».

فإن قلتَ: السِّينُ في «سَيَرَى اللَّهُ» للاستقبال، والرؤيةُ بمعنى العلم، واللَّه تعالى عالمٌ بعملهم حالاً ومآلاً، فكيف جمع بينهما؟!

قلتُ: معناه في حقِّ اللَّه، أنه سيعلمه واقعاً مآلاً، كما علمه غيرَ واقعٍ حالاً، لأن اللَّه تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه، فيعلم الواقع واقعاً، وغيرَ الواقع غيرَ واقع، أمَّا في حقّ الرسولِ فهو على ظاهره.

٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ....﴾ [التوبة: ٩٧].

فإن قلتَ: وصفَ العربِ بأنهم جاهلون بذلك، يُنافي صحَّة الاحتجاج بألفاظهم وأشعارهم، على كتاب اللَّهِ وسنَّة نبيه؟!

قلتُ: لا منافاة، إذْ وصفُهم بالجهل إنما هو في أحكام القرآن، لا في ألفاظه، ونحن لا نحتجُّ بلغتهم في بيان الأحكام، بل في بيان معاني الألفاظ، لأن القرآن والسُّنَّة جاءا بلغتهم.

٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...﴾ [التوبة: ١٠١] الآية، الخطاب لمحمد ﷺ.

فإن قلتَ: كيف نفى عنه علمه بحال المنافقين هنا، وأثبته له في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]؟

(١) أشار إلى الآية بعدها وهي قوله تعالى: ﴿**وقلِ اعملوا فسيرى اللهُ عملَكُمْ ورسولُه والمؤمنون وستردُّون إلى عالمِ الغيبِ والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ التوبة آية (١٠٥).

قلتُ: آيةُ النَّفي نزلت قبل آية الإِثبات فلا تنافي.

٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية. أي خلطوا كلاً منهما بالآخر.

٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

إن قلتَ: لِمَ عَطَفَه دون ما قبله من الصِّفاتِ؟

قلتُ: لأنه وقع بعد سبع صفاتٍ، وعادةُ العربِ أن تُدخلَ الواو بعد السَّبعة.

٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ... ﴾ [التوبة: ١٢٠] الآية. قال ذلك هنا، وقال بعد: ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢١] بدون «عمل صالح»!! لأنَّ ما هنا مشتمل على ما هو من عملهم، وهو قوله: ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [التوبة: ١٢٠] إلى آخره، وعلى ما ليس من عملهم وهو قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ [التوبة: ١٢٠] إلى آخره فتفضَّل اللَّهُ بإجرائه مجرى عملهم في الثواب، فناسبَ ذلك زيادةُ قوله: ﴿ بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ﴾ ولهذا عمَّ عقِبَه في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وما ذُكِرَ في الآية الثانية، مختصٌّ بما هو من عملهم، وهو قوله: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً ﴾ [التوبة: ١٢١] آلى آخره، ليُكتب لهم ذلك بعينه، ولهذا خصَّهم عقبه في قوله: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢١].

وقوله: «أحسن» أي بأحسن، والمراد بحَسَن عملهم، إذ لا يختصُّ جزاؤهم بأحسن عملهم.. أو المرادُ ليجزيهم أحسن من الذي كانوا يعملون.

«**تمت سورة التوبة**»

* * *

سُورَةُ يُونُسَ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا...﴾ [يونس: ٤].

قال ذلك هنا، وقال في هود: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [المائدة: ٤٢] لأن ما هنا خطابٌ للمؤمنين والكفار، بقرينة ذكرهما بعدُ، وما في «هود» خطابٌ للكفار فقط، بقرينةِ قوله قبله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

خصَّ التفصيل بالعلماء، مع أنه تعالى فصَّل الآيات للجهلاء أيضاً، لأنَّ انتفاعهم بالتفصيل أكثر[(١)].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣].

قاله هنا بالواو تَبعاً لها في قوله: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [يونس: ١٣] وقاله في مواضع أخر، بالفاء للتعقيب، على أصلها.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ...﴾ [يونس: ١٦] الآية.

إن قلتَ: كيف قال النبيُّ ذلك، مع أن اللّه تعالى أنكر على الكفار احتجاجهم بمشيئته في قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ولهذا لا ينبغي لمن فعل معصيةً، أن يحتجَّ[(٢)] بقوله: لو شاء اللّه ما فعلتُها؟!

قلتُ: إنَّما قال النبيُّ ذلك، بأمر اللّه تعالى له فيه[(٣)]، بقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ

---

(١) في المخطوطة المحمودية سقطت كلمة (بالتفصيل)، وما أثبتناه من مخطوطة جامعة أم القرى.

(٢) في المخطوطة المحمودية سقطت كلمة «أن يحتجَّ» وهي موجودة في مخطوطة الجامعة.

(٣) احتجاجه ﷺ بمشيئة اللّه، لإقامة الحجة على المشركين، في أن هذا القرآن من عند اللّه، أوحاه إلى نبيه ليتلوه عليهم بأمر اللّه، فإن الكفار يعلمون أن محمداً ﷺ ما طالع كتاباً، ولا تتلمَذ على أستاذ، ولا تعلَّم من أحد ثم بعد مضيّ أربعين سنة، جاءهم بهذا =

﴿... اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ...﴾ [يونس: ١٦] وللعاصي أن يَحتجَّ بذلك إذا أمرَ اللَّهُ به.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ...﴾ [يونس: ١٨] الآية.

إن قلتَ: كيف نفى عن الأصنام الضرَّ والنفع هنا، وأثبتهما لها في قوله في الحجّ: ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣].

قلتُ: نفيُهما عنها باعتبار الذات، وإثباتُهما لها باعتبار السبب.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ...﴾ [يونس: ٢٣] الآية.

إن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بعد قوله: ﴿يَبْغُونَ﴾ مع أن البغيَ ـ وهو الفسادُ من قولهم: بَغَى الجرْحُ[1] أي فسد ـ لا يكونُ إلّا بغير حقٍّ؟

قلتُ: قد يكون الفسادُ بحقٍّ، كاستيلاء المسلمين على أرض الكفار، وهدم دورهم، وإحراقِ زرعهم، وقطعِ أشجارهم، كما فعل النبي ﷺ ببني قريظة.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٤] الآية.

إن قلتَ: لِمَ شبَّه الحياة الدنيا بماء السَّماءِ، دون ماءِ الأرض؟

قلتُ: لأنَّ ماء السَّماءِ ـ وهو المطرُ ـ لا تأثير لكسبِ العبد فيه، بزيادةٍ أو نقصٍ، أو لأنَّه يستوي فيه جميعُ الخلائق، بخلافِ ماء الأرض فيهما، فكان[2] تشبيهُ الحياةِ به أنسبَ.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

= الكتاب المعجز، المشتمل على نفائس العلوم والأحكام، ولطائف الأخبار والأسرار، وعجز عنه الفصحاء والبلغاء، أفليس هذا دليلاً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً على أنه تنزيل الحكيم العليم!!

(١) في المخطوط «الحرج» وهو خطأ واضح.

(٢) في مخطوطة الجامعة «ولأنَّ» وفي المحمودية «فكان» وهو الأصوب.

إن قلتَ: هذا يدلُّ على أنهم معترفون بأنَّ اللَّه هو الخالقُ، الرازقُ، المدبِّرُ، فكيفَ عبدوا الأصنام؟!

قلتُ: كلُّهُم كانوا يعتقدون (بعبادتهم الأصنامَ)، عبادةَ اللَّهِ تعالى، والتقرُّبَ إليه، لكنْ بطرقٍ مختلفةٍ.

ففرقةٌ قالت: ليستْ لنا أهليَّةٌ لعبادةِ اللَّهِ تعالى، بلا واسطة لعظمتِهِ، فعبدْنَاها لتقرِّبنا إليه تعالى، كما قال حكايةً عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وفرقةٌ قالت: الملائكة ذَوُو جاهٍ ومنزلةٍ عند اللَّه، فاتَّخذنا أصناماً على هيئة الملائكة، ليقرِّبونا إلى اللَّهِ.

وفرقةٌ قالت: جعلنا الأصنام قبلةً لنا في عبادة اللَّه تعالى، كما أنَّ الكعبة قبلةٌ في عبادته.

وفرقةٌ اعتقدت أنَّ على كل صنمٍ شيطاناً، موكَّلاً بأمر اللَّه، فمن عَبَدَ الصَّنم حقَّ عبادته، قضى الشيطانُ حوائجَه بأمرِ اللَّه، وإلَّا أصابه الشيطانُ بنكبةٍ بأمرِ اللَّه.

٩ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ . . .﴾ [يونس: ٣٤] الآية.

إن قلتَ: كيفَ قال ذلك، مع أنهم غيرُ معترفين، بوجود الإعادة أصلاً؟!

قلتُ: لمَّا كانت الإعادةُ، ظاهرةَ الوجود لظهور برهانها، وهو القدرةُ على إعدامِ الخَلْقِ، والإعادةُ أهونُ بالنسبةِ إلينا، لزمهم الاعترافُ بها، فكأنهم مسلِّمون وجودها، من حيثُ ظهورُ الحجَّةِ ووضوحُها.

١٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦].

رتَّب شهادته على فعلهم، على رجوعهم إليهِ في القيامة، مع أنه شهيدٌ[(١)] عليهم في الدنيا أيضاً، لأنَّ المراد بما ذُكِرَ نتيجتُه، وهو العذابُ والجزاءُ، كأنه قال: ثمَّ اللَّهُ معاقبٌ، أو مجازٍ على ما يفعلونه.

١١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا . . .﴾[يونس: ٥٠] الآية.

---

(١) في مخطوطة جامعة أم القرى «شهد» وفي المحمودية «شهيدٌ» وهو الأصوبُ، لأنه الموافق للنصِّ القرآني.

إن قلتَ: لمَ قال: ﴿بَيَٰتًا﴾ ولم يقل: ليلاً، مع أنه أكثرُ استعمالاً، وأظهرُ مطابقةً مع النَّهار؟

قلتُ: لأنَّ المعهود في الاستعمال، عند ذكر الإهلاكِ والتهديد، ذكرُ البيَاتِ، وإن قُرِنَ به النَّهار.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [يونس: ٥٥] الآية.

قاله هنا بلفظ «ما» ولم يكرِّرْه، وقاله بعدُ بلفظ «مَنْ» وكرَّره[(١)] لأنَّ «ما» لغير العقلاء، وهو في الأوَّل المالُ، المأخوذُ من قوله تعالى: ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾، ولم يكرِّر «ما» اكتفاءً بقوله قبله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [يونس: ٥٤].

و«مَنْ» للعقلاء، وهم في الثاني قومٌ آذوْا النبيَّ ﷺ، فنزل فيهم ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] وكرَّر: «مَنْ» لأن المرادَ مَنْ في الأرض، وهم القومُ المذكورون، وإنما قدَّم عليهم «مَنْ في السَّماء» لعُلوِّها، ولموافقة[(٢)] سائرِ الآيات، سوى ما قدَّمتُه في «آل عمران»، وذكر[(٣)] قوله بعد: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨] بلفظ «ما» وكرَّر لأن بعض الكفار قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس: ٦٨] فقال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (أي اتخاذ الولد إنما يكونُ لدفع أذى، أو جلب منفعة، واللَّهُ مالكُ ما في السموات والأرض)[(٤)] فكان المحلُّ محلَّ «ما» ومحلَّ التكرار، للتعميم والتوكيد.

فإن قلتَ: لمَ خصَّ ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالذِّكر، مع أنه تعالى مالكٌ أيضاً للسَّموات والأرض وما وراءهما؟

قلتُ: لأنَّ في السمواتِ والأرض؛ الأنبياء، والملائكةَ، والعلماءَ، والأولياء، ومن يعقلُ فيهم أحقُّ بالذِّكر، مع أن غيرهم مفهومٌ بالأوْلى.

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا إنَّ للَّهِ مَنْ في السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وما يَتَّبعُ الَّذينَ يدعونَ مَنْ دونِ اللَّهِ شُركاءَ إنْ يَتَّبعونَ إلَّا الظَّنَّ وإنْ هُمْ إلَّا يَخرصُونَ﴾.

(٢) في المحمودية «ولموافقته» وكلٌّ صحيح.

(٣) في المحمودية «وأكَّد» وهو خطأ.

(٤) ما بين القوسين ساقطٌ من النسخة المحمودية.

١٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ...﴾ [يونس: ٦٠] الآية.

إن قلتَ: هذا تهديدٌ، فكيف ناسبَه قولُه بعدُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يونس: ٦٠]؟

قلتُ: هو مناسبٌ لأنَّ معناه: إنَّ اللَّهَ لذو فَضْلٍ على النَّاس، حيثُ أنعم عليهم بالعقلِ، وإرسالِ الرُّسلِ، وتأخيرِ العذابِ، وفتحِ باب التوبة، أي كيف تفترون على اللَّهِ الكذبَ مع تضافر نِعَمِه عليكم؟!

١٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ...﴾ [يونس: ٦١] الآية.

إن قلتَ: كيف جَمعَ الضميرَ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ مع أنه أفرَدَ قبلُ في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ والخطابُ للنبي ﷺ؟!

قلتُ: جَمعَ ليدُلَّ على أنَّ الأمَّة، داخلون مع النبي ﷺ فيما خُوطب به قبلُ، أو جمعَ تعظيماً للنبي ﷺ كما في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

١٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ...﴾ [يونس: ٦٥].

أي قولهم لكَ: لستَ مرسلاً، فالمقولُ محذوفٌ كنظيره في «يسٓ»(١)، والوقفُ على «قولُهُمْ» فيهما(٢) لازمٌ، ويمتنع الوصلُ، لأنه ﷺ منزَّهٌ عن أن يُخاطبَ بذلك.

١٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣) [يونس: ٦٥].

قال ذلك هنا، وقال في سورة المنافقين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] لأن المراد هنا، العزَّةُ الخاصَّة باللَّهِ وهي: عزَّةُ الإِلَهيّة، والخلقِ، والإِماتةِ، والإِحياءِ، والبقاءِ الدائم، وشبْهِها.

---

(١) وهي قولُه: ﴿فلا يحزنك قولُهم إنا نعلم ما يسرُّون وما يعلنون﴾ آية (٧٦).

(٢) أي في آية يونس وآية يسٓ، وإنما كان الوقفُ فيهما لازماً، لأن المعنى يفسد بالوصل، حيث يصبح المعنى: ولا يحزنك قولهم العزةُ للَّه جميعاً، فتصبح الجملة مقولةً للقول.

(٣) في المحمودية: الخالصةُ باللَّه، وهو خطأ.

وهناكَ: العزَّةُ المشتركةُ، وهي في حقِّ اللَّه تعالى: القدرةُ، والغلبةُ.

وفي حقِّ رسوله ﷺ: عُلُوُّ كلمته، وَإظهارُ دينه.

وفي حقِّ المؤمنين: نصرُهم على الأعداء.

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا ...﴾ [يونس: ٧٧] الآية.

إن قلتَ: كيف قال موسى إنهم قالوا: أسحرٌ هذا؟ بطريق الاستفهام، مع أنهم إنما قالوه بطريق الإِخبار المؤكَّدِ، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؟! [يونس: ٧٦].

قلتُ: فيهِ إضمارٌ تقديرُه: أتقولونَ للحقِّ لمَّا جاءكم، إنَّ هذا لسحرٌ مبينٌ؟ ثم قال لهم: أسحرٌ هذا؟ إنكاراً لما قالوه، فالاستفهامُ للإِنكار، من قول «موسى» لا من قولهم.

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ...﴾ [يونس: ٨٣] قاله هنا بضمير الجمع، لعودِه إلى الذُّرِيَّة، أو القوم، لتقدّمهما عليه، بخلاف بقية الآيات، فإنه بضمير المفرد[١]، لعودِه إلى فرعونَ.

١٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧].

ثَنَّى ضميرَ المأمور فيها، لعوده إلى موسى وأخيه، للتصريح بهما.

وَجَمعه ثانياً، لعوده إليهما مع قومهما[٢]، لأن كلاًّ منهم مأمورٌ بجعل بيته قبلةً يصلِّي إليها[٣]، خوفاً من ظهورها لفرعون.

وأفرده ثالثاً لعوده إلى موسى[٤]، لأنه الأصلُ المناسبُ تخصيصُه بالبشارة لشرفها.

---

(١) أشار إلى قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وإنَّ فرعونَ لَعَالٍ في الأَرْضِ، وإنَّهُ لمنَ المُسْرِفينَ﴾ فإنها قد جاءت بضمير المفرد لا الجمع.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿واجعَلُوا بيوتَكمْ قِبْلَةً﴾.

(٣) في المخطوطة المحمودية «يُصلِّيها» وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه وهو في مخطوطة جامعة أم القرى.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وبشِّرِ المؤمنينَ﴾ فقد جاءت بصيغة الإِفراد.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا . . .﴾ الآية [يونس: ٨٩].

إن قلتَ: لمَ أضافَ الدعوةَ إليها، مع أنها إنما صدرت من موسى عليه السلام، لآية ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً . . .﴾؟ الآية [يونس: ٨٨].

قلتُ: أضافهما إليهما لأن «هارون» كان يؤمِّنُ على دعاء موسى، والتأمينُ دعاءٌ في المعنى، أو لأنَّ هارون دعا أيضاً مع موسى، إلَّا أنه تعالى خصَّ موسى بالذِّكر، لأنه كان أسبقَ بالدعوة، أو أحرصَ عليها.

٢١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ . . .﴾ [يونس: ٩٤].

إن قلتَ: «إنْ» للشكِّ، والشكُّ في القرآن منتفٍ عنه ﷺ قطعاً، فكيف قال اللَّهُ ذلك له؟!

قلتُ: لم يقل له، بل لمنْ كان شاكّاً في القرآن، وفي نبوَّة محمدٍ ﷺ، ولا ينافيه قولُه ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] لوروده في قوله ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وقوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ٦٤].

وقيلَ: الخطابُ للنبي ﷺ والمرادُ غيرُه، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

أو المرادُ إلزامُ الحجَّةِ على الشاكِّين الكافرين، كما يقول لعيسى عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ [المائدة: ١١٦] وهو عالمٌ بانتفاء هذا القول منه، لإلزام الحجّة على النصارى.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا . . .﴾ الآية [يونس: ٩٩].

فائدةُ ذكرِ «جَمِيعاً» بعد «كلُّهُمْ» ـ مع أنَّ كلاًّ منهما يفيد الإحاطةَ والشمولَ ـ الدِّلالةُ على وجود الإيمان منهم، بصفة الاجتماع الذي لا يدلُّ عليه[1]

(١) في مخطوطة الجامعة: «يدلُّ عليهم» وهو خطأٌ، والصواب: لا يدلُّ عليه، كما في المخطوطة المحمودية.

«كلهم» كقولك: جاء القوم جميعاً أي مجتمعين، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].

قال ذلك هنا، موافقةً لقوله قبلُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

وقال في النَّمل: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١] موافقةً لقوله قبلُ: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[١] [النمل: ٨١].

٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ...﴾ الآية [يونس: ١٠٧].

إن قلتَ: لمَ ذكرَ المسَّ في الضُّرِ، والإِرادةَ في الخير؟!

قلتُ: لاستعمال كلٍّ من المسِّ، والإِرادة، في كلٍّ من الضُرِّ والخير[٢]، وأنه لا مُزيل لما يصيب به منهما، ولا رادَّ لما يريده فيهما، فأوجزَ الكلامَ بأن ذكَرَ المسَّ في أحدهما، والإِرادةَ في الآخر، ليَدُلَّ بما ذَكَرَ على ما لم يُذْكَرْ، مع أنه قد ذَكَرَ المسَّ فيهما في سورة الأنعام[٣].

«تمت سورة يونس»

* * *

(١) أشار إلى الآية الكريمة: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ النمل آية (٨١).

(٢) المسُّ: يدلُّ على أدنى شيء من المكروه، أي ولو كان قليلاً، وأمَّا الإرادة والإصابة فتدلُّ على الإحاطة التي تشمل الإنسان.

(٣) أشار إلى قوله تعالى: ﴿وإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هوَ وإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنعام آية (١٧).

سُورَة هود

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى . . .﴾ [هود: ٣].

«ثم» للترتيب «الإِخباري» لا «الوجودي» إذِ التوبةُ سابقةٌ على الاستغفار.

أو المعنى: استغفروا ربكم من الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ [هود: ٣] أي ارجعوا إليه بالطاعة.

إن قلتَ: نجدُ من لم يستغفر اللَّهَ ولم يَتُبْ، يمتِّعُه اللَّهُ متاعاً حسناً إلى أجلِهِ، أي يرزُقُه ويوسِّعُ عليهِ كما قال ابنُ عباس، أو يُعمِّره[١] كما قال ابن قتيبة، فما فائدةُ التقييد بالاستغفار والتوبة؟!

قلتُ: قال غيرهما: المتاعُ الحسنُ ـ المقيَّدُ بالاستغفارِ والتوبةِ ـ هو الحياةُ في الطاعةِ والقناعة، ولا يكونانِ إلَّا للمستغفرِ التَّائب[٢].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا . . .﴾ [هود: ٦] الآية.

لم يقل «على الأرض» مع أنه أنسبُ بتفسير الدابة لغةً، لأنها ما يدبُّ على الأرض، لأنَّ «في» أعمُّ مِنْ «عَلَى» لأنها تتناول من الدوابِّ ما على ظهرِ[٣] الأرض، وما في بطنها.

وقيل: «في» بمعنى «على» كما في قوله تعالى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] وقولِهِ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨] وظاهرٌ أنَّ تفسير الدابة

---

(١) في نسخة الجامعة «يعموه» وهو خطأ، والصواب ما أثبتُه كما في المحمودية.

(٢) أقولُ: المتاعُ الحسنُ للتائب المستغفر، إنما هو للتفضل والإِنعام دون حسابٍ ولا عقاب، وللعاصي الفاجر إنما هو للاستدراج مع الحساب والعذاب، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لهمْ في الخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُون﴾؟

(٣) سقطت من نسخة المحمودية كلمة ظهر، وهي مثبتة في نسخة الجامعة.

بما يَدبُّ على الأرض، يتناول الطير، فلا يَرِدُ أنَّ الآية، لا تتناول الطير في ضمان رزقه.

فإن قلتَ: «عَلَى» للوجوب، واللَّهُ تعالى لا يجبُ عليه شيءٌ؟

قلتُ: المرادُ بالوجوب هنا «وجوبُ اختيار» لا «وجوبُ إلزام» كقوله ﷺ: «**غُسْلُ يومِ الجمعةِ واجبٌ علَى كلِّ محتلم**»[1] وكقولِ الإنسان لصاحبه: حقُّك واجبٌ عليَّ.

أو «على» بمعنى «مِنْ» كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

٣ ــ قوْله تَعَالَى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ...﴾ [هود: ١٠] قاله هنا، وقال في «فصِّلت» بزيادة «منَّا» و«مِنْ»، لأنه ثَمَّ بيَّن جهة الرحمة، بقوله: «**لا يَسأَمُ الإنسانُ من دُعَاءِ الخَيْرِ**» فناسبَ ذكرُ «منَّا» وحذفَه هنا اكتفاءً بقوله قبلُ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾ [هود: ٩].

وزاد «من» ثَمَّ، لأنه لمَّا حدَّ الرحمة وجهتَها، حدَّ الظَّرْف[2] بعدها لتَتَشَاكلا في التحديد، وهنا لمَّا أهمل الأول، أهمل الثاني ليَتَشاكلا.

٤ ــ قوْله تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ...﴾ الآية [هود: ١١].

إنما قال «ضائق» ولم يقل: ضيِّقٌ، لموافقة قوله قبلَه: «تارك»، وليدلَّ على أنه ضِيقٌ عارضٌ لا ثابت، لأنه ﷺ كان أوسعَ النَّاسِ صدراً.

ونظيرُه قولُك: زيد سائدٌ وجائد، تريد حَدَثَ فيه السيادةُ والجودُ، فإنْ أردتَ وصفه بثبوتهما، قلتَ: زيد سيِّدٌ وجواد.

٥ ــ قوْله تَعَالَى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ...﴾ [هود: ١٣].

أي مثله في الفصاحة والبلاغة، وإلَّا فما يأتون به مُفْترى، والقرآنُ ليس بمفترى.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم، ومعنى «محتلم» أي مكلَّف بالغ، ولا يُراد به الجُنُب.

(٢) في المحمودية حدَّ الطَّرف، وهو خطأ وصوابه ما أثبتناه.

أو معناه: عشر سورٍ مفترياتٍ، كما أنَّ القرآنَ ـ في زعمكم ـ مُفْتَرى!!

فإن قلتَ: كيف أفردَ في قوله «قل» ثمَّ جَمَعَ في قوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾؟[1] [هود: ١٤].

قلتُ: الخطابُ للنبي ﷺ فيهما، لكنَّه جَمَعَ في «لكم» تعظيماً، وتفخيماً له ﷺ، ويعضُده قولُه في سورة القصص: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ [القصص: ٥٠].

أو الخطابُ في الثاني للمشركين، وفي «يستجيبوا» لِـ«من استطعتم» والمعنى: فأْتوا أيها المشركون بعشر سورٍ مثلِهِ، إلى آخره، فإن لم يستجبْ لكم من تدعونه، إلى المظاهرةِ على معارضتِهِ لعجزهم «**فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله**» وبالنظر إلى هذا الجواب، جُمِعَ الضميرُ في ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ هنا، وأُفردَ في القَصَص.

فإن قلتَ: قال في سورة يونس ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ وقد عجزوا عنه، فكيف قال هنا: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾؟!

قلتُ: قيل: نزلتْ سورةُ هودٍ أولاً، لكنْ أنكره المبرّد وقال: بل سورةُ يونس أولاً، قال: ومعنى قوله في سورة يونس ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] أي في الإِخبار عن الغيب، والأحكامِ، والوعدِ والوعيد، فعجزوا، فقال لهم في سورة هود: إنْ عجزتم عن ذلك، فأْتوا بعشر سورٍ مثلِه في البلاغة، لا في غيره مما ذُكرَ، وما قاله هو المتَّجِه.

وهذا وتحريرُ الأول، مع زيادة أن يُقال: إنَّ الإِعجاز وقع أولاً بالتحدِّي بكل القرآن في آية ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] فلمَّا عجزوا تحدَّاهم ـ بعشر سورٍ، فلما عجزوا تحدَّاهم بسورة، فلما عجزوا تحدَّاهم[2] ـ بدونها بقوله: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [الطور: ٣٤].

٦ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]. قال ذلكَ هنا، وقال في النَّحل: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩] لأنَّ ما هنا نزل في قومٍ صدُّوا عن سبيل الله، وصدُّوا غيرهم، فضلُّوا وأضلُّوا.

---

(١) تتمة الآية: ﴿فإنْ لمْ يَستجِيبُوا لكُمْ فاعْلَمُوا أنَّما أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ..﴾ هود آية (١٤).

(٢) ما بين المعترضتين سقط من النسخة المحمودية.

وما هناكَ نزل في قومٍ صدُّوا عن سبيل اللَّه، فناسب في الأول «الأخسرون» وفي الثاني «الخاسِرون».

٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ ...﴾ [هود: ٢٨].

قال هنا بتقديم «رحمة»[(١)] على الجار والمجرور، وعكس بعدُ في قوله ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ وفي قوله ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾[(٢)] [هود: ٨٨] ليوافق كلٌّ منهما ما قبله، إذِ الأفعال المتقدمة هنا وهي: «ترى، ونرى، ونظنُّ» لم يفصل بينها وبين مفاعيلها جارٌّ ومجرور، والفعلُ المتقدِّم بعدُ، وهو «كان» في الثاني و«نَفْعَلَ» في الثالث، فَصَل بينه وبين مفعوله جارٌّ ومجرور، إذ خبرُ «كان» كالمفعول.

فإن قلتَ: لمَ قال في الأوَّلَيْن «وآتاني» وفي الثالث «ورزقني»؟!

قلتُ: لأنَّ الثالث تقدَّمه ذكرُ الأموال، وتأخَّر عنه قولُه «رزقاً حسناً» وهما خاصَّان، فناسبهما قولُه «ورزقني» بخلاف الأوَّلَيْن فإنه تقدَّمهما أمورٌ عامة، فناسبها قوله][(٣)] «وآتاني».

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ...﴾ [هود: ٢٩].

إن قلتَ: لمَ قال هنا حكايةً عن نوحٍ بلفظ «مالاً» وقاله بعدُ حكايةً عن هودٍ بلفظِ «أجراً»[(٤)]؟!

قلتُ: توسعةً في التعبير عن المراد بمتساويين، ولأن قصَّةَ نوحٍ وقع بعدها «خزائن» والمالُ بها أنسبُ.

---

(١) أشار إلى قوله تعالى في قصة صالح: ﴿قَالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُم إنْ كنتُ عَلَى بيِّنةٍ مِنْ رَبِّي وآتاني منهُ رَحْمَةً فمنْ ينصرني من اللّهِ إنْ عصَيْتُهُ فما تَزيدونني غيرَ تخسير﴾ (٦٣).

(٢) أشار إلى قوله تعالى في قصة شعيب: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ عَلَى بَيِّنةٍ من رَبِّي ورزقني منه رزقاً حَسَناً وما أريدُ أنْ أخالِفَكُمْ إلى ما أنهاكم عنه﴾ آية (٨٨).

(٣) ما بين القوسين سقط من نسخة الجامعة، وهو مثبت في النسخة المحمودية والمصوَّرة.

(٤) أشار إلى قوله تعالى عن هود: ﴿يا قوم لا أسألكُم عليهِ أجراً إن أجرِيَ إلا على الذي فَطَرَني أفَلا تَعقِلون﴾.

فإن قلتَ: لم قال في الأولى «ويا قوم» بالواو، وفي الثانية «يا قوم» بدونها؟
قلتُ: لطول الكلام، الواقع بين النداءين في قصة نوح، وقصر ما بينهما في قصة هود، فناسب ذكرُ الواو في الأول، لتوصيل ما بعدها بما قبْلَها.

٩ ـ قوْله تعَالَى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ . . .﴾ [هود: ٤٣] الآية. الاستثناءُ فيه منقطعٌ، لأن من رحمه اللَّهُ معصومٌ لا عاصم.

أو متَّصلٌ لأن معنى من رحمَ الراحمُ ـ وهو اللَّهُ ـ فكأنه قيل: لا عاصم إلا اللَّه.

أو لأن عاصماً بمعنى معصوم، كـ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[1] [الطارق: ٦]، و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

١٠ ـ قوْلُه تعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى . . .﴾ الآية [هود: ٤٤].

إن قلتَ: هما لا يعقلان فكيف أُمِرا؟
قلتُ: الأمرُ هنا أمرُ «إيجادٍ» لا أمرُ «إيجاب»، فلا يُشترط فيه فهمٌ ولا عقل، لأنَّ الأشياء كلَّها منقادةٌ للَّهِ تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

١١ ـ قوْله تعَالَى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى . . .﴾ [هود: ٤٥] الآية. قاله هنا بالفاء، وقال في مريم في قصة زكريا ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ﴾ [مريم: ٣، ٤] بلا فاء.. لأنه أُريد بالنداء هنا إرادتُه، فهي سببٌ له، فناسبت الفاء الدالة على السببيّة، وهناك لم يُرِدْ ذلكَ، فناسب تركُ الفاء.

١٢ ـ قوْله تعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ . . .﴾ الآية [هود: ٥٣].

إن قلتَ: هودٌ كان رسولاً، فكيف لم يُظْهِرْ معجزةً؟!
قلتُ: قد أظهرها وهي «الريحُ الصَّرْصَرُ» ولا يُقبل قولُ الكفّار في حقه.
قال بعضهم: أو إنَّ الرسول إنما يَحتاج إلى معجزة، إذا كان صاحب

---

(١) مراده بدافق قوله تعالى: ﴿خُلِقَ من مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي مدفوق و﴿عيشةٍ راضيةٍ﴾ أي مرضيّة.

شَريعة، لتنقاد أمتُه إليها، إذْ في كل شريعةٍ أحكامٌ غير معقولة[١]، فيحتاج الرسولُ الآتي بها إلى معجزةٍ، تشهد بصحة صدقه، وهودٌ لم يكن له شريعةٌ، وإنَّما كان يأمر بالعقل، فلا يَحْتاج إلى معجزة، لأنَّ الناسَ ينقادون إلى ما يأمرهم به، لموافقته للعقل.

والمعتمدُ الجوابُ الأول، ولا يلزم من عدم إظهاره معجزةً، عدمُها في نفس الأمر، فقد قال ﷺ: **«ما مِن نَبيٍّ إلَّا وقد أُوتيَ منَ الآياتِ، ما مثلُه آمَن عليهِ البشرُ . . .»**[٢].

وقولُهم: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ كقوله غيرهم ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [المؤمنون: ٢٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨].

قاله في قصة «هود» و«شعيب» بالواو[٣]، وفي قصة «صالح» و«لوط» بالفاء[٤]، لأن العذاب في قصة الأوَّلَيْن تأخَّر عن وقت الوعيد، فناسبَ الإتيان بالواو، وفي قصَّة الأخيرين وقع العذابُ عقب الوعيد، فناسبَ الإتيانُ بالفاء، الدَّالة على التعقيب.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ . . .﴾ الآية [هود: ٥٧] جوابُ الشرط محذوفٌ، إذ الإبلاغُ ليس هو الجواب، لتقدُّمِ على تولِّيهم، وإنما هو متعلِّقُ الجوابِ، والتقديرُ: فقل لهم: قد أبلغتكُم.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ

---

(١) أي لا يدركون حكمتها، وإلَّا فكلُّ شرائع الأنبياء موافقةٌ للعقل السليم.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، وهذا دليل على أن كلَّ نبيٍّ، قد أيَّده اللَّه ببعض المعجزات، لكنْ لم يخبرنا عنها.

(٣) في قصة شعيب قال تعالى: ﴿**ولمَّا جاء أمرُنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه**﴾ هود آية (٩٤).

(٤) قال تعالى في قصة صالح: ﴿**فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ..**﴾ هود آية (٦٦) وقال في قصة لوط: ﴿**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلَها ..**﴾ هود آية (٨٢).

﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]. كرَّر التنجية، لأنَّ المراد بالأولى: تنجيتُهم من عذاب الدنيا، الذي نَزَلَ بقوم هود، وهي «سموم» أرسلها اللَّهُ عليهم، فقطَّعتهم عُضْواً عُضْواً.

وبالثانية: تنجيتُهم من عذاب الآخرة[1]، الذي استحقَّه قوم هودٍ بالكفر.

١٦ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ . . .﴾ الآية [هود: ٦٠]. قاله هنا بذكر «الدنيا» وقال في قصة موسى بعد ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً﴾ [هود: ٦٠] بحذفها، اختصاراً واكتفاءً بما هنا.

١٧ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧]. قاله هنا في قصة صالح، بلا «تاء» وقاله بها بعدُ في قصة شعيب[2]، وكلٌّ صحيح، لكنْ اختصَّ الثاني بها، لأنَّ قوم شعيب وقع الإخبار عن عذابهم، بثلاثة ألفاظٍ مؤنثة ـ في الأعراف[3]، والعنكبوت[4] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] وهنا «الصيحة» وفي الشعراء[5] «الظلة» ـ وقعت لهم الثلاثة في ثلاثةِ أوقات.

١٨ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ . . .﴾ [هود: ٨١]. استثنى فيها ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ ولم يستثنها منها في الحِجْر[6] اكتفاءً باستثنائها ثَمَّ قبله، في قوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ [الحجر: ٥٩، ٦٠].

---

(١) ما قاله الشيخ فيه نظرٌ، فإن الراجح أن المراد بالعذاب الغليظ، هي «الريح المدمِّرة» التي كانت تُخرِّب المنازل والمساكن، كما قال تعالى: ﴿ما تَذَرُ من شيْءٍ أتت عليه إلَّا جَعَلَتْهُ كالرَّميم﴾ فهي تأكيدٌ للعذاب السابق، الذي حلَّ بعادٍ قوم هود، وليس عذاب الآخرة.

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ الذينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ فأصبَحُوا في دِيَارِهِمْ جاثمين﴾ هود آية (٩٤).

(٣) في الأعراف: ﴿فَأَخذتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دَارِهِم جاثِمينَ﴾ آية (٧٨).

(٤) وفي العنكبوت: ﴿فكذَّبُوهُ فأخذتْهُمُ الرَّجْفةُ فأصبَحُوا في دارهمْ جاثِمينَ﴾ آية (٣٧).

(٥) وفي الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إنَّه كَانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ آية (١٨٩).

(٦) في الحجر: ﴿فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ واتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ منكُم أَحَد وامْضُوا حَيثُ تُؤْمَرُونَ﴾ آية (٦٥).

١٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ...﴾ الآية [هود: ٨٤]. هذا النَّهيُ يتضمَّن الأمر بالإيفاء، وصرَّح به بعدُ في قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [هود: ٨٥] وهو يتضمَّنُ النهي عن النقص، ففي ذلك تأكيدٌ على الحثِّ على عدم البَخْس، وعلى الحثِّ على العدل، وقدَّمَ النَّهيَ على الأمر، لأنَّ دفع المفاسد آكدُ من جلبِ المصالح.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ...﴾ الآية [هود: ١٠٥]. مُقَيَّدٌ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١] أي بإذن الله، ولا يُنافي ذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]. لأنَّ في يوم القيامة مواقفَ، ففي بعضها لا يُؤذن لهم في الكلام، فيُكفُّون عنه، وفي بعضها يُؤذنُ لهم فيه، فيتكلَّمون.

٢١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٤].

إن قلتَ: «مِنْ» للتبعيض، ومعلومٌ أن الناس كلَّهم، إمَّا شقيٌّ أو سعيدٌ، فما معنى التبعيض؟!

قلتُ: التبعيضُ صحيحٌ لأنَّ أهلَ القيامة ثلاثةُ أقسام:

أ ـ قسمٌ شقيٌّ، وهم أهلُ النَّار.

ب ـ وقسمٌ سعيدٌ، وهم أهلُ الجنَّة.

جـ ـ وقسمٌ لا شقيٌّ ولا سعيدٌ، وهم أهل الأعراف، وإن كان مصيرُهم إلى الجنة، كما قاله قتادة وغيره.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ...﴾ الآية [هود: ١٠٨].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنَّ السمواتِ والأرضَ يَفْنيان، وذلكَ يُنافي الخلودَ الدائم؟!

قلتُ: هذا خرج مَخْرج الألفاظ، التي يُعَبِّر العرب فيها عن إرادة الدَّوام، دون التأقيت، كقولهم: لا أفعل هذا ما اختلفَ الليلُ والنَّهارُ، وما دامتِ السمواتُ والأرضُ، يريدُ لا يفعلُه أبداً.

أو أنهم خوطبوا على معتقدهم أنَّ السموات والأرض لا يفنيان.

أو أن المراد سمواتُ الآخرة وأرضُها، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وتلك دائمة لا تفنى.

إن قلتَ: إذا كان المرادُ بما ذُكر الخلودُ الدائم، فما معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾؟ [هود: ١٠٧].

قلتُ: هو استثناءٌ من الخلود في عذاب أهل النار[1]، ومن الخلود في نعيم أهل الجنة، لأن أهل النَّار لا يُخلَّدون في عذابها وحده، بل يُعذَّبون بالزمهرير، وبأنواع أُخَرَ من العذابِ، وبما هو أشدُّ من ذلك، وهو سَخَطُ اللَّهِ عليهم.

وأهلُ الجنة لا يُخلَّدون في نعيمها وحده، بل يُنعَّمون بالرضوان، والنظرِ إلى وجهِه الكريم، وغير ذلك، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[2] [هود: ١٠٨].

أو «إلَّا» بمعنى غير، أي خالدين فيها ما دامت السَّمواتُ والأرضُ، غير ما شاء اللَّهُ من الزيادة عليهما، إلى ما لا نهاية له.

أو «إلَّا» بمعنى الواو[3]، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النمل: ١٠، ١١].

٢٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. قاله هنا بصيغة «لِيُهلِكَ» لأنه لمَّا ذكر قولَه «بِظُلْم» نفى الظُّلم عن نفسه، بأبلغ لفظٍ يُستعمل في النفي، لأنَّ اللام فيه لام الجحودِ، والمضارعُ يُفيد الاستمرار، فمعناه: ما فعلتُ الظُّلمَ فيما مضى، ولا أفعله في الحال، ولا في المستقبل، فكان غايةً في النفي.

---

(١) الاستثناءُ في أهل التوحيد، فإن لفظة «شَقُوا» تعمُّ الكفار والعُصَاة من المؤمنين، فاستثنى اللَّه من خلود أهل الشقاوة والكفر، أهلَ العصيان، فإنهم يُطَهَّرون في جهنم، ثم يخرجون منها بشفاعة سيد المرسلين ﷺ ويدخلون الجنة.

(٢) أي غير مقطوعٍ بل هو دائمٌ مستمرٌ.

(٣) الظاهرُ ـ واللَّه أعلمُ ـ أنَّ «إلَّا» في قوله: ﴿إلَّا من ظَلَمَ﴾ بمعنى: «لَكِنْ» أي: لكنْ من ظلم من سائر الناسِ، ثم تاب فإن اللَّه يتوب عليه، وعلى ما ذهب إليه الشيخ يكون المعنى: لا يخاف لديَّ المرسلون ولا من ظَلَم من سائر الخلق.

وقاله في القصص[١]، بدون ذكر «بظلم»، فاكتفى بذكر اسم الفاعل، المفيد للحال فقط، وإن كان يُستعمل في الماضي، والمستقبل مجازاً.

٢٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ...﴾ الآية [هود: ١٢٠].

إن قلتَ: ما الجمعُ بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾؟ [النساء: ١٦٤]

قلتُ: معناه كلُّ نبأٍ نقصُّه عليك من أنباء الرسل، هو ما نثبت به فؤادك، فـ«ما» في موضع رفعٍ خبر مبتدأ محذوف، فلا يقتضي اللفظُ قصَّ أنباء جميع الرسل.

٢٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ...﴾ [هود: ١٢٠].

أي في هذه الأنباءِ، أو الآيات، أو السورة.

خَصَّها بالذِّكر، تشريفاً لها، وإن كان قد جاءه الحقُّ في جميع السُّوَر، كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ...﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والتعريف بـ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ إما للجنس، أو للعهد، والمرادُ به: البراهينُ الدالة على التوحيد، والعدل، والنبُوَّة.

«تمت سورة هود»

* * *

---

(١) في القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حتَّى يبعثَ في أُمِّهَا رَسُولاً..﴾ آية (٥٩).

سُورَةُ يُوسُف

١ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ **[يوسف: ٤]**.

ذِكرُ الرؤيةِ ثانياً، جواباً لسؤالٍ مقدَّر من «يعقوب» عليه السلام، كأنه قال ليوسف بعد قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ **[يوسف: ٤]** كيفَ رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها، فقال مجيباً له: رأيتُهم لي ساجدين.

وقيل: ذكره توكيداً، وجمع الكواكب في قوله «رأيتُهُم لي سَاجِدِينَ» جمع العقلاء، لوصفه لها بما هو من صفات العقلاء، وهو السجود، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُ . . .﴾ **[النمل: ١٨]**.

٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ . .﴾[١] الآية **[يوسف: ٩]**. هذا قولُ إخوة يوسف.

إن قلتَ: كيف قالوا ذلك وهم أنبياءُ؟!

قلتُ: لم يكونوا أنبياءَ على الصحيح[٢]، وبتقدير أنهم كانوا أنبياءَ، إنما قالوا ذلك قبل نبوَّتهم.

والقولُ بأن ذلك من الصغائر، أو بأنهم قالوه في صغرهم، ضعيفٌ.

---

(١) سورة يوسف آية (٩) وهذه على قراءة النون ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾، وقراءة حفص «يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ».

(٢) كيف يكونون أنبياء، وقد أقدموا على أعمال شنيعة، تُنافي النبوّة والرسالة!! فإن الأنبياء معصومون عن الذنوب، وهؤلاء حسدوا أخاهم يوسف، وعزموا على قتله، وكذبوا على أبيهم حين قالوا: ﴿أكله الذئبُ﴾ ورموا أخاهم في الجبِّ، إلى غير ما هنالك من أفعالٍ هي من الكبائر وعظائم الأمور، فالقول بأنهم أنبياء لا يقبله عقل حصيف، وانظر ما قاله العلامة الحافظ ابن كثير في تفسيره الكبير، فقد ردَّ بالحجة والبرهان القول بأنهم أنبياء، وذَكَر القول الحقَّ، فتدبره فإنه نفيس.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢].

إن قلتَ: كيف قالوا ذلك، مع أنهم كانوا بالغينَ عاقلين ـ وأنبياء أيضاً على قولٍ؟ ـ وكيف رضي يعقوب بذلك منهم، على قراءة النون؟!

قلتُ: كان لعبُهم المسايفة[1] والمناضلة، يؤيده ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧]، وسمَّوه لعباً لأنه في صورة اللَّعب.

قال الفخر الرازي: ويَرِدُ على أصل السؤال أن يُقال: كيف يتورَّعون عن اللَّعب، وهم قد فعلوا ما هو أعظم حرمةً من اللَّعب وأشدُّ، وهو إلقاءُ أخيهم في الجُبِّ على قصد القتل!!

قلتُ: لم يكن وقتَ إلقاء أخيهم يوسف في الجبِّ، وقتُ طلب تورُّعهم عن اللَّعب ولا قتله، وأصلُ السؤال إنما وقع على طلب التورُّع المتقدِّم على الإلقاء، لكنْ يُطلب الجوابُ عن إلقائهم له في الجب من أن ذلك من المعاصي!؟ ويُجابُ بما مرَّ في الجواب عن قولهم ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾!!

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي وحيَ إلهامٍ لا وحيَ رسالة، لأنه يومئذٍ لم يكن بالغاً، ووحيُ الرسالةِ إنما يكونُ بعد الأربعين.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]. قاله هنا بدون «واستوى» وقال في القصص[2] به، لأن يوسف أُوحيَ إليه في الصِّغر، و«موسى» أُوحي بعد أربعين سنة، فقولُه «واستوى» إشارة إلى تلك الزِّيادة.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ...﴾ الآية [يوسف: ٢٥]. وحَّد الباب هنا، وجمعه قبلُ في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾

(١) معنى المسايفة: الضربُ بالسيف، وأما المناضلة فهي الرماية.
(٢) في القصص: ﴿ولمَّا بَلَغَ أشدَّه واستَوَى آتيناهُ حُكماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجزِي المُحْسِنينَ﴾ آية (١٤).

[يوسف: ٢٣] لأن إغلاقَ الباب للاحتياط، لا يتمُّ إلَّا بإغلاق الجميع، وأمَّا هروبه منها فلا يكونُ إلَّا إلى باب واحد، حتَّى لو تعدَّدت أمامه لم يقصد منها أوَّلاً إلّا الأول، فلهذا وحَّد البابَ هنا وجَمَعه ثَمَّ.

٧ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦].

كرَّر «لعلَّ» رعايةً للفواصل، إذْ لو قال: لعلِّي أرجع إلى الناس فيعلموا بحذف النون، جواباً لـ«لعلَّ» لفاتت الرعاية[١].

٨ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥].

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع أن الأنبياء عليهم السَّلام أعظمُ النَّاسِ زُهْداً في الدُّنيا، ورغبةً في الآخرة؟!

قلتُ: إنما طلبَ ذلكَ ليتوصَّل به، إلى إمضاءِ أحكام اللَّه تعالى، وإقامة الحقِّ، وبسط العدل ونحوه، ولعلمِه أنَّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك[٢].

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ....﴾ [يوسف: ٥٩].

قاله هنا بالواو، وقاله بعدُ بالفاء[٣]، لأنه ذكر هنا أول مجيئهم إلى يوسف، فناسبته الواو، الدَّالةُ على الاستئناف.

وذُكر بعدُ عند انصرافهم عنه، عطفاً على ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ [يوسف: ٦٨] فناسبته الفاء الدَّالةُ على الترتيب والتعقيب.

١٠ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

إن قلتَ: كيف جاز ليوسف أن يأمر المؤذِّنَ بأن يقول ذلك، مع أنَّ فيه بهتاناً، واتِّهامَ من لم يسرقْ بأنه سَرَق؟!

---

(١) المراد بالرعاية، «رعاية الفواصل» وهي أواخر الآيات الكريمة مثل: «يرجعون، يعلمون، يتقون» ومثل: «المؤمنين، المحسنين، المرسلين» فهذه الفواصل كالقافية في الشعر، ولو قال: ليعلموا؛ لاختلَّ توازن الآيات.

(٢) لم يقل يوسف عليه السلام: ﴿إني حفيظٌ عليمٌ﴾ تزكيةً لنفسه، ولا مدحاً لها، وإنما قاله تحدثاً بنعمة اللَّه، وإشعاراً بدرايته ودربته على تدبير شؤون الدولة.

(٣) في قوله: ﴿فَلَمَّا جَهَّزهم بجهازِهِمْ جَعَلَ السِّقايةَ في رَحْلِ أخيه﴾ آية (٧٠).

قلتُ: إنما قاله «تورية» عما جرى منهم مجرى السرقة [١]، من فعلهم بيوسف ما فعلوا أولاً.

أو كان ذلك القولُ من المؤذِن، بغير أمر يوسف عليه السلام.

أو أنَّ حكم ذلك حكم «الحِيَل الشَّرعية» التي يُتوصل بها إلى مصالح دينيَّة، كقوله تعالى لأيوب: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [صَ: ٤٤]، وقول إبراهيم في حقِّ زوجته: ﴿**هي أختي**﴾ لِتَسْلَم من يد الكافر [٢].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [**يوسف**: ٨٧]. ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي من رحمته ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

إن قلتَ: مِنَ المؤمنينَ مَنْ ييأسُ من روْحِ اللّهِ، لشدَّةِ مصيبته، أو كثرةِ ذنوبه، كما في قصة الذي أمر أهله إذا مات أن يحرقوه.. [٣] الحديث ثم إنَّ اللّهَ تعالى غفرَ له؟!

قلتُ: إنما ييأس من رَوْحِ اللّه الكافرُ، لا المؤمنُ، عملاً بظاهر الآية، فكلُّ من أَيِسَ من روْح اللّهِ فهوَ كافرٌ، حتَّى يعود إلى الإيمان، ولا نُسلِّم أن صاحبَ القصَّةِ مات آيساً، ولم يُفْسَحْ له الرجوع عن وصيَّته.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا...﴾ الآية [**يوسف**: ٩٦]. قال هنا وفي العنكبوت آخراً في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [**العنكبوت**: ٣٣] بذكر «أن».

---

(١) إنما استحلَّ أن يرميهم بالسرقة، لما في ذلك من المصلحة، بإمساك أخيه «بنيامين»، فهي طريقة للتوصل إلى ما فيه مصلحة جليلة.

(٢) لمَّا هاجر إبراهيم عليه السلام إلى مصر، كانت معه زوجته «سارة» وكانت ذات جمالٍ باهر، وأراد حاكم مصر الطاغية الجبار أن يغتصبها، لأنه كان لا يسمع بأن أحداً عنده زوجة جميلة إلَّا وقهره عليها، وأخذها منه اغتصاباً، فلذلك أمرها إبراهيم عليه السلام أن تقول له: أنا أخته لتسلم من كيد الفاجر، وقال لها إبراهيم: إنكِ أختي في الإسلام، والقصةُ في البخاري.

(٣) خلاصة القصة أن رجلاً أسرف على نفسه في العصيان، فلما دنت وفاته جمع أولاده وقال لهم: إني لم أفعل خيراً قط، وإنَّ ربّي إذا قدر عليَّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فإذا أنا متُّ فخذوا جثّتي فاحرقوها، ثم اسحقوها سحقاً دقيقاً، ثم انتظروا يوماً عاصفاً شديد الرياح، فانثروا نصفها في البرّ، ونصفها في البحر.. الخ وانظر تمام القصة في صحيح البخاري.

وقال في هود: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [هود: ٧٧] وفي العنكبوت أولاً ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [العنكبوت: ٣١] بحذفها بيَّنها على جواز الأمرين.

والقولُ بأنَّ ذكرَ «أن» يدلُّ على وقوع جواب «لمَّا» حالاً، بخلاف ما إذا حُذفت، يُرَدُّ بأنَّ آية هود، وآية العنكبوت، التي ذُكر فيها «أن» متَّحدتان شرطاً وجواباً، مع أنَّ «أنْ» ذُكرت في إحداهما، وحُذفت من الأخرى. إلَّا أن يُقال إنها إذا لم تُذكر، لم يلزم وقوعُ جواب «لمَّا» حالاً.

١٣ ـ قوله تعالَى: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ...﴾ الآية [يوسف: ١٠٠].

إن قلتَ: كيف جاز لهم أن يسجدوا ليوسف، والسجودُ لغير اللَّه حرامٌ؟!

قلتُ: المرادُ أنهم جعلوه كالقِبْلَةِ، ثم سجدوا للَّه تعالى، شكراً لنعمة وُجْدَان يوسف، كما تقول: سجدتُ وصلَّيتُ للقِبْلة.

واللَّامُ للتعليل[١] أي لأجله سجدوا للَّهِ، ومنه قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] أي إنما سجدتُ للَّهِ، لأجل مصلحتي، والسعي في إعلاء منصبي.

١٤ ـ قـولـه تـعـالَـى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

إن قلتَ: لمَ ذكر «يوسف» عليه السلام، نعمةَ اللَّه عليه في إخراجه من السجن، دون إخراجه من الجبِّ، مع أنه أعظم نعمةً، لأن وقوعَه في الجبِّ كان أعظمَ خَطَراً؟!

قلتُ: لأن مصيبة السجن كانت عنده أعظم، لطول مدَّتها، ولمصاحبته الأوباش وأعداءَ الدين فيه، بخلاف مصيبة الجبِّ، لِقصَر مدَّتها، ولكون المؤنس له فيه جبريل عليه السلام، وغيره من الملائكة.

أو لأنَّ في ذكر الجُبِّ «توبيخاً وتقريعاً» لإخوته، بعد قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

---

(١) هذا القولُ ضعيف، والسجود ليوسف كان سجود تحيةٍ وتكريم، لا سجود تحيةٍ وخضوع وعبادة، وكان هذا جائزاً في شريعتهم، وقد نُسخ في شريعتنا الإِسلامية.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

إن قلتَ: كيف قال يوسف ذلك، مع علمه بأنَّ كل نبيٍّ لا يموت إلَّا مسلماً؟

قلتُ: قاله إظهاراً للعبودية والافتقار، وشدَّة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة، وتعليماً للأمة، وطلباً للثواب.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الإِيمان والشرك لا يجتمعان؟

قلتُ: معناه: وما يؤمنُ أكثرُهم بأن اللَّهَ خالقُه ورازقُه، وخالقُ كل شيءٍ قولاً، إلا وهو مشرك بعبادة الأصنام فعلاً[١].

أو أن المراد به المنافقون، يؤمنون بألسنتهم قولاً، ويشركون بقلوبهم اعتقاداً.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ . . .﴾ [يوسف: ١٠٩]. قاله هنا، وفي الحج[٢]، وفي آخر غافر[٣] بالفاء، وقاله في الروم[٤]، وفاطر[٥]، وأول غافر[٦] بالواو.

لأن ما في الثلاثة الأول، تقدّمه التعبيرُ في الإِنكار بالفاء في قوله هنا

---

(١) كان المشركون من أهل مكة يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلَّا شريكاً هو لك، تملكه وما مَلَك، فما كانوا يُخلصون حتى في تلبيتهم للَّه، حتى يشركوا معه آلهتهم من الأوثان والأصنام.

(٢) في الحج: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها . .﴾ آية (٤٦).

(٣) في غافر: ﴿أفلم يسيروا في الأرضِ فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم . .﴾ آية (٨٢).

(٤) في الروم: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم . .﴾ آية (٩).

(٥) في فاطر: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم . .﴾ آية (٤٤).

(٦) في أول غافر: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشدَّ منهم قوّة . .﴾ آية (٢١).

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ [يوسف: ١٠٧] وفي الحج ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الحج: ٤٥] وفي آخر غافر ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾؟ [غافر: ٨١]

وما في الثلاثة الأخيرة، تقدَّمه التعبيرُ بالواو في قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الروم: ٨] وفي فاطر ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] وفي أول غافر ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ [غافر: ١٨] ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ [غافر: ٢٠].

«تمت سورة يوسف»

* * *

سُورَةُ الرَّعْد

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] [الرعد: ٣]. ختم الآية هنا بـ«يتفكَّرُون» وختمها بعد بـ«يعقلون»[2]، لأن التفكُّر في الشيء سببٌ لتعقُّله، والسبب مقدَّم على المسبَّب، فناسَب تقدم التفكر على التعقُّل.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ...﴾ الآية [الرعد: ١٥].

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ هنا، وقال في الحج ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [الحج: ١٨]. وفي النَّحل ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾؟! [النحل: ٤٩].

قلتُ: لأنه هنا ذكر العلويَّات، من الرَّعد، والبرق، والسَّحاب، ثم الملائكة بتسبيحهم، ثم الأصنام والكفار، فبدأ بذكر ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ليقدّم ذكرهم، وأتبعهم من في الأرض، ولم يذكر «من» استخفافاً بالأصنام والكفار.

وفي الحج تقدَّم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقد ذكر ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لشرفهم، ثم قال: ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ليقدّم ذكر المؤمنين.

وفي النَّحل: تقدَّم ذكرُ ما خلقه اللَّه عامّاً، ولم يكن فيه ذكرُ الملائكةِ والرعد، ولا الإِنس بالتصريح، فاقتضت الآيةُ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[3] فقال في كلِّ آيةٍ ما يناسبها.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ...﴾ [الرعد: ٢٦] قاله

---

(١) الآية الأولى: ﴿يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ الرعد آية (٣).

(٢) الآية الثانية: ﴿ونُفَضِّلُ بعضها على بعضٍ في الأُكُلِ إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعْقِلُونَ﴾ الرعد آية (٤).

(٣) في قوله تعالى: ﴿أو لَمْ يَرَوْا إِلى مَا خَلَقَ اللَّهُ من شَيْءٍ يَتَفَيَأُ ظِلَالُهُ عَنِ اليمين وَالشمائلِ سُجَّداً للَّهِ وهم دَاخِرُونَ. ولِلَّهِ يَسْجُدُ ما في السَّمواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ..﴾.

هنا، وفي القَصَص[(١)]، والعنكبوتِ[(٢)]، والرُّوم[(٣)]، بلفظ «اللَّهُ» وفي الإسراء[(٤)]، وفي سبأ في موضعين بلفظ الرب[(٥)]، وفي الشُّورى[(٦)] بإضمار لفظ «اللّه» وبزيادة «له» في العنكبوت[(٧)]، وفي ثاني موضعيْ سبأ، موافقةً لتقدم تكرر لفظ «اللّه» في السور الأربع، ولتقدّم تكرر لفظ الربّ في المواضع الثلاثة، ولتقدم تكرّر الإضمار في الشورى.

وزاد في العنكبوت[(٨)] «من عباده» و«له» موافقةً لبسْطِ الكلام على الرزق المذكور فيها صريحاً.

وزاد في القَصَص ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[(٩)] [القصص: ٨٢] موافقةً لذلك، وإن كان لفظ الرزق فيه تَضَمُّنَنَا.

وزَادَ «له» في ثاني موضعَيْ سبأ[(١٠)]، لأنه نزل في المؤمنين، وما قبله في الكافرين.

وحذف لفظ «له» في العنكبوت، وفي أول موضعَيْ سبأ اختصاراً.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

---

(١) في القصص: ﴿وأصبحَ الذينَ تمنَّوْا مكانَهُ بالأَمس يقولُونَ ويكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرزقَ لمن يشاء من عبادِهِ ويقدر﴾ آية (٨٢).

(٢) في العنكبوت: ﴿اللَّهُ يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ من عباده وَيَقْدِرُ له إن اللَّه بكل شيء عليم﴾ آية (٦٢).

(٣) في الروم: ﴿أو لم يَرَوْا أنَّ اللَّهَ يبسط الرزقَ لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقومٍ يؤمنون﴾ آية (٣٧).

(٤) في الإسراء: ﴿إن رَبَّكَ يَبْسُطُ الرزقَ لمَنْ يَشَاءُ ويقدِرُ إنَّهُ كانَ بعبادِهِ خبيراً بصيراً﴾ آية (٣٠).

(٥) في سبأ الموضع الأول: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ آية (٣٦) والثاني: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . . .﴾ آية (٣٩).

(٦) في الشورى: ﴿له مقاليدُ السمواتِ والأرضِ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليمٌ﴾ آية (١٢).

(٧) في العنكبوت: ﴿ويقدرُ له إن اللَّه بكل شيءٍ عليمٌ﴾ وقد تقدم في رقم (١).

(٨) في العنكبوت: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرزقَ لمنَ يشاء من عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ . .﴾ آية (٦٢).

(٩) في القصص: ﴿ويكأَنَّ اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ آية (٨٢).

(١٠) في سبأ: ﴿قل إن ربي يبسط رزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . .﴾ آية (٩).

إن قلت: كيف طابقَ هذا الجوابُ قولهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟ [الرعد: ٢٧]

قلتُ: المعنى قل لهم: إنَّ اللّٰهَ أنزل عليَّ آياتٍ ظاهرة، ومعجزاتٍ قاهرة، لكنَّ الإِضلال والهداية من اللّٰهِ، فأضلَّكم عن تلك الآيات، وهَدَى إليها آخرين، فلا فائدةَ في تكثيرِ الآياتِ والمعجزاتِ. أو هو كلامٌ جرى مجرى التعجب من قولهم، لأن الآيات الباهرة المتكاثرة، التي ظهرت على يد النبي ﷺ، كانت أكثرَ من أن تشتبه على العاقل، فلمَّا طلبوا بعدها آياتٍ أُخَر، كان محلَّ التعجب والإِنكار، فكأنَّه قيل لهم: ماأعظم عنادكم!! إنَّ اللّٰه يُضلّ من يشاء، كمن كان على صنيعكم، من التَّصْميم على الكفر، فلا سبيل إلى هدايتكم، وإنْ أُنزلت كلُّ آية!! ويهدي من كان على خلاف صنيعكم.

٥ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ . . .﴾؟ [الرعد: ٣٣].

إن قلتَ: كيف طابق قوله عقبه «**وجعلوا للّٰهِ شركاء قل سَمُّوهم**»؟

قلتُ: فيه محذوفٌ تقديره: أفمن هو رقيبٌ على كل نفسٍ، صالحةٍ وطالحةٍ، يعلمُ ما كسبتْ من خيرٍ وشرٍ، كمن ليس كذلك؟ من شركائهم التي لا تضرُّ ولا تنفع؟ ويدلُّ له قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ونحوُه قولُه تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢] تقديره: كمنْ قَسا قَلْبُه؟ يدلُّ له قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

٦ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ . . .﴾ [الرعد: ٣٦].

إن قلتَ: كيف اتصل هذا بقوله قبله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾؟ [الرعد: ٣٦].

قلتُ: هو جوابٌ للمنكرين معناه: قل إنما أُمرت فيما أُنزل إليَّ، بأن أعبد اللّٰه ولا أشرك به، فإنكاركُم لبعضه، إنكارٌ لعبادة اللّٰه وتوحيده.

٧ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾(١) [الرعد: ٤٢].

---

(١) نبّه تعالى على أن كيد المشركين ومكرهم، لإطفاء نور اللّٰه لا أثر له، فإن الأمر كلّه بيد اللّٰه، يردُّ كيدهم في نحورهم، ويبطل ما عزموا عليه، لأنه تعالى هو القويُّ الغالب.

إن قلتَ: كيف أثبتَ لهم مكراً ثم نفاه عنهم بقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾؟.

قلتُ: معناه إن مكر الماكرين مخلوقٌ له، ولا يضرُّ إلا بإرادته، فإثباته لهم باعتبار الكسب، ونفيُه عنهم باعتبار الخلق.

«تمت سورة الرعد»

* * *

سُورَة إبراهِيم

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾ [إبراهيم: ٤].

إن قلتَ: هذا يقتضي أن النبي ﷺ إنما بُعث إلى العرب خاصة، فكيف الجمعُ بينه وبين قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾؟ [الأعراف: ١٥٨] وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؟ [سبأ: ٢٨].

قلتُ: أُرسل إلى النَّاس كافةً بلسان قومه وهم العرب، ونزولُه بلسانهم مع الترجمة لباقي الألسُنِ كافٍ، لحصول الغرض بذلك، ولأنه أبعدُ عن التحريف والتبديل، وأسلمُ من التنازع والاختلاف..

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾ [إبراهيم: ١٠] «مِنْ» زائدة، إذِ الإسلامُ يُغفر به ما قبله، أو تبعيضيَّة لإخراج حقّ العباد.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]. قال ذلك هنا، وقال بعده: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. لأن الإيمان سابق على التوكل.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ...﴾ [إبراهيم: ١٨]. قدَّم «مما كسبوا» على ما بعده، لأن الكسب هو المقصودُ بالذُّكر، بقرينة ما قبله، وإن كان القياسُ عكسُ ذلك كما في البقرة[1]، لأن ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[2] صِلةٌ لـ﴿يَقْدِرُونَ﴾ و﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ صفةٌ لشيءٍ.

---

(١) في البقرة: ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ آية (٢٦٤).

(٢) في المحمودية: «قبله» وهو خطأ، وما أثبتناه هو الصواب كما في مخطوطة الجامعة.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ . . .﴾ [إبراهيم: ٢٦٤]. قاله هنا بدون «لكم» وقاله في النمل بذكر «لكم» اكتفاءً هنا بذكره بعد، لا سيما وقد ذُكر مكرَّراً.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ . . .﴾ [إبراهيم: ٣٦].

إن قلتَ: كيف جعل الأصنام مضلَّةً، والمضِلُّ ضارٌّ، وقد نفى عنهم الضرر بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾؟! [يونس: ١٨].

قلتُ: نسبةُ الإِضلال إليه مجازٌ، من باب نسبة الشيء، إلى سببه، كما يُقال: فتنتهم الدنيا، ودواءٌ مُسْهِل، فهي سببٌ للإِضلال، وفاعلُه حقيقةً هو اللَّهُ تعالى.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٢].

إن قلتَ: كيف استغفرَ إبراهيم عليه السلام لِوَالديْهِ وهما كافرانِ، والاستغفارُ للكافر حرامٌ؟!

قلتُ: المعنى: واغفرْ لوالديَّ إن أسلما[١]، أو أراد بهما آدم وحواء..

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ . . .﴾ الآية. [إبراهيم: ٤٢].

إن قلتَ: كيف يحسبه النبي ﷺ غافلاً، وهو أعلمُ الخلْق باللَّهِ؟!

قلتُ: المرادُ دوام نهيه عن ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧] وقولِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

ونظيرُه في الأمر قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

أو هو نهيٌ لغير[٢] النبي ﷺ ممَّن يحسبه غافلاً، لجهله بصفاته تعالى.

«تمت سورة إبراهيم»

---

(١) أقول: لا حاجة إلى هذا التقدير، وإنما استغفر إبراهيم لأبيه، لأنه كان قد وعده بالإيمان به كما قال تعالى: **﴿وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلَّا عن مَوْعدةٍ وعدَهَا إيَّاهُ فلمَّا تبيَّنَ له أنه عدوٌ للَّهِ تَبَرَّأَ منهُ إنَّ إبراهيم لأوَّاهٌ حليمٌ﴾** فقد كان استغفارهُ له قبل أن يتحقق من كفره.

(٢) هذا أسلوب التنبيه والتحذير، يُخاطب به القائدُ والرئيسُ، والمرادُ به الأتباعُ والأعوان.

سُورَةُ الحِجْر

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ **[الحجر: ٦]**.

إن قلتَ: كيف وصفوه بالجنون، مع قولهم: ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ أي القرآن، المستلزمُ ذلكَ لاعترافهم بنبوَّته؟!

قلتُ: إنما قالوا ذلكَ (استهزاءً وسُخرية)، لا اعترافاً، كما قال فرعون لقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ **[الشعراء: ٢٧]**.

أو فيه حذفٌ: أي يا أيها الذي تدَّعي أنَّكَ نَزَلَ عليك الذِّكرُ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ **[الشعراء: ٢٣]**.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، والوارثُ من يتجدَّدُ له المُلْكُ، بعد فناءِ المورِّث، واللَّهُ تعالى لم يتجدَّدْ له مُلْكٌ، لأنه لم يزل مالكاً للعالَم؟!

قلتُ: الوارثُ لغةً هو الباقي بعد فناءِ غيره، وإن لم يتجدَّدْ له مُلْك، فمعنى الآية: ونحن الباقون بعد فناء الخلائق، أو إنَّ الخلائق لمَّا كانوا يعتقدون أنهم مالكون، ويسمون بذلك أيضاً مجازاً ثم ماتوا، خلُصت الأملاكُ كلُّها للَّهِ تعالى، عن ذلك التعلق، فبهذا الاعتبار سُمِّي (وارثاً).

ونظيرُ ذلك قولُه تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ **[غافر: ١٦]**، والمُلْكُ له أزليٌّ وأبديٌّ.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ **[الحجر: ٣٥]**.

قال ذلك هنا بتعريف الجنسِ، ليناسب ما قبلَه من التعبير بالجنس، في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الحجر: ٢٦] ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ [الحجر: ٢٧] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ **[الحجر: ٣٠]**.

وقال في صٓ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]. بالإضافة، ليناسب ما قبله من قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾؟ [ص: ٧٥].

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

قاله هنا بزيادة «إِخْوَاناً» لأنه نزل في أصحاب رسول الله ﷺ.

وقاله في غير هذه السورة[(١)] بدونهم، لأنه نزل في عامّة المؤمنين.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢].

حذف منه قبل «قال» اختصاراً، قولَه في هود ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ وفي هود[(٢)] ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٦٩، ٧٠] فحُذف للدلالة عليه.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣].

«لا توجل» أي لا تخفْ، وبه عبَّر في هود[(٣)] توسعةً في التعبير عن الشيء الواحدِ بمتساويَيْن، وخصَّ ما هنا بالأول موافقته قولَه: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢] وما في هود بالثاني لموافقته قولَه: «خيفة».

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر: ٧٦].

إسنادُ التقديرِ إلى الملائكة مجازٌ، إذِ المقدِّر حقيقةً هو اللّهُ تعالى، وهذا كما يقول خواصُ المَلِكِ: دبَّرنا كذا، وأمرنا بكذا، والمدبِّر، والآمرُ هو الملِكُ، وفي ذلكَ إظهارٌ لمزيد قربهم بالملك.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥ ـ ٧٧].

إن قلتَ: كيف جمع الآية أولاً، ووحَّدها ثانياً، والقصَّةُ واحدةٌ؟!

قلت: جمع أولاً باعتبار تعدُّد ما قصَّ من حديث لوطٍ، وضيف إبراهيم،

---

(١) كما في قوله في الأعراف: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهارُ﴾** آية (٤٣).

(٢) في مخطوطة الجامعة وكذلك في المصوَّرة بعض غموض في العبارة، وما أثبتناه أوضح، وهي عبارة الكرماني ويقتضيها السياقُ.

(٣) في هود: **﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط﴾** آية (٧٠).

وتعرُّض أهلِ لوطٍ لهم، وما كان من إهلاكهم، وقلب المدينة على من فيها، وإمطار الحجارة على من غاب عنها.

ووحَّد[١] ثانياً: باعتبار وحْدَةِ قرية قوم لوط، المُشار إليها بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠].

«الحجر» اسمُ واديهم أو مدينتهم.

فإن قلتَ: أصحابُه وهم قومُ صالحٍ، إنما كذَّبوا صالحاً، لأنه المُرْسلُ إليهم، لا المُرْسَلينَ كلَّهُمْ؟!

قلتُ: من كذَّب رسولاً واحداً، كذَّب جميع الرُّسل، لاتفاقهم في دعوة النَّاس إلى توحيد اللَّهِ تعالى.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

إن قلتَ: كيف قال ذلك هنا، وقال في الرحمن: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾؟ [الرحمن: ٣٩].

قلتُ: لأن في يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يُسألون، وتقدَّم نظيرُه في هود.

أو لأن المراد هنا أنهم يُسألون سؤال توبيخٍ، وهو: لِمَ فعلتُمْ، أو نحوه؟ وثَمَّ لا يُسألون سؤال استعلامٍ واستخبار.

«تمت سورة الحِجْر»

* * *

---

(١) في المصوَّرة ووجدها ثانياً، وهو خطأ، والصوابُ ما أثبتناه كما في مخطوطة الجامعة.

سُورَة النّحْل

١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦].

قدَّم الإِراحة على السَّرح، مع أنها مؤخرة عنها في الواقع، لأن الأنعام وقت الإِراحة ـ وهي ردُّها عشاءً إلى مَرَاحها ـ أجملُ وأحسنُ من سَرْحها، لأنها تُقبِل مالئةَ البطون، حافلةَ الضُّروع، متهاديةً في مشيها، بخلاف وقت سرْحِها، وهو إخراجُها إلى المرعى.

٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١].

وحَّدَ الآية في هذه السورة في خمسة[١] مواضعَ، نظراً لمدلولها.

وَجَمَعَها في موضعين[٢] لمناسبة قوله قبلها ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: ١٢].

٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]. قاله هنا بتأخير «فيه» عن «مواخر» وبالواو في «ولتبتغوا»، وقاله في «فاطر» بتقديم «فيه» وحذف الواو[٣]، جرياً هنا على القياس، إذِ «الفلك» مفعول أول لترى، و«مواخر» مفعولٌ ثانٍ له، و«فيه» ظرفٌ وحقُّه التأخيرُ، والواوُ للعطفِ على لام العلة، في قوله: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤] وحَذَفَ الواوَ، لعدم المعطوف عليه هنا.

٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. هذا

---

(١) المواضعُ الخمس هي هذه الآية، والثانيةُ قولهُ: ﴿إِنَّ في ذلكَ لآيةً لقوم يذَّكَّرون﴾ والثالثة: ﴿إِنَّ في ذلكَ لآيةً لقوم يَسْمعون﴾ والرابعةُ: ﴿إِنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يَعْقلُونَ﴾ والخامسة: ﴿إِنَّ في ذَلِكَ لآيةً لقَوم يَتَفَكَّرونَ﴾ آيات (١٣، ٦٥، ٦٩).

(٢) الأول قوله تعالى: ﴿إن في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ الثاني قوله: ﴿إِنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لقوم يؤمنونَ﴾ آية (١٢ و٧٩).

(٣) في فاطر: ﴿وتَرَى الفُلْكَ فيهِ مواخرَ لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ آية (١٢).

من عكس التشبيه[١]، إذْ مقتضَى الظاهر العكسُ، لأن الخطابَ لعُبَّادِ الأوثان، حيثُ سمَّوها آلهةً، تشبيهاً به تعالى، فجعلوا غيرَ الخالقِ كالخالق، فَخُولف في خطابهم، لأنهم بالغوا في عبادتها، حتَّى صارت عندهم أصلاً في العبادة، والخالقُ فرعاً، فجاء الإنكار على وَفْقِ ذلك، ليفهموا المراد على معتقدهم.

إن قلتَ: المرادُ بـ«من لا يخلق» الأصنام، فكيف جيء بـ«من» المختصَّة بأولي العلم؟!

قلتُ: خاطبهم على معتقدهم، لأنهم سمَّوها آلهةً وعبدوها، فأجروها مجرى أولي العلم، ونظيرهُ قولُه تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥].

٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١].

إن قلتَ: ما فائدةُ قوله في وصف الأصنام ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ بعد قوله: «أمواتَ»؟

قلتُ: فائدتُه أنها أمواتٌ لا يَعْقبُ موتَها حياةٌ، احترازاً عن أمواتٍ يعقبُ موتَها حياةٌ، كالنُّطَفِ، والبيض، والأجساد الميتة، وذلك أبلغُ في موتها، كأنه قال: أمواتٌ في الحال، غير أحياءٍ في المآل.

٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١].

إن قلتَ: كيف عابَ الأصنام بأنهم لا يعلمون، مع أنَّ المؤمنين كذلك؟

قلتُ: معناه وما تشعر الأصنام متى تبعث عُبَّادها؟ فكيف تكونُ آلهةً مع الجهل؟ بخلاف المؤمنين فإنهم يعلمون أنه يوم القيامة.

٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ [النحل: ٢٥]. أي ليحملوا أوزار كفرهم مباشرةً، ومِثْلَ أو بعضَ أوزارِ كفرِ مَنْ أضلُّوهم، بتسبُّبهم في كفرهم.. فـ«من» زائدة، أو تبعيضيَّة.

وأمَّا قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فمعناه وزراً لا مَدْخل لها فيه، ولا تعلُّق له بها بتسبُّبٍ ولا غيرِه.

ونظيرُ هاتين الآيتين، سؤالاً وجواباً، قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) الأصل أن يُقال: أفمن لا يَخلُق كمن يَخلُق؟ فعكَسَه، فهو من باب التشبيه المقلوب.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [النحل: ٣٤] قال فيه وفي الجاثية[١] ﴿مَا عَمِلُوا﴾ [الجاثية: ٣٣] وفي الزُّمر[٢] ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ٥١] موافقةً لِمَا قبلَ كلٍّ منها، أو بعده، أو قبله وبعده، إذْ ما هنا قبله ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل: ١٨] و«تعملون» مرَّتين.

وقبلَ ما في الجاثية ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨] ﴿وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٣٠] وبعده ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [الجاثية: ٣٣].

وقبلَ ما في الزمر ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤] وبعده ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٤].

٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

إن قلت: هذا يدلُّ على أنَّ المعدوم شيءٌ، وعلى أنَّ خطاب المعدومِ جائزٌ، مع أنَّ الأول منتفٍ عند أكثرِ العلماء، والثاني بالإِجماع.

قلتُ: أمَّا تسميتُه «شيئاً» فمجازٌ بالأول، وأمَّا الثاني فلأنَّ ذلِكَ خطابُ تكوين، لا خطابُ إيجاد[٣]، فيمتنع أن يكون المخاطب به موجوداً قبل الخطاب، لأنه إنما يكون بالخطاب.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ....﴾ [النحل: ٤٩]، تجوَّزَ بالسجود عن الانقياد، فيما لا يعقل، والسُّجودِ على الجبهة فيمن يعقل، ففيه جمعٌ بين الحقيقة والمجاز، وإنَّما لم يُغلِّب العقلاء من الدَّواب على غيرهم، كما في آية ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] لأنه أراد هنا عموم كلِّ دابة، ولم يقترنْ بتغليبٍ، فجاء بـ«ما» التي تعمُّ النوعين، وفي تلك ـ

---

(١) في الجاثية ﴿وَبَدا لهمْ سَيِّئَاتُ ما عَمِلُوا وَحَاقَ بهم مَا كَانوا بِهِ يَسْتَهزِئونَ﴾ آية (٣٣).

(٢) في الزمر ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالذينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سيصيبهُمْ سَيِّئَاتُ ما كَسَبُوا ومَا هُمْ بِمعجِزينَ﴾ آية (٥١).

(٣) في مخطوطة الجامعة: لا خطاب إيجار، وهو خطأ ظاهر والصواب كما في المصوَّرة.

وإن أراد العموم ـ لكنَّه اقترن بتغليب، وهو ذكرُ ضمير العقلاء، في قوله ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى﴾ [النور: ٤٥] فجاء بـ«مِنْ» تغليباً للعقلاء.

١١ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥]. قاله هنا، وفي الروم[١] بالتَّاء، بإضمار القول، أي قل لهم: تَمتَّعوا، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] وقوله ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزمر: ٨].

وقال في العنكبوت[٢]: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٦] باللام والياء، على القياس، إذْ هو معطوفٌ على اللّام ومدخولها في قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٦] ومدخولُها غائبٌ.

١٢ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ . . .﴾ [النحل: ٦١] ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي على الأرض، قال ذلك هنا، وقال في فاطر: ﴿بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

ترك لفظ «ظهر» هنا، احترازاً عن الجمع بين الظائين: في ظهرها، وظلمهم، بخلافه في فاطر[٣]، إذْ لم يُذكر فيها «بظلمهم».

فإن قلتَ: الآية تقتضي مؤاخذةَ البريءِ، بظلمِ الظَّالم، وذلكَ لا يحسُنُ من الحكيم؟!

قلتُ: المرادُ بالظُّلم هنا: الكفرُ، وبالدَّابةِ: الدابَّةُ الظالمةُ وهي الكافرُ، كما نُقِل عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [النحل: ٦٥] قاله هنا بحذف «مِنْ» لعدم ذكرها قبله، وليوافق حذفُها بعده من قوله ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٠].

---

(١) في الروم ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بنفس الصيغة آية (٣٤).

(٢) في العنكبوت ﴿لِيَكْفُروا بِمَا آتيناهُمْ وَلِيَتمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمونَ﴾ آية (٦٦).

(٣) في فاطر ﴿ولو يؤاخذ اللَّه النَّاسَ بما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهرِهَا مِن دابةٍ ولكن يؤَخِّرهُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمّى . . .﴾ آية (٤٥).

وقاله في العنكبوت[(١)] بإثباتها، ليوافق التعبيرُ بها في قوله قبلُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وأثبتها في قولِهِ في الحج[(٢)] ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليوافق التعبيرُ بها قبلُ في قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ الآية [الحج: ٥].

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ....﴾[(٣)] الآية [النحل: ٦٦]. قاله هنا بإفراد الضمير مذكَّراً، وفي المؤمنين ﴿بُطُونِهَا﴾ بجمعه، نظراً هنا إلى أن الأنعام «مفردٌ» كما نقله الزمخشري عن سيبويه، وثَمَّ إلى أنه «جمعٌ» كما هو الشائع.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا....﴾ الآية [النحل: ٧٢]. أي من جنسكم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ....﴾ الآية [التوبة: ١٢٨].

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].
قاله هنا بزيادة «هم» وفي العنكبوت[(٤)] بدونها.

لأنَّ ما هنا اتَّصل بقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ إلى آخره، وهو بالخطاب، ثم انتقل إلى الغَيْبَة فقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ فلو ترك «هم»[(٥)] لالْتبستِ الغَيْبةُ بالخطاب، بأن تُبْدل الياءُ تاءً.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

غَلَّبَ فيهِ مَنْ يَعْقِلُ، على مَنْ لا يَعْقل، فعبَّر بالواو والنُّون، إذْ في مَن

---

(١) في العنكبوت ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ من السَّماءِ ماءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ آية (٦٣).

(٢) في الحج ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ علم شيئاً﴾ آية (٥).

(٣) في المؤمنين ﴿وإنَّ لكم في الأنعام لَعِبْرَةً نَسْقيكم مِمَّا بُطُونها وَلَكُمْ فيها مَنَافِعُ كثيرةٌ ومنها تأْكُلُونَ﴾ آية (٢١).

(٤) في العنكبوت ﴿أَفَبالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبنعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرونَ﴾ آية (٦٧).

(٥) في المصْورة: «فلو ترهم»، وهو خطأٌ، وصوابُه ما أثبتناه، فلو تَرَكَ «هم» لالتبس الأمر.

يُعْبَدُ، مَنْ يعقِلُ كالعُزَيْر، والمسيح، ومن لا يَعْقِلُ كالأصنام، وأفردَ «يملك» نظراً إلى لفظ «ما» وجَمَعَ ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ نظراً إلى معناها[١]، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣].

فإن قلتَ: ما فائدة نفي استطاعة الرزق، بعد نفي ملكه؟!

قلتُ: ليس في «يستطيعون» ضميرُ مفعولٍ هو الرِّزقُ، بل الاستطاعةُ منفيَّةٌ عنهم مطلقاً، في الرِّزق وغيره، وبتقدير أنَّ فيه ضميراً، لا يلزم من نفي المُلْكِ نفيَ استطاعته، لجواز بقاء الاستطاعة على اكتساب المُلْك، بخلافِ هؤلاء، فإنهم لا يملكون، ولا يستطيعون أن يملكوا!!

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ . . .﴾ الآية [النحل: ٧٥].

فائدة ذكره «مَمْلوكاً» بعد قوله «عَبْداً» الاحترازُ عن الحُرّ، فإنه عبدُ اللَّهِ تعالى، وليس مملوكاً لغيره، وفائدةُ ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ بعد قوله: «مملوكاً» الاحترازُ عن المأذون له، والمكاتَبِ، لقدرتهما على التَّصرف استقلالاً.

١٩ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

إن قلتَ: لمَ جَمَع ولم يُثَنِّ، مع أنَّ المضروبَ به المثلُ اثنان: مملوكٌ، ومَنْ رَزَقه اللَّهُ رزقاً حَسَناً؟!

قلتُ: جُمع باعتبار جِنْسَيْ المماليك، والمالِكين.

أو نظراً إلى أن أقلَّ الجمع اثنان[٢].

٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ . . .﴾ [النحل: ٧٧].

إن قلتَ: «أو» للشَّكِّ، وهو على اللَّهِ مُحَالٌ، فَما معنى ذلك؟

قلتُ: «أو» هنا بمعنى الواو، أو للشكِّ بالنسبة إلينا، أو بمعنى «بل»

---

(١) الإفراد «يَمْلِكُ» باعتبار اللفظ، لأن لفظ «ما» مفرد، والجمع «يستطيعون» باعتبار المعنى، لأن معناها الجمع.

(٢) هذا الجمعُ ﴿لا يَسْتَوُونَ﴾ لأنه قصد العبيد والأحرار، فجاء بصيغة الجمع.

ونظيرُ ذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، وقولُه: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...﴾ [البقرة: ٧٤] وأُورِد على الأخير أنَّ «بل» للإضراب[(١)]، وهو رجوعٌ عن الإخبار، وهو على اللَّه محال.. ويُجاب بمنع أنَّه مُحَال، بناءً على جواز وقوع النسخ في الأخبار، وهو جائزٌ عند الأشاعرة مطلقاً، خلافاً للمعتزلة فيما لا يتغيَّر.

٢١ ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١] ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي والبرد، وإنما حَذَفه لدلالة ضدِّه عليه، كما في قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي والشرُّ.

وخصَّ الحَرَّ، والخيْرَ بالذِّكر[(٢)]، لأن الخطابَ بالقرآن أول ما وقع بالحجاز، والوقايةُ من الحَرِّ، أهمُّ عند أهله، لأن الحرَّ عندهم أشدُّ من البرد، والخيرُ مطلوبُ العبادِ من ربهم، دون الشَّرِّ.

٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

إن قلتَ: بل كلُّهم كافرون؟!

قلتُ: المرادُ بالأكثرِ هنا الجمعُ.

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ [النحل: ٨٦].

إن قلتَ: ما فائدةُ قولهم ذلك، مع أنه تعالى عالمٌ بهم؟!

قلتُ: لما أنكروا الشِّركَ بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] عاقبَهُم اللَّه بإصماتِ ألسنتهم، وأنطقَ جوارِحهم[(٣)]، فقالوا عند معاينة آلهتهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾.

---

(١) هذا على القول بأن «أو» بمعنى بل، و«بل» للإضراب وهو الانتقال من كلام إلى آخر.

(٢) إنما خصَّ الخير بالذكر في الآية ﴿بيدكَ الخيرُ﴾ أدباً مع اللَّه تعالى، لأن الشرَّ لا يُنسب إليه تعالى من باب الأدب، وإن كان خلقاً منه وإيجاداً، كما قال تعالى: ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾. ﴿والذي هو يُطْعِمُني ويسقينِ﴾. ﴿وإذا مرضتُ فهو يشفين﴾ نسب المرضَ إليه أدباً.

(٣) أشار إلى قوله تعالى: ﴿اليومَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْواهِهِمْ وتُكَلِّمنا أيدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرجُلُهُمْ بِمَا =

فأقرُّوا بعد إنكارهم طلباً للرحمة، وفراراً من الغضب، فكان هذا القولُ على وجه الاعتراف منهم بالذنب، لا على وجه إعلام من لا يعلم، أو أنهم لما عاينوا عظيم غضب الله، قالوا ذلك رجاء أن يُلزِم اللهُ الأصنامَ ذنوبهم، فيخفَّ عنهم العذاب.

٢٤ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦].

«فألقوا» أي الشركاء كالأصنام ﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ فُسّر القولُ بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في قولكم: إنكم عبدتمونا!.

فإن قلتَ: لمَ قالت الأصنامُ للمشركين ذلك، مع أنهم كانوا صادقين فيه؟!.

قلتُ: قالوه لهم لتظهر فضيحتُهم، حيث عبدوا من لا يعلمُ بعبادتهم.

فإن قلتَ: كيف أثبت للأصنام نُطقاً هنا، ونفاه عنها في قوله في الكهف: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾؟! [النحل: ٨٦].

قلتُ: المثبتُ لهم هنا، النُّطقُ بتكذيب المشركين، في دعوى عبادتهم لها، والمنفِيُّ عنها في الكهف النُّطقُ بالإجابةِ إلى الشفاعة لهم، ودفع العذاب عنهم، فلا تَنافي.

٢٥ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

إن قلتَ: إذا كان كذلكَ، فكيف اختلفتِ الأئمةُ في كثيرٍ من الأحكام؟!

قلتُ: لأن أكثر الأحكام ليس منصوصاً[(١)] عليه فيه، وبعضُها مستنبطٌ منه، وطُرُق الاستنباط مختلفة، فبعضُها بالإحالة إمّا على السُّنَّة، بقولهِ تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقولِه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣] أو على الإجماع بقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] والاعتبارُ: النَّظَرُ والاستدلالُ اللَّذان يحصل بهما القياسُ.

= كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وقد ثبت في الصحاح «أن الكافر، حين يُنكِرُ ما فعل في الدنيا، يُختم على فمه وتنطق جوارحه بما صنع، ثم يُخلّى بينه وبين الكلام، فيقول لجوارحه: سُحْقاً لكُنَّ وبُعْداً، فعنكُنَّ كنتُ أناضلُ» رواه البخاري.

(١) في المصوَّرة: ليس منصوباً عليه وهو خطأ ظاهر.

٢٦ ـ قَوْلُه تعالَى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

قاله هنا بلفظ «ما» وفي الزُّمر بلفظ «الذي» موافقةً في كلٍّ منهما لما قَبْلَه، إذْ قبل ما هنا ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النحل: ٩٥] وقوله ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وقبل ما هناك ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٧] وقوله ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣].

٢٧ ـ قَـوْلُـه تـعَـالَـى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ . . .﴾ الآية [النحل: ١١٠]. كرَّر فيها وفي قوله بعدُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ﴾ الآية [النحل: ١١٩]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾[1] لطول الكلام بين اللفظين، قيل: ومثلُه: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥].

٢٨ ـ قَـوْلُـه تـعَـالَـى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا . . .﴾ الآيـة [النحل: ١١١].

إن قلتَ: ما معنى إضافةِ النَّفس إلى النفسِ، مع أن النَّفسَ لا نَفْسَ لها؟

قلتُ: النفس تُقال للروح، وللجوهر القائم بذاته، المتعلق بالجسم، تعلُّق التدبير، ولجملةِ الإِنسان، ولعينِ الشيءِ وذاتِهِ، كما يُقال: نفسُ الذهب والفضَّة محبوبةٌ أي ذاتُهما.

فالمرادُ بالنفس الأولى الإِنسانُ، وبالثانيةِ ذاتُه، فكأنه قال: يوم يأتي كلُّ إنسان يُجادل عن ذاتِه، لا يهمُّه شيءٌ آخر غيرُه، كلٌّ يقولُ: نفسي، نفسي.

٢٩ ـ قَـوْلُـه تـعَـالَـى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

قاله هنا بحذف النون، وفي النَّمل[2] بإثباتها، تشبيهاً لها بحروف العِلَّة،

---

(١) تكرر اللفظ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إنَّ ربَّكَ للَّذينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ ربَّك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ﴾ فقد تكرر لفظ ﴿إن ربّك﴾ فيها مرتين.

(٢) في النمل ﴿ولا تحزنْ عليهم ولا تكنْ في ضَيْقٍ ممَّا يمكرُونَ﴾ آية (٧٠).

وخصَّ ما هنا بحذفها موافقةً لقوله قبلُ ﴿فَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] ولسبب نزول هذه الآية، لأنها نزلت تسليةً للنبي ﷺ حين قُتل عمُّه «حمزة» ومُثِّل به، فقال ﷺ: لأفعلنَّ بهم ولأصنعنَّ، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ الآية [النحل: ١٢٦]، فَبَالغَ في الحذف، ليكون ذلك مبالغةً في التسلية، وإثباتُها في النمل، جاء على القياس، ولأن الحُزْن ثَمَّ، دون الحزْنِ هنا.

«تمت سورة النحل»

* * *

سُورَةُ الإِسْرَاء

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا . . .﴾[1] [الإسراء: ١].

قال «بعبده» دون نبيِّه أو حبيبه، لئلا تضِلَّ به أمَّتُه، كما ضلَّت أمّةُ المسيح، حيث دَعَتْه إلَهاً.

أو لأن وصفه بالعبودية، المضافةِ إلى اللَّه تعالى أشرف المقامات، وقال «ليلاً» مُنَكَّراً، ليدلَّ على قِصَر زمن الإِسراء، مع أنَّ بين مكة وبيت المقدس، مسيرة أربعين ليلةً، لأن التنكيرَ يدلُّ على البعضيَّة.

والحكمةُ في إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس، دون مكة، لأنه محشرُ الخلائق، فيطؤه بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة، وقوفهم ببركة أثر قدمه.

أو لأنه مجمعُ أرواح الأنبياء، فأراد اللَّه أن يُشرِّفهم بزيارته ﷺ.

أو أُسريَ به منه، ليشاهد من أحواله وصفاته، ما يُخبر به كفار مكة[2]، صبيحة تلك الليلة، فيكون إخباره بذلك مطابقاً لما رأوْا، وشاهداً ودليلاً على صدقه في الإِسراء.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ . . .﴾ [الإسراء: ١].

هو أعمُّ من أن يُقال: باركنا عليه، أو فيه، لإِفادته شمول البركة، لما أحاط بالمسجد من أرض الشام بالمنطوق، وللمسجد بمفهوم الأولى.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ . . .﴾ الآية [الإسراء: ٧].

---

(١) لم يقل تعالى بمحمد، وإنما قال «بعبده» تَشريفاً وتعظيماً له صلوات اللَّه عليه، فإنَّ إضافته إليه إضافة تشريفٍ وتكريم، فافهم سرَّ التعبير رعاك اللَّه.

(٢) روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لمَّا كذَّبَتْني قريشٌ في مَسْرَايَ، كُرِبْتَ كُرْبةً لم أُكْرَبْ قبلها قطُّ، فجلَّى اللَّهُ لِي بيتَ المقدسِ، فَطَفِقْتُ أُخبرُهم عن آياتِهِ وأنا أنظرُ إليه».

«فلها» اللَّامُ للاختصاص، أو بمعنى «عَلَى»، كما في قوله تعالى: ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

قال ذلك هنا بلفظ «كبيراً»، وقاله في الكهف بلفظ «حَسَناً»، موافقةً للفواصل قبلهما وبعدهما.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ .... ﴾ [الإسراء: ١٢].

إن قلتَ: لِمَ ثَنَّى الآية هنا، وأفردها في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً ﴾ [الأنبياء: ٩١]؟

قلتُ: لتباين اللَّيلِ والنَّهارِ من كل وجه، ولتكررهما، فناسبهما التثنيةُ، بخلاف «عيسى» مع أمِّه، فإنَّه جزءٌ منها، ولا تكرر فيهما، فناسبهما الإفرادُ.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً .... ﴾ [الإسراء: ١٢].

أي مضيئة لأن النَّهار لا يُبصِر[١].

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤].

لا يُنافي قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] لأن في يوم القيامة مواقف مختلفة، ففي موقفٍ يَكِلُ اللَّهُ حسابهم إلى أنفسهم، وعلمُه محيطٌ بهم، وفي موقفٍ يحاسبُهم هو تعالى.

وقيل: هو الذي يحاسبُهم لا غيرُ، وقولُه: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] أي يكفيك أنك شاهدٌ على نفسك بذنوبها، فهو توبيخٌ وتقريعٌ، لا تفويضُ حسابِ العبدِ إلى نفسه[٢].

وقيل: من يريدُ مناقشته[٣] في الحساب، يُحاسبه بنفسه، ومن يريد مسامحته يَكِلُ حسابَه إليه.

---

(١) هذا يسمى في علم البلاغة «المجاز العقلي» لأنه يُدرك بالعقل.

(٢) هذا هو الصحيح أن الآية وردت مورد التقريع والتوبيخ أي كفى بنفسك شاهداً عليها بما اقترفت من جرائم وآثام.

(٣) في مخطوطة الجامعة «مناقشةً» وما أثبتناه من المصوَّرة وهو الصحيح.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ...﴾ الآية [الإسراء: ١٦].

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي أردنا منهم الفسق، أو أمرناهم بالطاعة[١]، أو كثَّرناهم ففسقوا، يُقال: أَمَرتُه، وآمَرتُه، بالقصر والمَدِّ، بمعنى كثَّرته. وقيَّد بالمترفين وإن كان الأمرُ لا يختصُّ بهم، لأن صلاحهم أو فسادهم، مستلزمٌ لصلاح غيرهم أو فساده.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ...﴾ الآية [الإسراء: ١٨].

إن قلتَ: قضيَّتُه أنَّ من لم يتركِ الدنيا يكونُ من أهل النار، وليس كذلك؟!

قلتُ: المراد من لم يُرِدْ بإسلامه وعبادته إلَّا الدنيا، وهذا لا يكون إلَّا كافراً، أو منافقاً.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] أي ممنوعاً.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنَّا نشاهد الواحدَ، لا يقدر على دانقٍ، وآخرُ معه الألوف؟!

قلتُ: المراد بالعطاء هنا الرِّزقُ، واللَّهُ سوَّى في ضمانه بين المطيع والعاصي[٢] من العباد، فلا تفاوت بينهم في أصل الرزق، وإنما التفاوتُ بينهم في مقادير الأملاكِ، وإنما لم يمنع الكفَّارَ الرِّزقَ، كما منعهم الهدايةَ، لأنَّ في منعهِ له هلاكَهم، وقيامَ الحجة لهم، بأن يقولوا: لو أمهلتنا ورزقتنا، لبقينا أحياءً فآمنَّا.

ولأنه لو منعهم الرزق لكان قد عاجَلهم بالعقوبة، ولكان ذلك من صفاتِ البخلاء، واللَّهُ منزَّه عن ذلك، لأنه حليمٌ كريمٌ.

ولأن إعطاء الرزق لجميع العبادِ عدلٌ، وعدلُ اللَّهِ عامٌّ، وهِبةُ الهدايةِ فضلٌ، والفضلُ بيدِ اللَّهِ يؤتيه من يشاء.

---

(١) هذا هو الصحيح في معنى الآية أي أمرناهم بطاعتنا ففسقوا وعصوا وخالفوا، ففي الآية حذفٌ، لأن اللَّه لا يأمر بالفحشاء، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

(٢) ضمن لهم الرزق في قوله ﴿وما من دابة في الأرض إلا على اللَّه رزقها﴾ والدابة كل ما يدبُّ ويمشي على وجه الأرض من إنسان وحيوان.

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]. قال ذلك هنا، ثم قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] ثم قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء ٣٩].

ولا تكرار فيها، لأنَّ الأولى في الدنيا، والثالثة في الآخرة. والخطابُ فيهما للنبي ﷺ على الراجح والمرادُ به غيرهُ، كما في آية ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأما الثانية فخطابٌ للنبي ﷺ أيضاً، وهو المرادُ به، وذلك أن امرأة، بعثتْ صبيّاً إليه مرَّة بعد أُخرى، سألته قميصاً، ولم يكن عليه، ولا له قميصٌ غيرُه، فنزعه ودفعه إليه، فدخل وقتُ الصلاة فلم يخرج في الحين، فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصِّفة، فلاموه على ذلك، فأنزل اللَّه ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ أي يلومك النَّاس ﴿مَّحْسُورًا﴾ أي مكشوفاً، وقيل: مقطوعاً عن الخروج إلى الجماعة(١).

١٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣].

فائدة: ذكر «عندك» أنهما يكبران في بيته وكنفه، ويكونان كَلاّ عليه، لا كافل لهما غيره، وربَّما ناله منهما من المشاقِّ، ما كان ينالهما منه في حال الصِّغَر.

١٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، هو أعمُّ من أن يُقال: «ولا تزنوا» ليفيد النَّهيَ عن مقدِّمات الزِّنا، كاللَّمس والقُبلة بالمنطوق، وعن الزِّنا بمفهوم الأَوْلى.

١٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١].

---

(١) هذه القصة غريبة، وليس لها سند صحيح، والمعنى كما يذكر المفسرون: لا تكن بخيلاً ممتنعاً عن الإنفاق، كمن رُبطت يده مع عنقه، فلا يستطيع أن يخرج من جيبه شيئاً، ولا تكن مسرفاً مبذِّراً، كمن أنفق كل ما في جيبه، فتصبح فقيراً عديم المال، يلومك الناس ويذمُّونك، وهذه الآية أرستْ قواعد الاقتصاد المالي، فلا بُخل ولا إسراف، هذا هو الصحيح في معنى الآية الكريمة.

قال ذلك هنا بحذف «للنَّاسِ» اكتفاءً بذكره قبلُ، بلفظ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

وقاله بعدُ بذكره[١]، ليتميَّز عن الجنِّ، لجريان ذكرهما معاً قبل.

وقُدِّمَ على ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ هنا في الآية الثانية، اهتماماً بالتمييز المذكور، وبالنَّاس لأنهم الأصلُ في التكليف، ولهذا اقتصر عليهم في غالب الآيات كقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] وقوله ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٥٩] وقوله ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وعَكَسَ[٢] في الكهف لمناسبة قوله قبلُ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾؟ [الكهف: ٤٩]

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ الآية [الإسراء: ٤٥]. ضميرُ «فيهن» عائد إلى السمواتِ والأرض، والتسبيحُ ـ وهو التنزيهُ ـ شاملٌ للتسبيح بلسان المقال، كما في المؤمنين، وبلسان الحال[٣] كما في سائر الموجودات، إذْ كلُّ موجود يدلُّ على قدرته تعالى، وفي ذلك جمعٌ بين الحقيقة والمجاز، وهو جائزٌ عند الشافعي رضي الله عنه.

فإن قلتَ: يمنع من شموله للثاني قوله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] لأنه مفقودٌ لنا؟

قلتُ: الخطاب فيه للكفَّار، وهم لم يفقهوا تسبيحَ الموجودات، لأنهم أثبتوا للَّه شركاً، وزوجاً، وولداً، بل هم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد، والنبوّة، والمعاد.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٩].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿لقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ آية (٨٩) فقد سبقها قوله تعالى ﴿قل لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ﴾ الآية.

(٢) سورة الكهف آية (٤٩) ﴿ولَقَدْ صَرَّفْنَا في هَذَا القُرْآنِ للنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.

(٣) المراد بلسان الحال: أن وجود هذه المخلوقات من شمس، وقمر، ونجوم، وبحار، وأنهار، كلُّها شاهدة على وحدانية الله وقدرته، وأن لهذا الكون إلٰهاً يسيِّره ويدبِّره، كما قال القائل:

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

أعادها بعينها آخر السورة، وليس تكراراً، لأن الأولى من كلامهم في الدنيا، حين أنكروا البعث، والثانية من كلام اللَّه تعالى، حين جازاهم على كفرهم وإنكارهم البعث فقال: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ الآية [**الإسراء**: ٩٧].

وقال هنا: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [**الإسراء**: ٩٨] وفي الكهف ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟﴾ [**الكهف**: ١٠٦] بزيادة «جهنم» اكتفى هنا بالإشارة، ولِتقدم ذكر جهنم وهي ـ وإن تقدَّمت في الكهف ـ لم يكتف بالإشارة، بل جمع بينها وبين العبارة، لاقتران الوعيد بالوعد بالجنات، في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [**الكهف**: ١٠٧] ليكون الوعد والوعيد(١) ظاهرين للمستمعين.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [**الإسراء**: ٥٥].

إن قلتَ: لمَ خصَّ «داود» بالذِّكر؟

قلتُ: لأنه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الأنبياء، وهو الرسالةُ، والكتابةُ، والخطابةُ، والخلافةُ، والملْكُ، والقضاءُ، في زمن واحد، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: ٢٠] وقال ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ . . .﴾ [صٓ: ٢٦].

فإن قلتَ: لمَ نكَّر الزَّبور هنا، وعرَّفه في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾؟ [**الأنبياء**: ١٠٥].

قلتُ: يجوز أن يكون الزبور من الأعلام التي يستعمل بـ«أل» وبدونها، كالعباس، والفضل.

أو نكَّرهُ هنا بمعنى آتيناه بعض الزُّبور وهي الكتب، أو أراد به ما فيه ذكرُ النبي ﷺ من الزبور، فسمَّى بعض الزَّبور زبوراً، كما سمَّى بعض القرآن قرآناً في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [**الإسراء**: ١٠٦].

١٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [**الإسراء**: ٥٦].

---

(١) المراد بالوعد والوعيد «الترغيب والترهيب» الذي وردت في هذه الآيات الكريمة.

قاله هنا بالضمير لقرب مرجعه، وهو الرَّبُّ في قوله ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ [يونس: ٤٠].

وقال في سبأ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ بالإسم الظاهر، لبعد مرجع الضمير لو أُتي به، والمرادُ فيهما: قل ادعوا الذين زعمتموهم آلهةً من دون اللَّه أي غيره لينفعوكم بزعمكم.

فإن قلتَ: كيف قال «من دونه» مع أن المشركين ما زعموا غير اللَّه إلَهاً دون اللَّه، بل مع اللَّه على وجه الشركة؟

قلتُ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: قل ادعوا الذين من دون اللَّه زعمتم أنهم شركاء.

١٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ . . .﴾ [الإسراء: ٥٩]، أي وما منعنا أن نرسل رسولاً، بالآيات التي اقترحها أهل مكة على النبي ﷺ، كجعل الصفا ذهباً، وإزالةِ جبالِ مكة[١] ليزرعوا، إلا تكذيب الأولين بها أي بآياتٍ اقترحوها على رسلهم لمَّا أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذَّبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لِيَتِمَّ أمرُ النبي ﷺ، ولأنَّا لا نعجِّل بالعقوبة.

فإن قلتَ: كيف قال ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾ الخ، مع أنه تعالى لا يمنعه عن إرادته مانعٌ؟

قلتُ: المنعُ هنا مجازٌ عن الترك، كأنه قال: وما كان سببُ تركِ الإرسال بالآيات، إلَّا تكذيب الأولين.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً . . .﴾ [الإسراء: ٥٩] أي دالَّة كما يُقال: الدليل مرشدٌ وهادٍ.

فإن قلتَ: ما وجهُ ارتباط هذا بما قبله؟

قلتُ: لمَّا أخبر[٢] بأن الأولين كذَّبوا بالآيات المقترحة، عيَّن منها «ناقة صالح» لأن آثار ديارهم الهالكة، باقيةٌ في بلاد العرب، قريبةٌ من حدودهم، يُبصرها صادرُهم ووارِدُهم.

---

(١) في المصوَّرة: وإزالة مكة وقد سقط منها لفظة «جبال» وما أثبتناه في مخطوطة الجامعة.
(٢) في الأصل: لما أخبرنا الأولين، وما أثبتناه من المصوَّرة وهو الصواب.

٢١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا ...﴾ [الإسراء: ٥٩] أي بالناقة.

الباءُ ليست للتعدية، لأن الظلم يتعدَّى بنفسه، فالمعنى: فظلموا أنفسهم بقتلها أي بسببه.

٢٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

إن قلتَ: هذا يدل على الإرسال بالآيات، وقوله قبلُ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ [الإسراء: ٥٩] يدلُّ على عدمه؟!

قلتُ: المرادُ بالآياتِ هنا: العِبَرُ، والدَّلالاتُ، وفيما قبلُ: الآيات المقترحة.

٢٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

إن قلتَ: ليس في القرآن لعنُ شجرةٍ؟

قلتُ: فيه إضمارٌ تقديره: والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن.

أو معناه: الملعونُ آكلوها وهم الكَفَرةُ، أو الملعونةُ بمعنى المذمومة، وهي مذمومة في القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] وبقوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

أو الملعونة بمعنى المبعدة، لأن اللَّعنَ لغةً: الطَّرْدُ والإبعادُ، وهذه الشجرةُ مبعدةٌ عن مكانِ رحمة اللَّه تعالى وهو الجنة، لأنها في قعر جهنم، وهذا الإبعادُ مذكورٌ في القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤].

٢٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ...﴾ [الإسراء: ٦٢].

قاله هنا بتكرير الخطاب، كنظيره في «أرأيتكم»[١] في الأنعام، لدلالته على أن المخاطَب به أمرٌ عظيم، وهو هنا كذلك، لأنَّ الشيطانَ ـ لعنهُ اللَّهُ ـ ضمِنَ بقوله ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] إغواءَ أكثرهم.

٢٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

إن قلتَ: لِمَ خصَّهم بذلك، مع أن أصحاب الشمال كذلك؟

---

(١) في قوله تعالى: ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذابُ اللّه أو أتتكم الساعة﴾ آية (٤٠).

قلتُ: لأن أصحاب الشمال، إذا نظروا إلى ما في كتابهم من الفضائح والقبائح[1]، أخذهم من الحياء والخجل والخوف، ما يوجب انقباض أنفسهم عن إقامة الحروف، فتكون قراءتهم كلا قراءة، وأمرُ أصحاب اليمين على العكس.

وأما قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩] فعائدٌ إلى كل النَّاس، لا إلى أصحاب اليمين خاصة، وإنما خصَّهم بذلكَ لأنهم يعلمون أنهم لا يُظلمون، ويعتقدون ذلك بخلاف أصحاب الشمال، فإنهم يعتقدون أو يظنُّون أنهم يُظلمون.

٢٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الآية [الإسراء: ٩٤].

قال ذلك هنا، وقاله في الكهف[2] بزيادة ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٥٥] لأن المعنى هنا: ما منعهم عن الإِيمان بمحمد، إلَّا قولُهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟ [الإسراء: ٩٤] هلَّا بعثَ مَلَكاً!! وجهلوا أن التَّجانس يورثُ التَّوانس، والتغايرَ يورثُ التنافر.

والمعنى في الكهف: ما منعهم عن الإيمان والاستغفار، إلا إتيانُ سنَّة الأوَّلين، فزاد فيها ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ لاتصاله بقوله: ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الكهف: ٥٥] وهم قومُ نوحٍ، وهود، وصالح، وشعيب، حيث أُمروا بالاستغفار.

فنوحٌ قال: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]. **وهود قال**: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾. **وشعيب قال**: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

٢٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦].

قال ذلك هنا بتقديم «شهيداً» على ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الإسراء: ٩٦] وقاله في العنكبوت[3] بالعكس.. لأن ما هنا جاء على الأصل من تقديم المفعول،

---

(١) في المخطوطة «الفتايح» وهو خطأ ظاهر.

(٢) في الكهف **﴿وما مَنَعَ النَّاسَ أن يُؤمِنُوا إذ جاءَهُمُ الهُدَى ويستغفِرُوا ربَّهُمْ إلَّا أن تأتيهُمْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ أو يأتيهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾** آية (٥٥).

(٣) في العنكبوت **﴿قل كفى باللهِ بيني وبينكم شهيداً﴾** آية (٥٢).

وما في العنكبوت جاء على خلاف الأصل، ليتّصل وصف الشهيد به، وهو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢٨ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ . . .﴾ [الإسراء: ٩٩].

قال ذلك هنا بلفظ «قادرٌ» وفي الأحقاف[١] بلفظ «بقادر» وفي يسٓ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ . . .﴾ [يس: ٨١] لأن ما هنا خبر «إن»، وما في يسٓ خبر «ليسَ» وخبرها تدخلُه الباء، وما في الأحقاف خبرُ «إنَّ» وكانَ القياسُ عدمُ دخول الباء فيه، لكنَّها دخلته تشبيهاً لـ«لَمْ» بـ«ليس» في النفي.

٢٩ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ . . .﴾ [الإسراء: ١٠٢].

إن قلتَ: كيف قال موسى عليه السلام لفرعون ذلك، مع أن فرعون لم يعلم ذلك، لأنه لو علم ذلك، لم يقل لموسى عليه السلام «مسحوراً» بل كان يؤمن به؟!

قلتُ: معناه لقد علمتَ لو نظرتَ نظراً صحيحاً، ولكنك معاندٌ مكابرٌ، تخشى فواتَ دعوى الألوهية لو صدَّقتني!.

٣٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

أي هالكاً، أو ملعوناً، أو خاسراً.

فإن قلتَ: كيف قال له «لأظنك» مع أنه يعلم أنه مثبورٌ؟!

قلتُ: الظنُّ هنا بمعنى العلم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

وإنما عبَّر بالظنِّ، ليُقَابل[٢] قولَ فرعونَ له: «لأظنك مسحوراً» كأنه قال: إذا ظننتني مسحوراً، فأنا أظنُّك مثبوراً.

---

(١) في الأحقاف ﴿أو لم يَروا أنَّ الذي خَلَق السمواتِ والأرضَ ولم يَعْيَ بخلقهنَّ بقادرٍ على أن يُحيي الموتى بلى إنه على كل شيءٍ قديرٌ﴾ آية (٣٣).

(٢) فرعون قال لموسى: ﴿إني لأظنُّكَ يا موسى مسحوراً﴾ فكان جواب موسى مقابلاً لجوابه حين قال له: ﴿وإني لأظنُّك يا فرعون مثبوراً﴾ وهذا من لطيف علم البديع.

٣١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ...﴾ الآية [الإسراء: ١٠٢].

كرَّره[١] لأن الأول واقعٌ في حال السجود، والثاني في حال البكاء، أو الأول واقعٌ في قراءة القرآن، أو سماعه، والثاني في غير ذلك.

«تمت سورة الإِسراء»

* * *

(١) التكرار جاء في قوله تعالى بعدُ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ آية (١٠٩) والخطاب في الآية لمشركي قريش على وجه التهديد والوعيد، أي سواء عليكم آمنتم بالقرآن أم لم تؤمنوا، فإن الصالحين من أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ كانوا إذا سمعوا القرآن خرُّوا على وجوههم ساجدين لعظمة اللَّه وجلاله، من فرط تأثير القرآن عليهم، ويخرُّون على وجوههم باكين، ويزيدهم ذلك تواضعاً وخشوعاً، كما حدث ذلك للنجاشي وأتباعه النصارى ﴿**وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع** . . .﴾ الآية.

سُورَة الكَهْف

١ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا . . . ﴾ [الكهف: ١، ٢].

إن قلتَ: ما فائدة ذكر «قيماً» بعد قوله ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ لأنَّ نفي العِوَج يستلزم الإِقامة؟!

قلتُ: فائدتُه التأكيد في وصف كتاب اللَّه العظيم، أو معنى «قيماً» أنه قائمٌ على الكتب السماوية كلِّها، مصدِّقاً لها، ناسخاً لبعض شرائعها.

ونُصب «قيماً» بمقدَّرٍ تقديره: لكنْ جعلَه قيِّماً.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢].

أي لنعلمه علم ظهورٍ ومشاهدة[(١)].

٣ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ . . . ﴾ [الكهف: ٢٢]

«وثامنهم» الواوُ فيه زائدة، وقيل: مستأنفةٌ، وقيل: واوُ الثمانية كما في قوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣] وقال الزمخشري وغيرُه: هي الواوُ التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنَّكرة، كما تدخل على الصفة الواقعة حالاً في المعرفة، تقول: جاءني رجلٌ ومعه آخر، ومررتُ بزيد وبيده سيفٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٤].

وفائدتها توكيدُ اتّصال الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتّصالها أمرٌ ثابتٌ مستقرٌّ.

---

(١) إنما فسّره بذلك لأن اللَّه تعالى عالمٌ بما كان وما يكون، قد أحاط بكل شيءٍ علماً، فعلمُه تعالى أزليٌّ، لا يحتاج إلى امتحانه للعبدِ ليعرف ما يصدر منه، ولهذا يقول المفسرون: «علم ظهور وكشف، لا علم بَدَاءٍ ومعرفة» وهذا يجري في كل ما جاء في القرآن الكريم حول الآيات المشابهة، التي توهم أن اللَّه تعالى، لا يعلم الشيءَ إلّا بعد حدوثه.

٤ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ...﴾ [الكهف: ٣٧].

أي من البَشَر، وإلَّا فاللَّهُ يبدّلها، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]. وقال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ الآية [النحل: ١٠١].

٥ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩].

إن قلتَ: في هذا إباحةُ الكفر؟!

قلتُ: لا، لأن هذا إنما ذُكر تهديداً لهم، بناءً على أن الضمير في «شاء» لِـ«من» وعليه الجمهور.

أو المعنى: فمن شاء اللَّه إيمانه آمنَ، ومن شاء كفره كَفَر، بناءً على أن الضمير فيه «لله» كما قاله ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

٦ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ...﴾ الآية [الكهف: ٣١].

إن قلتَ: لبسُها في الدنيا حرامٌ على الرجال، فكيف وعد اللَّهُ بها المؤمنين في الجنة.

قلتُ: عادةُ ملوكِ الفرسِ والروم، لبسُ الأساوِرِ والتيجان، دون مَنْ عداهم، فلذلك وعد اللَّهُ المؤمنين بها، لأنهم ملوكُ الآخرة[١].

٧ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾ الآية [الكهف: ٣٥].

أفردها بعد تثنيتها ليدلَّ على الحصر، أي لا جنة له غيرها، ولا نصيب له في جنة غيره، ولم يقصد جنَّةً معيَّنةً من الجنَّتين، بل جنس ما كان له في الدنيا.

٨ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

---

(١) ما ذكره الشيخ رحمه اللَّه من التعليل، قد يكون له وجهٌ من الحكمة، والأظهر أن يقال: إن الدنيا دار تكليف، والآخرة دار تشريفٍ، فما كان حراماً هنا كالخمر ولبس الذهب والحرير، إنما هو للابتلاء والامتحان، وأما في الآخرة فكل شيء تشتهيه نفس المؤمن مباح لأنها دار الفضل والتشريف، واللَّه أعلم.

إن قلتَ: كيف قال الكافر ذلك وهو يُنكر البعث؟

قلتُ: معناه: ولئن رُددتُ إلى ربي على زعمك، ليعطيَنِّي هناكَ خيراً منها، ونظيره قولُه تعالى في فصِّلت: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وعبَّر هنا بـ«رُدِدْتُ» وثَمَّ بـ«رُجِعْتُ» توسعةً في التعبير عن الشيء بمتساويين.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

فائدةُ ذكرِ «أنا» في مثل ذلك، حصرُ الخبر في المبتدأ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠].

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

«خيرٌ»(١) هنا ليست على بابها، إذْ غيرُ اللَّه لا يُثيب، ولا تُحمد طاعته في العاقبة، ليكون اللَّهُ خيراً منه ثواباً وعقباً، أو ذلك على سبيل الفرضِ والتقدير.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

أتى به ماضياً، مع أن ما قبله مضارعين وهما: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] ليدلَّ على أنَّ حشرهم، كان قبل السَّير والبروز، ليُعاينوا تلك الأهوال والعظائم، كأنه قال: وحشرناهم قبل ذلك.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الصغائر تُكفَّر باجتناب الكبائر، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؟! [النساء: ٣١].

قلتُ: الآيةُ الأولى في حقِّ الكافرين، بدليل قوله ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الكهف: ٤٩] والثانيةُ في حقِّ المؤمنين، لأن اجتناب الكبائر لا يتحقَّق مع الكفر.

أو يُقال: الأولى في حقِّ المؤمنين أيضاً، لكن يجوز أن يُكتب الصغائر، ليشاهدها العبد يوم القيامة، ثم يُكفَّر عنه، فيعلم قَدْر نعمةِ العفوِ عليه.

---

(١) في المخطوطة «خبر» بالباء، وهو خطأٌ ظاهر.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ . . .﴾ [الكهف: ٥٠].

إن قلتَ: هذا يدلُّ على أن «إبليس» من الجنِّ، وهو منافٍ لقوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإنه يدلُّ على أنه من الملائكة؟

قلتُ: في ذلك قولان:

أحدهما: أنه من الجنّ لظاهر هذه الآية، ولأنَّ له ذرية كفرة، بل أكفر الكفرة، بخلاف الملائكة لا ذرية لهم، ولا يعصون اللّه ما أمرهم، لأنهم عقولٌ مجردة، لا شهوةَ لهم، ولا معصيةَ إلَّا عن شهوة، فالاستثناء في تلك الآية منقطعٌ.

وثانيهما: وهو المختارُ[1] أنه من الملائكة، قبل أن يعصي اللّه تعالى، فلمَّا عصاه مسخه شيطاناً، ورُوي ذلك عن ابن عباس، كما رُوي عنه أيضاً أنه كان من خُزَّانِ الجنة، وهم جماعةٌ من الملائكةِ يسمَّون الجنَّ، فـ«كان» بمعنى صار.

أو المعنى كان في سابق علمه تعالى، أو من الجنّ الذين هم من الملائكة، فالاستثناءُ متَّصلٌ، ولا منافاة بين الآيتين.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ . . .﴾ الآية [الكهف: ٥٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الشيطان وذريته، ليسوا أولياء بل أعداء، لأن الأولياء هم الأصدقاء؟!

---

(١) ما ذكره أنه هو المختار قولٌ مرجوح بل ضعيفٌ، فإن «إبليس» من الجنّ لا من الملائكة، للأمور الآتية:
أ ـ لأن الملائكة لا يعصون أمر اللّه، وإبليس قد عصى أمر ربه.
ب ـ ولأن الملائكة خُلقت من نور، وإبليس يقول «خلقتني من نارٍ» وهو طبيعة الجن لا الملائكة.
جـ ـ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وليس لهم ذرية، وإبليس له ذرية وبينهم تزاوجٌ وتناكح كالبشر.
د ـ النصّ الصريح ﴿**كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ يدل على أنه من الجن، وقد قال الحسن البصري: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وهذا هو اختيار المحققين من العلماء.

قلتُ: المرادُ بالولاية هنا، اتِّباعُ النَّاسِ لهم فيما يأمرونهم به من المعاصي، فالموالاةُ مجازٌ عن هذا، لأنه من لوازمها.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا . . .﴾ [الكهف: ٥٧].

قاله هنا بالفاء، الدالة على التعقيب، لأن ما هنا في الأحياء من الكفَّار، فإنهم ذُكِّروا فأعرضوا عَقِب ما ذكِّروا، وقاله في السجدة(١) بـ«ثم» الدالة على التراخي، لأن ما هناك في الأموات من الكفار، فإنهم ذُكِّروا مرَّة بعد أخرى، ثم أعرضوا بالموتِ فلم يؤمنوا.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا . . .﴾ الآية [الكهف: ٦١].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن النَّاسي «يوشع» وحده؟

قلتُ: نسبةُ النسيانِ إليهما مجازٌ، أو المرادُ أحدهما، كنظيره في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢].

وقيل: نسيَ «موسى» بفقده الحوتِ، و«يوشع» أن يُخبره بخبره.

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا . . .﴾ الآية [الكهف: ٧١].

قاله بغير فاءٍ، وقال بعد: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٤] بالفاء، لأنه جعل خَرْقها جزاءَ الشرط، فلم يحتج للفاء، وجعل قتل الغلام من جملة الشرط، فعطفه عليه بالفاء، وجزاء الشرط قوله: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤].

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١].

قاله بلفظ «الإِمْرِ» لأنه للعجب، والعجب كما يكون في الخير، يكون في الشرِّ، وقاله بعد في قتل الغلام بلفظ «نُكْراً» لأنه لا يكون إلا في الشرّ، وقتلُ النفسِ أعظمُ من مجرَّد خرق السفينة، فناسب كلٌّ ما هو فيه، ولذلك قال في

---

(١) في السجدة ﴿ومن أظلم ممن ذُكِر بآياتِ ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ آية (٢٢).

خرق السفينة ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ [الكهف: ٧٢] بحذف «لك» وفي قتل الغلام ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ﴾ بذكره، ولأن في ذكره، قصدَ زيادة المواجهة، بالعتاب على تركِ الوصيَّةِ مرَّة ثانية.

١٩ ـ قوْله تَعالَى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].

جاء بالأول بالتاء «تَسْتَطِعْ» على الأصل، وفي الثاني «تَسْطِعْ» بحذفها تخفيفاً لأنه الفرعُ، وعَكَس ذلك في قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] لأن مفعول الأول اشتمل على حرفٍ، وفعل وفاعل، ومفعول، فناسبه الحذف تخفيفاً، بخلاف مفعول الثاني فإنه اسم واحد، وهو قوله «نقباً» فناسبه البقاءُ على الأصل.

٢٠ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا . . .﴾ [الكهف: ٧٩].

قاله الخَضِرُ في خرقِ السفينةِ، وقال في قتلِ الغلام ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ [الكهف: ٨١] وفي إقامةِ جدارِ اليتيمينِ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

لأن الأول في الظاهر إفسادٌ محضٌ، فأسنده إلى نفسه.

وفي الثالث إنعامٌ محضٌ، فأسنده إلى ربه تعالى.

وفي الثاني إفسادٌ من حيثُ القتلُ، وإنعامٌ من حيثُ التبديلُ، فأسنده إلى ربِّه ونفسه، كذا قيل في الأخيرة.

والأوجهُ فيه ما قيل: إنه عبَّر عن نفسه فيه بلفظ الجمع[1]، تنبيهاً على أنه من العِظَام[2] في علوم الحكمة، فلم يُقْدِم على القتل إلَّا لحكمة عالية.

٢١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ . . .﴾ [الكهف: ٨٦].

---

(١) أراد قوله ﴿فأردنا أن يبدلهما﴾.

(٢) أي العظماء جمعُ عظيم يقال: عظام وعظماء، فهذه الصيغة (فأردنا) صيغة جمع للتعظيم.

إن قلتَ: الشمسُ في السَّماءِ الرابعة[١]، وهي بقدر كرة الأرض مائةً وستين، أو وخمسين، أو وعشرين مرَّة، فكيف تَسَعها عينٌ في الأرضِ تغربُ فيها؟

قلتُ: المرادُ وجدها في ظنّه، كما يرى راكبُ البحر، الشمسَ طالعةً وغاربةً فيه، «فذو القرنين» انتهى إلى آخر البُنيانِ في جهة الغَرْب، فوجد عيناً واسعة، فظنَّ أن الشمس تغربُ فيها.

فإن قلتَ: «ذو القرنين» كان نبياً، أو تقياً حكيماً، فكيف خفي عليه هذا حتى وقع في ظنّ ما يستحيل وقوعُه.

قلتُ: الأنبياء والحكماءُ لا يبعد أن يقع منهم مثلُ ذلك، ألا ترى إلى ظنّ موسى فيما أنكره على الخضر، وأيضاً فاللَّه قادرٌ على تصغير جُرْم الشمس، وتوسيع العينِ وكرة الأرضِ[٢]، بحيث تسع عينُ الماء عينَ الشمس، فلمَ لا يجوز ذلك، ولم يُعلم به لقصور عقولنا عن الإحاطة بذلك!!

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

أي قَدْراً لحقارتهم، وليس المرادُ فلا ننصبُ لهم ميزاناً، لأن الميزانَ إنما يُنصبُ ليوزن به الحسناتُ، وفي مقابلته السيئات، والكافر لا حسنةَ له، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩] فهو فيمن غلبتْ سيئاتُه على حسناته من المؤمنين، فإنه يدخل النار لكنْ لا يُخلَّد فيها.

«تمت سورة الكهف»

* * *

---

(١) ليس هناك دليل ثابتٌ على أن الشمس في السماء الثالثة أو الرابعة، وإنما النصوص تدلُّ على أن الشمس، والقمر، وجميع الكواكب دون السماء الأولى، لقوله تعالى: ﴿**ولقد زينا السَّماءَ الدنيا بمصابيح**﴾ وأعظمُ هذه المصابيح المضيئة بالنسبة لكوكبنا الأرضي هي الشمس.

(٢) لا حاجة إلى هذه التأويلات البعيدة، فإنما أخبر عن رؤية ذي القرنين للشمس، وهي تغرب في ذلك المكان، حسب رؤيته وبصره، لا حسب الحقيقة، فإن الشمس أوسع وأكبر من أن تسعها الكرة الأرضية، كما يرى الراكب في السيارة أن الأرض كأنها هي التي تسيرُ، وذلك من سرعة المركبة.

سُورَةُ مَرْيَم

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ... ﴾ [مريم: ٦]. أي يرث العلم والنبوة لا المال، لخبر «**نحن معاشرَ الأنبياء لا نورثُ ما تركناه صدقة**»[١].. وورث يتعدَّى بنفسه وبـ«من» وقد جُمع بينهما في الآية، **وقيل**: «من» للتبعيض لا للتعدية، لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وعلى الأول المراد من «آل يعقوب» الأنبياء، لأنهم الذين لا يورِّثون إلَّا العلم والنبوَّة.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ... ﴾ الآية [مريم: ٨].

إن قلتَ: كيف استبعد زكريا ذلك وأنكره؟

قلتُ: لم يفعله إنكاراً، بل ليُجاب بما أجيب به عن طلبه الولد، وهو قولُه تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ [مريم: ٧] فيزدادُ الموقنون إيقاناً، ويرتدع المبطلون.

أو قاله: تعجُّبَ فرحٍ وسرور، لا تعجُّب إنكارٍ واستبعاد، ويعقوب المذكور هو أبو «يوسف»[٢] وقيل: هو أخو زكريا، وقيل: هو أخو عمران أبي مريم عليه السلام.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ... ﴾ [مريم: ١٠] أي علامة.

فإن قلتَ: كيف طلب العلامة على وجود الولد، بعدما بشَّره اللَّهُ تعالى؟

قلتُ: ليبادر إلى الشكر، ويتعجل السرور، إذِ الحملُ لا يظهر في أول العُلُوقِ، فأراد معرفته أوَّلَ وجوده، فجعل اللَّه آية وجوده، عجزَه عن كلام الناس.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري.

(٢) هذا هو الصحيح أن يعقوب ـ عليه السلام ـ هو والد يوسف الصدِّيق، وهو ابنُ إسحاق بنُ إبراهيم صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

٤ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

قال ذلك هنا، وقال بعده ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] لأن الأول في حق «يحيى» والثاني في حقّ «عيسى» عليهما السلام.

٥ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

قاله هنا: في قصّة «يحيى» منكَّراً، وقال بعدُ في قصة «عيسى»: ﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ [مريم: ٣٣] معرَّفاً، لأن الأول من اللَّه، والقليلُ منه كثيرٌ، والثاني من عيسى و«أل» للاستغراق، أو للعهد كما في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦] أي ذلك السلامُ الموجَّه إلى يحيى موجَّه إليَّ.

٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا . . .﴾ [مريم: ١٧] أي جبريل.

فإن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع اتفاق العلماء على أن الوحي لم ينزل على امرأة، ولهذا قالوا في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧] أنه وحيُ إلهام، وقيل: وحيُ منام.

قلتُ: لا نُسلِّم أن الوحي لم يُنزَّل على امرأة، فقد قال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ أنه كان وحياً بواسطة جبريل، والمتَّفق عليه[1] إنما هو وحي الرسالة، لا مطلقُ الوحي، والوحيُ هنا إنما هو ببشارة الولد لا بالرسالة.

٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

إن قلتَ: كيف قالت مريم ذلك، مع أنه إنما يُتعوَّذ من الفاسق لا من التقيّ؟

قلتُ: معناه إن كنتَ ممن يتَّقي اللَّهَ، فأنتَ تنتهي عني بتعوذي باللَّهِ منك.

وقيل: ظنَّته رجلاً اسمه «تقيٌّ» ـ وكان فاجراً ـ فتعوَّذتْ منه[2].

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] بتقدير إنما أنا رسولُ ربِّكِ، يقول أرسلت رسولاً إليك لأهب لك، فيكون حكاية

---

(١) أي المتفق على منعه إنما هو وحي الرسالة والنبوة، لا مجرد الوحي بواسطة جبريل لتبشيرها بالولد.

(٢) الصحيح أن المعنى إن كنت تقياً فاتركني ولا تؤذني، فهو شرطٌ حُذِفَ جوابُه.

عن اللَّه، لا من قول جبريل، وقُرِئ «لِيَهَبَ لك» أي ليهب ربُّكِ لكِ غلاماً، أو بإسناد الهبة إلى جبريل مجازاً أي لأكون سبباً في هبة الولد، بواسطة نفخي في درعها، فهو من قول جبريل.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]. لم تقل: بغيَّةَ، لما قاله ابن الأنباري من أنَّ «بغيّاً» غالبٌ في النساء، وقلَّ ما يقول العرب: رجلٌ بغيٌّ، فتركوا التاء فيه إجراءً له مجرى حائض، وعاقر.

أو هو: «فعيل» بمعنى فاعل، فتركوا التاء فيه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ....﴾ [الأعراف: ٥٦] أو لموافقة الفواصل.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] مرتَّبٌ على مقدَّرٍ بينه وبين الشرط تقديره: فإمَّا تَرِينَّ من البشر أحداً، فيسألك الكلام، فقولي إني نذرتُ، الآية، وبهذا سقط ما قيل من أن قولها ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ كلامٌ بعد النذر، إذ هو بهذا التقدير من تمام النذر، لا بعده[١].

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

إن قلتَ: كيف أُمر بذلك مع أنه كان طفلاً، وخطابُ التكليف إنما يكون بعد البلوغ والتمييز؟

قلت: ذلك لا يدلُّ على أنه أوصاه بأداء ذلك في الحال، بل أوصاه في الحال بالأداء بعد البلوغ والتمييز، أو أن اللَّه صيَّره عقب ولادته بالغاً مميَّزاً، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] فكما أنه تعالى خلق آدم تاماً كاملاً دفعةً، فكذا القول في «عيسى» عليهما السلام، وهو أقرب إلى ظاهر قوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، فما أوصاه بذلك إلا بعد بلوغه وتمييزه.

فإن قلتَ: الزكاة إنما تجب على الأغنياء، وعيسى لم يزل فقيراً، لابساً

---

(١) كأنها تقول: لن أُجيب من سألني عن أمري بعد اليوم، فاسألوا عن ذلك ولدي الرضيع، لأنني عاهدتُ ربي بطريق النذر، أن لا أتكلم مع أحدٍ في شأنه، حتى يكون هو الذي يجيب، لتظهر عفتها وحصانتها بمعجزة كلام الطفل الرضيع.

كساءً مدة مكثه في الأرض، مع علمه تعالى بحاله، فكيف أوصاه بها؟!

قلتُ: المراد بالزكاة هنا تزكيةُ النفس وتطهيرها من المعاصي، لا زكاة المال[١].

١٢ ـ قوْله تعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦].

قال ذلك هنا، وقال في الزخرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٤] بزيادة «هو» لأنه تعالى ذكر قصة عيسى عليه السلام هنا مستوفاة، فأغنى ذلك عن التأكيد، بخلافه ثَمَّ، ولذلك قال هنا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [مريم: ٣٧] وفي الزخرف ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الزخرف: ٦٥] إذِ الكفرُ أشدُّ قبحاً من الظلم، فكان وصفُ من ذُكِرَ بالكفر، في المحلِّ الذي استوفى فيه قصة عيسى، أنسبَ بالمحلّ الذي أُجمِل فيه قصّته.

وقال هنا: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] وعَكَس في الكهف[٢]، لأن معناه هنا أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فَاسْمَعْها وتدبَّرْها، واستعملْ النظر فيها ببصيرتك، ومعناه في الكهف أنه تعالى له غيبُ السمواتِ والأرض، فاجعلْ بصيرتك في الفكر في مخلوقاته، وتدبَّرها بحيثُ تصلُ إلى معرفته، واسمَعْ لصفاته ووحْدَهُ، فناسب تقديم السمع هنا، والبصر ثَمَّ.

١٣ ـ قوْله تعَالَى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

إن قلتَ: الاستغفارُ للكافر حرامٌ، فكيف وعد إبراهيم عليه السلام أباه، بالاستغفار له مع أنه كافرٌ؟

قلتُ: معناه سأسأل اللَّهَ لك توبةً، تنال بها مغفرته يعني الإسلامَ، والاستغفار بهذا الوجه جائزٌ، كأن يقول: اللهم وفِّقْه للإسلام، أو تبْ عليه واهده، أو أنه وعده ذلك قبل تحريم الاستغفار[٣].

---

(١) الزكاة مشروعة في جميع الأديان السماوية، وفي جميع الشرائع، أوصاه اللَّه بها عند الكبر، إذا أغناه اللَّه، فهو بيان للتكليف بالزكاة، وما قاله الشيخ فيه نظر.

(٢) في الكهف ﴿أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ ما لهمْ من دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ آية (٢٦).

(٣) كان استغفار إبراهيم لأبيه في بدء الدعوة، قبل أن يتبيَّن له أنه مصرٌّ على الكفر، كما قال سبحانه: ﴿فلما تبيَّن له أن عدوٌّ للَّهِ تبرأ منه﴾.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ . . .﴾ [مريم: ٥٢].

أي الذي يلي يمين موسى، حين أقبل من مَدْين.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

إن قلتَ: هارون كان أكبر من موسى، فما معنى هبته له؟

قلتُ: معناه أن اللَّه تعالى أنعم على موسى عليه السلام، بإجابتِهِ دعوتَه فيه، حيثُ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي﴾ الآية [طه: ٢٩، ٣٠]، فمعنى هبته له، جعلَه عَضُداً له، وناصراً ومعيناً.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٠].

قاله هنا: وقال في الفرقان ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] لأنه تعالى أوجز هنا في ذكر المعاصي، فأوجز في التوبة، وأطال ثَمَّ فأطال.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

إن قلت: ما فائدة ذكر العدِّ بعد الإِحصاء، مع أن الإحصاء هو العدُّ أو الحصرُ، والحصرُ لا يكون إلا بعد معرفة العدد؟

قلت: له معنى ثالثٌ، وهو العلم كقوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] أي عَلِمَ عَدَدَ كل شيء، فالمعنى هنا: لقد عَلِمهم، وعدَّهم عداً.

انتهت سورة مريم

* * *

سُورَة طه

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ . . ﴾ الآية [طه: ٩، ١٠].

إن قلتَ: كيف حكى اللَّه تعالى قولَ موسى عليه السلام لأهله، عند رؤية النَّار هنا، وفي النمل[١]، والقَصَص[٢] بعباراتٍ مختلفة، وهذه القصة لم تقع إلَّا مرَّة واحدة، فكيف اختلفت عبارةُ موسى فيها؟!

قلتُ: قد مرَّ في الأعراف في قصة موسى عليه السلام، مثلَ هذا السؤال، مع جوابه، وجوابُه ثَمَّ يأتي هنا[٣].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ . . . ﴾ الآية [طه: ١١، ١٢].

قاله هنا وفي القَصَص بلفظ «أتى» وفي النمل بلفظ «جاء» لأنهما وإنْ كانا بمعنى واحد، غاير بينهما لفظاً، توسعةً في التعبير[٤] عن الشيء بمتسَاوِيَيْن.

وخُصَّ «أتى» بهذه السورة لكثرة التعبير بالإِتيان فيها، و«جاء» بالنمل لكثرة التعبير بالمجيء فيها، وأُلحق ما في القصص بما في «طه» لتقارب ما بينهما، أي من حيثُ قوله هنا ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ وقوله في القصص: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص: ٣٠] وإن اختلف محلهما، بخلاف ذلك في النمل . .

---

(١) في النمل ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ آية (٨).

(٢) في القصص ﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الأَيمنِ في البُقْعَةِ المباركة من الشجرة﴾ آية (٣٠).

(٣) هذا من باب التفنُّن في الكلام، كما هي طريقة العرب، في ذكر القصة بأساليب متعددة في معنى واحدٍ، تسليةً للسَّامع لئلا يملَّ من التكرار، وإظهاراً لروعة البيان والجمال.

(٤) أراد أن هذا من باب التفنُّن وذلك التعبير بألفاظ مختلفة في معنى واحد، هو من أساليب البلاغة.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

قاله هنا: وفي «الحج»[١] بحذف لام التأكيد، وقاله في «غافر»[٢]، بإثباتها، لأنها إنما تُزاد لتأكيد الخبر، وتأكيدُه إنما يُحتاجُ إليه، إذا كان المخبَرُ بهِ شاكاً في الخبر[٣]، والمخاطبون في «غافر» هم الكفَّار، فأكَّد فيها باللَّام بخلاف تَيْنكَ.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٦].

ضميرُ «عنها» و«بها» للساعة، والمنهيُّ ظاهراً من لا يؤمن بها، وحقيقةً لموسى عليه السلام، إذ المقصودُ نهيُ موسى عن التكذيب بالسَّاعة.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؟ [طه: ١٧]

إن قلتَ: ما فائدةُ سؤالِهِ تعالى لموسى، مع أنه أعلمُ بما في يده؟!

قلتُ: فائدتُه تأنيسُه، وتخفيفُ ما حصل عنده من دهشةِ الخطاب، وهيبة الإِجلال، وقت التكلم معه، أو اعترافه بكونها عَصَا، وازدياد علمه بذلك، فلا يعترضه شكٌّ، إذا قَلَبها الله ثعباناً، أنها كانت عصى، ثم انقلبت ثعباناً بقدرة الله تعالى.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ...﴾ الآية [طه: ١٨]. هو جواب موسى ـ عليه السلام ـ.

فإن قلت: لمَ زاد عليه ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾؟.

---

(١) في الحج ﴿وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ آية (١٧).

(٢) في غافر ﴿إن الساعة لآتيةٌ لا ريبَ فيها ولَكنَّ أكثرَ النَّاس لا يؤمنون﴾ آية (٥٩).

(٣) إنما أكَّد الخبرَ بدخول اللام في آية غافر ﴿لآتيةٌ﴾ لأن الحديث جاء عن المشركين المنكرين للبعث والنشور، وقولُه تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيها﴾ للمبالغة في كتمها وستر أمرها، على طريقة العرب في إخفاء الشيء، وكأنه يقول: أكاد أخفيها عن نفسي، فكيف أطلعكم عنها!؟

قلتُ: قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: إنه سُئل سؤالاً ثانياً: ما تصنعُ بها؟ فأجاب بذلك.

أو ذكَرَ ذلك خوفاً من أنْ يُؤمرَ بإلقائها، كما أُمِرَ بإلقاءِ النَّعلين، أو لئلا يُنسبَ إلى التَّعب في حملها، مع أنَّ المقامَ مقامُ البسطِ، للتلذُّذِ بالكلام مع الربِّ تعالى(١)، ولهذا بَسَط في نفس الجواب، إذ كان يكفي فيه أن يقول: عصا.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢].

جعل هنا الجناح مضموماً إليه، وفي القصص مضموماً في قوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ لأن المراد به هنا، ما بين العضد إلى الإبط من اليد اليُسرى، وبه ثَمَّ ذلك من اليد اليمنى، فلا تنافي.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤].

قال ذلك هنا، وقال في الشعراء ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء: ١٠، ١١] وفي القصص ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾ [القصص: ٣٢].

اقتصر في «طه» على فرعون، لأنّه الأصلُ بالنسبة إلى قومه، مع سبقِ طه.

واكتفى في «الشعراء» بذكره في الإضافة(٢)، عن ذكره مفرداً.

وجمع بينهما: في «القصص» ليوافق قولَه: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾ في التَّعدد.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٧، ٢٨].

قال ذلك هنا، وقال في «الشعراء»: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الشعراء: ١٣].

وفي «القصص»: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤].

صرَّح: بِعُقْدة اللسان في «طه» لسَبْقِها، وكَنَّى عنها في الشعراء بما يقربُ من الصَّريح، وفي القصص بكنايةٍ مبهمة، لدلالة تلك الكناية عليها.

---

(١) الصواب أنه أراد الإستئناس بكلام الرب جلَّ وعلا، والتلذذ بمناجاته، فأطنب في الكلام وتوسّع فيه.

(٢) أشار إلى قوله تعالى في الشعراء ﴿قوم فرعون﴾ فقد جاء بالإضافة.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ٣٨].

إن قلتَ: هذا مجملٌ فما فائدتُه؟

قلتُ: فائدتُه الإشارةُ إلى أنه ليس كلُّ الأمور، مما يُوحى إلى النساء، كالنبوَّةِ ونحوها، أو التعظيمُ والتفخيمُ أولاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤] والبيانُ ثانياً بقوله ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ . . .﴾ الآية [طه: ٤٠].

قاله هنا بلفظ الرَّجع، وقال في «القصص»: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ﴾ بلفظ الردِّ، لأنهما وإن اتَّحدا معنى، لكنْ خُصَّ الرجع بما هنا، ليقاوم ثِقَل الرجع، خفَّةَ فتح الكاف، والردُّ بالقصص لتقاومَ خِفَّةُ الردِّ ثِقَلَ ضَمَّةِ الهاء، وليوافقَ قوله ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧].

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا . .﴾ [طه: ٥٣].

قاله هنا بلفظ «سَلَكَ» وقاله في الزخرف بلفظ «جَعَلَ» لأن لفظ السُّلوك مع السُّبُل أكثرُ استعمالاً من «جَعَل» فخصَّ به «طه» لتقدمها، وبـ«جَعَل» الزخرف، ليوافق[(١)] التعبيرُ به قبله مرَّة، وبعده مراراً.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠]. أخَّر موسى عن هارون، مع أنَّ هارون كان وزيراً له، لموافقة الفواصل.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]. أي لا يموتُ فيها موتاً متصلاً، ولا يحيا حياةً متصلة، بل كلُّ ما مات في مدة العذاب[(٢)]، أُعيد حياً ليدوم العذاب، وإنما قدرنا ذلك، لأن الموت والحياة لا يرتفعان عن الشخص.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾

(١) في مخطوطة الجامعة: ليوافي وهو تحريف وخطأ.

(٢) لا موت في جهنم، بل خلودٌ دائم، ومعنى الآية: لا يموت فينقضي عذابه ويستريح، ولا يعيش، ويحيا الحياة الطيبة الهنيئة، بل هو في عذابٍ دائم لا ينقطع.

[طه: ٧٧]. أي لا تخاف إدراك فرعون، ولا تخشى غَرَقاً في البحر، وإلَّا فالخوفُ والخشيةُ مترادفان، وغَايَر بينهما لفظاً، رعايةً للبلاغة.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩].

إن قلتَ: صدرُهُ يُغني عن عَجُزه، فكيف ذكر العَجُز؟

قلتُ: المعنى وما هداهم بعد ما أضلَّهم، فإن المضلَّ قد يهدي بعد إضلاله، أو ما هدى نفسه، أو أضلَّهم عن الدِّين، وما هداهم طريقاً في البحر.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ . . .﴾ [طه: ٨٠].

إن قلتَ: المواعدةُ كانت لموسى عليه السلام لا لهم، فكيف أُضيفت إليهم؟.

قلتُ: لمَّا كانت لإِنزالِ كتابٍ لهم، فيه صلاحُ دنياهم وأُخراهم، أضيفت إليهم لهذه الملابسة.

١٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣].

إن قلتَ: هذا سؤال عن سبب العَجَلة، فإن موسى لمَّا واعدَه اللَّهُ تعالى، حضورَ جانبِ الطور لأخذ التوراة، اختار من قومه سبعين رجلاً، يصحبونه إلى ذلك، ثم سَبَقهم شوقاً إلى ربه تعالى، وأمرهم بِلَحاقِهِ، فعُوتب على ذلك، فكيف طابقَ الجوابُ في الآية السؤال؟

قلتُ: السؤال تضمَّن شيئين: إنكارَ العَجَلة، والسؤالَ عن سببها؟ فبدأ موسى بالاعتذار عمَّا أنكره تعالى عليه، بأنه لم يوجد منه إلا تقدّمٌ يسيرٌ، لا يُعتدُّ به عادةً، ثمَّ عقَّب العذر بجواب السؤال عن السبب بقوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

١٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]: «فنسي» أي ترك، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

٢٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

إن قلتَ: الخطابُ لآدم وحواء، فكيف قال: «فتشقى» دون فَتَشقيا؟

قلتُ: قال ذلك، لأن الرجلَ قيِّمُ امرأته، فشقاؤه يتضمَّن شقاءها، كما أن سعادته تتضمن سعادتها.

أو قاله رعايةً للفواصل، أو لأنه أراد بالشَّقاءِ: الشَّقاءَ في طلب القوت، وإصلاح المعاش، وذلك وظيفةُ الرجل دون المرأة.

٢١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

إن قلتَ: هل يجوز أن يُقال: كان آدمُ عاصياً، غاوياً، أخذاً من ذلك؟

قلتُ: لا، إذ لا يلزم من جواز إطلاق الفعل، جواز إطلاق اسم الفاعل، ألا ترى أنه يجوز أن يُقال: تباركَ اللَّهُ، دون متبارك، ويجوز أن يُقال: تابَ اللَّهُ على آدم دون تائب!!

٢٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ الآية [طه: ١٢٤]. أي حياةً في ضيقٍ وشدَّة.

فإن قلتَ: نحنُ نرى المعرضين عن الإيمان، في أخصب عيشة؟!

قلتُ: قال ابن عباس المراد بالعيشة الضَّنْكِ: الحياةُ في المعصية، وإن كان في رخاءٍ ونعمة. . ورُوي أنها عذابُ القبر، أو المرادُ بها عيشةٌ في جهنم[(١)].

٢٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]. الكلمةُ: قولُه تعالى: «**سبقت رحمتي غضبي**»[(٢)].

أو قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ . . .﴾ **[الأنفال: ٣٣]**.

أو قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ **[الأنبياء: ١٠٧]**. يعني لعالمي أمته، بتأخير العذاب عنهم، وفي الآية تقديمٌ وتأخير أي ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجلٌ مسمًّى لكان العذاب لزاماً، أي لازماً لهم كما لزم الأمم التي قبلهم.

---

(١) الصحيح أن المراد بالعيشة الضنك، أنها العيشة الشاقة الشديدة في الدنيا كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين، فلا طمأنينة لقلبه، ولا انشراح لصدره، وإن تنعَّم ظاهره، فهو من حيرة وقلق وشكٍّ، وهمٍّ واضطراب ولذلك نسمع كثيراً عن حوادث الانتحار، ومما يدل على أنه في الدنيا قوله بعده: ﴿**ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ فهي عيشةُ الشقاء في الدنيا.

(٢) هذا حديث قدسيٌّ وليس بآيةٍ قرآنية، أخرجه البخاري بلفظ: (إنَّ رحمتي سَبَقَتْ غضبي).

٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥].

إن قلتَ: كيف جَمَعَ بين هذين، مع أن أحدهما يُغني عن الآخر؟

قلتُ: المرادُ بالأول السالكون، وبالثاني الواصلون.

أو بالأول الذين ما زالوا على الصراط المستقيم، **وبالثاني** الذين لم يكونوا على الصراط المستقيم، ثم صاروا عليه.

أو بالأول أهل دين الحقِّ في الدنيا، **وبالثاني** المهتدون إلى طريق الجنة في العقبى[(١)]، فكأنه قيل: ستعلمون من الناجي في الدنيا، والفائز في الآخرة.

«تمت سورة طه»

* * *

(١) لا حاجة إلى هذه التأويلات العديدة، فإنَّ المعنى ستعلمون أيها المشركون من هم أصحاب الطريق المستقيم نحن أم أنتم؟ ومن اهتدى إلى الحقِّ وسبيل الهدى والرشاد، ومن بقي على الضلال!؟ وهو ضربٌ من الوعيد والتهديد للكفَرَةِ الفَجَرة.

سُورة الأنبيَاء

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

إن قلتَ: كيف وصف الحسابَ بالقرب، وقد مضى من وقت هذا الإِخبار، أكثرُ من تسعمائة عام ولم يوجد[١]؟

قلتُ: معناه إنه قريبٌ عند اللَّه، وإن كان بعيداً عندنا كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦، ٧] وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

أو إنه: قريبٌ بالنسبة إلى ما مضى من الزمان.

أو إن المراد: قربه لكل واحدٍ في قبره، ويؤيده خبرُ «**من مات قامت قيامته**».

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

قاله هنا: بلفظ «من ربِّهم» وفي الشعراء بلفظ «منَ الرحمنِ»، لأن «الرَّبَّ» يأتي مضافاً، بخلاف «الرحمنِ» لم يأتِ مضافاً غالباً.

ولموافقة ما هنا قوله بعد: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ [الأنبياء: ٤] وموافقة ما في الشعراء قوله بعد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦٨] إذِ الرحمنُ والرحيم أخوان[٢].

فإن قلتَ: كيف وصف الذِّكرَ بالحدوث، مع أن الذِّكرَ الآتي هو القرآنُ، وهو قديمٌ؟

---

(١) هذا التقدير بالنسبة إلى عصر الشيخ رحمه اللَّه، فقد ألَّف الكتاب في القرآن العاشر من الهجرة، فهو يتحدث عن زمانه.

(٢) الرحمن والرحيم مشتقَّان من مصدرٍ واحد هو (الرحمةُ)، وهو أولى من قوله: أخوان.

قلتُ: المرادُ أنه مُحدَثٌ إنزالُه، أو أنه ذكرٌ غيرُ القرآن، وأُضيف إلى الربِّ، لأنه آمرٌ به وهادٍ له.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...﴾ [الأنبياء: ٣].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن النجوى المسَّارةُ؟!

قلتُ: معناه بالغوا في إخفاءِ المسَّارة، بحيثُ لم يفهم أحدٌ تناجيهم ومسارَّتهم، تفصيلاً ولا إجمالاً.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ...﴾ [الأنبياء: ٧].

قاله هنا: بحذف «مِنْ» تَبَعاً لحذفها من قوله قبلُ ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ٦] وقاله بعدُ بذكرها[(١)]، جرياً على الأصل.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

أمرَ مشركي مكة بأن يسألوا «أهل الذِّكر» أي أهل الكتاب، عمَّن مضى من الرسل، هل كانوا بشراً أم ملائكة؟

فإن قلتَ: كيف أمرهم بذلك، مع أنهم قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؟ [سبأ: ٣١]

قلتُ: لا مانع من ذلك، إذِ الإخبار بعدم الإتيان بشيءٍ، لا يمنع أمره بالإتيان به، ولو سُلِّم فهم وإن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب، لكنِ النَّقلُ المتواترُ من أهل الكتابِ في أمرٍ، يُفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم، ولمن لا يؤمنُ به.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] أي لا يَعْيَوْن[(٢)].

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ...﴾ [الأنبياء: ٣٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، الشَّاملَ لقوله في النور ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] مع أنَّ لنا أشياء أحياء، لم تُخلق من الماء، وهم: الملائكةُ، والجنُّ، وآدم، وناقةُ صالح؟! إذِ الملائكةُ خُلقت من نورٍ، والجنُّ من

---

(١) في قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلَّا نوحي إليه أنَّه لا إله إلَّا أنا فاعبدون﴾ آية (٢٥).

(٢) المراد أن الملائكة في تسبيحهم للَّه تعالى، لا يصيبهم إعياءٌ. ولا مَلَل، مأخوذ من الحسير، وهو البعيرُ المنقطعُ بالإعياء والتَّعب.

نار، وآدمُ من تراب، وناقة صالح من حجرٍ لا من ماء؟!

قلتُ: المرادُ به البعضُ كما في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] وقوله: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢].

أو الكلُّ مخلوقون من الماء، لأن اللَّه خلقَ قبل خلقِ الإنسان جوْهَرَه، ونظر إليها نظر هيبةٍ، فاستحالتْ ماءً، فخَلَق من ذلك الماء جميعَ المخلوقات(١).

أو خلقهم من الماء، إمَّا بواسطةٍ أو بغيرها، ولهذا قيل: إنه تعالى خلق الملائكةَ من ريحٍ خلقها من الماء، والجنَّ من نارٍ خلقها من الماء، وآدم من ترابٍ خلقه من الماء.

٨ ـ قَوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أي إلى الجنة أو النَّار.

قال ذلك هنا بالواو، موافقةً للتعيين بها، فيما زاده هنا بقوله ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال في العنكبوت(٢) بـ«ثُمَّ» لدلالتها على تراخي الرجوع، المذكور عن بلوى الدنيا ـ ولم يقع بينهما تعبيرٌ بواو ثم ما زاده هنا ـ اختصاراً.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

قاله (استهزاءً وتهكُّماً) بمن سفَّهوه، وإلّا ففاعلُه هو نفسُه.

أو أنه لمَّا كان الحامل له على الفعل، تعظيمُهم للأصنام، وكان كبيرُها

---

(١) في هذا القولِ نَظَرٌ، فإن الآيَةَ تشير أن الماءَ سببُ حياةِ كل شيء، من الإنسان، والحيوان، والنبات، وذهب بعضُ المفسرين أن المراد بالماء في الآية: (النطفةُ) التي تخرج من الإنسان والحيوان، كما ذكر ذلك الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) واللَّه أعلم.

(٢) في العنكبوت ﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ثُمَّ إلينا تُرجعون﴾ آية (٥٧) والمرادُ بالرجوع إلى اللَّه: الرجوعُ إلى الحساب، ثم المصيرُ إلى الجنة، أو النار، كما وضحه المؤلف بقوله: إلى الجنة أو النار.

أبعثَ له على الفعل، لمزيد تعظيمهم له، أُسند الفعلُ إليه لأنه السبب فيه[١].

١٠ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

إن قلتَ: كيف خاطب النَّارَ مع أنها لا تعقلُ؟!

قلتُ: خطابُ التَّحويل والتَّكوين، لا يختصُّ بمن يعقل كما مرَّ، قال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] وقال: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] وقال: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤].

١١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

قاله هنا: بلفظ «الأخسرين» وفي الصَّافات[٢] بلفظ «الأسفلين»، لأنَّ ما هنا تقدَّمه أنَّ إبراهيم كادَهم، وأنهم كادوه، وأنه غلبهم في الكيْدِ، فخسرتْ تجارتُهم حيثُ كسر أصنامهم، ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فناسب ذكر ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾.

وما في الصافات: تقدَّمه ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧] فأجَّجوا ناراً عظيمةً، وبنَوْا بنياناً عظيماً، ورفعوا إبراهيم إليه ورموه منه إلى أسفل، فرفعه اللَّه إليه، وجعلهم في الدنيا من الأسفلين، وردّهم في العقبى أسفل سافلين، فناسبَ ذكرُ الأسفلين.

١٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ختم القصَّة هنا بقوله ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٤] وختمها في صٓ بقوله ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [يس: ٤٤] لأنَّ أيوب بَالَغ هنا في التضرُّعِ بقوله ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فبالغ تعالى في الإجابة، فناسب ذكر «من عندنا» لأنَّ عندنا يدلُّ على أنه تعالى، تولَّى ذلك بنفسه، ولا مبالغة في صٓ فناسب ذكرُ «منّا» لعدم دلالته على ما دلَّ عليه «عندنا».

---

(١) الصحيح أن الخليل إبراهيم عليه السلام، أراد تبكيتهم والسخرية بعقولهم، حيث عبدوا حجارة لا تسمع ولا تنفع، ولا تدفع عن أنفسها الأذى، فكيف تُعبد من دون اللَّه؟ فقال لهم: إن الذي كسَّر هذه الآلهة هو الصنمُ الكبير، فاسألوها من الذي كسَّرها إن كان عندها جواب، قال ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء.

(٢) في قوله تعالى ﴿فَأَرَدُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ آية (٩٨).

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا ....﴾ [الأنبياء: ٩١]. أي في جَيْبِ درعها، بحذف مضافين، ولهذا ذكَّر الضمير في «التحريم»[١] فقال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾[٢] [التحريم: ١٢].

١٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٢، ٩٣].

قال ذلك هنا، وقال في المؤمنين ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوٓا﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣] لأن الخطاب هنا للكفار، فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيدُ، ثم قال: «وتقطعوا» بالواو لا بالفاء، لأن مدخولها ليس مرتباً على ما قبلها، بل هو واقع قبله، ومن قال: الخطابُ مع المؤمنين، فمعناه: دوموا على العبادة.

والخطابُ ثَمَّ للنبيِّ وأمته، بدليل قوله قبل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ...﴾ الآية [المؤمنون: ٥١]. والأنبياءُ وأمَّتُهم مأمورون بالتقوى.. ثم قال: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم﴾ [المؤمنون: ٥٣] بالفاء، أي ظهر منهم التقطُّع بعد هذا القول، والمرادُ أمتُهم.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. أي ممتنعٌ عليهم الرجوع.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنه لا بدَّ من رجوعهم إلى الله؟!

قلتُ: معناه لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان، أو لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا.

وقيل: معنى «حرامٌ» واجبٌ، فـ«لا» حينئذٍ زائدة، أي واجبٌ رجوعهم[٣].

---

(١) في التحريم ﴿ومريمَ ابنةَ عمرانَ التي أَحْصَنتْ فرجَهَا فنفخْنَا فيهِ من رُوحِنَا﴾ آية (١٢).

(٢) المقصود في هذه السورة، ذكر مريم وما آل إليه أمرها، فلذلك أنَّث الضمير هنا، بخلاف سورة التحريم، فإن الغرض ذكرُ عِفَّتها وإحصانها، فلذلك ذكَّر الضمير.

(٣) هذا القول بعيدٌ وغريب، والأظهر أن المعنى هو الأول أي ممتنعٌ على أهل قرية أهلكناهم ـ بسبب تكذيبهم وكفرهم ـ أن يرجعوا إلى الدنيا مرة ثانية، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢/ ٢٧٥.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] أي عن جهنم.

فإن قلتَ: كيف يكونون مبعدين عنها، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وورودُها يقتضي القرب منها؟!

قلت: معناه: مبعدون عن ألمها، وعَنَاها، مع ورودهم لها.

أو معناه: مبعدون عنها بعد ورودها، بالإنجاءِ[١] المذكور بعد الورود.

١٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن النبيَّ ﷺ لم يكنْ رحمةً للكافرين بل نقمةً، إذْ لولا إرسالُه إليهم، ما عُذِّبوا بكفرهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾؟! [الإسراء: ١٥].

قلتُ: بل كان رحمةً للكافرين أيضاً، من حيث إنَّ عذاب الاستئصال أُخِّر عنهم بسببه[٢].

أو كان رحمةً عامة، من حيثُ إنه جاء بما يُسعدهم إن اتَّبعوه، ومن لم يتَّبعه فهو المقصِّرُ، أو المراد بـ«الرحمة» الرحيم، وهو ﷺ كان رحيماً للكفار أيضاً، ألا ترى أنهم لمَّا شجُّوه، وكسروا رباعيته، حتى خرَّ مغشيّاً عليه، قال بعد إفاقته: «**اللّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**».

١٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

فإن قلت: ما فائدةُ قوله «بالحقِّ»؟

قلتُ: ليس المرادُ «بالحقِّ» هنا نقيض الباطل، بل المرادُ ما وعده اللَّهُ تعالى إيَّاه، من نصر المؤمنين، وخذلانِ الكافرين، ووعدُه لا يكونُ إلَّا حقاً، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

---

(١) المراد به قوله تعالى بعد ذكر آية الورود ﴿**ثمّ نُنَجِّي الذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظالمينَ فيها جِثيًا**﴾ مريم آية (٧٢).

(٢) **قال الشوكاني**: المعنى ما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلَّا رحمة لجميع الناس، ومعنى أنه رحمة للكفار، أنهم أَمِنوا به من الخسف، والمسخ، وعذاب الاستئصال. اهـ فتح القدير.

أو أنَّ قوله «بالحقِّ» تأكيدٌ لما في التصريح بالصِّفة من المبالغة[١] وإن كانت لازمةً للفعل، ونظيرُه في عكسه من صفة الذمِّ قولُه تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢].

«تمت سورة الأنبياء»

* * *

(١) المراد: احكم يا رب بيني وبين هؤلاء المكذبين بحكمك العادل، الذي هو الحقُّ، ففوِّضَ الأمر إليه سبحانه.

سُورَةُ الحَجّ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢].

إن قلتَ: كيف جمع هنا، وأفردَ بعدُ في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾؟ [الحج: ٢].

قلتُ: لأن الرؤية الأولى متعلِّقةٌ بالزلزلة، وكلُّ الناسِ يرونها.

والثانية متعلِّقةٌ بكون النَّاسِ سُكارى، فلا بدَّ من جعل كل واحد رآياً باقيهم.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ...﴾ الآية [الحج: ٢٢].

قال ذلك: هنا بذكر «مِنْ غَمٍّ» وفي السَّجدة[1] بدونه، موافقةً لما قبلهما. إذْ ما هنا تقدَّمه قوله تعالى ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[2] الآية [الحج: ١٩]. وما هناك لم يتقدَّمه إلا قوله: ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]. تقديره: وقيل لهم ذوقوا، كما في السجدة، وخصَّ ما هنا بالحذف لطول الكلام، وما في السجدة بالذِّكر لقصره، وموافقةً لذكر القول قبله كقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: ٣٨] وقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ [السجدة: ١٠] و﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ [السجدة: ١١].

---

(١) في السجدة ﴿كُلَّمَا أرادُوا أَنْ يَخرجُوا منها أُعِيدُوا فيها وقيل لَهمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الذي كنتُم بِهِ تُكذِّبُون﴾ آية (٢٠).

(٢) إنما ذكر في الحج ﴿من غم﴾ لأنَّ سياق الآيات يقتضيه، فالغمُّ هو الكرب العظيم، الذي يأخذ بالأنفاس، فمنْ كانت ثيابُه من نار، والحميمُ يُصبُّ من فوق رأسه، وله مقامعُ من حديد، كيف لا يكون في كرب وشدَّة؟ بخلاف آيات السجدة، فإنها لم تتحدث إلَّا عن مصير الكفار.

٤ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ...﴾ الآية [الحج: ٢٣].

كرَّره لأنه لما ذَكَر حكم أحدَ الخصمين، وهو ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ لم يكن بُدٌّ من ذكر حكم الخصم الآخر، لمقارنته له، وإن تقدَّم ذكرُه.

٥ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

كرَّره لأن الأول مرتَّب على ذبح بهيمة الأنعام، الشاملة للبُدْنِ، والبقر، والغنم، والثاني مرتَّبٌ على ذبح البُدْن خاصَّة، وإن وافقه في حكم ذبح الآخرين.

٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ ...﴾ [الحج: ٣٩]. أي أُذِنَ للذينَ يريدون أن يُقاتِلوا في القتال.

٧ ـ **قَـوْلُـه تَـعَـالَـى**: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ...﴾ [الحج: ٤٠]. الاستثناءُ فيه منقطعٌ بمعنى لكنْ أُخرجوا بقولهم ربُّنا اللَّهُ، أو هو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذمِّ، كقول الشاعر:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم ... بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائب

أي إن كان فيهم عيبٌ فهو هذا، وهذا ليس بعيبٍ، فلا عيب فيهم.

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ﴾ الآية [الحج: ٤٠].

فإن قلتَ: أيُّ مِنَّةٍ على المؤمنين، في حفظ «الصَّوامعِ» و«البِيَعِ» و«الصَّلَوَاتِ» أي الكنائس عن الهدم، حتَّى امتنَّ عليهم بذلك؟!

قلتُ: المِنَّةُ عليهم فيها أن الصَّوامع، والبِيَعَ، في حِرْسِهم وحفظهم، لأن أهلهما محترمون. **أو المرادُ** لهدِّمت صوامع وبيعٌ في زمن عيسى عليه السلام، وكنائس في زمن موسى عليه السلام، ومساجدُ في زمن النبي ﷺ، فالامتنانُ على أهل الأديانِ الثلاثة، لا على المؤمنين خاصَّة[١].

---

(١) **معنى الآية**: أنه لولا ما شرعه اللَّه من الجهاد، وقتال أعداء اللَّه، لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، وتعطَّلت الشعائر الدينية، فَهُدِّمت معابدُ الرهبانِ، وكنائسُ النصارى، ومعابدُ اليهود، ومساجدُ المسلمينَ، ولاستولى المشركون على أهل المِلَل المختلفة، فهدموا مواضع عبادتهم، ولكنَّ اللَّه تعالى حكيمٌ، ولذلك شرع الجهاد، لدفع شرِّ هؤلاء =

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤].

إنما لم يقل: «وبنو إسرائيل» في قوم موسى، عطفاً على «قوم نوح»؟! لأن قوم موسى لم يكذِّبوه، بل غيرهم وهم القِبْطُ، أو الإِبهامُ في بناءِ الفعل للمفعول، للتفخيم والتعظيم، أي وكُذِّبَ موسى أيضاً مع وضوح آياته، وعِظَم معجزاته، فما ظنُّك بغيره[1]؟

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ . . .﴾ [الحج: ٤٥].

قال ذلك هنا، وقال بعدُ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٨] موافقة لما قبلهما، إذْ ما هنا تقدَّمه معنى الإِهلاك بقوله ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ [الرعد: ٣٢] أي أهلكتُهم.

وما بعدُ تقدَّمه ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧] وهو يدلُّ على أن العذاب لم يأتهم في الوقت، فحسُن ذكرُ الإِهلاك في الأول، والإِملاء ـ أي التأخير ـ في الثاني.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

إن قلتَ: ما فائدة ذلك، مع أن القلوب لا تكون إلَّا في الصدور؟!

قلتُ: فائدتُه المبالغةُ في التأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧].

أو القلبُ هنا بمعنى العقل، كما قيل به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي عقلٌ، ففائدةُ التقييد، الاحترازُ عن القول الضعيف، بأن العقل في الدماغ[2].

= الكفار الفجَّار، وإنما وصف المساجد بقوله ﴿**ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ الله كثيراً**﴾. تعظيماً وتشريفاً، لأنها أماكن العبادة الحقة. اهـ وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢/ ٢٩٢.

(١) لم تكن معجزة موسى عليه السلام معجزةً واحدة، بل كانت كثيرةً وشهيرة، فقد أيَّده الله باليد، والعصا، وانفلاق البحر إلى مسالك وطرقات لنجاة بني إسرائيل، وبالطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، الذي أصاب قوم فرعون، ومع كل هذه الآيات والخوارق والمعجزات، كذَّبه الأشقياء الفُجَّار.

(٢) القول الأول هو الأظهر، أنه للتأكيد ونفي توهّم المجاز، فكأنه يقول: ليس العمى على =

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ . . .﴾ الآية [الحج: ٥٢].

الرسولُ: إنسانٌ أُوحي إليه بشرعٍ وأُمرَ بتبليغه.

والنبيُّ: إنسانٌ أوحي إليه بشرعٍ، وإن لم يؤمر بتبليغه، فهو أعمُّ من الرسول[١].

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ . . .﴾ الآية [الحج: ٦٢].

قاله هنا بتأكيده بـ«هو» وقاله في لقمان[٢] بدونه، لموافقةِ كلٍّ منهما ما قبله، وما بعده، لأن ما هنا تقدَّمه تأكيداتٌ، بعضُها بـ«أَنَّ» وبعضها باللَّام، وبعضُها بهما، بخلافه ثَمَّ، ولهذا قال هنا: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤] وقال ثَمَّ: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . . .﴾ [الحج: ٧٨].

إن قلتَ: كيف لا حرج فيه مع أنَّ في قطع يدٍ بسرقة ربع دينار، ورجم محصنٍ بزنى مرَّة، ووجوب صوم شهرين متتابعين، بإفساد يومٍ من رمضان بِوَطْءٍ، ونحو ذلك حَرَجاً؟!

قلتُ: المرادُ بالدين: التوحيدُ، ولا حرج فيه، بل فيه تخفيفٌ، فإنه يُكفِّرُ ما قبله من الشرك وإن امتدَّ، ولا يتوقف الإتيانُ به على زمانٍ أو مكان معيَّنٍ.

= الحقيقة عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، من كان أعمى القلب فإنه لا يَعْتَبِر، ولا يتذكَّر، ولا يتدبر.

(١) كلُّ رسول نبيٌ و لا عكس، فالنبيُّ أعمُّ من الرسول.

(٢) في لقمان **﴿ذلك بأنَّ اللَّهَ هو الحقُّ وأنَّ ما يدعون من دونِهِ الباطِلُ وأنَّ اللَّهَ هو العليُّ الكبير﴾** آية (٣٠) فقد وردت بدون «هو» في لقمان، بخلاف آية الحج، فإنها وقعت بين عشر آياتٍ، كلُّ آيةٍ مؤكدة مَرّة أو مرتين فناسبها التأكيد بقوله **﴿هو الباطل﴾**.

أو أن كلَّ ما يقع الإنسانُ فيه من المعاصي، يجد له مخرجاً في الشرع، بتوبةٍ، أو كفَّارةٍ، أو رخصة، أو المرادُ نفيُ الحرج الذي كان في بني إسرائيل (١).

«تمت سورة الحج»

* * *

(١) لا حاجة إلى هذه التأويلات، فإن المراد بالآية الكريمة نفيُ المشقة والكلفة عن شرائع الإسلام، فالإسلام دين اليسر، والمعنى: ما جعل عليكم في هذا الدين من ضيق ولا مشقة، ولا كلفكم ما لا تطيقون، بل هي الحنيفية السمحة، ولهذا قال ﷺ: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غَلَبَهُ» رواه البخاري.

سُورَة المؤمِنُون

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[1] [المؤمنون: ٥١].

إن قلتَ: لِمَ أكَّده باللَّام، دون قوله بعده ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦] مع أن المذكورين ينكرون البعث دون الموت؟

قلتُ: لمَّا كان العطفُ بـ«ثُمَّ»، المحتاج إليه هنا، يقتضي الاشتراك في الحكم، أغنى به عن التأكيد باللَّام.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١]. قاله هنا بالجمع وبالواو، وقال في الزخرف: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣] بالإفراد وحذفِ الواو، موافقةً لما قبلهما، إذ ما هنا تقدمت «جنَّاتٌ» بالجمع، وما بعد الواو معطوفٌ على مقدَّر تقديرُه: منها تدَّخرون، ومنها تأكلون، وما في الزخرف تقدَّمت جنَّة بالتوحيد في قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الزخرف: ٧٢] وليس في فاكهة الجنة الأكلُ، فناسبَ الجمعُ والواوُ هنا، والإفرادُ وحذفُ الواو «ثَمَّ».

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ...﴾ [المؤمنون: ٢٠]. المرادُ بها: شجرة الزيتون.

فإن قلتَ: لِمَ خصَّها بطور سيناء، مع أنها تخرج من غيره أيضاً؟!

قلتُ: أصلُها منه، ثمَّ نُقِلتْ إلى غيرِهِ.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ...﴾ [المؤمنون: ٢٤] الآية.

---

(١) سورة المؤمنون آية (١٥) وإنما أكَّده هنا باللام و «إنَّ» لناحيةٍ بلاغية، وهي «تنزيلُ غيرُ المُنكِر منزلة المُنكِر» لأنَّ غفلة الناس عن الموت، وانهماكهم في شهوات الدنيا، وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح، يُعدُّ من علامات الإنكار، ولذلك نُزِّلوا منزلة المنكرين، وأُلقي الخبرُ مؤكداً بـ «إنَّ» و «اللَّام» فافهم سرَّ القرآن!!

قال ذلك هنا، بتقديم الصِّلةِ على قومه، وقال بعدُ بالعكس[١]. لأنه اقتصر هنا في صلة الموصول على الفعل والفاعل، وفيما بعدُ طالت فيه الصِّلة، بزيادة العطف على الصِّلةِ مرَّةً بعد أخرى، فقدَّم عليها ﴿مِن قَوۡمِهِۦ﴾ لأن تأخيرَه عن المفعولِ ملبِّسٌ، وتوسيطه بينه وبين ما قبله رَكِيكٌ[٢].

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المؤمنون: ٢٤] الآية. قاله هنا بلفظ «اللَّه» وفي فصِّلت[٣] بلفظ ربِّنا، موافقةً لما قبلهما، إذْ ما هنا تقدَّمه لفظ «اللَّه» دون «ربنا» وما في (فصِّلت) تقدَّمه لفظ الربّ في «ربِّ العالمين» سابقاً على لفظ «اللَّه» فناسبَ ذكر «اللَّه» هنا، وذكرُ الرَّبِّ ثَمَّ.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٤١]. قاله هنا بالتعريف، وقال بعدُ: ﴿فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤] بالتنكير، لأن الأول لقوم «صالح» بقرينة قولِه: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [يونس: ٤١] فعرَّفهم تعريف عهدٍ، ونكَّر الثاني لخلوِّه عن قرينة تقتضي تعريفه، وموافقةً لتنكير ما قبلَه، وهو ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢].

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١].

قاله هنا بلفظ ﴿عَلِيمٞ﴾ وفي سبأ[٤] بلفظ «بَصِيرٌ» مناسبةً لما قبلَهما، إذْ ما هنا تقدَّمه آيتا الكتاب، وجعل «مريم» وابنها آية، والعلمُ بهما أنسبُ من بصرهما، وما هناكَ تقدَّمه قولُه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] والبصرُ بإلانة الحديد، أنسبُ من العلم بها.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].
نزل في كفار مكة، والمرادُ بالحقِّ: التوحيدَ.

فإِن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنهم كلُّهم كانوا كارهينَ للتوحيد؟

---

(١) في قوله تعالى ﴿وقالَ الملأُ من قومِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلقاءِ الآخِرةِ﴾ آية (٣٣)، ومراده بالصِّلةِ لفظ «الَّذينَ» اسم الموصول.
(٢) الأَوْلى أن يُقال: غيرُ مستحسنٍ، أو غيرُ مناسب، عِوَضاً عن لفظ رَكِيكٌ.
(٣) في فصلت ﴿قالوا لو شاءَ ربُّنا لأنزَلَ ملائكةً فإنَّا بما أُرسلتُم بِهِ كافِرُون﴾ آية (١٤).
(٤) في سبأ ﴿واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصيرٌ﴾ آية (١١).

قلتُ: كان منهم من ترك الإيمان به، أَنَفَةً وتكبُّراً من توبيخ قومهم، لئلا يقولوا: ترك دين آبائه، لا كراهةً للحقِّ، كما يُحكى عن أبي طالبٍ وغيره.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣]، أي من قبل البعث، قاله هنا بتأخير «هَذَا» عمَّا قبله.

وقاله في النمل[١] بالعكس، جرياً على القياس هنا، من تقويم المرفوع على المنصوب، وعَكَسَ ثمَّ بياناً لجواز تقديم المنصوب على المرفوع، وخصَّ ما هنا بتأخير «هذا» جرياً على الأصل بلا مقتضٍ لخلافه، وما هناك بتقديمه اهتماماً به من منكري البعث، ولهذا قالوا بعدُ ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣].

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ . . .﴾ [المؤمنون: ٨٥].

قاله هنا بلفظ «للَّه»، وبعدُ بلفظ «اللَّه»[٢] مرتين، لأنه في الأول، وقع في جواب مجرورٍ باللام، في قوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾ [المؤمنون: ٨٤] فطابَقَه بجرِّه باللام، بخلاف ذلك في الأخيرين، فإنهما إنما وقعا في جوابِ مجردٍ عن اللّامِ.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]، ذكره بعد قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦] لأن هذا في الدنيا عند نزول العذاب، وهو «الجدْبُ» عند بعضهم، ويوم بدرٍ عند بعضهم.

وهذا في الآخرة وهم في الجحيم، بدليل قوله: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

«تمت سورة المؤمنون»

---

(١) في النمل ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ . .﴾.

(٢) هذا على قراءة غير حفص، أما قراءة حفص فهي «للَّه» في المواطن الثلاثة:

١ ـ ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون للَّه قل أفلا تذكرون﴾.

٢ ـ ﴿قل من ربُّ السمٰوات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون للَّه قل أفلا تتقون﴾.

٣ ـ ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون للَّه قل فأنى تسحرون﴾ الجميعُ على قراءة حفص بدون ألف، أمَّا قراءةُ ورشٍ فهي بالألف في الآيتين الأخيرتين.

سُورَةُ النُّور

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ . . .﴾[1] [النور: ٢] الآية.

إن قلتَ: لِمَ قدَّم المرأةَ في آيةِ «حدُّ الزنى» وأُخِّرتْ في آية «حدُّ السرقة»؟

قلتُ: لأن الزِّنى إنما يتولد من شهوةِ الوقاع، وهي في المرأة أقوى وأكثر، **والسَّرقةُ** إنما تتولَّد من الجسارة، والقوَّة، والجرأة، وهي من الرجل أقوى وأكثر.

فإن قلتَ: فلمَ قدَّم الرجل في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣].

قلتُ: لأن تلك الآية في الحدِّ، والمرأةُ هي الأصلُ فيه لما مرَّ، وهذه الآيةُ في حُكم النكاح، والرجلُ هو الأصل فيه، لأنه الراغبُ والمبَادرُ في الطلب، بخلاف الزِّنى فإن الأمر فيه بالعكس غالباً.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، كرَّره لاختلاف الأجوبة فيه[2].

---

(١) سورة النور آية (٢) وإنما بدأ في الزِّنى بالمرأة، وفي السرقةِ بالرجل، لأن الزنى من المرأة أقبحُ، وجُرمُه أشنعُ، فبدأ بها﴿الزانيةُ والزاني﴾ وأمَّا السَّرقةُ فالرجلُ عليها أجرأ، وهو عليها أقدرُ، ولذلك بدأ به﴿والسَّارِقُ والسَّارقةُ فاقطعُوا أَيْدِيَهُما﴾.

(٢) كرَّر لفظ ﴿ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتُه﴾ أربع مراتٍ في أربعِ آياتٍ، في هذه السورة الكريمة:

الأولى: ﴿ولولا فضلُ، عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ آية (١٠).

الثانية: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسَّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ آية (١٤).

الثالثة: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ آية (٢٠).

الرابعة: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبداً﴾ آية (٢١).

إذْ جوابُ الأوّل محذوفٌ تقديره: لفضحكم.

وجوابُ الثاني قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤] الآية.

وجوابُ الثالثِ محذوفٌ تقديره: لعجَّل لكم العذابَ.

وجوابُ الرابع ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ . . .﴾ [النور: ٣٠] الآية.

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ «مِنْ» في غضّ البصرِ، دون حفظِ الفرج؟

قلتُ: فائدتُهُ الدلالةُ على أن حكمَ النظر أخفُّ من حكم الفرج، إذْ يحلُّ النظرُ إلى بعضِ أعضاء المحارمِ، ولا يحلُّ شيءٌ من فروجهنَّ.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ . . .﴾ [النور: ٣١] الآية.

إن قلتَ: لِمَ تركَ ذكر الأعمامِ والأخوالِ، مع أنَّ حكمَهما حكم من استُثني؟

قلتُ: تركهما كما ترك محرَّم الرضاع، أو لفهمهما من بني الإِخوان، وبني الأخوات، بالأَوْلى أو بالمساواة.

والجوابُ: أنه لم يُذكر من المستثنى، إلَّا منْ اشترك هو وابنُه في المحرميَّةِ، لأنَّ من لم يشاركه ابنُه فيها، كالعمِّ والخال، قد يَصِفُ محرمَه عند ابنه، وهو ليس بمحْرَم لها، فيُفْضي إلى الفتنةِ، نُقِضَ بأن إفضاءَ الفتنةِ، يأتي في «آباء بعولتهنَّ» فقد يذكرُ أَبو البعلِ، محْرمَه عند ابنه الآخر، وليس بمحرم لها[(١)].

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا . . .﴾ [النور: ٣٣] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع أن إكراههنَّ على الزنى حرامٌ، وإنْ لم يُردْنَ التحصُّنَ؟

---

(١) هذا هو الخبرُ للمبتدأ وهو قولُه «والجواب»، وإنما لم يذكر العمُّ والخالُ، لأن العمَّ بمنزلة الأب، والخالُ كذلك بمنزلة الأم، وكلٌّ من الأب والأم من المحارم، فكذلك العمُّ والخالُ، والله أعلم.

قلتُ: الشرط هنا لا مفهوم له، لخروجه مخرج الغالب منْ أنَّ إكراههنَّ إنما يكون مع إرادتهنّ التحصُّنَ، ولوروده على سبب، وهو أن الجاهلية كانوا يُكرهون إماءَهم على الزنى، مع إرادتهنَّ التحصن، أو أنَّ «إنْ» بمعنى «إذْ» كما في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقوْلِهِ: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٦ ـ قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ...﴾ [النور: ٣٤].

قاله هنا بذكرِ الواوِ، و«إليكمْ» وقاله بعدُ بحذفهما[١]، لأن اتصال ما هنا بما قبله أشدُّ؛ إذ قولُه بعدُ ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤] مصروفٌ إلى الجُمَل السابقة من قوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣] إلى آخره، وفيه معطوفان بالواو، فناسبَ ذكرُها العطف، وذكرَ «إليكم» ليُفيد أنَّ الآياتِ المبيِّناتِ، نزلتْ في المخاطبينَ في الجُمَل السَّابقة، وما ذُكِرَ بعدُ خالٍ عن ذلك، فناسبَهُ الاستئنافُ والحذفُ.

٧ ـ قوْلُه تعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ [النور: ٣٥] الآية، أي مثل صفةِ نورِه تعالى، كصفةِ نور مِشْكاةٍ فيها مصباحٌ، المصباحُ في «زُجاجةٍ» هي القنديل، والمصباحُ: الفتيلةُ الموقودةُ، والمشكاةُ: الأنبوبةُ في القنديل[٢]. فصار المعنى: كمثل نور مصباحٍ، في مشكاةٍ، في زجاجة.

---

(١) في قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ واللّه يَهْدي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النور آية (٤٦).

(٢) الصحيح أن المشكاة هي الفتحةُ في الحائط ـ أعني الطاقة ـ والآيةُ الكريمةُ وردتْ على سبيل التشبيه والتمثيل، حيث مثّل تعالى لنور معرفته في قلب عبده المؤمن، بالمصباح الوضّاء، الموجود في طاقة الحائط، هذا المصباحُ في قنديل من الزجاج الصافي، كأنه في صفائه وضيائه، شبيه بالكوكب الوقّاد في الحسن والبهاء، زيتُ هذا المصباح يخرج من شجرة زيتونة مباركة، يكاد هذا الزيتُ من صفائه وحسن ضيائه يضيء ولو لم تمسسه النار، والمقصود تمثيل لنور في قلب المؤمن بنور المصباح، ولما كان القلب في الصدر، ناسب التمثيل له بالمصباح في كوّة الحائط والجدار، قال شيخ المفسرين الإمام الطبري: ذلك مَثَلٌ ضربه اللّه عزّ وجلّ، للقرآن في قلب أهل الإيمان، فقال: مَثَلُ نور =

فإن قلتَ: لمَ مثَّل اللَّه نورَه ـ أي معرفته ـ في قلب المؤمنِ، بنور المصباح دون نور الشمس، مع أن نورها أتمُّ؟

قلتُ: لأن المقصود تمثيلُ النور في القلب، والقلبُ في الصَّدْرِ، والصَّدرُ في البدن كالمصباحِ، والمصباحُ في الزجاجةِ، والزجاجةُ في القنديل.

وهذا التمثيلُ لا يستقيم إلَّا فيما ذُكر، ولأن نور المعرفة له آلاتٌ، يتوقَّفُ هو على اجتماعها، كالذِّهنِ، والفهم، والعقل، واليقظة، وغيرها من الصفات الحميدة، كما أنَّ نور القنديل، يتوقف على اجتماع القنديل، والزيتِ، والفتيلة وغيرها، أو لأن نور الشمس يُشرقُ متوجهاً إلى العالم السُّفلي، ونور المعرفةِ يُشرقُ متوجهاً إلى العالم العُلْويّ، كنور المصباح.

ولكثرةِ نفع الزيتِ، وخلوصهِ عمَّا يخالطه غالباً، وقعَ التشبيهُ في نوره، دون نور الشمس، مع أنه أتمُّ من نور المصباح.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ . . .﴾ [النور: ٣٧].

إن قلتَ: لمَ عطفَ البيعَ على التجارة مع شمولها له؟

قلتُ: لأن التجارة هي التصرُّف في المال لقصد الربح، والبيعُ أعمُّ من ذلك، فَعَطَفه عليها، لئلا يُتوهَّمَ القصورُ على بيع التجارة.

أو أُريد بالتجارة: الشراءُ لقصد الربح، وبالبيع: البيعُ مطلقاً.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ . . .﴾ [النور: ٤٥].

إن قلتَ: لمَ خصَّ الدابة بالذِّكْرِ، مع أن غيرها مثلها، كما شمله قوله في الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قلتُ: لأن القدرة فيها أظهرُ وأعجَبُ منها في غيرها.

= اللَّه الذي أنار لعباده سبيل الرشاد، مَثَلُ كوّة في الحائط، لا منفذ لها، فيها مصباح أي سراج، وهذا السراجُ مَثَلٌ لما في قلب المؤمن، من القرآن والآيات البيِّنات، فاستنار قلبُ المؤمن بنور القرآن، وخلُصَ من الشك والكفر. اهـ تفسير الطبري، أقول: وهذا كله على سبيل التمثيل، ولهذا ختم تعالى الآية بقوله: **﴿ويضرب اللَّه الأمثال للناس واللَّه بكل شيء عليم﴾**.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ . . .﴾ [النور: ٤٥].

فيه مجازُ التغليبِ، حيثُ استعمل «مَنْ» وهي لمن يعقلُ في غيره، لوقوعه تفصيلاً لما يعمُّهما، وهو «كلّ دابة».

وفيه أيضاً: مجازُ التشبيه، إذْ إسنادُ ما ذُكر إلى الحيَّة، زحفٌ لا مَشْيٌ، لكنَّه يشبهه في السَّيْر.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ . . .﴾ [النور: ٥٨].

إن قلتَ: كيف أمرَ اللَّه تعالى بالاستئذانِ لهم، مع أنهم غير مكلَّفين؟

قلتُ: الأمرُ في الحقيقة لأوليائهم ليؤدِّبُوهم.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ . . .﴾ [النور: ٥٩] الآية.

ختمها بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [النور: ٥٩] بالإضافة إليه.

وختم ما قبلها وما بعدها بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [البقرة: ٢١٩] بالتعريف بـ«أل» لأنهما يشتملان على علاماتٍ، يمكننا الوقوف عليها، وهي في الأول ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [النور: ٥٨].

وفي الأخيرة ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] الآية.

فختم الآيتين بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ وأمَّا بلوغُ الأطفالِ، فلم يُذكر له علاماتٌ، يمكننا الوقوف عليها، بل تفرَّد تعالى بعلمه بذلك، فخصَّها بقوله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بالإضافة إليه.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا . . .﴾ [النور: ٦٠] الآية.

إن قلتَ: كيف أباح تعالى بذلك للقواعد من النساء ـ وهنَّ العجائزُ ـ التجرُّدَ من الثياب بحضرة الرجال؟!

قلتُ: المرادُ بالثيابِ الزائدةُ على ما يسترهنَّ، وسُمِّيتِ العجوزُ قاعداً، لكثرة قعودها[١] قاله ابن قتيبة.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] الآية، أي من بيوتِ أولادكم وعيالكم، وإلّا فانتفاء الحَرَج عن أكلِ الإنسانِ من بيته معلومٌ.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ...﴾ [النور: ٦١] الآية، أي قولوا: السلامُ ـ أي من اللَّه ـ علينا وعلى عبادِ اللَّه الصالحين، فإنَّ الملائكة تردُّ عليكم، هذا إن لم يكن بها أحدٌ، وإلا فقولوا: السلامُ عليكم.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ...﴾ [النور: ٦٣] الآية.

إن قلتَ: كيف عدَّى خالف بـ«عَنْ» مع أنه يتعدَّى بنفسه؟!

قلتُ: ضَمّن بـ«خَالَفَ» معنى «يُعرِضُ» أو «يعدلُ» فعدَّاه تعديتَه؛ أو عن متعلّقٍ بمحذوفٍ تقديره: أو يعدلون عن أمره، أو هي زائدة على قول الأخفش.

«تمت سورة النور»

* * *

(١) الصحيحُ أنها سُمِّيت قاعداً لأنها قعدت عن طلب الزواج لكبر سنِّها، وقيل: قاعد بغير تاء لأنه خاصٌّ بالنساء كطامث، وحائض، ومرضع.

سُورَة الفُرْقان

١ ـ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. «تبارك» هذه كلمةٌ لا تُستعمل إلّا للّه بلفظ الماضي، وذُكرت في هذه السورة في ثلاثة[١] مواضع، تعظيماً للّه تعالى.

وخُصَّتْ مواضعها بذكرها، لِعظَم ما بعدها.

الأول: ذكرُ الفرقان وهو القرآنُ، المشتملُ على معاني جميع كتبِ اللّه.

والثاني: ذكرُ النبي ﷺ ومخاطبةِ اللّه له فيه، وروي[٢]: «لولاك يا محمدُ ما خَلقتُ الكائناتِ».

والثالث: ذكرُ البروج، والشمس، والقمر، والليل والنهار، ولولاها لما وُجد في الأرض حيوان، ولا نباتٌ.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

إن قلتَ: الخلقُ هو التقديرُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠] فكيف جمع بينهما؟

قلتُ: الخلقُ من اللّه هو الإيجادُ، فصحَّ الجمعُ بينه وبين التقدير، ولو سُلِّم أنه التقديرُ، فساغ الجمعُ بينهما لاختلافهما لفظاً، كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

---

(١) المواضع الثلاثة في هذه السورة وهي: الأول عند ذكر الفرقان **﴿تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده﴾**. والثاني عند ذكر النبي ﷺ **﴿تبارك الذي إن شاءَ جعل لك خيراً من ذلك﴾** والثالث عند ذكر البروج **﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾** ومثل هذه الآيات، قولُه تعالى **﴿فتبارك اللّه أحسنُ الخالقين﴾ ﴿تبارك اللّه رب العالمين﴾ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾**.

(٢) أي في الأثر، وقد ذكره في «كشف الخفاء» بلفظ «لولاكَ لولاكَ ما خلقتُ الأفلاكَ» قال الصَّغاني: موضوعٌ، وكذلك قال الشوكاني. قال العجلوني بعد ذكره الأثر: وأقول: لكنْ معناه صحيحٌ وإن لم يكن حديثاً.

٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ....﴾ [الفرقان: ٣].

قاله هنا بالضمير «مِنْ دونه» وقاله في مريم[١]، ويسٓ[٢] بلفظ «اللَّه» موافقةً لما قبله في المواضيع الثلاثة.

٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ....﴾ [الفرقان: ٣].
قدَّم الضرَّ على النفع لمناسبة ما بعده، من تقديم الموت على الحياة.

٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان: ١٥].

إن قلتَ: كيف قال في وصف الجنة ذلك، مع أنها لم تكن حينئذٍ جزاءً ومصيراً؟

قلتُ: إنما قال ذلك، لأن ما وعد اللَّه به، فهو في تحقّقه كأنه قد كان، أو أنه كان في اللوح المحفوظ، أنَّ الجنة جزاؤُهم ومصيرُهم.

٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

إن قلتَ: لمَ أخَّر ﴿هَوَىٰهُ﴾ مع أنه المفعولُ الأول؟

قلتُ: للعناية بتقديم الأول[٣]، كقوله: علمتُ فاضلاً زيداً.

٧ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٩]. ذكَّر الصفة مع أن الموصوف مؤنَّثٌ، نظراً إلى معنى البلدة وهو المكان، لا إلى لفظها، والسرُّ فيه تخفيف اللفظ.

وقدَّم في الآية إحياءَ الأرضِ، وسقيَ الأنعامِ، على سقي الأناسيِّ[٤]، لأن

---

(١) في مريم: ﴿واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلهةً لِيكُونُوا لهُمْ عِزاً﴾ آية (٨١).
(٢) في يسٓ ﴿واتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلهةً لعلَّهُمْ يُنْصَرُون﴾ آية (٧٤).
(٣) قال ابن عباس: كان الرجل من المشركين يعبدُ حجراً، فإذا رأى حجراً أحسن منه، رماه وأخذ الثاني فعبده.
(٤) معنى الأناسيّ: الناس، جمع إنسيٌّ مثل كراسي وكرسي، قال الفراء: الإنسي والأناسي اسمٌ للبشر، وأصله إنسان.

حياة الأناسيّ بحياة أرضهم وأنعامهم، فقدَّم ما هو سببُ حياتهم ومعاشهم، ولأن سقْيَ الأرضِ بماء المطرِ، سابقٌ في الوجود على سقي الأناسيّ.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ . . .﴾ [الفرقان: ٥٥] الآية، قدَّم النفع على الضُّرّ، موافقةً لقوله قبل: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣].

٩ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفقان: ٥٧]، أي ما أسألكم على إبلاغ ما أنزل عليَّ من أجر ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي إلى ثوابه ﴿سَبِيلًا﴾ أي فأنا أدلُّه على ذلك، فهو استثناءٌ منقطع.

وأمَّا الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فمنسوخٌ بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧] على ما روى ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

أو هو استثناءٌ منقطعٌ، كما عليه المحقِّقونَ، تقديره: لكِنِّي أذكِّركم المودَّة في القربى.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، لم يقل «أئمة» رعايةً للفواصل، أو تقديرُه: واجعل كلَّ واحدٍ منا إماماً.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، جمع بين التحية والسلام، مع أنهما بمعنى، لقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] ولخبرِ «تحيةُ أهلِ الجنة في الجنة السلام» لأن المراد هنا بالتحية: سلامُ بعضِهم على بعض، أو سلامُ الملائكة عليهم، وبالسَّلامِ سلامُ اللَّه عليهم، لقوله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

أو المرادُ بالتحية إكرامُ اللَّه لهم بالهدايا والتُّحف، وبالسلام سلامه عليهم بالقول، ولو سُلِّم أنهما بمعنى، فساغ الجمْعُ بينهما، لاختلافهما لفظاً كما مرَّ نظيره.

«تمت سورة الفرقان»

* * *

سُورَةُ الشُّعَراء

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨].

كرَّره في ثمانية مواضع(١)، أولها في قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، ثم في ذكر نبينا محمد ﷺ وإن لم يُذْكَر صريحاً.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

إن قلتَ: كيف أفرد «رسولُ» مع أنه خبر متعدِّد، والقياسُ (رَسُولا) كما في طه(٢)؟

قلتُ: الرسول بمعنى الرسالة، وهي مصدر، يُطلق على المتعدِّد وغيره.

أو تقديره: كلُّ واحدٍ منَّا رسولُ ربِّ العالمين.

أو أفرده نظراً إلى موسى لأنه الأصلُ، وهارونُ تَبَعٌ له.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

إن قلتَ: كيف قال موسى «وأنا من الضَّالين» والنبيُّ لا يكونُ ضالّاً؟

قلتُ: أراد به وأنا من الجاهلين، أو من الناسين كقوله تعالى ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أو من المخطئين(٣) لا من المتعمدين، كما يُقال: ضلَّ عن الطريق، إذا عَدَل عن الصواب إلى الخطأ.

---

(١) إنما جاء التكرار بعد كل قصة، تسليةً لرسل الله الكرام، عمَّا يقاسونه من أقوامهم، من أنواع التكذيب والأذى، فبعد كل قصة رسول، تأتي هذه الآية الكريمة **﴿إنَّ في ذلك لآيةً وما كَانَ أكثَرُهُمْ مُؤمِنين﴾** ليشير إلى مبلغ طغيان البشر.

(٢) في طه **﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فأرْسِلْ مَعَنَا بَني إسرائيلَ ولا تُعَذِّبْهُمْ..﴾** آية (٤٧).

(٣) هذا هو الأظهرُ ـ والله أعلم ـ أي قال موسى: فعلتُ تلك الفعلة، وأنا من المخطئين لأنني لم أتعمد قتله، وإنما أردتُ تأديبه، ولم يقصد موسى الضلال عن الهدى لأنه نبيٌّ معصوم، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢/ ٣٧٦.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

لم يقل فرعون: (وومن رب فرعون) لأنه كان منكراً لوجود الربِّ، فلا يُنْكَر عليهِ التعبيرُ بـ«مَا».

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

إن قلتَ: كيف علَّق كَوْنَه ربَّ السموات والأرضِ، بكونِ فرعون وقومِه كانوا موقنين، مع أنَّ هذا الشرط منتفٍ، والرُّبوبيةُ ثابتةٌ؟!

قلتُ: معناه إن كنتم موقنين أن السمواتِ والأرضَ موجوداتٍ، وهذا الشرطُ موجوداً، و«إن» نافية لا شرطيَّة(١).

فإن قلتَ: ذكرُ السمواتِ والأرض مستوعبٌ جميعَ المخلوقاتِ، فما فائدة قولِه: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]؟ وقولِهِ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]؟!

قلتُ: فائدتهما تمييزُهما في الاستدلال على وجود الصَّانع.

أما الأول: فإن أقربَ ما للإنسان نفسُه، وما يشاهده من تغييراته، وانتقاله من ابتداء ولادته.

وأمَّا الثاني: فلِمَا تضمَّنه ذكرُ المشرقِ والمغربِ وما بينهما، من بديع الحكمة في تصريف الليل والنهار، وتغيير الفصولِ بطلوع الشمس من المشرق، وغروبها في المغرب، على تقديرٍ مستقيم في فصول السنة.

فإن قلتَ: لمَ قال أوَّلاً ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] وثانياً ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]؟

قلتُ: لاطَفَهم أولاً بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فلما رأى عنادهم، خاشَنَهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وعارَضَ بهِ قولَ فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

---

(١) لا حاجة إلى مثل هذا التأويل البعيد، ومعنى الآية قال له موسى: هو خالق السموات والأرض، والمتصرِّف فيهما بالإحياء والإماتة، إن كانت لكم قلوبٌ تعقِلُ، وأبصارٌ تدرك، فهذا أمر ظاهر جلي، لكل من تأمَّل في خلق السمٰوات والأرض.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

إن قلتَ: لمَ عَدَلَ إليه عن «لأسجُننَّك» مع أنه أخصرُ منه؟

قلتُ: لإرادةِ تعريف العهد، أي لأجعلنك ممَّنْ عُرفتْ حالُهم في سجني ـ وكان إذا سجن إنساناً طَرَحه[١] في هُوَّةٍ عميقة مظلمة ـ لا يُبصر فيها ولا يسمع.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠].

قاله هنا بحذف لام التأكيد، وفي الزخرف[٢] بإثباتها، لأنَّ ما هنا كلامُ السَّحرة حين آمنوا، ولا عمومَ فيه، فناسب عدم التأكيد، وما في الزخرف عامٌّ لمن ركب سفينةً أو دابةً، فناسبَه التأكيدُ.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١].

إن قلتَ: قضيَّتُه أنَّ كُلَّ جمع منهما رأى الآخرِ، لأن التَّراءي تفاعلٌ، مع أَنَّ كلاً منها لم يرَ الآخر[٣]، لأن اللّه تعالى أرسل غيماً أبيضَ، فحال بينهما، حتى منع الرؤية؟

قلتُ: التراءي يُستعمل بمعنى التقابل، كما في خبرِ «المؤمنُ والكافر لا يتراءيان» أي لا يُدانيان ولا يتقابلان.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩، ٧٠]. قاله في قصة إبراهيم هنا بدون ذكر «ذا» وفي «والصافات»[٤] بذكره، لأن «ما» لمجرد الاستفهام، فأجابوا بقولهم: «قالوا

---

(١) في مخطوطة الجامعة: طوَّحه في هويةٍ عميقة والصواب ما ذكرناه: طرحه في هوَّةٍ عميقة، وإنما قال «المسجونين» لإرادته الدوام والاستمرار، أي الكائنين والمخلَّدين في السجن إلى الأبد، ولو قال لأسجننَّك، لما أفاد هذا المعنى.

(٢) في الزخرف ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُون﴾ آية (١٤).

(٣) هذا القولُ غير مسلَّم، وليس هنالك نصٌّ صريح واضح أنه حال بين الرؤية الغيمُ، والراجح أن المعنى فلما تقارب الجمعان، جمعُ موسى وجمعُ فرعون، ورأى كلٌّ منها الآخر، قال أصحابُ موسى: لقد أُحِيطَ بنا، وسيدركنا فرعونُ وجنوده فيقتلوننا اهـ. وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢/ ٣٨٢.

(٤) في الصَّافات ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ آية (٨٥) استفهامٌ على سبيل التقريع والتوبيخ.

نعبد أصناماً» و«مَاذَا» فيه مبالغةٌ، لتضمنه معنى التوبيخ، فلما وبَّخهم ولم يجيبوه، زاد على التوبيخ فقال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦، ٨٧] فذكر في كل سورةٍ ما يناسب ما ذُكر فيها.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨١].

زاد «هو» عقِبَ الذي في الإِطعام والسقي، لأنهما ممَّا يصدران من الإِنسان عادةً، فيُقال: زيدٌ يُطعِم ويسقي، فذكر «هو» تأكيداً، إعلاماً بأن ذلك منه تعالى، لا من غيره، بخلاف الخلْقِ، والموت، والحياة، لا تصدر من غير اللَّه.. ويجوز في «الذي خلقني» النصبُ، نعتاً لربِّ العالمين، أو بدلاً، أو عطف بيانٍ، أو بإِضمار أعني.. والرفعُ خبراً لضمير «الذي» أو مبتدأ خبرُه الجملةُ بعده، ودخلتْ عليه الفاء على مذهب الأخفش، من جواز دخولها على خبر المبتدأ، نحو: زيدٌ فاضربه، وقيل: دخلت عليه لما تضمَّنه المبتدأ من معنى الشرط، لكونه موصولاً، ورُدَّ بأن الموصول هنا معيَّنٌ لا عامٌّ.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ لم يقل: أمرضني، كما قال قبله: «خلقني، ويهدين» لإِنه كان في معرِض الثناء على اللَّه تعالى، وتعدادِ نعمه، فأضاف ذَيْنِكَ إليه تعالى، ثم أضاف المرضَ إلى نفسه، تأدباً مع اللَّه تعالى، كما في قول الخضر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وإنما أضاف الموت إلى اللَّه تعالى، في قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ لكونه سبباً لِلقائِه، الذي هو من أعظم النِّعم.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، فينفعه مالُه الذي أنفقه في الخير، وولدُه الصالح بدعائه، كما جاء في خبر «إذا ماتَ ابنُ آدمَ، انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[(١)].

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠] أي قُرِّبتْ.

فإن قلتَ: كيف قُرِّبت مع أنها لم تنتقل من مكانها؟

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

قلتُ: فيه قلبٌ أي وأُزلف المتقون إلى الجنة، كما يقول الحاج إذا دنو إلى مكة: قَرُبَتْ مكّةُ منّا.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، جَمَع الشَّافعَ، وأفردَ الصَّديقَ، لكثرة الشفعاء عادةً، وقلَّةِ الصديق، ولهذا قال الشافعي رضي اللَّه عنه:

ما في زمانِكَ من تَرْجُو مودَّتَه ... ولا صَديقٍ إذا جارَ الزَّمانُ وَفَى
فعِشْ فَريداً ولا تَرْكَنْ إلى أحَدٍ ... هَا قَدْ نصحْتُكَ فيما قلْتُهُ وَكَفَى

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ إلى قوله: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] [الشعراء: ١٠٦ ـ ١٠٩].

ذُكر في خمسة مواضع: في قصة نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ، وشعيب.

١٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١١٠].

ذُكر مكرَّراً في ثلاثة مواضع: في قصة نوح، وهود، وصالح، تأكيداً.

فإن قلتَ: لَمَ خُصَّتِ الثلاثةُ بالتأكيد، دون قصة لوطٍ، وشعيب؟!

قلتُ: اكتفاءً عنه في قصة لوط بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] وفي قصة شعيب بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤] لاستلزامهما له.

١٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ...﴾ [الشعراء: ١٥٤].

قاله فيها بلا «واوٍ» وقاله في قصة شعيب[2] بواوٍ.

لأنه هنا بدلٌ مما قبله، وثَمَّ معطوف على ما قبله، وخُصَّتْ الأولى بالبدل، لأن صالحاً قلَّل في الخطاب، فقلَّلوا في الجواب.

---

(١) إنما كررت هذه الآية الكريمة في خمسة مواضع، للتنبيه على أن دعوة الرسل الكرام واحدة، وهدفهم واحدٌ، وطريقتهم واحدة، فهم لا يطلبون من أحدٍ أجراً ولا مالاً، ولا شيئاً من حُطام الدنيا، على تبليغهم الرسالة، إنما يطلبون الأجر من اللَّه وحده، وكفى به مثوبةً ومنالاً.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ﴾ فقد وردت بالواو هنا.

وأكثرَ شعيبٌ في الخطاب، فأكثروا في الجواب.

١٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ . . . ﴾ [الشعراء: ١٥٧، ١٥٨] الآية.

إن قلتَ: كيف أخذهُم العذابُ، بعدما ندموا على جنايتهم، وقد قال ﷺ: «**النَّدَمُ توبةٌ**»؟!

قلتُ: ندمهم كان عند معاينة العذاب، وهي ليست وقت التوبة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ . . . ﴾ [النساء: ١٨].

وقيل: كان ندمُهم ندم خوفٍ من العقاب العاجل، لا ندم توبة فلم تنفعهم.

١٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

الضميرُ للأَفَّاكين وهم الكذَّابون.

فإن قلتَ: كيف قال: «أَكْثَرُهُمْ» بعدما حكَمَ بأنَّ كل أفَّاكٍ أثيمٌ أي فاجرٌ؟!

قلتُ: الضمير في «أكثرُهم» للشياطين، لا للأفاكين، ولو سُلِّم فالأفَّاكون هم الذين يُكْثِرون الكذبَ، لا أنهم الذين لا ينطقون إلَّا بالكذب.

«تمت سورة الشعراء»

* * *

سورة النَّمْل

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ١].

إن قلتَ: الكتابُ المبينُ هو القرآنُ، فكيف عطَفَه عليه، مع أن العطف يقتضي المغايرة؟!

قلتُ: المغايرةُ تَصْدُق بالمغايرة لفظاً ومعنى، وباللفظ فقط، وهو هنا من الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

أو المرادُ: بالكتاب المبين: هو اللوحُ المحفوظ، فهو هنا من الأول.

فإن قلتَ: لِمَ قدَّم القرآن هنا على الكتاب، وعَكَسَ في الحِجْر[(١)]؟

قلتُ: جرياً على قاعدة العرب، في تفنُّنهم في الكلام.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧].

فإن قلتَ: كيف قال هنا ذلك، وفي طه ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ [طه: ١٠] وأحدها قَطْعٌ، والآخرُ ترجٍ، والقضيَّةُ واحدة؟!

قلتُ: قد يقول الراجي إذا قويَ رجاؤه: سأفعلُ كذا، وسيكونُ كذا، مع تجويزه عدمَ الجزم.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا . . .﴾ [النمل: ١٨]. المرادُ بالنَّارِ عند الأكثرِ «النُّورُ» وبمن فيها «موسى» ومن حولها «الملائكة» أو العكسُ، بأن بارك اللَّه مَنْ كانَ في مكانِ النور، ومنْ (حوله ومكانه) هو البقعة المباركة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] وبارك يتعدَّى بنفسه كما هنا، وبـ «على» و«في»

(١) في الحجر ﴿تلك آياتُ الكتابِ وقرآنٍ مبينٍ﴾ على عكس ما في سورة النمل، وهذا كله من باب التفنُّن في الكلام كما هو عادة العرب.

كما في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣] وقوله: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠].

٤ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠].

قاله هنا بدون ذكر «أن» وفي القصص[1] بذكرها.

لأن ما هنا تقدَّمه فعل بعد «أنْ» وهو «بورك» فحسُنَ عطفُ الفعل عليه، وما هناكَ لم يتقدمه فعلٌ بعد «أنْ» فذكرتْ «أنْ» لتكون جملة ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ معطوفةً على جملة ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

٥ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

قال ذلك هنا، وقال في القصص ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: ٣١] بزيادة «أقبل»، لأنَّ ما هنا بُني عليه كلامٌ يناسبه، وهو ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] فناسبه الحذفُ، وما هناك لم يُبْنَ عليه شيءٌ، فناسَبه زيادة «أقبل» جبراً له، وليكون في مقابلة «مدبراً» أي أقبلْ آمناً غير مدبرٍ، ولا تخفْ.

٦ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَن ظَلَمَ ...﴾ الآية [النمل: ١٠].

إن قلتَ: كيف وجهُ صحة الاستثناءِ فيه، مع أن الأنبياءَ معصومون من المعاصي؟!

قلتُ: الاستثناءُ منقطعٌ، أي لكنْ من ظلم من غير الأنبياء فإنه يخاف، فإن تاب وبدَّل حُسْناً بعد سوء، فإني غفورٌ رحيم، أو متصلٌ بحمل الظلم على ما يصدر من الأنبياء من تركِ الأفضل، أو «إلا» بمعنى «ولا» كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٠].

وإنما خصَّ: المرسلين بالذِّكر، لأن الكلام في قصة موسى ـ وكان من المرسلين ـ وإلّا فسائر الأنبياء كذلك، وإن لم يكن بعضهم رسلاً.

٧ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ...﴾ [النمل: ١٢].

---

(١) في القصص ﴿وأَنْ أَلْقِ عَصَاك..﴾ الآية.

قاله هنا بلفظ «أَدْخِلْ» وفي القَصَص بلفظ «أُسْلُكْ» لأن الإِدخال أبلغُ من السلوك، لأن ماضيه أكثر حروفاً من ماضي السلوك، فناسب «أَدْخِلْ» كثرة الآيات، وفي قوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [طه: ٢٢] أي معها، مرسلاً إلى فرعون، وناسب أسلك قلّتها، وهي سلوك اليد، وضمُّ الجناح، والمعبَّر عنهما بقوله: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾ [القصص: ٣٢].

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢].

قاله هنا بلفظ «وقومه» وفي القصص[(١)] بلفظ «وملائه» لأن الملأَ أشرافُ القوم، ولم يوصفوا ثَمَّ بما وُصِف به القومُ هنا، من قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا۟ بِهَا . . .﴾ الآية [النمل: ١٣، ١٤] فناسب ذكرُ (القوم) هنا، وذكر (الملإِ) ثَمَّ.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ . . .﴾ [النمل: ١٦].

النُّونُ نونُ الجمع، عنى «سليمان» نفسَه وأباه، أو نونُ العظمة، مراعاةً لسياسة المُلْك، لأنه كان (مَلِكاً) مع كونه نبياً.

فإن قلتَ: كيف سوّى بينه في قوله: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ وبين بلقيس في قول الهُدْهد: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؟!

قلتُ: الفرقُ بينهما، أنها أوتيتْ من كلِّ شيء من أسباب الدنيا فقط، لعطف ذلك على «تمْلِكُهم» وسليمانُ أُوتي من كل شيءٍ من أسباب الدين والدنيا، لعطف ذلك على المعجزة، وهي «منطقُ الطير».

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]. توعَّد «سليمان» الهدهد بذلك، مع أنه غيرُ مكلَّفٍ، بياناً لكونه خُصَّ بذلك، كما خُصَّ بتعلّم منطقه.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٣٠].

إن قلتَ: إذا تولَّى عنهم كيف يعلم جوابهم؟!

---

(١) في القصص ﴿فذانِكَ برهانانِ من ربِّكَ إلى فرعون ومَلَائِهِ إنهم كانوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ آية (٣٢).

قلتُ: معناه ثمَّ تولَّ عنهم يسيراً، حيث لا يرونك، فانظر ماذا يرجعون؟

١٢ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **[النمل: ٤٠]**.

قدَّم «سليمانُ» اسمه على اسم اللَّه تعالى، مع أنَّ المناسبَ عكسُه، لأنه عرف أنَّ «بلقيس» تعرف اسمه، دون اسم اللَّه تعالى، فخاف أن تستخفَّ باسم اللَّه تعالى، أوَّلَ ما يقعُ نظرها عليه، أو كان اسمُه على عنوانِ الكتاب، واسمُ اللَّهِ في باطنه.

١٣ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ **[النمل: ٢٨]**.

القائلُ: كاتبُ سليمانَ، واسمُه «آصف»[١].

فإن قلتَ: كيف قَدَر مع أنه غيرُ نبيٍّ، على ما لم يقدر عليه سليمان مع أنه نبيٌّ؟ من إحضار عرش بلقيس في طرفة عين؟!

قلتُ: يجوز أن يُخصَّ غيرُ النبيّ بكرامةٍ، لا يشاركه فيها النبيُّ، كما خُصَّت «مريمُ» بأنها كانت تُرزق من فاكهة الجنة، و«زكريا» لم يُرزق منها، ولم يلزم من ذلك فضلُها على «زكريا»، وقد نُقل أن «سليمان» عليه السلام، كان إذا أراد الخروج إلى الغَزَاةِ، قال لفقراء المهاجرين والأنصار، أُدعوا لنا بالنُّصْرة، فإن اللَّه ينصرنا بدعائكم، ولم يكونوا أفضل منه، مع أن كرامة التَّبع، من جملة كرامة المتبوع.

ويُحكى أن العلمَ الذي كان عند «آصف» هو اسمُ اللَّه الأعظم، فدعا به فأُجيب به في الحال.

وهو عند أكثر العلماء كما قال البندنيجيُّ: اسمُ اللَّه، **وقيل**: يا حيُّ، يا قيُّوم.

وقيل: يا ذا الجلالِ والإكرام، **وقيل**: يا اللَّهُ، يا رحمنُ، **وقيل**: يا إلٰهنا وإلٰه كل شيء، إلٰهاً واحداً، لا إلٰهَ إلَّا أنتَ.

١٤ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) اسمه (آصف بن برخيا) كان عالماً ربانيًا، يعرف اسمَ اللَّهِ الأعظم، الذي إذا دُعِي به أجاب، وما هي إلَّا ثوان حتى حضر العرشُ.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. حقيقةُ المعيَّة: الاتفاقُ في الزمانِ، وسليمانُ كان مُسلماً قبلها، ولم تَقُلْ بدل ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ على يد سليمان؛ لأنها كانت ملكة، فلم تذكر عبارةً تدلُّ على أنها صارت مولاةً له بإسلامها، وإن كان الواقعُ ذلك.

١٥ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣].

قاله هنا بلفظ «أنجينا» وفي حمّ السجدة بلفظ «ونَجَّيْنا» موافقةً لما بعده هنا، ولما قبله وبعده ثَمَّ، فيما وزنُه «أفعل» و«فعل» ثَمَّ، حيث قال هنا بعد ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ . . . وَأَمْطَرْنَا﴾ [النمل: ٥٧، ٥٨] وقال ثَمَّ قبله «وزَيَّنَّا» وبعده «وقَيَّضْنا».

١٦ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]؟

ذُكر هنا في خمسة مواضع متوالية:

وختم الأولى بقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

والثانية بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

والثالثة بقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

والرابعة بقوله: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

والخامسة بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

أي عدلوا، وأوَّلُ الذنوبِ العدولُ عن الحقِّ، ثُمَّ لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا، ثم لم يتذكَّروا فيعلموا بالنظر والاستدلال، فأشركوا من غير حجةٍ وبرهانٍ، قل لهم يا محمد: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

١٧ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1] [النمل: ٧٨].

تجوَّز «بحكمه» عما يحكم به، وهو العدلُ، وإلا فالقضاءُ والحكم واحد.

١٨ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦]. خصَّ المؤمنين بالذِّكر، مع أن غيرهم مثلَهم، لأنهم المنتفعون بالآيات.

---

(١) سورة النمل آية (٧٨) وأراد «بحكمه» أي يقضي بينهم بحكمه العادل، الذي لا يُظلم معه أحد.

١٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية [النمل: ٨٧].

قاله هنا بلفظ «فَزِعَ» وفي الزمر بلفظ «صَعِقَ» موافقةً هنا لما بعده، وهو ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] وفي الزمر لما قبله، وهو ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] إذْ معنى الصَّعْقِ: الموتُ، وعبَّر فيهما بالماضي، دون المضارع مع أنه أنسبُ، للإشعارِ بتحقق الفزع والصعق ووقوعهما، إذِ الماضي أدلُّ على ذلِكَ من المضارع.

٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[1] [النمل: ٨٧].

إن قلتَ: كيف قال «داخرين» أي صاغرين أذلَّاء بعد البعث، مع أنَّ «النبيِّين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين» يأتون مُعزَّزين[2] مكرَّمين؟!

قلتُ: المرادُ صَغَارُ العبودية والرِّق وذلُّهما، لا ذلُّ المعاصي والذنوب، وذلك يعمُّ الخلق كلَّهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

٢١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا...﴾ [النمل: ٩١] أي حرَّم محرَّماتِها[3]، من تنفير صيدِها وغيره.

«تمت سورة النمل»

* * *

(١) سورة النمل آية (٨٧) أيضاً.

(٢) في المخطوطة هكذا وردت «عزيزين» والظاهر أنها «مُعزَّزين» لأنها قوبلت بقوله «مكرَّمين» والله أعلم.

(٣) المرادُ أن الله تعالى جعل هذه البلدة، حرماً آمناً، يأمن فيها الخائف، ويأوي إليها الضعيف، ومن جملة الأمن، أنه تعالى حرَّم فيها القتال، وحرَّم فيها الصيد وتنفيره، وقطع الشجر، وغير ذلك من المحرَّمات.

سُورَةُ القَصَص

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ . . .﴾ الآية [القصص: ٧]، هي من معجزات الإِيجاز، لاشتمالها على أمرينِ، ونهيينِ، وخبرينِ، متضمنينِ بشارتينِ، في أسهل نظم، وأسلس لفظٍ، وأوجز عبارة[١].

فإن قلتَ: ما فائدةُ وحي اللَّه تعالى إلى (أمِّ موسى) بإِرضاعه، مع أنها ترضعه طبعاً، وإن لم تُؤمر بذلك؟

قلتُ: أمرها بإِرضاعه ليألف لَبَنَها، فلا يقبل ثدي غيرها، بعد وقوعه في يد فرعون، فلو لم يأمرها به، ربَّما كانت تسترضع له مرضعةً، فيفوت المقصود[٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ . . .﴾ [القصص: ٧].

إن قلتَ: جواب الشرط لا يجامعه، وجوابه هنا: الإِلقاءُ وعدمُ الخوف، فكلٌّ منهما يجامعه، فيصدق بقوله: فإِذا خفتِ عليه فلا تخافي عليه، وذلك تناقضٌ؟

قلتُ: معناه فإِذا خفتِ عليه القتلَ، فألقيه في اليمّ، ولا تخافي عليه الغَرَق، فلا تناقض.

---

(١) حُكي أن الأَصْمَعيَّ سمع جارية تنشد بعض أبيات، فقال لها: قاتَلَكِ اللَّهُ ما أفصحكِ!! فقالت: ويْحكَ أوَ يُعدُّ هذا فصاحةً بعد قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليمِّ، ولا تخافي ولا تحزني، إنَّا رادُّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين**﴾ فقد جمعتْ هذه الآيةُ بين (أمرينْ، ونَهْيَيْن، وخبريْن، وبشارتين) قال: فأعجبتُ بفهمها فوق ما أُعجبتُ بفصاحتها.

(٢) في مخطوطة الجامعة «ما كانت تسترضع له» وهو خطأ وصوابه «ربَّما كانت» كما هو في مخطوطة مكتبة الحرم الشريف.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين الخوف والحُزن، حتى عُطف أحدهما على الآخر في الآية؟

قلتُ: الخوفُ غمٌّ يُصيب الإنسانَ، لأمرٍ يتوقعه في المستقبل، والحُزْنُ: غمٌّ يُصيبه لأمرٍ وقَعَ ومضى.

٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [القصص: ١٥].

إن قلتَ: كيف جعل موسى قتلَه القبطيَّ الكافر من عمل الشيطانِ، وسمَّاه ظلماً لنفسِه واستغفر منه؟

قلتُ: أمَّا جعلُه ذلك من عمل الشيطانِ، فلكونه كان الأولى له تأخيرَ قتله إلى زمنٍ آخر، فلمَّا تعجَّلَ ترك المندوب، جَعَله من عمل الشيطان(١).

وأمَّا تسميتُه ظلماً، فمن حيثُ إنه حَرَم نفسه الثوابَ بترك المندوب، أو من حيث إنه قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى اللَّه، والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه، وإن لم يكن ثَمَّةَ ذنبٌ، وأما استغفاره من ذلك، فمعناه: اغفرْ لي ترك ذلك المندوب.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ...﴾ الآية [القصص: ٢٠].

قاله هنا: بتقديم «رجل» على ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وعكس في يسٓ(٢).

قيل: موافقةً هنا لقوله قبل ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣] واهتماماً ثَمَّ بتقديم ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ لما رُوي أن الرجل «حزقيل» وقيل «حبيب» كان يعبد اللَّه في جبل، فلما سمع خبر الرُّسُل، سعى مستعجلاً.

٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ [القصص: ٢٥].

---

(١) لم يكن قصدُ موسى عليه السلام قتل القبطي، إنما كان يريد دفع أذاه عن الإسرائيلي، بدليل أنه لم يضربه بشيءٍ يقتل، وإنما ضربه بجُمْع يده، بلكمةٍ كانت هي القاضية، فلذلك ندم على فعله واستغفر ربه، لأن في قتل القبطي فتنةً، والشيطان تفرحه الفتنة، فلذلك نسبَ العملَ إلى الشيطان.

(٢) في يسٓ ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾.

إن قلت: موسى لم يَسْقِ لابنَتَي شعيبٍ طلباً للأجر، فكيف أجاب دعوةَ شعيب في قول ابنته له ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]؟!

قلتُ: يجوز أن يكون أجاب دعوته لوجه اللّه تعالى، على وجه البِرّ والمعروف، لا طلباً للأجر[١] وإنْ سُمّي في الدعوة أجراً.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

قاله هنا بلفظ «الصالحين» وفي الصَّافات[٢] بلفظ «الصَّابرين» لأنَّ ما هنا من كلام «شعيب» وهو المناسب للمعنى هنا، إذ المعنى ستجدني من الصالحين في حُسْن العِشْرة، والوفاءِ بالعهد.

وما هناك من كلام «إسماعيل» وهو المناسب للمعنى ثَمَّ، إذِ المعنى ستجدني من الصابرين على الذبح.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤] أي يوضّح حججي، ويؤيّدُها بما رزقه اللّه من فصاحة اللسان.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ...﴾ الآية [القصص: ٣٧].

قاله هنا بزيادة الباء، وبعدُ بدونها، تقويةً للعامل هنا بحسب الظاهر، لضعفه عن العمل، وحذَفه[٣] بعدُ اكتفاءً بدلالة الأول عليه.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ...﴾ الآية [القصص: ٣٨].

---

(١) إنما قالت: ﴿**إنَّ أبي يدعوكَ ليجزيكَ أجرَ ما سَقَيتَ لَنَا**﴾ لئلا يُوهِم كلامُها الريبةَ، وهذا من تمام حيائها، وعفّتها، وصيانتها، فأجابها موسى عليه السلام، من شدّة ما به من الجوع والضعف، ولم يذهب معها لينال الأجر.

(٢) في الصافات ﴿**قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤمَرُ ستجدني إنْ شَاءَ اللّه من الصَّابرينَ**﴾ آية (١٠٢).

(٣) أشار المصنف إلى قوله تعالى في آخر السورة ﴿**قل ربي أعلمُ من جاء بالهدى ومن هو في ضلالٍ مبين**﴾.

قاله هنا بحذف ﴿أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وقال في غافر[١] بذكره، لأن ما هنا تقدّمه ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] من غير ذكر أرضٍ وغيرها، فناسبه الحذفُ، وما هناك تقدَّمه ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فناسبه مقابلته بالسماء في قوله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

قال ذلك هنا، وقال في غافر ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٧] موافقةً للرويِّ هنا، وعلى الأصل بلا معارضٍ ثَمَّ.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ . . .﴾ الآية [القصص: ٤٤].

إن قلتَ: أوّلُها يُغني عن قوله: ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤]؟

قلتُ: لا، إذْ معنى أوَّلِها: ما كنتَ يا محمدُ حاضراً، حين أحكمنا إلى موسى الوحي، ومعنى ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي الحاضرين قصته مع شعيب عليهم السلام فاختلفت القصتان.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ . . .﴾ [القصص: ٦٠].

قاله هنا بالواو، وفي الشورى[٢] بالفاء، لأنَّ ما هنا لم يتعلَّقْ بما قبله كبير تعلق، فناسب الإتيان به بالواو، المقتضية لمطلق الجمع، وما هناك متعلِّقٌ بما قبله أشدَّ تعلُّقٍ، لأنه عقَّبَ ما لهم من المخافة، بما لهم من الأَمنَةِ، فناسبَ الإتيانُ به بالفاء، المقتضية للتعقيب.

١٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ [القصص: ٦٠].

قال هنا بزيادة «وزينتها» وفي الشورى بحذفه، لأنَّ ما هنا لسبقه، قُصد فيه

---

(١) في غافر ﴿وقال فرعونُ يا هامانُ ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسبابَ. أسباب السموات فأطَّلعَ إلى إلَهِ موسى وإني لأظُنُّهُ كاذباً﴾ آية (٣٧).

(٢) في الشورى ﴿فما أوتيتم من شيءٍ فمتاعُ الحياة الدنيا وما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ آية (٣٦).

ذكرُ جميع ما بُسِط، من رزق أعراضِ الدنيا، فذكر «وزينتها» مع المتاع، ليستوعبَ جميعَ ذلك، إذِ المتاعُ ما لا بُدَّ منه في الحياة، من مأكولٍ، ومشروبٍ، وملبوسٍ، ومسكنٍ، ومنكوحٍ، والزينةُ ما يتجمل به الإنسانُ، وحَذَفه في الشورى اختصاراً.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤]، جوابُه محذوفٌ تقديره: لَمَا رأوا العذاب[١]، ولا يصحُّ أن يكون جوابُها ما قبلها، لأنَّ من يرى العذابَ، يكون ضالّاً لا مهتدياً.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . . .﴾ [القصص: ٧٢].

ختم آية الليلِ بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]؟ وآية النهارِ بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢]؟ لمناسبة الليل المظلم الساكن للسَّماع، ومناسبة النهار النيِّر للإبصار.

وإنَّما قدَّم الليل على النهار، ليستريح الإنسانُ فيه، فيقومَ إلى تحصيل ما هو مضطرٌّ إليه، من عبادةٍ وغيرها بنشاطٍ وخفَّةٍ، ألَا ترى أن الجنة نهارُها دائمٌ، إذْ لا تعب فيها يحتاج إلى ليلٍ، يستريح أهلُها فيه؟

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]. «ويكأن» أعاده بعد لاتصال كلٍّ منهما، بما لم يتَّصل به الآخر، و«وَيْ»[٢] قال سيبويه كغيره: إنها صلَةٌ، وهي كلمة تدلُّ على النَّدم، وقال الأخفش: أصلُها «ويك» و«أن» بعده منصوبٌ بإضمار إعْلَمْ أي إعلَمْ أنَّ اللَّه، فعلى الأول يُوقف على «وَيْ» وبه قرأ الكسائي، وعلى الثاني يوقف على «وَيْكَ» وبه قرأ أبو عمرو، والجمهورُ يقفون على «وَيْكَأَنَّ» تبعاً للرَّسم، ويجوِّزون الوقف عليه بهاء السكت.

«تمت سورة القصص»

---

(١) قال الطبري معناه: ودُّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق.

(٢) قال الجوهري: «وَيْ» كلمةُ تعجب، وقد تدخل على «كأنَّ» فتقول: ويكأنَّ، وقيل: إنها كلمة تُستعمل عند التنبه للخطأ، وإظهار الندم، وهو قول الخليل، واللَّه أعلم.

سُورَة العَنْكَبُوت

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ...﴾ [العنكبوت: ٨]. أي بِرّاً ذا حُسْنٍ.

ذَكَرَه هنا، وفي الأحقاف «إحساناً»[١] وحَذَفَه في لقمان[٢]، مع أنَّ الثلاثة نزلت في «سعد بن مالك» وهو «سعدُ بن أبي وقَّاص» على خلافٍ فيه، لأن الوصية هنا وفي الأحقاف، جاءت في سياق الإِجمال، وفي لقمان جاءت مفصَّلة لما تقدَّمها من تفصيل كلام لقمان لابنه، ولأن قوله بعدها ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] قائم مقامه، فحسُن حذفُه.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ...﴾ [العنكبوت: ٨].

قال ذلك هنا، وقال في لقمان ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ﴾ [لقمان: ١٥] موافقة هنا لفظاً، للفظِ اللام في قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦] وحملاً للمعنى بطريق التضمين في لقمان، إذ التقديرُ: وإن حَمَلَاكَ على أن تُشرك بي.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ...﴾ [العنكبوت: ١٤].

إن قلتَ: ما فائدةُ العدولِ إلى ما قاله، عن «تسعمائة وخمسين»، مع أنه عادةُ الحساب؟

قلتُ: فائدتُه تسليةُ النبي ﷺ، إذِ القصَّةُ مسوقةٌ لتسليته بما ابتلي به نوح عليه الصلاة والسلام، من مكابدة أمته في أطول المُدَد، فكان ذلك أقصى العقود، التي لا عقد أكثر منه، في مراتب العدد، ولا أفضلَ وأفضى إلى

(١) في الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً﴾ آية (١٥).
(٢) في لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾ آية (١٤).

المقصود، وهو استطالة التَّسامع مدّةَ صبره، وفيه فائدةٌ أخرى، وهي نفيُ توهُّم إرادة المجاز، بإطلاقِ لفظ تسع المائة والخمسين على أكثرها، فإن هذا التوهم مع ذكر الألف، والاستثناءُ منتفٍ أو أبعد.

وجاء المميَّز الأول بلفظ «السنةِ» والثاني بلفظ «العَام» لكراهة التكرار.

٤ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ . . .﴾ الآية [العنكبوت: ١٧].

نكَّر الرزق أولاً، ثمَّ عرَّفه ثانياً، لأنه أراد بذلك أن الذين تعبدون من دون اللَّه، لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق، فابتغوا عند اللَّه الرزق كله، فإنه هو الرزَّاقُ لا غيرُه.

٥ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ . . .﴾ الآية [العنكبوت: ٢٠].

إن قلتَ: كيف أضمر لفظ «اللَّه» أولاً، ثم أظهره ثانياً مع أن القياس العكسُ؟

قلتُ: تنبيهاً على عظم إنشائهم أي إعادتهم، لأنها التي ينكرها الكافر، فناسب ذكر الظاهر للإيضاح.

٦ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ . . .﴾ الآية [العنكبوت: ٢٢].

قال ذلك هنا، واقتصر في الشورى(١) على «في الأرض» لأنَّ ما هنا خطابٌ لقوم فيهم «النمرود» الذي حاول الصعود إلى السماء، فأخبرهم بعجزهم، وأنهم لا يفوتون اللَّه، لا في الأرض، ولا في السماء(٢)، وما في الشورى خطابٌ لمن لم يحاول الصعود إلى السماء، وقيل: خطابٌ للمؤمنين بقرينة قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾

---

(١) في الشورى ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دونِ اللَّه من وليّ ولا نصيرٍ﴾ آية (٣١).

(٢) أي لستم يا معشر الكفار معجزين ربكم، حتى ولو تواريتُم في أعماقِ الأرض، أو تحصَّنتُم بالصعود إلى السماء، فأنتم في قبضة اللَّه وسلطانه، وليس لكم من ينقذكم من عذابه. اهـ التفسير الواضح الميسَّر للصابوني.

[الشورى: ٣٠]، وقد حُذفا معاً للاختصار، في قوله في الزمر: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

قاله هنا بالجمع، وقاله بعدُ في قوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤] بالتوحيد، لأنَّ ما هنا إشارةٌ إلى إثبات النبوَّة القائمة بالنبيِّين، وهم كثيرون فناسب الجمع، وما بعدُ إشارةٌ إلى التوحيد القائم بواحدٍ، وهو اللَّه لا شريك له.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

إن قلت: قال ذلك في معرض المدح لإبراهيم عليه السلام، أو الامتنان عليه، وأجرُ الدنيا فانٍ منقطعٌ، بخلاف أجرِ الآخرة، فكيف ذكره دون أجر الآخرة؟!

قلتُ: بل ذَكَره أيضاً في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إذ المعنى إن له في الآخرة أجر الصالحين، وافياً كاملاً، لكنْ أخّره موافقةً للفواصل، وأجرُه في الدنيا قيل: هو الثناءُ الحسنُ، والمحبّةُ من الناس، وقيل: هو البركةُ التي باركها اللَّه تعالى فيه، وفي ذريته.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إن قلت: كيف قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مع أن جميع أهل الكتاب ظالمون، لأنهم كافرون قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]؟!

قلتُ: المرادُ بالظلمِ هنا: الامتناعُ عن قبولِ عقد الذمَّةِ، أو نقضِ العهد بعد قبوله(١).

---

(١) المراد بالظالمين في الآية: المكابرون المعاندون، الذين لا ينقادون للحق، ومعنى الآية الكريمة: لا تجادلوا اليهود والنصارى إلا بالطريقة الحسنى، من الرفق واللين، والكلام الطيّب، فالخشونةُ في الكلام تضرُّ ولا تنفع، إلا الظالمين المكابرين منهم.

١٠ ـ قَوْلُـه تَعَـالَـى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا . . .﴾ الآيـة [العنكبوت: ٦٣].

قاله هنا: بذكر «من» وفي البقرة[1]، والجاثية[2] بحذفها، موافقةً لما قبله هنا في قوله: «من عباده» و«من السماء» بخلاف ذلك في البقرة والجاثية.

١١ ـ قَوْلُـه تَعَـالَـى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . . .﴾ الآيـة [العنكبوت: ٦٩].

إن قلتَ: المجاهدةُ في دين اللَّه إنما تكونُ بعد الهداية، فكيف جعل الهداية من ثمرتها؟

قلتُ: معناه جاهدوا في طلب العلم[3]، لنهدينهم سبلنا بمعرفة الأحكام وحقائقها، أو جاهدوا في نيْل درجةٍ، لنهدينهم إلى أعلى منها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

«تمت سورة العنكبوت»

* * *

---

(١) في البقرة: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ آية (١٦٤).

(٢) في الجاثية ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ آية (٥).

(٣) لفظ المجاهدة أعمُّ وأشمل، ومعنى الآية: والذين جاهدوا أعداء الدين، والنفس، والهوى، ابتغاء مرضاة اللَّه تعالى، لنهدينهم طريق معرفتنا وعبادتنا، وطريقَ السير إلينا، وانظر التفسير الواضح الميسَّر.

سُورَةُ الرُّوم

١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: ٩].

قاله هنا، وفي فاطر، وأول المؤمن بالواو، وفي آخرها بالفاء[١]، لأنَّ ما هنا موافقٌ لما قبله، وهو ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ [الروم: ٨] ولما بعده وهو ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩] وما في فاطر موافقٌ أيضاً لما قبله وهو ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] ولما بعده وهو ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ [فاطر: ٤٤] وما في أول المؤمن موافقٌ لما قبله، وهو ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ [غافر: ٢٠] وما في آخرها موافقٌ لما قبله وهو ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٨١] وما بعده وهو ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: ٨٢] فناسب فيه الفاء، وفي الثلاثة قبلَه الواوُ.

٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا . . .﴾ [الروم: ٩].

قاله هنا بحذف «كانوا» قبل قوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ وحذفِ الواو بعده، وقاله في فاطر[٢] بحذف «كانوا» أيضاً وبذكر الواو.

وفي أوائل غافر[٣] بذكرِ «كانوا» دون الواو، وزيادة «هم»، وفي أواخرها بحذف الجميع[٤]، لأن ما في أوائلها، وقع فيه قصةُ نوح وهي مبسوطة فيه،

---

(١) في آخر سورة غافر ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ من قبلِهِمْ﴾ آية (٨٢).

(٢) في فاطر ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ من قبلهم وكانوا أشدَّ منهم قوة﴾ آية (٤٤).

(٣) في غافر ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم كانوا هم أشدَّ منهم قوّة﴾ آية (٢١).

(٤) في أواخر غافر ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدَّ قوة وآثاراً في الأرض﴾ غافر (٨٢).

فناسب فيه البسطُ، وحذفَ الجميع في أواخرها اختصاراً، لدلالة ذلك عليه، وما هنا وفي فاطر موافقةً لذكرها، قبلُ وبعدُ.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا . . . ﴾ الآية [الروم: ٢١].

ختمها بقوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة، من التّوانسِ، والتّجانسِ بين الأشياء كالزوجين.

ثم قال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [الروم: ٢٢] وختمها بقوله: ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢] لأن الكل يُظلّهم السماء، ويُقلّهم الأرضُ، وكُلٌّ منهم متميّزٌ بلطيفة، يمتاز بها عن غيره، وهذا يشترك في معرفته جميعُ العالمين.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [الروم: ٢٣] وختمها بقوله: ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣] لأن من يسمع سماع تدبّر، أن النوم من صنع اللّه الحكيم ـ لا يقدر على اجتلابه إذا امتنع، ولا على رفعه إذا ورد ـ يعلم أنَّ له صانعاً مدبّراً حكيماً.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الروم: ٢٤] وختمها بقوله: ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤] لأن العقل مِلاكُ الأمر، وهو المؤدي إلى العلم ـ فيما ذُكر ـ وغيره.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . . . ﴾ [الروم: ٢٧] الآية، الضميرُ فيه مع أنه راجعٌ إلى الإعادة، المأخوذة من لفظ «يُعيدُه» في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ نُظِر إلى المعنى دون اللفظ، وهو رجعُه أو ردُّه، كما نُظر إلى المعنى في قوله: ﴿ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [الفرقان: ٤٩] أي مكاناً ميتاً.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ . . . ﴾ [الروم: ٣٧] الآية.

قاله هنا: بلفظ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ وفي الزمر بلفظ ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ ﴾ [الزمر: ٥٢] لأنَّ بسط الرزق ممّا يُرى، فناسب ذكرُ الرؤية، وما في الزمر تقدَّمه ﴿ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [القصص: ٧٨] فناسب ذكر العلم.

٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ....﴾ [الروم: ٤٦].

قال ذلك هنا، وقال في الجاثية بزيادة «فيه»، لأنَّ ما هنا لم يتقدّمه مرجعُ الضميرِ، وثَمَّ تقدَّم له مرجعٌ وهو البحر، حيث قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الجاثية: ١٢].

٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٩].

فائدة: ذكرُ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ بعد قوله: ﴿مِن قَبْلِ﴾ التأكيدُ، وقيل: الضميرُ لإِرسال الرياح أو للسحاب، فلا تكرار.

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ....﴾ [الروم: ٥٤] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الضَّعْفَ صفةٌ، والمخاطبون لم يُخْلَقوا من صفةٍ، بل من عينٍ، وهي الماءُ أو الترابُ؟

قلتُ: المرادُ بالضعفِ «الضعيفُ»، من إطلاقِ المصدر على اسم الفاعل، كقولهم: رجلٌ عدلٌ أي عادل، فمعناه من ضعيف وهو النطفة[١].

٩ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ....﴾ [الروم: ٥٦]، أي لبثتم في قبوركم في علم كتاب اللَّه، أو في خبره، أو في قضاء اللَّه.

١٠ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧]، أي لا يُطلب منهم الإِعتاب أي الرجوع إلى اللَّه تعالى[٢].

---

(١) **معنى الآية:** اللَّهُ جلَّ وعلا خلقكم من أصلٍ ضعيف، وهو (النطفة) أي من ماءٍ مهين، وجعلكم تتقلَّبون في أدوارٍ وأطوار، من نطفة، إلى عَلَقة، إلى مُضْغَة، ثم جنين، ثم رضيع، ثم جعل من بعد ضعف الطفولة، قوّةَ الشباب والرجولة، ثم من بعد قوة الشباب، ضعفَ الهرم والشيخوخة، حتى يرجع كالطفل الصغير، ضعيف العقل، قليل الحركة، فكأن الضعف هو أصلُ تكوين الإنسان اهـ التفسير الواضح الميسَّر.

(٢) الإِعْتابُ: أن يسترضيَ خصمَه ليصفح عنه، تقول: استعْتَبْتُه فأعْتَبني أي استرضيتُه فأرضاني، واعتذرت إليه فقبلَ عذري، ومعنى الآية أنهم إذا أرادوا أن يرضوا ربهم، أو أرادوا المعذرة لا تُقبل منهم، لأن أوان التوبة والاعتذار، قد فات.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع قوله في فصّلت: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤] حيث جعلهم مطلوباً منهم الإعتابُ، وثَمَّ طالبينَ له؟!

قلتُ: معنى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي ولا هم يُقالون عثَراتِهم، بالردِّ إلى الدنيا، ومعنى قوله: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ أي إن يستقيلوا فما هم من المُقَالين، فلا تنافي.

«تمت سورة الروم»

* * *

سُورة لُقْمَان

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ... ﴾ [لقمان: ٧].

قال هنا بزيادة ﴿ كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ وفي الجاثية[(١)] بحذفه، مع أنهما نزلا في «النضرِ بن الحارث»[(٢)] حيث كان يعدل عن سماع القرآن، إلى اللهو وسماعِ الغناء، لأنه تعالى بالغ في ذمِّه هنا، فناسبَ زيادةُ ذلك، بخلاف ما في الجاثية.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ... ﴾ [لقمان: ١٤].

إن قلت: كيف وقعت الآيتان في أثناء وصية لقمان لابنه؟

قلتُ: هما من الجُمَل الاعتراضية، التي لا محل لها من الإعراب، اعتُرِض بها بين كلامين متَّصلَيْنِ معنًى، تأكيداً لما في وصية لقمان لابنه، من النهي عن الشرك.

فإن قلتَ: لمَ فَصَل بين الوصية ومفعولها بقوله: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾[(٣)]؟ [لقمان: ١٤]

---

(١) في الجاثية: ﴿يسمع آيات الله تُتلى عليه ثم يُصِرُّ مُستكبِراً كأنْ لمْ يَسْمَعْها فبشِّرْهُ بعذابٍ أليمٍ﴾ آية (٨).

(٢) هو أحد صناديدِ قريش وطغاتها، كان يشتري المغنِّيات، فلا يظفر بأحدٍ يريد الإسلام، إلَّا انطلق به إلى إحدى المغنِّيات، فيقول لها: أطعميه، واسقيه الخمرَ، وغنِّيه، ثم يقول له: هذا خيرٌ مما يدعوك إليه محمد، من الصلاة، والصيام، والقتالِ بين يديه، حتى تُقتل، ففيه نزلت الآية.

(٣) هذه الجملة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ . .﴾ الخ وردت اعتراضية، ضمن الآية المعترضة، لبيان حق الأم العظيم على ولدها، حتى صار حقُّها أعظم من حق الوالد، ولذلك ذكر قوله: ﴿حملته أمه وهناً على وهن . .﴾.

قلتُ: تخصيصاً للأم بزيادة التأكيد في الوصية، لِمَا تكابده من المشاقّ.

٣ ـ قَوْله تَعالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ . . .﴾ [لقمان: ٢٧].

إن قلتَ: المطابقُ لأولها أن يُقال: وما في الأبحر من ماءٍ مدادٌ، فَلِمَ عَدَل عنه إلى قوله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾؟

قلتُ: استغنى عن المِدَاد بقوله: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ من مدَّ الدواة وأمدَّها أي زادها مداداً، فجعل البحر المحيط بمنزلة الدَّواة، والأبحر السبعة مملوءة مداداً أبداً، تنقل لا تنقطع، فصار نظيرَ ما قلتم، ونظيرَ قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية، وأشار بـ«لو» إلى أن البحارَ غير موجودة، أي لو مُدَّت البحارُ الموجودة سبعة أبحرٍ أُخرى، وذكرُ السبعة ليس للحصر بل للمبالغة، وإنما خُصَّت بالذِّكر لكثرة ما يُعدُّ بها، كالكواكب السيارة، والسموات، والأرضينَ، وغيرها، ولأنها عددٌ تنحصر فيه المعدودات الكثيرة، إذْ كُلُّ أحدٍ يحتاج في حاجته إلى زمانٍ ومكان، والزمانُ منحصرٌ في سبعة أيامٍ، والمكانُ في سبعة أقاليم.

فإن قلتَ: المقصودُ هنا التفخيمُ والتعظيمُ، فكيف أتى بجمع القلة في قوله: ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾؟ [لقمان: ٢٧].

قلتُ: جمعُ القلَّة هنا أبلغ في المقصود، لأن جمع القلَّة إذا لم يَنْفَد، بما ذُكر من الأقلام والمِداد، فكيف يَنفَدُ به جمعُ الكثرة؟!

٤ ـ قَوْله تَعالَى: ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى . . .﴾ [لقمان: ٢٩] الآية.

قاله هنا بلفظ «إلى» وفي فاطر[١]، والزمر بلفظ اللام، لأن ما هنا وقع بين اثنتيْن، دالَّتيْنِ على غاية ما ينتهي إليه الخلقُ، وهما قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا﴾ [لقمان: ٣٣] الآية، فناسب ذكر «إلى» الدالة على الانتهاء، والمعنى: لا يزال كلٌّ من الشمس والقمر جارياً، حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه، المسمَّى له، وما في فاطر والزمر خالٍ عن ذلك، إذْ ما في فاطر لم يُذكر مع ابتداء خلقِ

---

(١) في فاطر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى..﴾ آية (١٣).

ولا انتهاءٍ به، وما في الزمر ذُكر مع ابتداء به فناسب ذكر اللام المعدّية، والمعنى: يجري كلٌّ ممَّا ذُكر لبلوغ أجلٍ.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ...﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

أضاف فيها العلم إلى نفسه، في الثلاثة من الخمسة المذكورة، ونفى العلم عن العباد في الأخيرين منها، مع أن الخمسة سواء في اختصاصِ اللَّه تعالى بعلمها، وانتفاء علم العباد بها، لأن الثلاثة الأُوَل، أمرُها أعظمُ وأفخم، فخُصَّت بالإِضافة إليه تعالى، والأخيرينِ من صفات العباد، فخُصّا بالإِضافة إليهم، مع أنه إذا انتفى عنهم علمهما، كان انتفاءُ علم ما عداها من الخمسة أولى.

فإن قلتَ: لمَ قال تعالى: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ولم يقل: بأيّ وقتٍ تموت، مع أن كلاً منهما غير معلوم لغيره، بل نفيُ العلم بالزمان أولى، لأن من الناس مَنْ يدَّعي علمه، بخلاف المكان.

قلتُ: إنما خَصَّ المكان بنفي علمه، لأن وجوده في مكان دون مكانٍ، في وسع الإِنسان واختياره، فاعتقادهُ علم مكان موته أقربُ، بخلاف الزمان، ولأن للمكان دون الزمان تأثيراً في جلب الصحة والسُّقم، أو تأثيرُه فيهما أكثرُ.

«تمت سورة لقمان»

* * *

سُورَة السَّجْدَة

١ ـ قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ ....﴾ [السجدة: ٥] الآية.

إن قلتَ: لِمَ قال هنا ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟! [السجدة: ٥] وفي المعارج[١] ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

قلتُ: المرادُ باليوم هنا، مدّةُ عروج اللّه تعالى ـ أي عروج تدبيره وأمره ـ من الأرض إلى السماء الدنيا، وبه تَمّ عروجُ الملائكةِ من الأرض إلى العرش.

أو المرادُ به في الموضعين: «يومُ القيامةِ» ومقدارُه ألف سنةٍ من حسابِ أهل الدنيا، إذا تولّى الحسابَ فيه اللّه تعالى، وخمسينَ ألف سنةٍ لو تولّى فيه الحسابَ غيرُ اللّه تعالى.

أو المرادُ: أنه كألفِ سنةٍ في حقّ خواصّ المؤمنين، وخمسين ألفَ سنة في حقّ عوامِّهم.

أو المرادُ: أنه كألفِ سنةٍ في حقّ المؤمنِ، وخمسين ألف سنةٍ في حقّ الكافر[٢].

---

(١) في المعارج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ آية (٤).

(٢) ما ذكره الشيخ هنا تأويلاتٌ بعيدة للتوفيق بين الآيتين، والأظهر ـ واللّه أعلم ـ أنّ اليوم الذي هو كألف سنة، هو (اليوم الإلٰهي) فاليوم الذي عند اللّه، ليس كأيامنا، وإنما طولُه ألف سنة، كما قال سبحانه: ﴿وإن يوماً عند ربك كألفِ سنةٍ ممّا تعدُّون﴾ فإذا تأخر العذاب عن الكفار أربعين سنة، فهو في حساب اللّه أقلُّ من ساعة، وأمّا يوم القيامة، فطولُه خمسون ألف سنة، وآية المعارج تتحدّث عن يوم القيامة لا عن اليوم الإلٰهي.. وقال بعض المفسرين: القيامةُ مواقف ومواطن، فيها خمسون موطناً، كلُّ موطنٍ ألف سنة، فيكون طوله بأجمعه خمسون ألف سنة، ولكنّ هذا اليوم الشديد العصيب يخفُّ على المؤمنين، حتى يكون أخفَّ عليهم من صلاة مكتوبة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] بسكون اللام وفتحها[١].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن في مخلوقاته تعالى قبيحاً، كالشرور والمعاصي؟

قلتُ: «أَحْسَنَ» بمعنى أتقنَ وأحكَمَ، أو «أَحْسَنَ» بمعنى: عَلِمَ، كما يُقال: فلانٌ لا يحسنُ شيئاً أي لا يعلمه، فمعناه بسكون اللام: عَلِم خَلْقَ كل شيءٍ، وبفتحها: عَلِمَ كُلَّ شيءٍ خَلَقَه[٢].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

قاله هنا بلفظ ﴿مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ وفي المؤمنين ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، لأنَّ المذكور هنا صفة ذُرِّيةِ آدمَ، والمذكورُ ثَمَّ صفةُ آدم عليه السلام.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ...﴾ [السجدة: ٩] الآية.

المراد بـ«روحِهِ» جبريلُ، وإلَّا فاللَّه مُنزَّهٌ عن الروح، الذي يقومُ بهِ الجَسَدُ، وتكونُ به الحياةُ، وأضافه إلى نفسه تشريفاً، وإشعاراً بأنه خلقٌ عجيبٌ، مناسبٌ للمقام.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة: ١١] الآية، هو: «عزرائيل» عليه السلام، قال ذلك هنا، وقال في الأنعام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وفي الزمر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر: ٥٢] ولا منافاةَ، لأن اللَّه هو المتوفِّي حقيقةً، بخلقه الموت، وبأمر الوسائط بنزع الروح ـ وهم غيرُ ملك الموت أعوانٌ له ـ ينزعونها من الأظافير إلى الحلقوم، ومَلَكُ الموتِ ينزعها من الحلقوم، فصحَّت الإضافاتُ كلُّها.

---

(١) يريد كلمة «خَلْقَهُ» بسكون اللام وفتحها ﴿أحسنَ كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ﴾ و﴿خَلَقَه﴾ كما في قراءة حفص.

(٢) في هذا التأويل بُعْدٌ، إذ أنَّ معنى أحسنَ لغةً: أتقنَ وأحكَمَ، فالمرادُ أن اللَّه جلَّ ثناؤه أتقن وأحكم كلَّ شيء خلقه، حتى القِردة ولو كانت قبيحة دميمةً، إلَّا أنَّ خَلْقها فيه إبداعٌ وإحكام، فهي قبيحة بالنسبة للإنسان، ولكنَّها مبدعةٌ محكمةٌ، وهذا هو خلاصة قول ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وهو الأظهر واللَّه أعلم.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا . . .﴾ [السجدة: ١٥] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن المؤمنين ليسوا منحصرين، فيمن اتَّصف بهذه الصِّفةِ، ولا هذه الصِّفةُ شرطٌ في تحقق الإِيمان؟!

قلتُ: المرادُ بـ﴿ذُكِّرُواْ﴾: وُعِظُوا، وبالسجود: الخشوعُ، والخضوعُ، والتواضعُ في قبولِ الموعظة، وذلك شرطٌ في تحقق الإِيمان.

أو المرادُ بالمؤمن: الكاملُ إيماناً.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

المرادُ بالفاسق هنا: الكافرُ، بقرينةِ التفصيل بعده[١]، وإلَّا فالفاسقُ مؤمنٌ، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾؟ [القلم: ٣٥] وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية، إذ ليسَ كلُّ مجرمٍ ومسيءٍ كافرٌ.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

قال ذلكَ هنا، وقال في سبأ: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢].

ذكَّر الوصف والضميرَ هنا، نظراً للمضاف وهو العذابُ، وأنثهما ثَمَّ نظراً للمضافِ إليه، وهو النَّارُ، وخُصَّ ما هنا بالتذكير، لأن النَّار وقعتْ موقع ضميرها لتقدّم ذكره، والضميرُ لا يُوصف، فناسبَ التذكيرُ، وفي سبأ لم يتقدَّمْ ذكرُ النَّارِ، ولا ضميرُها، فناسب التأنيثُ.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨].

إن قلتَ: هذا سؤالٌ عن وقت الفتح ـ وهو يومُ القيامةِ ـ فكيف طابقه

(١) أشار بالتفصيل إلى قوله تعالى: ﴿أمَّا الَّذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ فلهُمْ جنَّاتُ المأْوَى نُزُلاً بما كانُوا يعمَلون. وأمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فمأْواهم النَّارُ﴾ الآية، فقد فصَّل في الجزاء بين المؤمنين والكفار الفُجّارِ.

الجوابُ بقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ [السجدة: ٢٩].

قلتُ: لمَّا كان سؤالُهم سؤالَ تكذيبٍ، واستهزاءٍ بيومِ القيامة، لا سؤالَ استفهام، أُجيبوا بالتهديدِ، المطابقِ للتكذيب والاستهزاءِ، لا ببيانِ حقيقة الوقْتِ، وإنْ فُسِّر الفتحُ بـ«فتحِ مكة» أو بيوم بدر، كان المرادُ أن المتولّين لم ينفعهم إيمانهم، حال القتل كإيمان فرعون، بخلاف الطلقاء الذين آمنوا بعد الأسر، فالجوابُ بذلك مطابقٌ للسؤال من غير تأويل.

«تمت سورة السجدة»

* * *

سُورَةُ الأحْزاب

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ . . .﴾ [الأحزاب: ١]. لم يقل في ندائه «يا محمّدُ» كما قال في نداءِ غيره «يا موسى، يا عيسى، يا داودُ» بلْ عَدَل إلى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ إجلالاً له وتعظيماً، كما قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] وإنما عدل عن وصفه إلى اسمه في الإخبار عنه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ليعلم الناس أنه رسولُ اللَّه، ليُلقِّبوه بذلك ويدعوه به(١).

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ . . .﴾ [الأحزاب: ٦]، أي في الحرمةِ والاحترام، وإنما جعلهنَّ اللَّهُ كالأمهات، ولم يجعل نبيَّه كالأب، حتى قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] لأنه تعالى أراد أن أمته، يدعون أزواجَه بأشرف ما تُنادى به النساءُ وهو الأمُّ، وأشرفُ ما يُنادى بهِ النبيُّ ﷺ لفظُ «الرسول» لا الأب، ولأنه تعالى جعلهن كالأمهات، إجلالاً لنبيّه، لئلا يطمَع أحدٌ في نكاحهن بعده، ولو جعله أباً للمؤمنين، لكان أباً للمؤمناتِ أيضاً فيحرُمْن عليه، وذلك يُنافي إجلالَه وتعظيمه، ولأنه تعالى جعله أولى بنا من أنفسنا، وذلك أعظم من الأبِ في القُرْب والحُرْمة، إذ لا أقربَ للإنسان من نفسه، ولأن من الآباءِ من يتبرأ من ابنه، ولا يمكنه أن يتبرأ من نفسه.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ . . .﴾ [الأحزاب: ٧] الآية، فيها عطفُ الخاصّ على العامّ، وقُدِّمَ النبيُّ ﷺ في الذكر،

---

(١) لا نجد في كتاب اللَّه تعالى آية واحدة تقول: يا محمد، كما نادى اللَّه الرسل بأسمائهم: «يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى»، وإنما جاء النداء له بلفظ النبوّة، أو الرسالة، وفي هذا تفخيمٌ لشأنه، وتعظيم لمقامه ﷺ، وإشارة إلى أنه سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، وتعليمٌ لنا الأدبَ معه ﷺ.

على مشاهير الأنبياء، لبيان شرفه وفضله عليهم، صلَّى اللَّه وسلم عليهم أجمعين، وإنما قُدِّم نوحٌ في آية ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣] لأنها سيقت لوصف ما بُعث به نوح من العهد القديم، وما بُعث به نبيُّنا من العهد الحديث، وما بُعث به من توسَّطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوحٍ فيها أشدَّ مناسبةً للمقصود.

٤ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧].

فائدةُ إعادته التأكيدُ، أو المرادُ بالميثاقِ الغليظِ: هو اليمينُ باللَّه تعالى، على الوفاء بما حُمِّلوا، وعليه فلا إعادة لاختلاف الميثاقَيْن.

٥ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

إن قلتَ: كيف علَّق عذابهم بمشيئته، مع أن عذابهم متيقَّنُ الوقوع، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾؟! [النساء: ١٤٥]

قلتُ: معناه إن شاء عذابهم ـ وقد شاء ـ أو إن شاء موتهم على النفاق.

٦ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ... ﴾ [الأحزاب: ٣٠] الآيتين.

المراد بالفاحشةِ: النشوزُ، وسوءُ الخُلُقِ(١).

إن قلتَ: لِمَ خصَّ اللَّه تعالى نساء النبي ﷺ بتضعيف العقوبة على الذَّنبِ، والمثوبةِ على الطاعة؟

قلتُ: أمَّا الأول فلأنهن يُشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب، ما لا يشاهده غيرهنَّ، ولأنَّ في معصيتهنَّ أذًى لرسول اللَّه ﷺ، وذنبُ من آذى رسولَ اللَّه ﷺ أعظمُ من ذنب غيره.

وأما الثاني: فلأنهنَّ أشرف من سائر النساء، لقربهنَّ من رسول اللَّه ﷺ، فكانت الطاعة منهنَّ أشرفَ، كما أن المعصيةَ منهنَّ أقبح.

٧ ـ قوْلُه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية.

---

(١) المراد بالفاحشة كما قال ابن عباس: النشوز ـ يعني العصيان ـ وسوء الخُلُق، وليس المراد بها فاحشة الزنى، لأن اللَّه صان نساء الأنبياء عن ذلك.

إن قلتَ: لمَ عطَفَ أحدَهما على الآخر، مع أنَّهما متَّحدانِ شرعاً؟!

قلتُ: ليسا بمتَّحدَيْن مطلقاً، بل هما متَّحدان صدقاً لا مفهوماً، أخذاً من الفرق بين الإِسلام والإِيمان الشرعيَّيْن، إذِ الإِسلامُ الشرعيُّ: هو التلفُّظُ بالشهادتين، بشرط تصديق القلب بما جاء به النبيُّ ﷺ، والإِيمانُ الشرعيُّ: عكسُ ذلك، ويكفي في العطف المقتضي للاختلاف، اختلافهما مفهوماً وإِن اتَّحدا صدقاً.

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية، هو جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر، تقديره: أمحمدٌ أبو (زيدِ بن حارثة)؟ فأُجيبَ بنفي الأعمِّ، المستلزم لنفي الأخصِّ، إذْ لو اقتصر على قوله: ما كان محمد أبا زيدٍ لقيل: وماذا يلزم منه؟ فقد كان للأنبياءِ أبناءٌ، فجيء بنفي الأعمِّ، تمهيداً للاستدراك، بأنه رسولُ اللَّه وخَاتَمُ النبيِّين.

إن قلتَ: كيف صحَّ نفيُ الأبوَّة عنه، وكان أباً للطيِّب، والطَّاهر، والقاسم، وإبراهيم؟

قلتُ: قد قيَّد النفي بقوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، لأن إضافة الرجال إلى المخاطبين، تُخرج أبناءه، لأنهم رجاله لا رجالهم، ولأن المفهوم منهم بقرينةِ المقام الرجالُ البالغون، وأبناؤه ليسوا كذلك، إذْ لو كان له ابنُ بالغٌ لكان نبياً، فلا يكون هو خاتم النبيِّين.

فإن قلتَ: كيف قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وعيسى[١] عليه السلام ينزل بعده، وهو نبيٌّ؟

قلتُ: معنى كونه ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أنه لا يتنبَّأُ أحدٌ بعده، وعيسى نبيٌّ قبله، وحينَ ينزل يكون عاملاً بشريعة محمد ﷺ.

٩ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

إن قلتَ: كيف شبَّهَ اللَّه تعالى نبيَّه ﷺ بالسراجِ دون الشمس مع أنها أتمُّ؟

---

(١) عيسى عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان، لا يكون قد أتى بشريعةٍ جديدة، وليس هو بنبي جديد حتى لا تُختم النبوَّةُ بمحمد ﷺ، وإنما يأتي مؤيداً لشريعة محمد، ويحكم بالشريعة الإِسلامية الغراء، فهو رسول مؤيدٌ لمحمد، لا مجدِّدٌ للنبوّة والرسالة.

قلتُ: المرادُ بالسُّراج هنا: الشمسُ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]. **أو شبَّهه** بالسراج، لأنه تفرَّع منه بهدايته جميعُ العلماء، كما يتفرع من السراج سُرُجٌ لا تُحصى، بخلاف الشمس.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ...﴾ [الأحزاب: ٤٩] الآية.

التقييدُ بالمؤمنات، خرج مَخْرج الغالب، وإِلَّا فالكتابياتُ مثلهنَّ فيما ذُكر في الآية.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ...﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية. أفردَ العمَّ والخال، وجمعَ العمَّاتِ والخالات، لأن العمَّ والخال بوزن مصدريْنِ وهما «الضمُّ» و«المال» والمصدرُ يستوي فيه المفردُ والجمعُ، بخلاف العمة والخالة، ولا يردُ على ذلك جمعُ العمِّ والخال في قوله في النور: ﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ﴾ [النور: ٦١] لأنهما ليسا مصدرين حقيقةً، فاعتُبر هنا حقيقتُهما، وثَمَّ شَبَهُهُما.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ ...﴾ [الأحزاب: ٥٥].

إن قلتَ: كيف ذكر فيها الأقاربَ، ولم يذكر العمَّ والخال، مع أن حُكْمَهُمَا حكمهم، في رفع الجُناح؟!

قلتُ: قد مرَّ مثلُ هذا السؤال وجوابه، في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] الآية، فراجعْه.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] عَطَفَ الأول على الثاني، مع أنهما بمعنًى، لتغايرهما لفظاً، كقولهم: فلانٌ عاقلٌ لبيبٌ، وقول الشاعر:

معاذ اللّه من كذبٍ ومَيْنِ[(١)]

وتقدَّم نظيره.

---

(١) سقطت هذه الكلمة من مخطوطة الجامعة.

١٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

إن قلتَ: الإِنسانُ هنا آدمُ عليه السلام[١]، فكيف وصفه بظلومٍ وجهول، وهما صفتا مبالغة؟

قلتُ: لأنه لجلالة قدره، ورفعة محلِّه، كان ظلمه لنفسه ـ بما حَمَله، وجَهْلَه به وإن قلَّ ـ أفحشَ من غيره، أو لتعدِّي ضررهما لجميع الناس، لإِخراجهم من الجنة بواسطته.

«تمت سورة الأحزاب»

* * *

(١) الراجح أن لفظَ الإنسان، لا يُراد به آدم عليه السلام، بل المراد الجنسُ، أي تحمَّل هذه الأمانةَ الثقيلةَ هذا الإنسانُ الضعيفُ، وكان غِرًّا مبالغاً في الجهل بعواقب الأمور. اهـ التفسير الواضح الميسَّر.

سُورَةُ سَبَأ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...﴾ [سبأ: ٩] الآية.

«ما بين يديِ الإنسان»: كلُّ ما يقع نظرُه عليه، من غير أن يُحوّل وجهه إليه «وما خلفه»: هو كلُّ ما يقع نظره عليه، حتى يحوّلُه إليه، فيعمُّ الجهاتِ كلَّها.

فإن قلتَ: هلَّا ذكر الأيمان والشمائل، كما ذكرها في قوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾؟ [الأعراف: ١٧].

قلتُ: لأنه وُجد هنا ما يغني عن ذكرهما، من لفظ العموم، والسماءِ والأرض، بخلافه ثَمَّ.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩].

قاله هنا بتوحيد «الآية» وقال بعدُه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] بجمعهما، لأنَّ ما هنا إشارة إلى إحياء الموتى، فناسب التوحيد، وما بعدُ إشارة إلى «سبأ» قبيلة تفرَّقت في البلاد، فصارت فِرَقاً، فناسب الجمعُ.

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]. أي نقوشاً من أبنيةٍ، أو صوراً من نحاسٍ، أو زجاجٍ، أو رُخام.

إن قلتَ: كيف أجاز سليمانُ عليه السلام عمل الصُّوَر؟!

قلتُ: يجوز أن يكون عملها جائزاً في شريعته، وأن تكون غَيْرَ صُوَرِ الحيوان، وهو جائزٌ في شريعتنا(١) أيضاً.

---

(١) انظر تفصيل البحث في كتابنا «روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن» ج٢ ص٤٠٥.

٤ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ . . .﴾ [سبأ: ١٥] الآية، وحَّد الآية، مع أن الجنتين آيتان، لتماثلهما في الدلالة، واتحاد جهتهما، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

٥ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

إن قلتَ: ما معنى التشكيك في ذلك؟

قلتُ: هذا من إجراء المعلوم مجرى المجهول، بطريق اللّفِّ والنشر المرتَّب، و«أو» في الموضوعين بمعنى الواو، والتقديرُ: وإنَّا لعلى هدًى، وأنتم في ضلالٍ مبين، وإنما جاء بذلك لإرادة الإنصاف في الجدال، وهو أوصلُ إلى الغرض، أو باقيتين على معناهما والمعنى: وإنَّا لمهتدون أو ضالون[١]، وأنتم كذلك، وإنما قاله للتعريض بضلالهم، كقول الرجل لخصمه إذا أراد تكذيبه: إنَّ أحدنا لكاذبٌ.

٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ . . .﴾ [سبأ: ٣٤].

لم يقل فيه «من قبلِكَ» أو «قبلَكَ» كما في غيرها، لأن ما هنا إخبارٌ مجرَّدٌ، وفي غيره إخبارٌ للنبي ﷺ وتسليةٌ له.

٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ . . .﴾ [سبأ: ٢٥] **لم يذكر** «كنتم» كما قاله في غيره، لأن قوله هنا «تعملون» وقع في مقابلةِ «أجرمنا» وفي قوله: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أي أذنبنا، **وضميرُ** أجرمنا للنبي ﷺ والمرادُ غيرُه، وغيرُه صدر منه ذنبٌ فعبَّر عنه بالماضي. **والمخاطب في** ﴿تَعْمَلُونَ﴾: الكُفَّارُ، وكفرُهم واقعٌ في الحال، وفي المستقبل ظاهراً، فعبَّر عنه بالمضارع، فلا يُناسبه «كنتم» مع أن الخطاب في ذلك واقع

---

(١) هذا نهاية الإنصاف مع الخصم، كأنه يقول: لا أدري من هو المهتدي منا ومن هو الضالُّ!! وفي هذا الأسلوب تَلَطُّفٌ في الدعوى، وتعريضٌ بضلالهم، وهو أبلغ من التصريح، ومثله قول العرب: أخزى الله الكاذب منا، مع تيقُّنه بأن صاحبه هو الكاذب، وفي هذه الآية إرشادٌ من المولى جلَّ وعلا، إلى أسلوب (المناظرة العلمية) لأن أحد المتناظِرَيْن إذ قالَ للآخر: هذا الذي تقول باطلٌ، أو أنت مخطئ، فإن ذلك يُغْضِبه، وعند الغضَب تكون المكابرةُ والعنادُ، أمَّا لو قال: لا شكَّ أن أحدنا مخطئ، والتمادي في الباطل غير جميل، فإنه حينئذٍ يترك التعصُّبَ، ويجتهد في النظر.

في الدنيا، والخطابُ في غيره نحو ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠] واقعٌ في الآخرة، فناسَبه التعبيرُ بكنتم.

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١].

إن قلتَ: كيف قالت الملائكةُ في حقِّ المشركين ذلك، مع أنه لم يُنقل عن أحدٍ منهم، أنهُ عَبَد الجِنَّ؟

قلتُ: معناه أنهم كانوا يطيعون الشياطين، فيما يأمرونهم به من عبادة غير اللَّه تعالى، فالمراد بالجِنِّ الشياطينُ[1]، على أن الكرماني جزم بأنهم عبدوا الجنَّ أيضاً.

«تمت سورة سبأ»

* * *

(١) هذا هو الصحيح من الأقوال، أن الملائكة تتبرأ من تلك الدعوى، وتقول: يا ربَّنا ما أمرناهم بعبادتنا، بل كانوا يعبدون الشياطين، وهم الذين أضلُّوهم، وزينوا لهم عبادة غير اللَّه.

سورة فاطر

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ...﴾ الآية [فاطر: ٩].

إن قلتَ: لَم عبَّر بالمضارع وهو ﴿تُثِيرُ﴾ [البقرة: ٧١] بين ماضيَيْنِ؟!

قلتُ: للإشارة إلى استحضار تلك الصورة البديعة، وهي إثارةُ الرياحِ السحابَ، الدالة على القدرة الباهرة، حتى كأن السَّامع يُشاهدها، وليس الماضي كذلك.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ...﴾ الآية [فاطر: ١١]، و﴿مِن مُعَمَّرٍ﴾ أي من أحدٍ، وسمَّاه مُعَمَّراً بما يصيرُ إليه[١].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

قاله هنا بتأنيث الضمير لعوده إلى الثمراتِ، وقال ثانياً: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧] بتأنيثه[٢] أيضاً، لعوده إلى الجبال، وقال ثالثاً: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [فاطر: ٢٨] بتذكيره[٣]، لعوده إلى بعض المفهوم من اللَّفظِ من قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ﴾ [فاطر: ٢٨].

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

قاله هنا بلفظ «اللَّه» لعدم تقدم ذكره، وبزيادة اللام موافقةً لقوله بعدُ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] وقاله في الشورى[٤] بالضمير، لتقدم لفظ «اللَّه» وبحذف اللام، لعدم ما يقتضي ذكرها.

---

(١) سورة فاطر آية (١١). ويسمى هذا النوع «المجاز المرسل» باعتبار ما سيكون.

(٢) في قوله: ﴿وَمِنَ الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمرٌ مختلفٌ ألوانها وغَرابيبُ سودٌ﴾.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الناسِ والدَوابِّ والأنعامِ مختلفٌ ألوانُهُ كذلك﴾.

(٤) في الشورى ﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يشاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ آية (٢٧) والمراد أنه ينزِّل أرزاق العباد، على ما تقتضيه الحكمةُ الإلٰهيةُ، من التوسعة أو التضييق. اهـ التفسير الميسَّر.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥].
الفرقُ بين «النَّصَب» و«اللغوب» أنَّ النَّصبَ: تعبُ البدنِ، واللُّغوبُ: تعبُ النَّفْس، وفرَّق الزمخشري بينهما بأن النَّصبَ: التعبُ، واللغوب: الفتورُ الحاصلُ بالنَّصب، ورُدَّ بأن انتفاء الثاني، معلومٌ من انتفاء الأول.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

إن قلت: الوصفُ بغير الذي كنا نعمل، يوهم أنهم كانوا عملوا صالحاً غير الذي طلبوه، مع أنهم لم يعملوا صالحاً قطُّ بل سيئاً؟

قلتُ: قالوه بزعمهم أنهم كانوا يعملون صالحاً، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فمعناه غير الذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

إن قلتَ: التبديلُ: تغييرُ الشيءِ عمَّا كان عليه مع بقاءِ مادته، والتحويلُ: نقلُه من مكانٍ إلى آخر، فكيف قال ذلك، مع أن سنة اللَّه لا تُبدَّلُ ولا تحوَّلُ؟!

قلتُ: أراد بالأول، أن العذاب لا يُبدَّل بغيره، وبالثاني أنه لا يُحوَّل عن مستحقِّه إلى غيره، وجَمَعَ بينهما هنا تتميماً لتهديد المسيء لقبح مَكْرِه[1]، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

«تمت سورة فاطر»

* * *

(١) معنى الآية الكريمة: لا يعود وبال المكر الخبيث، إلَّا على أهله، فهل ينتظر الكفار الفجار، إلَّا عادة اللَّه في المكذبين من الأمم السابقة؟ وهي الإهلاكُ لهم بأنواع العذاب والدَّمار؟ وهي سُنَّةٌ لا تتبدَّل ولا تتغيَّر، ولا تتحول عن الظالم إلى المظلوم!!

سُورة يس

١ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

قاله هنا بغير تأكيد باللَّام، لأنه ابتداءُ إخبارٍ، وقاله بعدُ بالتأكيد بها[١]، لأنه جوابٌ بعد إنكارٍ وتكذيبٍ، فاحتيج إلى التأكيد.

٢ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، قاله الجائي من المدينة.

إن قلتَ: كيف أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع ـ الذي هو البعثُ ـ إليهم، مع علمه بأن اللَّه فَطَرهم وإيَّاهُ، وإليه يرجع هو، وهم، فلم يقل: الذي فطرنا وإليه نرجع، أو فطركم وإليه تُرجعون؟!

قلتُ: لأن الخلْقَ والإيجاد، نعمةٌ من اللَّه تعالى تُوجب الشكر، والبعثَ بعد الموت للجزاءِ، وعيدٌ من اللَّه يوجب الزجر، فأضاف ما يقتضي الشكر لنفسه، لأنه أليقُ بإيمانه، وما يقتضي الزجر إليهم، لأنه أليقُ بكفرهم.

٣ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]. ذُكِرَ هنا مرتين، وليس بتكرار، لأن الأول هي النفخةُ التي يموت بها الخلق، والثانية[٢] هي النفخة التي يحيا بها الخلْقُ.

٤ ـ **قَوْلُه تَعالَى**: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠].

إن قلتَ: كيف نفى تعالى الإدراك عن الشمس للقمر، دون عكسه؟

قلتُ: لأن سير القمر أسرعُ، لأنه يقطع فَلَكه في شهرٍ، والشمسُ لا تقطع فَلَكها إلَّا في سنة، فكانت جديرةً بأن توصف بنفي الإدراكِ لبطء سيرها، والقمرَ

---

(١) في قوله: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلونَ﴾ آية (١٦).

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ آية (٥٣).

خليقاً بأن يوصف بالسَّبْق، لسرعة سيره[١].

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١].

إن قلتَ: الذُّرية اسم للأولاد، والمحمولُ في سفينة نوحٍ عليه السلام، آباءُ المذكورين، لا أولادهم؟!

قلتُ: الذرِّية من أسماء الأضداد عند كثيرٍ، تُطلق على الآباء والأولاد، والمرادُ هنا: الفريقان، فمعناه حملنا آباءهم وأولادهم، لأنهم كانوا في ظهور آبائهم المحمولين ظاهراً.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يس: ٤٨] أي متى إنجازه؟ وإلّا فالوعدُ بالبعث، كان واقعاً لا منتظراً، أو أراد بالوعد: الموعود.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ . . .﴾ الآية [يس: ٥٢].

إن قلتَ: قولُهم ذلك سؤال عن الباعث، فكيف طابقَه الجواب بقوله ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]؟

قلتُ: معناه: بعثكم الرحمنُ الذي وعدكم بالبعث، وأخبركم به الرسول، وإنما جيء به على هذه الطريقة، تبكيتاً لهم وتوبيخاً.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦].

إن قلت: كيف قال في صفة أهل الجنَّة ذلك، والظلُّ إنما يكون لما يقع عليه الشمس، ولا شمس في الجنة، لقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]؟

قلتُ: ظلُّ أشجار الجنة، من نورِ قناديلِ العرش، أو من نور العرش، لئلا تبهر أبصارَهم، فإنه أعظم من نور الشمس.

---

(١) هذا التعبير البديع ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ يُضفي عليها ـ وهي جمادات ـ صفة الحكمة والعقل، فلم يقل تعالى مثلاً: لا تدخل الشمسُ في مدار القمر، ولا القمرُ في مدار الشمس، وإنما ذكرها بهذا التعبير البديع، الفائق في الجمال والتصوير، وكأنها عاقلة تجري وتسير بحكمةٍ واتِّزان، ولهذا ختمها بقوله: ﴿وكلٌ في فَلَكٍ يَسْبَحُون﴾ بصيغة جمع العقلاء، وهي صورة بديعة، من صور الجمال الفنيِّ في القرآن. اهـ التفسير الواضح الميسَّر للصابوني.

٩ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] سمِّي نُطْق اليد كلاماً، ونطقُ الرِّجْلِ شهادةً، لأن الغالب في كونها فاعلة، وفي الرِّجْلِ كونها حاضرة، وقولُ الفاعل على نفسه إقرارٌ لا شهادة، وقولُ الحاضر على غيره شهادة.

١٠ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] أي إنشاءه ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي ما يليق به ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] وما ورد عن النبي ﷺ من الرَّجز، نحو قوله:

أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطَّلبْ

وقوله:

هل أنتِ إلَّا أُصْبُعٌ دَمِيتِ وفي سبيلِ اللَّهِ ما لَقِيتِ

فليس بشعرٍ عند الخليل، أو أنَّ الموزون بوزنِ الشعر ـ وإن لم يكن رَجَزاً ـ ليس بشعر عند أحدٍ(١)، إذ الشعرُ قولٌ موزونٌ مُقَفًّى، مقصودٌ به الشعر، والقصدُ منتفٍ فيما رُوي من ذلك.

١١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا . . .﴾ [يس: ٧١] الآية، أي قدرتُنا، عبَّر عنها باليد لما بينهما من الملازمة(٢)، وللإشارة إلى الانفراد بخلق الأنعام، كما يُقال في عمل القلب: هذا ممَّا عملتْ يداك، وإن لم يكن للمخاطب يدٌ.

١٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٨] الآية، سمَّاه مثلاً، وإن لم يكن مثلاً، لما اشتمل عليه من الأمرِ العجيب(٣)، وهو إنكار الإنسان قدرة اللَّه تعالى على إحياء الموتى، مع شهادة العقل والنقل على ذلك.

«تمت سورة يٓس»

---

(١) هذا هو الصحيح أن ما قاله ﷺ إنما جاء عفواً، ولم يقصد به الشعر ولا قوله، وإنما جاء موزوناً على وزن الشعر، ومثلُ هذا لا يسمى في العرف شعراً.

(٢) والمعنى: أو لم ينظر هؤلاء الكفار، نظر تفكُّر واعتبار، إلى ما خلقناه لهم بقدرتنا، من الإبل والأنعام؟ فالمراد بقوله: ﴿بأيدينا﴾ أي بقدرتنا.

(٣) المعنى: جاءنا بأمر غريب، يشبه المثل في غرابته، ونسِيَ أنَّا خلقناه من نطفة قذرة، فأوجدناه بعد العدم!؟

سُورَةُ الصَّافَّات

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥].

إن قلتَ: لِمَ جَمَع هنا المشارق وحذف مقابله[1]، وثنّاه في الرحمن، وجَمَعه في المعارج، وأفرده في المزّمّل مع ذكرِ مقابله في الثلاثة؟!

قلتُ: لأن القرآن نزل على المعهود، من أساليب كلام العرب وفنونه، ومنها الإجمالُ والتفصيلُ، والذِّكرُ والحذفُ، والجمعُ والتثنيةُ والإفرادُ، باعتباراتٍ مختلفة، فأفرد وأجمل في المزمّل، بقوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٢٨] أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما، وجَمَع وفَصّل في المعارج بقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] أراد جميع مشارق السَّنَة ومغاربها، وهي تزيد على سبعمائة، وثنّى وفصّل في الرحمن بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] أراد مشرقي الصيف والشتاء[2] ومغربهما، وجمع وحذفَ هنا بقوله: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ أراد جميع مشارق السنة، واقتصر عليه لدلالته على المحذوف، وخصّ ما هنا بالجمع موافقةً للجموع أول السورة، وبالحذف مناسبة للمزينة في قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] إذِ الزينةُ إنما تكون غالباً بالضياء والنور، وهما ينشئان من المشرقِ لا من المغرب، وما في الرحمن بالتثنية، موافقة للتثنية في «يسجدان» وفي ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] وبذكرِ المتقابِلَيْن موافقةً لبسط صفاته تعالى وإنعاماته ثمّ، وما في المعارج بالجمع، موافقةً للجمع قبله وبعده، وبذكرِ المتقابِلَيْنِ موافقةً لكثرة التأكيد في القسم وجوابه، وما في المزمّل بالإفراد موافقةً

---

(١) أي حذف كلمة «المغارب» الذي يقابل «المشارق»، وثنّاه في الرحمن فقال: ﴿وربُّ المشرقَيْنِ وربُّ المغربَيْنِ﴾.

(٢) الأرجح أن المراد بالآية: الشمس والقمر لا الصيف والشتاء، والمعنى: ربُّ مشرق الشمس ومغربها، ومشرق القمر ومغربه، فللشمس مشرقٌ ومغربٌ، وكذلك للقمر مشرقٌ ومغرب.

لما قبلَه، من إفراد ذكر النبي ﷺ، وما بعدَه من إفراد ذكرِ اللَّه تعالى، وبذِكرِ المتقابِلَيْن موافقةٌ للحصر في قوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المزمّل: ٢٨] ولبسطِ أوامر اللَّه تعالى لنبيه ﷺ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ **[الصافات: ٦]**.

إن قلتَ: لَم خصَّ سماء الدنيا بزينةِ الكواكب، مع أنَّ بقية السموات مزيَّنةٌ بذلك؟

قلتُ: لأنَّا إنَّما نرى سماء الدنيا، دون غيرها(١).

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ **[الصافات: ١٢]**.

«عجبتُ» بضم التاءِ على قراءةِ حمزةَ والكسائي.

فإن قلتَ: ما وجهُهُ مع أن التعجب روعةٌ تعتري الإنسانَ، عن استعظام الشيء، واللَّهُ منزَّهٌ عنها؟!

قلتُ: أراد بالتعجُّبِ الاستعظامَ، وهو جائزٌ على اللَّه تعالى، أو معناه: قل يا محمدُ بل عجبتُ.

وفي الذي تُعجِّب قولان: أحدهما: كفرهم بالقرآن، والثاني: إنكارهم البعث.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ **[الصافات: ١٦]**.

ختم الآية بقوله: ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾؟ وختم التي بعدها بقوله: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ **[الصافات: ٥٣]**؟ أي لمجزِيُّون ومحاسبون، لأن الأول في حقّ المنكرين للبعث، والثانية في حقّ المنكرينَ للجزاء، وإن كان كلٌّ منهما مستلزماً للآخر(٢).

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ **[الصافات: ٧٨]**.

إن قلتَ: كيف قال عقِبَه في قصص ـ ما عدا قصة «لوطٍ، ويونسَ، وإلياسَ» ـ «سلامٌ على نوح» «سلامٌ على إبراهيم» «سلام على موسى وهارون» «سلامٌ على الياسين» ولم يقُل ذلكَ في القصص الثلاثة؟!

---

(١) خصَّ السماءَ الدنيا بالزينة، لأنها هي السماء القريبة منَّا التي نراها، فالشمسُ، والقمرُ، والنجوم كلُّها دون السماء الأولى، وليس ثمّة دليل على أن بقية السمٰوات مزينةٌ بالكواكب، بل الظاهر ـ واللَّه أعلم ـ أن الزينة خاصة بسماء الدنيا.

(٢) في المخطوطة المصوَّرة «مستلزمٌ» وهو خطأٌ، لأنها خبر «كان» فيجب النَّصبُ.

قلتُ: اكتفاءً فيها بقوله: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [**الصافات: ١٣٣**]، ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [**الصافات: ١٣٩**]، ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [**الصافات: ١٢٣**].

٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [**الصافات: ٨١**].

إن قلتَ: كيف مدح تعالى نوحاً وغيره، كإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم السلام بذلك، مع أن مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين؟!

قلتُ: إنما مدحهم بذلك، تنبيهاً لنا على جلالة محلِّ الإيمان وشرفه، وترغيباً في تحصيله، والثباتِ عليه، والازدياد منه، كما قال تعالى في مدح إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [**العنكبوت: ٢٧**].

٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [١] [**الصافات: ٨٨، ٨٩**].

لم يقل «إلى النجوم» مع إنَّ النَّظر إنَّما يتعدّى بـ «إلى» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [**الأعراف: ١٤٣**] لأنَّ «في» بمعنى «إلى» كما في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [**إبراهيم: ٩**] أو أن النظر هنا بمعنى الفكر، وهو يتعدى بـ«في» كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ [**الأعراف: ١٨٥**] فصار المعنى: ففكَّر في علم النجوم.

فإن قلتَ: لِمَ لَمْ يجز النَّظرُ في علم النُّجوم، كما جاز لإبراهيم؟!

قلتُ: إذا كان الناظر فيه كإبراهيم، في أنَّ اللَّه أراه ملكوتَ السموات والأرضِ، جاز له النظر فيه.

وقوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ قاله إبراهيم عليه السلام، ليتخلَّف عنهم، إذا خرجوا إلى عيدهم، فيكيدَ أصنامهم.

فإن قلتَ: كيف جاز له أن يقول ذلك، مع أنه ليس بسقيم؟!

قلتُ: معناه سأسقم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، أو سقيمُ القلب عليكم لعبادتكم للأصنام، وهي لا تضرُّ ولا تنفع، أو أنَّ من يموت فهو سقيمٌ.

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [**الصافات: ٩٤**] أي يُسرعون المشي.

---

(١) سورة الصافات آية (٨٩). وقوله: ﴿**إني سقيم**﴾ ليس بكذب، وإنما هو طريقٌ لإقامة الحجة عليهم، فهو من المعاريض الجائزة لمقصد شرعي، كما ورد في الحديث الشريف «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

فإن قلت: هذا يدلُّ على أنهم عرفوا أن إبراهيم هو الكاسر لآلهتهم، وقولُه في الأنبياء: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٥٩] الآية، يدلُّ على أنهم ما عرفوا أنه الكاسرُ لها؟

قلت: يحتمل أن بعضهم عرفه فأقبل إليه.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] أي إلى حيث أمرني ربي، وهي المهاجرة للشام، أو إلى طاعة ربي ورضاه، وقوله: «سَيهْدينِ» أي سيثبِّتني على هداي، ويزيدني هُدَى.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

ختمه هنا بـ«حليم» وفي الحِجْر، والذاريات[١] بـ«عليم» نظراً في ذينْك لشرفِ العلم، وفيما هنا لمناسبته حِلْمَ الغُلام، لوعده بالصبر، في جوابه لسؤال ابنه له في ذبحه بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ . . .﴾ الآية [الصافات: ١٠٢]، أي في ذبحي إيَّاك، لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، لأنَّ أمرَ الله حتمٌ، لا يتخلف الأنبياءُ عنه، بل ليختبَر صبرَه، وليوطِّنَ نفسه على الذبح، فيلقى البلاء كالمستأنس به، ويكتسب الثواب بصبره وانقياده، ولتكون «سُنَّةً» في المشاورة، فقد قيل: لو شاورَ آدمُ عليه السلام الملائكةَ في أكل الشجرة، لَما صدر منه ما صدر.

واختلفوا في الذبيح هل هو «إسماعيل» أو «إسحاق» والجمهورُ على أنه إسماعيل[٢].

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ . . .﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

إن قلتَ: كيف قال: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ مع أنَّ تصديقها إنما يكون بالذبح، ولم يوجد؟

---

(١) في الذاريات: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ آية (٢٨).

(٢) من أدلة الجمهور على أن الذبيحَ هو «إسماعيل» أن الله تعالى قال بعد تمام قصة إبراهيم ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ فدلَّ ذلك على أن الذبيح هو إسماعيل.

قلتُ: معناه قد فعلتَ ما في غاية وُسْعك، ممَّا يفعله الذابح، من إلقاء ولدك، وإمرار المُديةِ[١] على حلقه، ولكنَّ اللَّهَ منعها أن تقطع، أو أنَّ الذي رآه في النوم، معالجة الذبح فقط، لإِراقة الدم، وقد فعل ذلك في اليقظة، فكان مصدِّقاً للرؤيا.

١٣ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ **[الصافات: ١٠٣، ١٠٤]**. جواب «لمَّا» محذوفٌ أي استبشرا واغتبطا، شكراً للَّه تعالى على ما أنعم به عليهما من الفداء، أو قولهُ: «نَادَيْنَاه» والواو زائدة.

١٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **[الصافات: ١١٠]**.

إن قلتَ: لِمَ قاله هنا، أعني في قصة إبراهيم بحذف «إنَّا» وأثبتَه في آياتٍ أخرى غيرها من القصص؟

قلتُ: حَذَفَه في قصة إبراهيم اختصاراً، واكتفاءً بذكره له قبلُ، في قصته بقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ الآية **[الصافات: ١٠٤]**، مع أنَّ ما بعد قصته، كان من تكملتها وهو قوله: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ **[الصافات: ١١٢]** بخلاف سائر القصص.

١٥ ـ قَولُه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ **[الصافات: ١٣٣، ١٣٤]**.

إن قلتَ: لوطٌ كان رسولاً قبل التنجية، فما وجه تعلق ﴿إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ﴾ به؟

قلتُ: هو ليس متعلقاً به، بل بمحذوفٍ تقديره: واذكرْ[٢]، وكذا القولُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ **[الصافات: ١٣٩، ١٤٠]**.

---

(١) سورة والصافات آية (١١٠) وردت بغير كلمة «إنَّا» خلافاً لما سبقها، في قوله: **﴿إنَّا كذلك نجزي المحسنين﴾**.

(٢) **﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾** أي أحدُ الرسل الكرام، واذكر لقومك حين نجيناه وأتباعه المؤمنين، من العذاب الفظيع المدمِّر، ففي الآية حذفٌ بالإيجاز تقديره: واذكر لقومك قصته، وكذلك في قصة يونس عليه السلام **﴿وإن يونس لمن المرسلين. إذ أَبَقَ إلى الفلك المشحون﴾** يعني أنه من الرسل الكرام، واذكر يامحمد لقومك قصته حين هرب من بلده، وترك قومه، وذهب إلى السفينة المملوءة بالرجال والأثقال.. وانظر كتابنا (التفسير الواضح الميسَّر) لمعرفة بقية قصته.

١٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

إن قلتَ: «أو» بمعنى «بل»[1] أو بمعنى الواو، أو المعنى: أو يزيدون في نظرهم، فالشكُّ إنما دخل في قول المخلوقين.

١٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٥].

تهديدٌ لهم، ثم أعاده في قوله: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩] تأكيداً، أو لأنَّ الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة، وحذف منه المفعول اكتفاءً بذكره أولاً.

«تمت سورة الصافات»

* * *

(١) قولُه تعالى: ﴿**أَوْ يَزِيدُونَ**﴾ ليست (أوْ) هنا للشك، بل هي بمعنى (بَلْ) والمعنى: أرسلناه إلى مائة ألفٍ، بل يزيدون على ذلك، وكأنه يقول: هم في نظر الناس مائة ألف، بل أكثر من ذلك في العدد، يزيدون على مائة ألف، عشرين ألفاً من الخلق، فقد كان عددُ قومه مائةَ وعشرين ألفاً، **قال في تفسير روح البيان**: أو يزيدون في مرأى الناظر، فإنه إذا نظر إليهم، قال: إنهم مائة ألف، أو يزيدون عليها عشرين ألفاً، والغرضُ وصفُهم بالكثرة. اهـ.

سورة صۤ

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿صٓۚ﴾ [ص: ١] إن جُعل اسماً للسورة، فهو خبر مبتدأٍ محذوفٍ أي هذه «صۤ» السورة التي أعجزت العرب، فقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] قسمُ عَجْزِ العرب، كقولك: هذا حاتمٌ واللَّهِ، أي هذا هو المشهور بالسخاء واللَّهِ، وإن جُعل قَسَماً، فجوابه مع ما عُطف عليه محذوفٌ، تقديره: إنه كلامٌ معجز، أو لنهلكنَّ أعداءك، بقرينة قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [ص: ٣] أو جوابه ﴿كَمْ﴾ وأصلُه «لَكَمْ» حُذفت اللَّام، لطول الكلام، تخفيفاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا . . . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١، ٢] وقيل: غير ذلك[١].

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [صۤ: ٤]

قاله هنا بالواو، وفي «ق» بالفاء[٢]، لأنَّ ما هناك أشدُّ اتصالاً منه هنا، لأنَّ ما هنا متَّصلٌ بما قبله، اتصالاً معنوياً فقط، وهو أنهم عجبوا من مجيء المنذر، وقالوا هذا ساحرٌ كذَّابٌ، وما في «ق» متصلٌ بما قبله اتصالاً لفظياً ومعنوياً، وهو أنهم عجبوا، عقب الإخبار عنهم بأنهم عجبوا، فقالوا هذا شيء عجيب، فناسب فيه ذكرُ الفاء، دون ما هنا.

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا . . .﴾ الآية [صۤ: ٨].

قاله هنا بلفظ «أَأُنزِلَ» وفي القمر[٣] بلفظ «أَأُلقِي»، لأن ما هنا حكايةٌ عن

---

(١) الأظهر أن يُقال: إن جواب القسم محذوف تقديره: إن هذا القرآن لمعجزٌ، وإن محمداً ﷺ لصادقٌ، ومعنى ﴿ذي الذكر﴾ أي ذي الشرف الرفيع، الذي لا يُدانيه شرف. اهـ التفسير الواضح.

(٢) في قۤ: ﴿بلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنذِرٌ منهُمْ فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

(٣) في القمر: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

كفار قريش، فناسَب التعبيرُ به، لوقوعه إنكاراً لِمَا قرأه عليهم النبي ﷺ، من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وما في القمر حكايةٌ عن قوم صالح، وكان الأنبياءُ تُلقى إليهم صحفٌ مكتوبة، فناسبَ التعبيرُ بـ «أُلقي» وقدَّم الجار والمجرور، على الذكر هنا، موافقةً لما قرأه النبي ﷺ على المنكرين، وعَكَس في القمر جرياً على الأصل، من تقديم المفعول بلا واسطة، على المفعول بواسطة.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾إلى قوله: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٢ ـ ١٤].

ختم أواخر آياته هنا، بما قبل آخره ألفٌ[١]، وآياتُ قولِهِ في قٓ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢ ـ ١٤] بما قبل آخره ياءٌ أو واوٌ، موافقة لبقية فواصل السورتين.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ . . .﴾ [ص: ٢٢].

أي قالوا حين دخلوا على داود عليه السلام: نحنُ خصمان، وهما مَلَكانِ، مثَّلا أنفسهما معه بخصمينِ، بغى أحدهما على الآخر، على سبيل الفَرْض والتقدير، لأن الملائكة مُنتفٍ عنهم البغيُ والظلم، وكذا قولُه: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣] كقول الفقيه: لزيدٍ أربعون شاةً، وعمروٍ مثلُها، وخلطاها وحال عليها الحول، كم يجب فيها؟ وليس لهما شيء من ذلك!! وكنَّى عن المرأة بالنَّعجة[٢]، كما مثَّل نفسه بالخصم.

---

(١) أشار إلى قوله: «الأوتاد، والأحزاب، وعقاب» في سورة (ص) وإلى «وعيد جديد، فعيد» في سورة (ق) فسورةُ (ص) جاء قبلها ألف، وسورة (ق) جاء قبلها ياء، فلهذا روعيت الفواصل في السورتين.

(٢) في قصة فتنة (داود) عليه السلام مزلقٌ خطير، ونقطةٌ هامة ينبغي أن يتنبَّه لها المسلم، هذا المزلقُ الخطير، هو ما حكاه بعضُ القُصَّاص، المولعون بالأخبار الإسرائيلية المكذوبة، أن (داود) عليه السلام، عَشِقَ امرأةَ أحد قادة جيشه، المسمى (أوريا) فجعله في مقدِّمة الجيش، ليتخلَّصَ منه، وكان عند داود زوجات كثيرات تقارب المائة، فلم قُتل القائدُ تزوَّج بزوجته، بعد أن انتهت عِدَّتُها، فعاتبه الله على ذلك، فأرسل إليه مَلَكين بصورة رجلين ليتحاكما عنده، بما قصَّه علينا القرآنُ الكريم في خبرهما. =

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

إن قلتَ: ما معنى تكرر الحُبِّ وتعديته بـ «عَنْ» وظاهرُه: إني أحببتُ حباً مثل حبِّ الخير، كقولك: أحببتُ حُبَّ زيدٍ أي مثلَ حبِّهِ؟

قلتُ: أحببتُ هنا بمعنى آثرتُ، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] أي آثروه، و«عن» بمعنى «على» كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨] فيصيرُ المعنى: آثرتُ حبَّ الخير على ذكر ربِّي.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ...﴾ [ص: ٣٥].

إن قلتَ: كيف قال سليمان ذلك، مع أنه يُشبه الحسد، والبخل بنعم اللَّه تعالى على عباده، بما لا يَضرُّ سليمانَ؟!

قلتُ: المرادُ لا ينبغي لأحدٍ أن يسلبه مني في حياتي، كما فعل الشيطان الذي لبس خاتمي، وجلس على كرسيَّ(١).

أو أنَّ اللَّه علم أنه لا يقوم غيرُهُ مقامَه، بمصالح ذلك المكان، واقتضت حكمته تعالى تخصيصه به، فألهمه سؤاله.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

= هذا القصص والأخبار المكذوبة، من اختراع اليهود الخبثاء، تناقَلَها عنهم بعضُ المغفَّلين، من غير تحقيق ولا تدقيق، وهي قصة باطلةٌ مكذوبة، لو نُسبت إلى أفسق الفُجّار لتبرأ منها، فكيف يليق بالمؤمن العاقل، أن ينسبها إلى نبيٍّ كريم من الأنبياء المرسلين، أمر اللَّه رسوله محمداً ﷺ، أن يتأسّى ويقتدي به في مكارم الأخلاق؟ إنها فِرْيةٌ ما فيها مِرْية، ولهذا قال عليٌّ رضي اللَّه عنه: «من حدّث بحديث داود كما يرويها القُصّاص، جلدتُه مائة وستين جلدة، وتلك حدُّ الفرية على الأنبياء» وانظر حقيقة القصة في كتابنا الجديد، الموسوم باسم (التفسير الواضح الميسّر) ص١١٣٧ ففيه شفاء الغليل في هذه القصة إن شاء اللَّه تعالى.

(١) ما ذكر من قصة تصور الشيطان في صورة سليمان، وأخذه خاتم سليمان، وجلوسه على كرسيه، كلُّ ذلك من الأخبار الإسرائيلية المنكرة، التي لم تصح ولا يجوز اعتقادها، وقد ردَّها المحققون من العلماء كالرازي وابن كثير وغيرهما.

إن قلتَ: كيف وصف اللَّه تعالى (أيوب) عليه السلام بالصبر، مع أن الصبر ترك الشكوى من ألم البلوى، وهو قد شكى بقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾؟ [الأنبياء: ٨٣].

قلتُ: الشكوى إلى اللَّهِ تعالى، لا يُنافي الصبر، ولا تُسمَّى جزَعاً، لما فيها من الجهاد، والخضوع، والعبودية للَّهِ تعالى، والافتقار إليه، ويؤيِّده قولُ يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] وقولُهم: (الصبرُ تركُ الشكوى) أي إلى العباد، أو أنه عليه السلام، طلب الشفاء من اللَّه تعالى، بعدما لم يَبْقَ منه إلَّا قلبُه ولسانُه، خيفةً على قومه أن يفتنهم الشيطان، ويوسوس إليهم، إنه لو كان نبيًا، لَمَا ابتُلي بما هو فيه، ولكشفَ اللَّه ضرَّه إذا دعاه.

٩ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨].

إن قلتَ: هذا يدلُّ على أنَّ غاية لعنة اللَّه تعالى لإبليس، إلى يوم القيامة قد تنقطع؟

قلتُ: كيف تنقطع؟ وقد قال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] وإبليسُ أظلمُ الظَّلمةِ؟ والمرادُ أن عليه اللعنة طول مدَّةِ الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، اقترن له باللعنة من أنواعِ العذاب، ما ينسى معه اللعنة، فكأنها انقطعت.

«تمت سورة صٓ»

* * *

سُورَةُ الزُّمَر

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٢].

عبَّر فيه هنا بـ«إلى» وفيه في أثناء السورة بـ«على»[١] .. تقدَّم في البقرة الفرقُ بين «إلى» و«على» ونزيد هنا أنَّ كلَّ موضعٍ خُوطب فيه النبيُّ ﷺ بالإِنزالِ، أو التنزيل، أو النزول، إن عُدِّيَ بـ«إلى» ففيهِ تكليفٌ له، أو بـ«على» ففيه تخفيفٌ عنه، فما هنا تكليفٌ له بالإِخلاص في العبادة، بدليل قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وما في أثناء السورة تخفيفٌ عنه، بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧] أي لستَ بمسؤولٍ عنهم.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

أي دائمٌ على كفره وكذبه، أو لا يهديه إلى حجة، يُلزم بها المؤمنين، وإلَّا فكم هُدي من كافر.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ...﴾ [الزمر: ٤] الآية.

إن قلتَ: كيف يكون قوله فيها: ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ مع أن كل من ادَّعى له ولداً؟! أو نسبَ إليه ولداً، قال: إنَّ اللَّه اصطفاه من خلقه، فجعله له ولداً[٢]؟!

قلتُ: إن جُعِلَ ردًّا على اليهود في قولهم: إن عزيراً ابن اللَّه، وعلى

---

(١) في قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنا عَليكَ الكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالحقِّ﴾** آية (٤١).

(٢) هذا على سبيل الفرضِ والتقدير، أي لو شاء اللَّه اتخاذ ولدٍ، فرضاً وتقديراً، لاختار من مخلوقاته ولداً، على سبيل التبني، إذ يستحيلُ أن يكون عن طريق التوالد والتناسل، لأنه تعالى المنزَّه عن النظير والمثيل، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك **﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾** فالآية وردت لتنزيه اللَّه تعالى عن، الزوجة والولد، بأبلغ صور التنزيه، وبأظهر الحجج وأوضحها، (التفسير الواضح الميسَّر).

النَّصارى في قولهم: إنه المسيحُ، كان معناه: لاصطفى ولداً من الملائكة، لا من البشر، لأن الملائكة أشرفُ من البشر، بلا خلافٍ بين اليهود والنصارى.

أو ردًا على مشركي العرب، في قولهم: إنه الملائكة، كان معناه: لاصطفى ولداً من جنس ما يخلق كل شيء يريده، ليكون ولدُه موصوفاً بصفته، لا من الملائكة الذين لا يقدرون، على إيجاد جناح بعوضة.

ولا يَرِدُ على هذا خلقُ عيسى عليه السلام الطَّيْرَ، لأنه ليس بتامّ، أو لأنه بمعنى التقدير من الطين، ثم اللَّهُ يخلقه حيواناً، بنفخ عيسى عليه السلام، إظهاراً لمعجزته.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ . . .﴾ [الزمر: ٥] أي بسبب إقامته.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا . . .﴾ [الزمر: ٦] الآية.

إن قلتَ: كيف عطف بـ«ثُمَّ» مع أن خَلْق (حوَّاء) من (آدم)، سابقٌ على خلقنا منه؟!

قلتُ: «ثُمَّ» هنا للترتيب في الإِخبار، لا في الإِيجاد، أو المعطوف متعلّقٌ بمعنى واحدة، و«ثُمَّ» عاطفة عليه، لا على «خلقكم» فمعناه: خلقكم من نفسٍ واحدة أُفردت بالإِيجاد، ثم شُفِعتْ بزوجٍ.

أو هو معطوف على «خلقكم» لكنَّ المراد بخلقهم، خلقُهم يوم أخذ الميثاق، لا هذا الخلق الذي يتمُّ فيه الآن، بالتوالدِ والتناسل، وذلك أن اللَّه خلق آدم عليه السلام، ثم أخرج أولادَه من ظهره كالذَّرِّ، وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردَّهم إلى ظهره، ثم خَلَق منه حواء.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ . . .﴾ [الزمر: ٦] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك؟ مع أنَّ الأنعامَ مخلوقةٌ في الأرضِ، لا مُنْزَلةٌ من السَّماءِ؟

قلتُ: هذا من مجازِ النسبةِ إلى سبب السَّبب، إذِ الأنعامُ لـمَّا كانت لا تعيش إلّا بالنَّباتِ، والنَّباتُ لا يعيش إلا بالمطرِ، والمطرُ منزلٌ من السماء، وصَفَها بالإِنزالِ، من تسمية المسبَّب، باسم سَببِ سببه.

أو معناه: وقضى لكم، لأن قضاءه منزلٌ من السماء، من حيث كُتب في اللوح المحفوظ.

أو خلقها في الجنة، ثم أنزلها على آدم عليه السلام، بعد إنزاله إلى الأرض، والإنزالُ بمعنى الإحداثِ والإنشاءِ، لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ [الأعراف: ٢٦].

٧ ـ **قوله تعالى**: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١، ١٢].

زاد اللَّامَ بعد «أُمِرْتُ» الثاني [١] دون الأول، لأن مفعول الثاني محذوفٌ، اكتفاءً بمفعول الأول، والتقديرُ: وأُمرتُ أن أكون عبداً للَّه، ولأن أكون أوَّلَ المسلمين.

فإن قلتَ: لمَ قال في هذه الآية ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ بـ«أل» وقال بعد: «قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي» بالإِضافة.

قلتُ: لأن قوله: «قل اللَّهَ أَعْبُدُ» إخبارٌ عن المتكلِّم، فناسبتِ الإِضافةُ إليه، وقوله: ﴿أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ﴾ ليس إخباراً عن المتكلِّمِ، فناسبت الإِخبارَ عنه أصالة «أُمِرْتُ» فقط، وما بعده فضلةٌ.

٨ ـ **قوله تعالى**: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ ...﴾ [الزمر: ٢١].

قاله هنا بلفظ ﴿يَجۡعَلُهُۥ﴾ وفي الحديد [٢] بلفظ ﴿يَكُونُ﴾ [الحديد: ٢٠] موافقةً في كلٍّ منهما، لِمَا قبلَه، وهو ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠].

٩ ـ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ ...﴾ [الزمر: ٤١].

قاله هنا بحذف «فإنما يهتدي» المذكورُ في يونس [٣] والإِسراء، اكتفاءً بما

---

(١) في قوله: ﴿وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِين﴾ آية (١٢).

(٢) في الحديد: ﴿كَمَثَلِ غيثٍ أعجبَ الكفَّارَ نَبَاتُه ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يكونُ حُطَاماً﴾ آية (٢٠).

(٣) في يونس ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ آية (١٠٨).

ذكره بقوله قبلُ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

إن قلتَ: كيف قال ذلك؟ مع أن للأنبياء، والعلماء، والشهداء، والأطفال، شفاعةً؟

قلتُ: معناه أن أحداً لا يملكها إلَّا بتحليلها، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ...﴾ [الزمر: ٥٥] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن القرآن كلَّه حسنٌ؟

قلتُ: معناه أحسنَ وحيٍ، أو كتابٍ أُنزل إليكم، وهو القرآن كلُّه، أو أحسنُ القرآنُ آياته المحكماتُ، أو آياته التي تضمَّنت أمر طاعةٍ أو إحسان، وقد مرَّ نظير هذا السؤال، في نظير هذه الآية في الأعراف[1]، في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥] وما مرَّ ثَمَّ في جوابه، يأتي هنا.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ...﴾ [الزمر: ٦٥].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الموحَى إليهم جمعٌ؟ ولِمَا أُوحِيَ إلى مَنْ قَبْلَه، لم يكن في الوحيِ إليهم خطابُه.

قلتُ: معناه ولقد أوحي إلى كلِ واحدٍ منك ومنهم، لئن أشركتَ، أو فيه إضمارُ نائب الفاعل، تقديره: ولقد أُوحِيَ إليك وإلى الذِينَ من قبلك التوحيدُ، ثم ابتدأ فقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، أو فيه تقديمٌ وتأخير، تقديره: ولقد أُوحيَ إليك لئن أشركتَ، وكذلك أُوحي إلى الذين من قبلك!!

---

(١) انظر سورة الأعراف من هذا الكتاب.

١٣ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ....﴾ [الزمر: ٧٣] الآيتين.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن السَّوْق فيه نوعُ إهانةٍ، لا يليقُ بأهل الجنَّة؟

قلتُ: المرادُ بسوقِ «أهلِ النَّارِ» طردُهم إليها بالهوانِ والعنفِ، كما يُفعل بالأسرى، الخارجين على السلطان، إذا سيقوا إلى حبسٍ أو قتلٍ، وبسوقِ «أهل الجنَّةِ» سوقُ مراكبهم، حَثّاً وإسراعاً بهم، إلى دار الكرامةِ والرضوان، كما يُفعل بمن يُشرَّفُ ويُكرَّمُ من الوافدين على السلطان.

فإن قلتَ: كيف قال في صفة النَّارِ ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بلا (واوٍ)، وفي صفة الجنة بالواو ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾؟ [الزمر: ٧٣].

قلتُ: هي زائدة، أو هي واوُ الثمانية، لأن أبواب الجنة ثمانيةٌ، أو واوُ الحال، أي جاءوها وقد فُتِحَتْ أبوابُها، قبل مجيئهم، بخلاف أبواب النَّارِ، فإنها إنما فُتحت عند مجيئهم، والسرُّ في ذلك أن يتعجَّلوا الفرحَ والسرور، إذا رأوا الأبواب مفتَّحةً.

وأهل النار يأتونها وأبوابُها مغلقةٌ، ليكون أشدَّ لحرِّها[(١)]، أو أنَّ الوقوف على الباب المغلق، نوعُ ذلٍّ وهوان، فصِينَ أهلُ الجنة عنه، أو أن الكريم يُعجِّل المثوبة ويُؤخِّر العقوبة، أو اعتبر في ذلِكَ عادةُ دارِ الدنيا، لأن عادة مَنْ في منازلها من الخدم ـ إذا بُشِّروا بقدوم أهل المنازل ـ فَتْحُ أبوابها قبل مجيئهم، استبشاراً وتطلعاً إليهم، وعادةُ أهل الحُبُوس، إذا شُدِّد في أمرها، ألَّا تُفتح أبوابُها، إلا عند الدخول إليها أو الخروج.

«تمت سورة الزمر»

* * *

(١) الأظهر أن يُقال: إن الحكمة في زيادة الواو، عند الحديث عن أهل الجنة ﴿**وفتحت أبوابها**﴾ أن أبواب الجنة تكون معدَّة مهيئة، لاستقبال المؤمنين، تكريماً لهم وتعظيماً كما قال تعالى: ﴿**جناتُ عدن مفتَّحةً لهم الأبواب**﴾ أمَّا أهلُ النار فتفتح أبوابها بغتةً في وجوههم، ليكون ذلك أشدَّ عليهم وأفظع، كما أن أبواب السُّجون في الدنيا تكون مغلقة، إلى أن يأتي أصحاب الجرائم، فتفتح لهم، ثم تغلق عليهم، وهذا ـ واللهُ أعلم ـ هو السرُّ في دخول (الواو) في الحديث عن أهل الجنة.

سورة غافر

١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤] أي بالتكذيب ودفعِها بالباطل، وقصد إدحاضِ الحقّ، وإلَّا فالمؤمنونَ يجادلون فيها.

٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ . . .﴾ [غافر: ٧].

إن قلتَ: ما فائدةُ وصفِ (حَمَلَةِ العرش) بالإيمان، مع أن إيمانهم به معلوم لكل أحدٍ؟

قلتُ: فائدتُه إظهارُ شرفِ الإيمان، وفضلِه، والترغيب فيه، كما وُصف الأنبياء عليهم السَّلامُ بالإيمان والصَّلاح.

٣ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا . . .﴾ [غافر: ١١] أي إماتتينِ وإحيائتينِ، لأنهم نُطَفٌ أمواتٌ فأُحيوا، ثم أُميتُوا، ثمَّ أُحيوا للبعث، وهذا كقوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨].

٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ [غافر: ٢٨].

إن قلتَ: كيف قال المؤمنُ ذلك، في حقّ موسى عليه السلام، مع أنه صادقٌ عنده وفي الواقع، ويلزم منه أن يصيبهم جميعُ ما وعدهم، لا بعضُه فقط؟!

قلتُ: «بعضُ» صِلةٌ، أو هي بمعنى «كلّ» كما قيل به في قول الشاعر:

إنَّ الأُمُــورَ إِذَا الأَحْــدَاثُ دَبَّــرَهَــا ... دُونَ الشُّيوخِ تَرَى فِي بَعْضِها خَلَلَا

أو ذَكَرَ البعضَ تنزّلاً وتلطُّفاً بهم، مبالغاً في نصحهم، لئلا يتَّهموه[(١)] [(٢)] بميلٍ ومحاباة، ومنه قولُ الشاعر:

قد يدركُ المتأنّي بعضَ حاجتِهِ   وقد يكونُ من المستعجلِ الزَّللُ

كأنه قال: أقلُّ ما يكون في الثاني، إدراكُ بعض المطلوب، وفي الاستعجال الزلل، أو هي باقيةٌ على معناها، لأنه وعدهم على كفرهم الهلاكَ في الدنيا، والعذابَ في الآخرة، فهلاكهم في الدنيا بعضُ ما وعدهم به.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ . . .﴾ **[غافر: ٢٢]** الآية.

قاله هنا بجمع الضمير، وفي التغابن[(٣)] بإفراده، موافقةً هنا لما قَبْلَه في قوله: ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ **[غافر: ٢١]** إلى آخره، وأفرده ثَمَّ لأنه ضميرُ الشأن، زيد توصلاً إلى دخول «أنَّ» على «كان».

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ **[غافر: ٣٦، ٣٧]** أي أبوابَها وطرُقَها.

فإن قلتَ: ما فائدةُ التكرار هنا؟

قلتُ: فائدته أنه إذا أبهم ثم أوضح، كان تفخيماً لشأنه، فلمَّا أراد تفخيم ما أمَّلَ بلوغه من أسباب السموات، أبهمها ثم أوضحها.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ . . .﴾ **[غافر: ٤٩]** الآية.

---

(١) كلامُ مؤمنِ آلِ فرعونَ، من الأسلوب الحكيم، في مخاطبة الخصم، يقول لهم: إن كان موسى كاذباً، فإنه يتحمَّلُ وزرَ كذبه، وليس هذا بمسوِّغ لقتله، وإن كان صادقاً في دعواه، أصابكم بعضُ ما وعدكم به من العذاب، ولم يقل: كلُّ ما وَعَدكم به، ولو قال لهم ذلك، لعلموا أنه متعصِّبٌ له، أو من أنصاره وأتباعه، ثم أردفَهُ بكلام يُفهم منه أنه ليس بمصدِّق لموسى، وهو قوله: ﴿إنَّ اللَّهَ لا يَهْدي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ظاهرُه أنه يريد به موسى، وحقيقتُه أنه يريد فرعونَ وحاشيتَه، إذْ هم في غاية الإسراف والفجور، والكذب على اللَّه، وهذا هو أسلوب الحكمة.

(٢) في المصوَّرة «لِئلا يتوهموه» وهو خطأ واضح.

(٣) في التغابن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبيِّناتِ فقالوا أَبَشَرٌ يهودننا . .﴾ آية (٦).

إنما لم يقل: لخزنتها مع أنه أخصرُ، لأنَّ في ذكر جهنم، تهويلاً وتفظيعاً.

أو لأنَّ جهنم أبعدُ النَّار، فغَدَا خزنتُها أعلى الملائكة، الموكّلين بالنار مرتبةً، فطلب أهلُ النار الدعاءَ منهم لذلك.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] أي إنَّ خلق الأصغر، أسهلُ من خلق الأكبر، ثم قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] [غافر: ٥٩] أي بالبعث، ثم قال: ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾[2] [غافر: ٦١] أي اللَّه على فضله، فختم كل آيةٍ بما اقتضاه أوَّلُها.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

ختمها بقوله: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ وختم السُّورة بقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥] لأن الأول متَّصل بقوله: ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ ونقيضُ الحقِّ: الباطلُ، والثاني متَّصلٌ بإيمانٍ غيرِ نافعٍ، ونقيضُ الإيمان: الكفرُ.

«تمت سورة غافر»

* * *

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتيةٌ لا رَيْبَ فيها وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ آية (٥٩).

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ آية (٦١).

سُورَةُ فُصِّلَتْ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ «مِنْ» مع حصول المعنى بحذفِهَا؟

قلتُ: فائدتُه الدلالةُ على أنَّ ما بينهم وبينه مستوعَبٌ بالحجاب، لكون الحجاب سَدّاً بينهم وبينه، وبتقدير حذفها يصير المعنى: إن الحجاب حاصلٌ في المسافة بيننا وبينه.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾.. إلى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

إن قلتَ: هذا يدلُّ على أن السمواتِ والأرْضَ وما بينهما خُلِقت في ثمانية أيامٍ، وهو مُنافٍ لما ذكره في الفرقان وغيرها أنها خُلقت في ستة أيام؟!

قلتُ: (يومَا) خَلْقِ الأرضِ من جملة الأربعةِ بعدهما، والمعنى في تتمة أربعة أيام، وهي مع يومَيْ خلق السمواتِ ستةُ أيام.. يومُ الأحدِ والإثنين لخلق الأرض، ويوم الثلاثاء والأربعاء للجعل[1] المذكور في الآية وما بعده، ويومُ الخميس والجمعة لخلق السَّموات.

فإن قلتَ: السمواتُ وما فيها أعظمُ من الأرض، وما فيها بأضعافٍ، فما الحكمة في أنه تعالى خلق الأرض، وما فيها في أربعة أيام، والسموات وما فيها في يومين؟

قلتُ: لأن السموات وما فيها من عالَم الغيب، والملكوت، والأمر، والأرضُ وما فيها من عالم الشَّهادة، والمُلْكِ، والخلق، والأولُ أسرع من الثاني.

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فيها رواسي من فوقِهَا وَبَارَكَ فِيها وَقَدَّر فيها أَقْوَاتَهَا في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً للسَّائلين﴾ آية (١٠).

أو أنه تعالى فعل ذلك في الثاني، مع قدرته على فعله ذلك دفعةً واحدةً، ليعرِّفنا أن الخلق على سبيل التدريج، لنتأنَّى في أفعالنا، فخلق ذلك في أربعة أيام لمصالحَ وحِكم اقتضتْ ذلك، ولهذه الحكمة خلق العالم الأكبر في ستة أيامَ، والعالَم الأصغر وهو الإنسان في ستة أشهر[١].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ ...﴾ **[فصلت: ٢٠]** الآية.

قاله هنا بذكر «ما» وبحذفها في قوله في النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ **[النمل: ٨٤]**، وفي الزمر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ **[الزمر: ٧١]** مرتين، وفي الزخرف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ **[الزخرف: ٣٨]**، لأن الكلام هنا في أعداء اللَّه، أبسطُ وآكدُ منه في البقيَّة، فناسبَ ذكرُ «ما» للتأكيد هنا، دون البقيَّة.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ ...﴾ **[فصلت: ٢٤]** الآية، فيه إضمارٌ تقديره: فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنارُ مثوًى لهم، أو قيَّد ذلك لأنه جوابٌ لقولهم: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ **[ص: ٦]** فلا مفهوم له.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ **[فصلت: ٢٧]** المرادُ سيِّئه، إذ لا يختصُّ جزاؤهم بأسوء عملهم.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ **[فصلت: ٣٦]**.

قاله هنا بزيادة «هو» و«أل» وفي الأعراف بدونهما[٢]، لأن ما هنا متصلٌ بمؤكدين: بالتكرار، وبالحصر، فناسبَ التأكيدُ بما ذُكر، وما في الأعراف خليٌّ عن ذلك، فجرى على القياس، من كون المُسْنَدِ إليه معرفة، والمُسْنَدِ نكرة.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ ...﴾ **[فصلت: ٤٥]**.

قاله هنا، وقاله في الشورى بزيادة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ **[هود: ٣]** لموافقته ثَمَّ مبدأ كفر الذين تفرقوا في الدين، وهو مجيء العلم بالتوحيد في قوله: ﴿وَمَا

---

(١) أشار إلى أن أقل مدَّة يمكن أن يعيش بها المولود هي ستة أشهر، وهي أقلُّ مدَّةِ الحَمْل.

(٢) في الأعراف ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

﴿تَفَرَّقُوٓاْ﴾ [الشورى: ١٤] الآية، مناسب ذكرُه للنهاية التي انتهوا إليها، ليكون محدوداً من الطرفين، بخلاف ما هنا.

٨ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ [فصلت: ٤٩]. لا ينافي قوله بعد ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت: ٥١] لأن المعنى قنوطٌ من الصنم، دعَّاءٌ للّهِ، أو قنوطٌ بالقلب دعَّاءٌ باللسان، أو الأولى في قوم، والثانيةُ في آخرين.

٩ ـ **قوله تعالى**: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ . . .﴾ [فصلت: ٥٢] الآية.

قاله هنا بـ«ثُمَّ» وفي الأحقاف[١] بالواو، لأن معناها هنا: كان عاقبة أمركم بعد الإِمهالِ، للنظَرِ والتدبرِ، الكفرُ، فناسبَ ذكرُ «ثمَّ» الدالة على الترتيب، وفي الأحقاف لم ينظر إلى ترتيب كفرهم على ما ذُكر، بل عطف على «كفرتم» «وشهد شاهدٌ» بالواو، فناسب ذكرها لدلالتها على مطلق الجمع.

«تمت سورة فصلت»

* * *

(١) في الأحقاف: ﴿قُلْ أرأيتُمْ إنْ كَانَ منْ عِندِ اللَّهِ وكفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهدٌ مِنْ بني إِسْرائيلَ على مثلِهِ فآمَنَ واستكبرتُمْ﴾ آية (١٠).

سُورَة الشُّورى

١ ـ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٢].

قاله بلفظ المضارع، مع أن الوحْيَ إلى من قبل النبيِّ ماضٍ، لأنه ـ كما قال الزمخشريُّ ـ قصد بالمضارع كون ذلك عادةُ وسنَّةُ اللَّهِ، وهذا لا يوجد في لفظ الماضي.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أي يخلقكم في الجعل المذكور قبله[(١)]. ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[(٢)].

إن قلتَ: هذا يقتضي ثبوتَ مثلِه، إنَّما نفى مِثْل مِثْلهِ؟!

قلتُ: المِثْلُ يُقال للذاتِ، كما في قولهم: مثلُكَ لا يليق به كذا، فمعناه: ليس كذاته شيءٌ، أو هو من باب الكناية، لأنه إذا نفى مِثْل مِثْله، لزم نفيُ مثله، إذ لو بقي مثلُه لكان هو مثلُ المثلِ، فيلزم ثبوت مثل المثل، والغرض أنه نفي.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ ....﴾ [الشورى: ٢٩].

إن قلتَ: كيف قال: ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾ مع أن الدوابَّ إنما هي في الأرض فقط؟

---

(١) **المعنى**: يجعلكم تتكاثرون وتتناسلون بهذا الخَلْق، بطريق التوالد، ولولا أنه سبحانه خلق الذَّكر والأنثى، لَمَا كان ثَمَّةَ تناسل ولا توالد، والذَّرْءُ معناه: الخلقُ، قال تعالى: ﴿**قل هو الذي ذَرَأكم في الأرض وإليه تحشرون**﴾ [الملك: ٢٤].

(٢) **معنى الآية**: ليس له تعالى مثيلٌ، ولا شبيهٌ، ولا نظيرٌ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والغرضُ تنزيه اللَّه تعالى عن مشابهة المخلوقين، والكاف هنا لتأكيد النفي أي ليس مثله شيء، قال ابن قتيبة: العربُ تقيمُ المِثْل مقام النفس فتقول: مثلي لا يقال له هذا، أي أنا لا يقال لي هذا.

قلتُ: هو من إطلاق المثنَّى على المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرجان من أحدهما، وهو الملح.

وقيل: إن الملائكةَ لهم دبيبٌ مع طيرانهم أيضاً، وهم مبثوثون في السماء، عملاً بمفهوم قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٨] على القول بالعمل به في مثل ذلك.

٤ ـ قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

قاله هنا بلام التأكيد، وقاله في لقمان بدونها(١)، لأن الصبر على مكروهٍ حَدَث بظلم، كقتل ولد، أشدُّ من الصبر على مكروهٍ حدث بلا ظلم، كموت ولدٍ، كما أن العزم على الأول، أوكدُ منه على الثاني، وما هنا من القبيل الأول، فكان أنسبَ بالتوكيد، وما في لقمان من القبيل الثاني، فكان أنسب بعدمه.

٥ ـ قَوْلُه تعَالَى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

فإن قلتَ: لمَ قدَّم الإناثَ مع أنَّ جهتهنَّ التأخير، ولمَ عرَّف الذكورَ دونهنَّ؟

قلتُ: لأن الآية سيقتْ لبيان عظمة مُلكه ومشيئته، وأنه فاعلٌ ما يشاءُ، لا ما يشاؤه عبيدُه، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]. ولما كان الإناثُ ممَّا لا يختاره العبادُ، قدَّمهنَّ في الذِّكر، لبيان نفوذِ إرادته ومشيئته، وانفراده بالأمر، ونكَّرهنَّ وعرَّف الذكور، لانحطاط رتبتهنَّ، لئلا يُظنَّ أن التقديم كان لأحقيتهنَّ به، ثم أعطى كل جنسٍ حقَّه من التقديم والتأخير، ليُعلم أن تقديمهنَّ لم يكن لتقدمهنَّ، بل لمقتضى، فقال: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٥٠] كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

٦ ـ قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ . . .﴾(٢) [الشورى: ٥٢].

---

(١) في لقمان: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

(٢) **معنى الآية الكريمة**: كما أوحينا إلى الأنبياء قبلَكَ يا محمد، أوحينا إليك هذا الكتاب العظيم، الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للبدن، ما كنتَ قبل الوحي، تعرف ما هو هذا القرآن؟ ولا ما هو الإيمان؟ على الوجه الذي أوحيناه إليك!؟ ولكننا جعلناه نوراً وهُدَىً، نهدي به من نشاء من عبادنا، نُحييهم به من ظلمة الضلال، وموت القلب. اهـ التفسير الواضح الميسَّر.

المرادُ بالإِيمان هنا: «شرائعُ الإِسلام» وأحكامُه، كالصلاة، والصوم، وإلَّا فالأنبياء مؤمنون باللَّه، قبل أن يُوحى إليهم بأدلة عقولهم.

وقيل: المرادُ بالإِيمان الكلمةُ التي بها دعوةُ الإِيمان والتوحيد، وهي «لا إلَه إلا اللَّه محمدٌ رسولُ اللَّه» والإِيمانُ بهذا التفسير، إنما علمه بالوحي لا بالعقل.

«تمت سورة الشورى»

* * *

سُورَةُ الزُّخْرُف

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]

إن قلتَ: القرآنُ ليس بمجعولٍ، لأن الجَعْل هو الخلقُ، فلمَ لم يقل: قلناه، أو أنزلناه[١]؟

قلتُ: الجَعْلُ يأتي بمعنى القول أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧] وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [إبراهيم: ٣٠].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

قاله هنا بلفظ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ وفي الجاثية بلفظ ﴿يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] لأنَّ ما هنا متَّصلٌ بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] أي قالوا: الملائكةُ بناتُ اللَّه، وإنَّ اللَّه قد شاء منَّا عبادتنا إيَّاهن، وهذا كذبٌ، فناسبه ﴿يَخْرُصُونَ﴾ أي يكذبون.

وما هناك متصلٌ بخلطهم الصِّدق بالكذب، فإنَّ قولهم ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧] صدْقٌ، وكَذَبوا في إنكارِهم البعثَ، وقولِهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] فناسبه ﴿يَظُنُّونَ﴾ أي يشكُّون فيما يقولون.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

قاله هنا بلفظ ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ وبعده بلفظ ﴿مُّقْتَدُونَ﴾[٢] لأن الأول وقع في

---

(١) معنى ﴿إنَّا جعلناه قرآناً عربياً﴾ يعني أنزلناه قرآناً بلغة العرب، لتعقلوه وتفهموه، وتتدبروا معانيه، ولمَّا كان المخاطَبون عَرَباً، أرسل اللَّه إليهم رسولاً عربياً، وأنزل القرآن عربياً، كما قال سبحانه: ﴿وما أرسلنا مِن رَسُولٍ إلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ أي بلغة قومه.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وكذلكَ ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذير إلَّا قال مترفوها إنَّا وجدنا آباءنا على أمَّةٍ وإنَّا على آثارهم مقتدون﴾ آية (٢٣).

محاجّتهم النبي ﷺ، وادّعائهم أن آباءهم كانوا مهتدين، وأنهم مهتدون كآبائهم، فناسبه ﴿ مُّهْتَدُونَ﴾ والثاني وقع حكايةً عن قومٍ، ادَّعوا الإِقتداء بالآباء دون الإِهتداء، فناسبه ﴿ مُّقْتَدُونَ﴾.

٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ...﴾ [الزخرف: ٤٥] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنَّ النبي ﷺ لم يلقَ أحداً من الرسل، حتى يسأله؟!

قلتُ: فيه إضمارٌ تقديره: واسأل أتباعَ أو أممَ مَنْ أرسلنا، أو هو مجازٌ عن النَّظر في أديانهم، والبحثِ عن مِلَلِهم، هل فيها ذلك؟

أو واسألِ المرسلينَ ليلةَ الإِسراء(١)، فإنه لَقِيهم وأمَّهم في مسجد بيت المقدس، وقال بعد أن نزلت عليه هذه الآية بعد سلامه: (لا أسألُ قد كُفيتُ).

كأنَّ المرادَ بالأمرِ بالسؤالِ، التقريبُ لمشركي قريش، أنه لم يأتِ رسولٌ من اللَّه، ولا كتابٌ، بعبادة غير اللَّه.

٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ...﴾ [الزخرف: ٤٨] الآية، أي من قرينتها التي قبلها.

٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣].

إن قلتَ: كيف قال عيسى عليه السلام لأمته ذلكَ، مع أن كل نبيٍّ يلزمه أن يُبيِّن لأمته كلَّ ما يختلفون فيه؟

قلتُ: المرادُ أنه يُبيِّن لهم ممَّا اختلفوا فيه، ما يحتاجونه دون ما لا يحتاجونه؟ أو المرادُ بالبعض الكُلُّ، كما مرَّ نظيره في غافر(٢).

---

(١) لا حاجة إلى هذا التقدير، فإن الآية وردت على سبيل الفرض، أي إن كنت يا مُحمد شاكاً في أمر الرسالة والتوحيد، فاسأل من سبقك من الرسل، هل هناك أحدٌ دعا لعبادة غير اللَّه؟! ويؤيده الآية الأخرى ﴿**فإنْ كنتَ في شكٍّ ممَّا أنزلنا إليك فاسألِ الذين يقرءون الكتابَ من قبلكَ**﴾ واللَّه أعلم.

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**وإن يَكُ صادقاً يصبكم بعضُ الذي يعدكم به**﴾ [غافر: ٢٨] أي يصيبُكم العذابُ الذي توعَّدكم به موسى، فأطلق البعضَ وأراد به الكلَّ، وهو من المجاز المرسل.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦].

فائدةُ ذكر ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعد ﴿بَغْتَةً﴾ أي فجأة، أنَّ الساعة تأتيهم وهم غافلون، مشغولون بأمور دنياهم، كما قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩] فلولا قوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ لجاز أن تأتيهم بغتة، وهم يَقِظونَ حَذِرونَ، مستعدُّون لها.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

إن قلتَ: كيف وصف أهل النَّارِ فيها بأنهم مبلِسون، والمبلسُ: هو الآيسُ من الرحمة والفرج، مع قوله بعدُ ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] الدالِّ على طلبهم الفَرَج بالموت؟

قلتُ: وقع كلٌّ منهما في زمنٍ، لأن أزمنةَ يوم القيامةِ متعدِّدة.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

إن قلتَ: هذا يقضي تعدُّد الآلهة، لأن النكرة إذا أُعيدت نكرة تعدَّدت، كقولك: أنتِ طالقٌ وطالقٌ؟

قلتُ: الإلَه هنا بمعنى المعبود[١]، وهو تعالى معبودٌ فيهما، والمغايرةُ إنما هي بين معبوديته في السماء، ومعبوديته في الأرض، لأن المعبود به من الأمور الإِضافية، فيكفي التغاير فيها من أحدِ الطرفين، فإذا كان العابدُ في السماء، غيرُ العابد في الأرض، صدق أنَّ معبوديته في السماء غير معبوديته في الأرض، مع أن المعبود واحدٌ.

«تمت سورة الزخرف»

* * *

(١) معنى الآية: أنه تعالى معبودٌ في السماءِ، كما هو معبودٌ في الأرض، فلا تعدُّد في الآلهة كما يُوهم التكرار، قال ابن كثير: هو إلَه من في السماء وإلَهُ من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلُّهم خاضعون له، اهـ تفسير ابن كثير.

سُورَةُ الدُّخَانِ

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

قاله هنا بذكرِ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي منك[(١)]، وقال في الجاثية: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦] بحذفه، جرياً هنا على الأصل، في ذكرِ ما لا يُغني عنه غيرُه، واكتفاءً ثَمَّ بقوله بعدُ ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٤، ٣٥].

إن قلتَ: القومُ كانوا يُنكرون الحياة الثانية، فكان حقُّهم أن يقولوا: إن هِي إلَّا حياتُنا الأولى؟

قلتُ: لما قيل لهم: إنكم تموتون موتةً يعقُبها حياةٌ، كما تقدمتكمْ موتةٌ، لذلك قالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي ما الموتةُ التي من شأنها أن يعقبها حياةٌ، إلَّا الموتةُ الأولى[(٢)].

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

قاله بالجمع موافقةً لقوله أوَّل السورة ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان: ٧].

٤ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٨].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن العذاب لا يُصبُّ وإنما يُصبُّ الحميمُ، كما قال في محل آخر ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]؟

---

(١) فيما قاله الشيخ نظرٌ، فإن معنى الآية ولقد اصطفيناهم واخترناهم على علم منَّا باستحقاقهم ذلك الشرف، على جمع الناس في زمانهم، لأن المراد بهم: أتباعُ موسى المؤمنين.

(٢) الغرضُ من الآية أن الكفار قالوا: إذا متنا فلا بعث ولا حياة ولا نشور، وقد صرحوا بذلك في قولهم: ﴿**وما نحن بمنشرين**﴾ إي بمبعوثين بعد الموت.

قلتُ: هو استعارةٌ ليكون الوعيدُ أهيبَ وأعظم[١].

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦].

إن قلتَ: كيف قال في صفة أهلِ الجنَّةِ ذلك، مع أنهم لم يذوقوه فيها؟

قلتُ: «**إلَّا**» بمعنى «سِوى» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ﴾ [النساء: ٢٢] أو الاستثناءُ منقطع، أي لكنْ الموتةَ الأولى قد ذاقوها[٢].

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣].

إن قلتَ: كيف وعد اللَّه تعالى أهل الجنة بلبس «الاستبرق» وهو غليظ الديباج[٣]، مع أن غليظه عند السعداء من أهل الدنيا، عيبٌ ونقصٌ؟

قلتُ: غليظ ديباج الجنة، لا يُشابه غليظ ديباج الدنيا حتى يُعاب، كما أن سندس الجنة وهو رقيق الديباج، لا يشابه سندس الدنيا.

وقيل: إن السُّندسَ لباس سادةِ أهلِ الجنة، والاستبرقُ: لباسُ خَدَمهم، إظهاراً لتفاوت الرُّتب.

«تمت سورة الدخان»

* * *

---

(١) أقول: لفظُ الصَّبِّ يدل على أن الكلام جاء بطريق الاستعارة، فقد شبَّه شدَّة العذاب الذي يلاقيه الكافر الفاجر، بماءٍ حارٍّ شديد الحرارة، يصبُّ عليه صبًّا، يشوي الجلد والوجه، ومثلُها قوله تعالى: ﴿**فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب**﴾ [الفجر: ١٣] استعمل لفظ الصبِّ للإشارة إلى كثرته وتتابعه، كأنه مطرٌ مدرارٌ، منصبٌّ من السماء.

(٢) **معنى الآية**: أن المؤمنين منعَّمون في الجنة، مخلَّدون فيها، لا يدركهم الموتُ أبداً، إلَّا الموتة التي ماتوها في الدنيا، ذلك لأن الموت يُذبح في الآخرة، ويُقال لهم: «يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موتٌ، ويا أهلَ النار خلودٌ فلا موتٌ» كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم.

(٣) معنى الديباج: الحريرُ فهو لباسُ أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿**ولباسُهُمْ فيها حريرٌ**﴾ وهو نوعان: استبرق، وسندس، وكلاهما من الحرير، ولكنْ شتَّان بين حرير الجنة، وحرير الدنيا.

سُورَةُ الجَاثِيَة

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . . .﴾ إلى ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ١ ـ ٥].

إن قلتَ: لَم ختم الآية الأولى بـ «المؤمنين» والثانية بقوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾ والثالثة بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾[(١)]؟

قلتُ: لأنه تعالى لمَّا ذكر العالَم ضمناً، ولا بدَّ له من صانعٍ، موصوفٍ بصفات الكمال، ولا بدَّ من الإِيمان بالصانع، ناسب ختم الأولى بالمؤمنين، ولمَّا كان الإِنسان أقرب إلى الفهم من غيره، وكان فكرُه في خلْقِه، وخلْقِ الدوابِّ، ممَّا يزيده يقيناً في إيمانه، ناسب ختم الثانية بقوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾ ولمَّا كان جزئيات العالَم، من اختلاف الليل والنهار وما ذكره معهما، مما لا يُدركُ إلّا بالعقل، ناسبَ ختم الثالثة بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ . . .﴾ [الجاثية: ٢٥، ٢٦].

إن قلتَ: ما وجه مطابقة الجواب، وهو قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ إلى آخره وهو ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟

قلتُ: وجهه أنهم أُلزموا بما هم مقرُّون به، من أنَّ اللَّه تعالى هو الذي أحياهم أولاً، ثم يُميتُهم، ومن قَدَر على ذلك، قَدَر على جمعهم يوم القيامة، فيكون قادراً على إحياء آبائهم.

---

(١) **الأولى:** أن يُقال: إن وجه التغيير في التعبير في الآيات الثلاث، أن الإِنسان إذا تأمل في السموات والأرض، وأنه لا بدَّ لهما من خالقٍ مبدع آمن، وإذا نظر في خلق نفسه، وفي خلق الحيوانات والدواب، على سطح هذه المعمورة، ازداد إيماناً فأيقن، وإذا نظر في سائر الحوادث والأطوار، في تعاقب الليل والنهار، وإرسال الرياح والأمطار، وخروج الزروع والثمار، ازداد علمُه، وكمل عقلُه، فاهتدى وعَقَل، فختمت كل آيةٍ بما يناسب المقام، واللَّه أعلمُ بأسرار كتابه العزيز.

٣ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا . . .﴾ **[الجاثية: ٢٨]** أي إلى قراءة كتابِ أعمالها.

فإن قلتَ: كيف أضاف الكتابَ إلى الأُمَّة[١]، ثم أضافه إليه تعالى في قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾؟ **[الجاثية: ٢٩]**

قلتُ: الإِضافة تحصلُ بأدنى ملابسةٍ، فأضافه إلى الأمَّة، لكون أعمالهم مثبتةً فيه، وأضافه إليه تعالى، لكونه مالكه، وآمرُ ملائكتِه بكتابته.

«تمت سورة الجاثية»

* * *

---

(١) في قوله تعالى: **﴿كلُّ أمة تُدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾** حيث أضاف الكتاب إلى الأمة، أي كلُّ أمةٍ تُدعى إلى كتاب أعمالها، ثم أضافه تعالى إليه في قوله: **﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . .﴾** أي هذا كتاب أعمالكم، الذي سجلته عليكم ملائكتنا، يشهد عليكم بالحقّ، من غير زيادة ولا نقصان، فأضافه إليه لأنه سبحانه هو الآمرُ بكتابته، كما يُقال: بنى الخليفةُ المدينةَ أي أمر ببنائها، فينسب الفعلُ إليه لأنه الآمرُ.

سُورَة الأَحقاف

١ـ قَولُه تعالَى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[١] [الأحقاف: ١٩].

إن قلتَ: كيف وصف الفريقين، بأنَّ لكلٍ منهما درجات، مع أن أهل النَّارِ، لهم دَرَكَاتٌ لا دَرَجاتٌ؟

قلتُ: الدرجاتُ هي: الطبقاتُ من المراتب مطلقاً، أو فيه إضمارٌ تقديره: ولكلّ فريقٍ درجاتٌ، أو دَرَكاتٌ، لكنْ حذفَ الثاني اختصاراً، لدلالة المذكور عليه.

٢ ـ قَولُه تعالَى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٢، ٢٣].

وجهُ مطابقةِ الجواب فيه؟ أن سؤالهم متضمِّنٌ لاستعجالهم العذابَ، الذي توعَّدهم به، بقرينة قوله بعد ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ [الأحقاف: ٢٤] فأجابهم بأنه لا علم له بوقت تعذيبهم، بل اللَّهُ تعالى، هو العالِمُ به وحدَه.

٣ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا . . . ﴾ [الأحقاف: ٢٥] أي كلَّ شيءٍ مرَّتْ به، من أموالِ قوم عادٍ وأهليهم[٢].

---

(١) معنى الآية: لكل فريقٍ مراتب ومنازل في الآخرة، بحسب أعمالهم، فللمتَّقين جناتُ النعيم، وللمجرمين دركاتُ الجحيم، ولا يظلم ربك أحداً. اهـ التفسير الواضح الميسَّر للصابوني.

(٢) معنى الآية: تُخرِّب الريح وتُهلك كل شيءٍ أَتتْ عليه، من مواشٍ ورجالٍ وأموال، بأمره تعلى وإذنه، وكانت الريح ترفع الشخص منهم إلى السماء حتى يصبح كالريشة، ثم تضربه على الأرض فتدقُّ عنقه، هكذا روي عن ابن عباس.

٤ ـ قَوْلُه تعَالَى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ . . .﴾[1] الآية [الأحقاف: ٣١].

أفاد بذكر «مِنْ» أنَّ من الذنوب ما لا يغفره الإِيمانُ، كمظالم العباد.

«تمت سورة الأحقاف»

* * *

(١) المراد بداعي الله: محمد ﷺ أي أجيبوا خاتم الأنبياء محمداً ﷺ، الذي أنزل عليه هذا القرآنُ، وصدِّقوا برسالته، يرحمكم ربكم، وينجيكم من عذاب أليم.

سُورَة مُحَمَّد ﷺ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥].

إن قلتَ: كيف قال ذلك تعالى في حقِّ الشهداء، بعدما قُتلوا، مع أن الهداية إنما تكون قبل الموت لا بعده؟

قلتُ: معناه سيهديهم إلى محاجَّة (منكرٍ ونكير)، وقيل: سيهديهم يوم القيامة إلى طريق الجنة[١].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ [محمد: ٣٢].

نزلتْ في قوم ارتدوا عن الإِيمان.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥] نزلت في اليهود، فليس بتكرارٍ.

«تمت سورة محمد»

* * *

---

(١) الأظهر والله أعلم أن المراد من الآية: أنه تعالى سيهدي هؤلاء السعداء الأبرار، إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، بتوفيقهم إلى العمل الصالح، وإرشادهم إلى طريق الجنة، دار المتقين، أما ما ذكره الشيخ أنه سيهديهم إلى محاجَّة منكرٍ ونكير، فلا وجه له هنا، لأن الشهداء قد غُفرت ذنوبُهم، فلا سؤال لهم، ولا جوابَ، ولا عقاب!! لأن الشهادة تكفّر جميع الذنوب، وقيل: المراد به: هدايتُهم إلى قصورهم ومنازلهم في الجنة، فإنهم يهتدون إليها من غير دليل، كأنهم سُكّانها منذُ خُلِقوا، وفي الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده، إنَّ أحدَكم بمنزله في الجنة، أهدى منه بمنزلِه الذي كان في الدنيا» رواه البخاري.

سُورَةُ الفَتْح

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

نزل قبل فتح مكة، وجِيء بالفعل ماضياً، لأنه في علمه تعالى كالواقع، لتحقُّقِ وقوعه.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢].

إن قلتَ: كيف قال ذلك والنبيُّ معصومٌ من الذنوب؟

قلتُ: المرادُ ذنبُ المؤمنين[1]، أو ترك الأفضل، أو أراد الصغائر، على ما قاله به جمعٌ، أو المرادُ بالمغفرةِ العصمةُ.

ومعنى قوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ما فرط منك فرضاً، قبل النبوة وبعدها، أو قبل فتح مكة وبعده، أو المرادُ بما تأخَّر العمومُ والمبالغةُ، كقولهم: فلانٌ يَضْرِبُ من يلقاه، ومن لا يلقاه، بمعنى يضرِبُ كلَّ أحد، مع أن من لا يلقاه، لا يمكنه ضربه.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

أي يزيدك هُدىً، وإلّا فهو مهديٌّ ﷺ.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

---

(١) هذا التأويل بعيد، والأولى أن يُقال: ليغفر لك اللَّهُ ما فَرَط منك، من تَرْكِ الأَوْلى، سُمي ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل ﷺ، ولا يجوز أن الرسول ﷺ عصى اللّهَ، أو ارتكب ذنباً، متعمداً للمعصية. فإن الرسل معصومون من الذنوب والآثام، لأن اللّه جعلهم قُدوةً للخلق، وإنما يجتهد الرسول في بعض الأمور، فمنها ما يقرُّه اللّه عليها، ومنها ما ينبِّهه على خطئه فيها، كاستغفاره لعمه أبي طالب، وأخذه الفِداءَ في أسرى بدر، وأمثالِ ذلك.

إن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿ وَأَهْلَهَا ﴾ بعد قوله: ﴿ أَحَقَّ بِهَا ﴾؟

قلتُ: الضمير في «بها» لكلمة التوحيد، وفي أهليَّتهما للتقوى، فلا تكرار[١].

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ [الفتح: ٢٧].

إن قلتَ: ما وجهُ التعليقِ بمشيئة الله تعالى في إخباره؟

قلتُ: (إنْ) بمعنى (إذْ) كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

أو أنه استثناءٌ منه تعالى فيما يَعلمُ، تعليماً لعباده، أن يستثنوا فيما لا يعلمون.

أو أنَّه على سبيل الحكاية لرؤيا النبي ﷺ، فإنه رأى أن قائلاً يقول: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[٢].

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ... ﴾ [الفتح: ٢٧].

إن قلتَ: ما فائدة ذكر ﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ بعد قوله: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾؟

قلتُ: المعنى آمنين في حال الدخول، لا تخافون عدوَّكم أن يُخرجكم منه في المستقبل.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ... ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) المعنى: كان أصحابُ محمد أحقَّ بهذه الفضيلة من كفار مكة، وأهلاً لها، حيث اختارهم الله لصحبة رسوله ﷺ.

(٢) هذا القول بعيد، فإنَّ الرسول ﷺ، رأى في منامه رؤيا حسنة، رأى أنه دخل مكة معتمراً، هو وأصحابه، فطافوا حول البيت العتيق، آمنين مطمئنِّين، بعضُهم حلق رأسَه، وبعضُهم قصَّرَ من شعره، بعد الانتهاء من مناسك العُمْرَة، فحدَّث بذلك أصحابه، ففرحوا واستبشروا، فلمَّا وقع (صلحُ الحُدَيْبية) صَعُب على نفوس الصحابة، أن لا تتحقَّق الرؤيا، ودخل إلى نفوسهم الهَلَع والجَزَع، فنزلت الآية الكريمة: ﴿ **لقد صَدَقَ اللَّهُ رسُولَهُ الرُّؤيا بالحَقِّ** ﴾ فنسب تعالى صِدْق الرؤيا إليه، ولم يجعلها رؤيا على سبيل الحكاية.

تعليلٌ لما دلَّ عليه تشبيههم بالزرع، من نمائهم وقوَّتهم، كأنه قيل: إنما قوَّاهم وكثَّرهم ليغيظ بهم الكفار[1].

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

«ومنهم» أي من الذين مع محمد ﷺ وهم «الصحابة» مغفرة وأجراً عظيماً فـ «مِنْ» هنا لبيان الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] لا للتبعيض، لأن الصحابة كلُّهم موصوفون بالإيمان، والعمل الصالح.

«تمت سورة الفتح»

* * *

---

(١) هذا مَثَلٌ بديع، ضربه الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ، مثَّل تعالى لهم بالزرع ينمو، ويقوى. ويشتدُّ بِفراخه، حتى يصبح قوياً صُلباً، يقف على ساقه، فالزرعُ محمد ﷺ، والشَّطأ: يعني الأفراخ، هم أصحابُه رضوان الله عليهم، كانوا قليلين فكثروا، وضعفاء فَقَوُوا، حتى صَلُب بهم أمرُ الزّمن واشتدّ، وثبت الإسلام فصار كالطَّود الراسخ، يملأ الأرض خيراً، وبِرّاً، ونوراً، وهو مثَلٌ في غاية الإبداع والجمال. من التفسير الواضح الميسَّر.

سُورَةُ الحُجُرات

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . . ﴾[1] الآية [الحجرات: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ ذُكِر في السورة خمس مرات، والمخاطبون فيها المؤمنون، والمخاطَبُ به أمرٌ، أو نهيٌ، وذُكر فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ مرَّة، والمخاطبون فيها يعمُّ المؤمنين والكافرين، كما أن المخاطَبَ به وهو قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣] يعمُّهما، فناسَب فيها ذكرَ النَّاسِ، وقولُه: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ منْ قدَّم بمعنى تقدَّم، لأن المراد به نهيُهُم عن أن يتقدّموا على النبي ﷺ بقولٍ، أو فعلٍ، لا عَنْ أن يُقدِّموا غيرَهم.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ . . . ﴾ [الحجرات: ٢].

فائدةُ ذكرِ ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ بعد قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ النهيُ عن الجهرِ في مخاطبَتِه، وإنْ لم يتضمَّنْ رفع أصواتِهم على صوتِه.

وقيل: المرادُ النهيُ عن مخاطبته ﷺ باسمه.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] أي مخافة حبوطها.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أنَّ الأعمال إنما تحبط بالكفر، ورفعُ الصوتِ على صوتِ النبيِّ ليس بكفر؟

قلتُ: المرادُ به الاستخفاف بالنبي ﷺ، لأنه ربما يؤدي إلى الكفر[2].

---

(١) إنما حُذف المفعول، ليذهب ذهنُ السامع إلى كل ما يمكن تقديمُه، من قولٍ، أو رأيٍ، أو حكمٍ، أو عمل، أي لا تتقدموا عليه بشيءٍ أصلاً، فله الرأي وله الأمر ﷺ.

(٢) رفع الصَوت في حضرة النبي ﷺ مخالفٌ للأدب، وربّما جرَّ إلى الكفر، إن استخفَّ الإنسان بقدره ومقامه ﷺ، وقد رُوي أن «ثابت بن قيس» كان رفيعَ الصوت، فلما=

وقيل: حبوطُ العمل هنا مجازٌ عن نقصان المنزلة، وانحطاط الرتبة.

٤ ـ **قـولـه تـعـالـى**: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

إن قلتَ: ما فائدةُ الجمعِ بين الفِسْقِ والعصيانِ؟!

قلتُ: الفسوقُ: الكذبُ، كما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، والعصيانُ: بقيَّةُ المعاصي، وإنما أفردَ الكذبَ بالذِّكر، لأنه سببُ نزول هذه الآية.

وقيل: الفسوقُ: الكبيرةُ، والعصيانُ: الصغيرة(١).

٥ ـ **قـولـه تـعـالـى**: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا . . .﴾ [الحجرات: ١٤].

المنفيُّ هنا: الإيمانُ بالقلبِ، والمُثْبَتُ: الانقيادُ ظاهراً، فهما في اللغةِ متغايران بهذا الاعتبار، كما أنهما في الشرع مختلفان مفهوماً، متَّحِدانِ صدقاً، إذِ الإيمانُ هو التصديقُ بالقلب، بشرط التلفظِ بالشهادتين، والإسلامُ بالعكس(٢).

٦ ـ **قـولـه تـعـالـى**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ . . .﴾ الآية [الحجرات: ١٥].

إن قلتَ: العملُ ليس من الإيمان، فكيف ذكرَ أنه منه في هذه الآية؟

قلتُ: المرادُ منها الإيمانُ الكاملُ، أي إنما المؤمنون إيماناً كاملاً، كما في

= نزلت الآية قال: أنا الذي كنتُ أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أنا من أهل النار، وجلس في بيته حزيناً، فافتقده ﷺ فأخبروه خبره، فطلبه الرسول ﷺ وقال له: بل أنت من أهل الجنة، أترضى أن تعيش حميداً، وتُقتَل شهيداً، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيتُ ببشرى الله ورسوله، واللهِ لا أرفع صوتي أبداً، على صوت رسول الله ﷺ.

(١) الفسوقُ: الخروج عن طاعة الله بالجرائم الكبيرة، والعصيانُ معصيةُ أمر الله وأمر رسوله بصغائر الذنوب. **قال ابن كثير**: والمرادُ بالفسوق: الذنوبُ الكبارُ، وبالعصيان جميعُ المعاصي. اهـ المختصر ٣/ ٢٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقوله ﷺ: «المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ»[١].

«تمت سورة الحجرات»

* * *

(١) الإيمانُ: هو التصديقُ القلبيُ، بكل ما يجب على المؤمن اعتقادُه، من الإيمان باللّه، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، وسائر ما أخبر اللّهُ عنه من الأمور المغيَّبة، وأما الإسلام فهو الانقياد والطاعةُ للّه عزَّ وجلَّ، بالشهادة له بالوحدانية، وأداء الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فبينهما اختلاف من وجه، واتفاق من وجه آخر.

سُورَة ق

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [ق: ١، ٢].

«قَ» إذا جُعل اسماً للسورة، فهو خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ، أي هذه قَ، بالمعنى السابق في صَ.

وإن جُعل قَسماً فجوابُه مع ما عُطفَ عليه محذوفٌ، تقديره: لتُبْعثُنَّ[1]، بدليل قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق: ٣] أو لقد أرسلنا محمداً، بدليل قوله: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾.

أو هو قولُه: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ [ق: ٤] حُذِفتْ منه الَّلامُ لطول الكلام.

أو هو قولُه: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

إن قلتَ: فيه إضافةُ الشيء إلى نفسه، وهي ممتنعةٌ، لأن الإضافة تقتضي المغايرَة بينَ المُضافِ والمُضاف إليه؟

قلتُ: ليست ممتنعةً مطلقاً، بل هي جائزةٌ عند اختلاف اللفظَينِ، كما في قوله: ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] و﴿حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] و«دار الآخرة».

وبتقدير امتناعها مطلقاً، فالتقدير: حبُّ الزَّرعِ أو النباتِ الحصيد[2].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق: ١٧].

إن قلتَ: كيف قال ﴿قَعِيدٞ﴾ ولم يقل: قعيدان، إذْ إنه وصفٌ للملَكَيْنِ المذكورين؟

---

(١) هذا قسم حُذف جوابه أي أُقسم بالقرآن الكريم، ذي المجد والشرف الرفيع على سائر الكتب المنزّلة، لتبعثُنَّ يا معشر قريش بعد الموت، هذا أرجح الأقوال عند المفسرين.

(٢) المعنى: أخرجنا لكم بماء المطر، الأشجار المثمرة، وأنواع الفواكه والثمار، وأنواع الحبوب التي تُحصد، كالحنطة، والعدس، والشعير، وسائر الحبوب.

قلتُ: معناه عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيدٌ، لكنه حُذِفَ أحدهما لدلالة المذكور عليه، أو أن «فعيلاً» يستوي فيه الواحدُ، والاثنان، والجمعُ، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] أو قال ذلك رعايةً للفواصل.

٤ ـ قوله تعالَى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣].

قاله هنا بالواو، وقاله بعدُ بدونها[١]، لأن الأولى خطابٌ للإنسانِ من قرينه ومتعلِّقٌ به، فناسب ذكرُ الواو، والثاني استئنافُ خطابٍ من الله، غير متعلِّقٍ بما قبله، فناسب حذفُها.

٥ ـ قوله تعالَى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤].

إن قلتَ: كيف ثنّى الفاعل مع أنه واحدٌ، وهو مالكٌ خازنُ النَّارِ؟

قلتُ: بل الفاعلُ مثنًى، وهما المَلَكان اللّذان مرَّ ذكرهما، بقوله: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، أو أنَّ تثنية الفاعل أُقيمت مقام (تكرّر الفعل) للتأكيد، واتّحَادِهما حكماً، فكأنه قال: أَلْقِ، أَلْقِ، كقول امرئ القيس: قفا نبك، أو أن العرب أكثر ما يوافق الرجل منهم اثنين، فكثر على ألسنتهم خطابهما فقالوا، خليليَّ، وصاحبيَّ، وقِفَا، ونحوها.

٦ ـ قوله تعالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

إن قلتَ: لِمَ لَمْ يقل: غير بعيدةٍ، لكونه وصفاً للجنة؟

قلتُ: لأن «فعيلاً» يستوي فيه المذكَّر والمؤنث، أو لأنه صفة لمذكَّرٍ محذوف أي مكاناً غير بعيد.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ بعد قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ بمعنى قُرِّبت؟

قلتُ: فائدته التأكيدُ، كقولهم: هو قريبٌ غيرُ بعيد، وعزيزٌ غير ذليل.

٧ ـ قوله تعالَى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ . . .﴾ [ق: ٣٧] أي واعٍ، وإلا فكلُّ إنسانٍ له قلبٌ، بل كلُّ حيوانٍ، أو المرادُ بالقلب: العقلُ[٢].

«تمت سورة قٓ»

---

(١) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾ آية (٢٧).

(٢) عبَّر عن العقل بالقلب، لأنه موضعُه، كما قال تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ ومعنى الآية إن في ذلك لموعظة وعبرة، لمن كان له عقل يتدبر به، أو أصغى إلى الموعظة، وهو حاضر القلب.

سُورَة الذّارِيَات

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الصَّادِق وصفٌ للواعد، لا لما يُوعَد؟

قلتُ: وُصف به ما يُوعد مبالغةً، أو هو بمعنى مصدوق، كعيشةٍ راضية[١]، وماءٍ دافق.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ . . .﴾ [الذاريات: ١٥، ١٦].

ختم الآية هنا بقوله: ﴿وَعُيُونٍ آخِذِينَ﴾ وفي الطور بقوله: ﴿وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ﴾ لأن ما هنا متَّصلٌ بما به يصلُ الإِنسان إلى الجنَّات، وهو قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦] الآيات، وما في الطور متَّصلٌ بما يناله الإنسان فيها، وهو قوله: ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الطور: ١٨، ١٩] الآية.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] أي صنفين.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، لم يُخلق من كلٍ منها إلّا واحد؟

قلتُ: معناه ومن كل حيوانٍ، خلقنا ذكراً وأنثى، ومن كل شيء يشاهدونه خلقنا صنفين، كالليلِ والنهار، والنور والظلمة، والصيف والشتاء، والخير والشر، والحياة والموت، والشمس والقمر.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

قاله هنا وبعدُ، وليس بتكرارٍ، لأن الأول متعلق بترك الطاعة إلى المعصية، والثاني بالشركِ باللّه.

---

(١) أي عيشة مرضيّة، وماء مدفوق، فاسم الفاعل جاء بمعنى اسم المفعول.

٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

لا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين، لأن الغاية لا يلزم وجودُها، كما في قولك: بريتُ القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به، أو لأن ذلك عامٌ أُريد به الخصوص، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومَنْ خُلِق لجهنم لا يكون مخلوقاً للعبادة[(١)].

٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

إن قلتَ: ما فائدةُ تكرار لفظ ﴿مَا أُرِيدُ﴾؟

قلتُ: فائدته إفادةُ حكمٍ زائد على ما قبله، إذ المعنى ما أريد منهم أن يطعموا أنفسهم، وما أريد منهم أن يُطعموا عبيدي، وإنما أضاف تعالى الإِطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيالُه وعبيدُه، ومن أطعم عيالَ غيره فكأنه أطعمه، ويؤيده خبر «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابنَ آدم استطعمتك فلم تطعمني»[(٢)]، أي استطعمك عبدي فلم تطعمه.

«تمت سورة الذاريات»

* * *

---

(١) لا يراد بالآية (**إلّا ليعبدون**) العبادةُ لله من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، وإنما يراد بها هنا: معرفة الله وتوحيده، قال مجاهد: أي ليوحّدوني، وليعرفوا أني أنا اللهُ ربُّهم، فيطيعوا أمري، وقوله سبحانه: ﴿**وما أريد أن يطعمون**﴾ يعني: لا أريد منهم أن يطعموني، فأنا الغنيُّ الحميد، وفي الآية تعريض بأوثان المشركين، حيث كانوا يُحضرون للأصنام أنواع المآكل واللذائذ، فربّما أكلتها الكلابُ ثم بالت عليها. اهـ من التفسير الواضح للصابوني.

(٢) الحديث رواه مسلم، ولفظُه: «يقول اللهُ عزّ وجلّ يوم القيامة:

● يا ابنَ آدمَ: مرضتُ فلم تَعُدْني؟ فيقولُ العبدُ: يا ربِّ كيفَ أعودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ يقول: أمَا علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أمَا علمتَ أنك لو عُدْته لوجدتني عنده!؟

● يا ابنَ آدمَ: استطعمتُكَ فلم تطعمني؟ فيقول العبد: يا رب كيف أطعمكَ وأنت ربُّ العالمين؟ فيقول: أمَا علمتَ أنه استطعمَك عبدي فلانٌ فلم تُطْعِمه، أمَا عَلِمتَ أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي!؟

● يا ابنَ آدمَ: استسقيتُك فلم تَسْقني؟ فيقول: يا ربّ كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ فيقول: استسقاك عبدي فلان فلم تَسْقِيه! أمَا علمتَ أنك لو سقيتَه لوجدت ذلك عندي!؟» رواه مسلم.

سُورَة الطُّور

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنَّ الحورَ العينَ في الجنة، مملوكاتِ ملك يمينٍ، لا ملك نكاح؟

قلتُ: معناه قرنّاهم بهنَّ[١]، من قولك: زوَّجتُ إبلي أي قرنت بعضها إلى بعض، وليس من التزويج الذي هو عقدُ النكاح، ويؤيّده أن ذلك لا يُعدَّى بالباء بل بنفسه، كما قال تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

إن قلتَ: كيف قال تعالى في وصف أهل الجنة ذلك، مع أن المعنى: كل امرئ مرهونٌ في النَّارِ بعمله؟

قلتُ: بل المعنى كلُّ نفس مرهونةٌ بالعمل الصالح، الذي هي مطالبةٌ به، فإن عمل صالحاً فلها، وإلّا أوبقها، أو الجملةُ من صفاتِ أهل النار، معترضةٌ بين صفاتِ أهل الجنَّةِ، رُوي عن مقاتل أنه قال: معناه كلُّ امرئ كافرٍ بما عمل من الكفر، مرتَهنٌ في النار، والمؤمن لا يكون مرتهناً، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ . . .﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤].

قاله هنا وفي الإنسان[٢] بالواو، عطفاً على ما قبلَه، وقاله في الواقعة[٣] بغير واوٍ، لأنه حالٌ أو خبرٌ بعد خبر.

---

(١) معنى الآية: جعلنا لهم قرينات صالحات، وزوجات حساناً من الحور العين.

(٢) في الإنسان ﴿ويطوفُ عليهم ولدانٌ مُخَلَّدونَ إذا رأيتَهُمْ حسبتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثوراً﴾.

(٣) وفي الواقعة: ﴿يطوفُ عليهم ولدانٌ مُخَلَّدونَ. بأكْوَابٍ وأَبَاريقَ وكَأْسٍ من مَعِينٍ﴾.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن كلَّ أَحدٍ غيره كذلك؟

قلتُ: معناه فما أنت ـ بحمدِ اللّهِ وإنعامهِ عليكَ بالصِّدقِ والنبوَّة ـ بكاهنٍ ولا مجنون كما يقول الكفَّارُ، أو «الباءُ» هنا بمعنى «مع» كما في قوله تعالى: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢].

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] ذكر «أمْ» خمس عشرة مرة[1]، وكلُّها إلزامات، ليس للمخاطبين بها عنا جوابٌ.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا . . .﴾[2] [الطور: ٤٨] معنى الجمع هنا: التفخيمُ والتعظيمُ، أي بحيث نراك ونحفظك، ومثلُه قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

«تمت سورة الطور»

* * *

---

(١) الاستفهام بـ«أم» في المواضع الخمسة عشر للتوبيخ والتقريع والإنكار، ففي كل مرّة يسفِّهُ أحلامَهم، ويُزري بعقولهم، وكأنَّ هؤلاء المشركين النوابغ، خُشبٌ مسنَّدة، لا يعقلون ولا يدركون.

(٢) معنى ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي بحفظنا ورعايتنا نحرسك ونرعاك، ويا له من تعبير رائع، فاق كل أسلوب، في عناية اللّه ورعايته لعبده ورسوله محمد ﷺ.

سُورَةُ النَّجْم

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢].

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الضلالة والغواية متحدتان؟

قلتُ: لا نُسلِّم اتحادهما إذِ الضلالةُ ضدُّ الهُدى، والغِوايةُ ضدُّ الرشد.

أو المعنى: ما ضلَّ في قوله، ولا غوى في فعله.

وبتقدير اتّحادهما، يكونُ ذلك من باب التأكيد باللفظِ المخالف، مع اتّحادِ المعنى.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨، ٩].

إن قلتَ: كيف أدخَلَ كلمةَ الشكِّ، وهو مُحالٌ عليه تعالى؟

قلتُ: «أو» للتخيير لا للشكِّ، أي إن شئتم قدِّروا ذلك القرب بقاب قوسين، أو بأدنى منهما، أي هي بمعنى «بلْ»، أو للتشكيك لهم في قدرِ القُربِ.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

إن قلتَ: «رأى» هنا من رؤية القلب، فأينَ مفعولُها الثاني؟

قلتُ: هو محذوفٌ تقديره: أفرأيتموها بنات اللّهِ وأنداده؟ والمعنى: أخبروني ألهذِه الأصنام قدرةٌ على شيءٍ ما فتعبدونها، دون القادر على كل شيء؟!

فإن قلتَ: كيف وصفَ الثالثة بالأخرى، مع أنه إنما يُوصف بها الثانية، وظاهرُ اللفظِ يقتضي أن يكون قد سبق ثالثة، ثم لحقها أخرى، ليكون ثالثتَيْن؟

قلتُ: «الأُخرى» صفةٌ للعُزَّى، وإنما أخَّرها رعايةً للفواصل، أو صفةُ ذمٍّ للّاتِ، والعُزَّى، ومناة التي هي ثالثة اللّتيْن قبلها، فالأُخرى على هذا من التأخر في الرتبة.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ . . .﴾ [النجم: ٢٣].

قاله هنا وبعدُ، وليس بتكرار، لأن الأول متّصلٌ بعبادتهم اللّات والعُزَّى

ومناة، والثاني بعبادتهم الملائكة، والظنُّ فيها مذموم بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦] أي لا يقوم مقام العلم.

فإن قلتَ: كيف لا يقوم مقامه، مع أنه يقوم مقامه في كثيرٍ من المسائل كالقياس؟

قلتُ: المرادُ هنا: الظنُّ الحاصلُ من اتّباع الهوى، دون الظنّ الحاصل من الاستدلال والنظر، بقرينة قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾.

٥ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

إن قلتَ: ثوابُ الصَّدقة، والقراءة، والحج، والدعاء، يصل إلى المَّيت، وليس من سعيه؟

قلتُ: ما دلّت عليه الآية مخصوصٌ بقوم إبراهيم، وموسى، وهو حكايةٌ لما في صحفهما، أمَّا هذه الأمة فلها ما سَعَتْ وما سُعِيَ لها، أو هو على ظاهره، ولكنْ دعاءُ ولد الإنسانِ، وصديقه، وقراءتُهما وصدقتُهما عنه، من سعيهِ أيضاً، بواسطة اكتسابه القرابة، والصَّداقة، أو المحبَّة من الناس، بسبب التقوى والعمل الصالح.

٦ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥] أي تشكُّ، والخطابُ فيه للوليد بن المغيرة.

فإن قلتَ: كيف قال تعالى ذلك، بعد تعديد النِّقَم، والآلاءُ النِّعَمُ؟

قلتُ: قد تقدَّم أيضاً تعديدُ النِّعم، مع أن النِّقْمة في طيِّها نعمة، لما تضمَّنته من المواعظ والزواجر، والمعنى: فبأيِّ نعم ربك، الدالَّة على وحدانيته، تشكُّ يا وليد بن المغيرة؟

«تمت سورة النجم»

* * *

سُورَةُ القَمَر

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا . . .﴾ [القمر: ٩].

إن قلتَ: ما فائدةُ إعادةِ التكذيب فيه؟!

قلتُ: فائدتُه حكايةِ الواقع، وهو أنهم كذَّبوا تكذيباً بعد تكذيب، أو الأولُ تكذيبهُم بالتوحيد، والثاني بالرسالة، أو الأول تكذيبُهم باللَّه، والثاني برسوله ﷺ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢].

إن قلتَ: القياسُ «فالتقى الماءَان» ـ كما قُرِئ به شاذاً ـ أي ماء السَّماءِ، وماءُ الأرض[(١)]؟

قلتُ: أراد به جنس الماء، ووحَّده موافقةً لقوله قبلُ ﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، والجزاءُ إنما يكونُ للكافر لا للمكفور؟

قلتُ: إن قُرِئ «كَفَرَ» بالبناء للفاعل شاذاً، فالخبرُ للكافر، أو بالبناء للمفعول، والأصلُ: كُفِرَ به، حُذف الجارُّ وأوصل بمجروره الفعل، فالجزاء للمكفور به، وهو اللَّه تعالى، أو نوحٌ عليه السلام، والجزاء لكونه مصدراً[(٢)] يُضافُ تارةً للفاعل، وتارةً للمفعول.

---

(١) التعبيرُ هنا يوحي بالهول الشديد، والمعنى: أرسلنا عليهم المطر غزيراً متدفِّقاً، منصباً بشدَّة وكثرة، كأنه أفواهُ القِرَب، بشكلٍ لم تعهده الأرضُ قبل ذلك، وأصبحت الأرض عيوناً متفجرة بالمياه، فالتقى ماء السماء، وماءُ الأرض، على حال عجيبة قدَّرها اللَّه لإهلاك الطغاة المكذبين.

(٢) في المُصَوَّرة «قصد وانصاف» والصواب: مصدراً يُضاف، كما في مخطوطة جامعة أم القرى.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر: ٢٠]. ذكَّر وصفَ النخلِ هنا بـ «مُنْقَعِر» وأنَّثه في الحاقَّة بـ «خاوية»[١] رعايةً للفواصل فيهما، وجاز فيه الأمر نظراً إلى «لفظ» النخل تارةً فيُذكَّر، وإلى «معناه» أخرى فيُؤنَّث.

«تمت سورة القمر»

* * *

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿فَتَرى القَومَ فيها صَرْعَى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية﴾.

سُورَةُ الرَّحمن

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

قرنه برفعِ السَّماءِ، لأنه تعالى عدَّد نِعَمه على عباده، ومن أجَلِّها الميزان، الذي هو العدلُ، الذي به نظامُ العالم وقِوامُه.

وقيل: هو القرآن، وقيل: هو العقلُ، وقيل: ما يُعرف به المقاديرُ، كالميزان المعروف، والمكيال، والذراع[١].

إن قلتَ: ما فائدةُ تكرارِ لفظ الميزان ثلاث مرات، مع أن القياس بعد الأولى الإضمار[٢]؟

قلتُ: فائدتُه بيانُ أنَّ كلاً من الآياتِ مستقلة بنفسها، أو أن كلاً من الألفاظ الثلاثة، مغايرٌ لكلٍ من الآخرَيْنِ، إذِ الأول ميزان الدنيا، والثاني ميزان الآخرة، والثالث ميزان العَدْل[٣].

فإن قلتَ: قولُه ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨] أي لا تجاوزوا فيه العدل، مُغْنٍ عن الجملتين المذكورتين بعده؟!

قلتُ: الطغيانُ فيه: أخذُ الزائِد، والإِخسارُ: إعطَاءُ الناقص، والقسطُ: التوسط بين الطرفين المذمومين.

---

(١) هذا القول هو الأظهر، أي أمر بالميزان عند الأخذ والإعطاء، لينال الإنسان حقه وافياً كاملاً، فالميزان أساس التعامل بين البشر.

(٢) ذكر تعالى الميزانَ ثلاث مرّات، وفي كل مرة له معنى جديد، فالأولُ يرادُ به (العدلُ) والثاني يُراد به (الآلةُ) والثالث يُراد به (الشيءُ الموزون) والمرادُ من وراء ذلك كلّه: مراعاةُ العدل في جميع الأمور، العدلُ بين الناس، والعدلُ في المكيال، والعدلُ في الميزان، فمن انتهك الحدود وظلَم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة. اهـ من التفسير الواضح الميسّر.

(٣) في مخطوط الجامعة «العقلُ» والأظهرُ أن المراد به العدل، فهو الأليق بذكر الميزان.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

ذُكر هنا إحدى وثلاثين مرّة[(١)] ، **ثمانيةٌ** منها ذُكرت عَقِب آياتٍ، فيها تعداد عجائب خلقِ الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم.

ثم سبعةٌ منها عقب آياتٍ، فيها ذكرُ النار وشدائدها، بعدد أبواب جهنم[(٢)] ، وحَسُنَ ذكرُ الآلاء عَقِبها، لأن من جملة الآلاء، دفعُ البلاء وتأخير العقاب، وبعد هذه السبعة **ثمانيةٌ**، في وصف الجنتين وأهلهما، بعددِ أبواب الجنة.

وثمانيةٌ أخرى بعدها في الجنتين، اللتيْن هما دون الجنتين الأولَيَيْن، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢]. فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجبها، استحقَّ هاتيْنِ الثمانتيْن من الله، ووقَاه السبعةَ السابقةَ.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] أي من طينٍ يابس لم يُطبخْ، له صلصلةٌ أي صوتٌ إذا نُقِر.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك هنا، وقال في الحِجْر: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] أي من طينٍ أسود متغيِّر، وقال في الصافات ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١] أي لازم يلصق باليد، وقال في آل عمران ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾؟! [آل عمران: ٥٩].

قلتُ: الآياتُ كلُّها متفقةُ المعنى، لأنه تعالى خلقه من ترابٍ، ثم جعله طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً[(٣)] .

---

(١) إنما كرِّرت الآية ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ في هذه السورة إحدى وثلاثين مرّة، تذكيراً للعباد بنعم الرحمن عليهم، ليحمدوه ويشكروه، فعَقِبَ كلِّ نعمة يخاطب تعالى العباد بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾؟ تنبيهاً لهم إلى نِعَمه تعالى الجليلة التي لا تُحصى.

(٢) أبواب جهنم سبعة، لقوله تعالى: ﴿وإنَّ جهنَّم لموْعِدُهم أجْمَعِين. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُوم﴾.

(٣) هذه مراحل وأطوار في خلق الإنسان، وفي كل سورة إشارة إلى بعض هذه الأطوار، فإنه تعالى خَلَقَه من تراب الأرض، ثمّ عُجِنَ بالماء فصار طيناً لازباً، أي متلاصقاً يلصق باليد، ثم تركه حتى صار حمأً مسنوناً، أي طيناً أسود منتناً، ثم يبس فصار كالفخار له صوت وصلصلة.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

إن قلتَ: لِمَ كرَّر ذكر الربِّ هنا، دون سورتيْ: المعارج، والمزمِّل؟

قلتُ: كرَّره هنا تأكيداً، وخُصَّ ما هنا بالتأكيد لأنه موضع الامتنان، وتعديد النِّعم، ولأن الخطاب فيه من جنسين هما: الإنس، والجنُّ، بخلاف ذَيْنك.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [١] [الرحمن: ٣١]. أي سنقصد لحسابكم، فهو وعيدٌ وتهديدٌ لهم، فالفراغ هنا بمعنى القصدُ للشيء، لا بمعنى الفراغ منه، إذ معنى الفراغ من الشيء، بذلُ المجهود فيه، وهذا لا يُقال في حقه تعالى.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. أي ولمن خاف قيامه بين يديْ ربه، والمعنى لكل خائفٍ من الفريقين جنتان: جنةٌ للخائف الإنسيّ، وجنةٌ للخائف الجنيّ، أو المعنى لكل خائفٍ جنتان: جنةٌ لعقيدته، وجنةٌ لعمله، أو جنةٌ لفعل الطاعات، وجنةٌ لترك المعاصي، أو جنةٌ يُثَابُ بها، وجنةٌ يتفضَّل بها عليه، أو المرادُ بالجنَّتيْنِ جنةٌ واحدة، وإنما ثنَّى مراعاةً للفواصل.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [٢] [الرحمن: ٥٦] جمع الضمير [٣] مع أن قبله جنتان، لرجوعه إلى الآلاء المعدودة في الجنتين، أو إلى الجنتين، لكِنْ جَمَعه لاشتمالهما على قصورٍ ومنازل، أو

---

(١) الآية وردت مورد الوعيد والتهديد أي سنتفرغ لكم ونتجرد لحسابكم يا معشر الإنس والجن، وهذا على طريقة العرب في أسلوب التهديد، يقول الرجل لمن يتوعده: سأفرغ لك أي سأتجرد للانتقام منك من كل ما يشغلني، قال ابن عباس: هذا وعيدٌ، وليس بالله تعالى شُغلٌ وهو فارغ، وانظر ابن كثير ٣/ ٤١٩.

(٢) الأظهر أن المعنى: لكل عبدٍ منيبٍ خائف من الله جنان: جنةٌ لسكنه، وجنة لزوجاته وخدمه، كما هو حال الملوك والعظماء في الدنيا، حيث يكون له قصر، ولزوجاته قصر، زيادة في الرفاهية والتنعم.

(٣) المرادُ بالضمير قوله: «فيهنَّ» فقد جاء بصيغة الجمع، لا التثنية مثل قوله: فيهما، مع أن ما قبله مثنًى.

إلى المنازل والقصور التي دلَّ عليها ذكرُ الجنَّتَيْن، أو إلى الفُرُشِ لقربها، وتكون «في» بمعنى «على» كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨] أي عليه، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي لم يفتضَّ الإِنسيَّاتِ إنسيٌّ، ولا الجنيَّاتِ جنيٌّ.

«تمت سورة الرحمن»(*)

***

(*) **تنبيه هام**: هذه السورة الكريمة هي سورةُ «النِّعَم» تُسمَّى «عروسَ القرآن» وتُسمَّى سورةَ «الرحمٰن»! بدأها تعالى بذكر اسم من أعظم أسمائه الحُسْنى، وهو اسمُ (الرحمن) لينبِّه عباده أن نعمةَ (الخلقِ، والتربيةِ، والنطقِ، والتعليم) كلُّ هذه النِّعَم، من فيوضات اسمه الجليل (الرحمٰن) فمن رحمته سبحانه بالعباد، تعليمُهم، وهدايتُهم، وإنزالُ القرآن المجيد عليهم، نوراً وهدى للعالمين.
وقد كان المشركون إذا سمعوا لفظ «الرحمٰن» أنكروه وقالوا: لا نعرفُ الرحمٰن!! كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿**وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً**﴾ [الفرقان: ٦٠] فردَّ عليهم هذا السَّفه والجهل، وذكَّرهم أن الرحمٰن الذي أنكروه، هو الذي خَلَقهم وأوجدهم، وهو الذي جعلهم ينطقون بألسنتهم، دون سائر الحيوانات!! وقدَّم سبحانه تعليمَ القرآن، على خلق الإنسان، مع أن الإنسانَ يُخلق، ثم بعد الطفولة يبدأ بتعلم القرآن، لينبِّه على فضله عليهم (بتعلُّم القرآن) وأنها تفوق في المنزلة على الخلق، والمراد بقوله: ﴿**علَّمه البيان**﴾ يعني ألهمه النطق باللسان، فالإنسانُ وحدَه هو الناطقُ، وسائر الحيوانات لها أصواتٌ، لكنها لا تتكلم ولا تنطق، ولهذا تسمى (بهائم) لأنها أُبهِمتْ عن النطق والكلام، وهذا النُّطقُ سرٌّ من أسرار القدرة الباهرة، فسبحان الإله العظيم، الذي أقْدرَ الإنسانَ (أن ينطِق بلحم، ويُبْصِر بشحم، ويسمع بعظم)!!

سُورَةُ الوَاقِعَة

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١] فائدة التكرار فيه التأكيدُ، في مقابلة التأكيد في ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٨، ٩] كأنه قال: هم المعروفُ حالُهم، المشهورُ وصفُهم.

أو المعنى: والسابقون إلى طاعة اللَّه، هم السابقون إلى رحمته وكرامته..

ثم قيل المرادُ بهم: السابقون إلى الإيمان من كل أمة، **وقيل**: الذين صلَّوا إلى القبلتيْنِ، **وقيل**: هم أهلُ القرآن، **وقيل**: السابقون إلى المساجد، وإلى الخروج في سبيل اللَّه، **وقيل**: هم الأنبياءُ صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧].

إن قلتَ: كيف قال ذلك؟ مع أن التخليد لا يختصُّ بالولدانِ في الجنة؟

قلتُ: معناه أنهم لا يتحوَّلون عن شَكْلِ الولدان، والمرادُ بهم هنا ولدانُ المسلمين، الذين يموتون صغاراً، ولا حَسَنة لهم.

وقيل: ولدانٌ على سنٍّ واحدٍ، أنشأهم اللَّه لأهل الجنة[(١)]، يطوفون عليهم، من غير ولادة، لأن الجنَّة لا وِلَادةَ فيها.

وقيل: أطفالُ المشركين وهم خدمُ أهل الجنة.

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧].

أي فهلَّا تُصدِّقون بأنَّا خلقناكم!!

---

(١) هذا هو الصحيح من الأقوال، أن هؤلاء الوِلْدان خُلقوا لخدمة أهل الجنة، يخلقهم اللَّه خلقاً جديداً، كالحور العين في الجنة، وهم غِلمانٌ في نضارة الصِّبا، وجمال الصورة والهيئة، لا يكبرون ولا يهرمون، يطوفون بكؤوس الخمر على أهل الجنة، كما ذكر تعالى في وصفهم **﴿يطوف عليهم ولدان مخلَّدون. بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾** والكأسُ يراد به الخمر، والمعينُ الجارية من العيون.

إن قلتَ: كيف قال ذلك مع أنهم مصدِّقون بذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

قلتُ: هم وإنْ صدَّقوا بألسنتهم، لكنْ لما كان مذهبهم، خلافَ ما يقتضيه التصديقُ، كانوا كأنهم مكذِّبون به، أو أن ذلك تحضيضٌ على التصديق بالبعث بعد الموت، بالاستدلال بالخلق الأول، فكأنه قال: هو خَلَقَكم أولاً باعترافكم، فلا يمتنع أن يعيدكم ثانياً، فهلَّا تُصدِّقون بذلك!!

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾؟! [الواقعة: ٥٨] ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾؟! [الواقعة: ٦٣] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾؟! [الواقعة: ٦٨] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾؟! [الواقعة: ٧١].

بدأ بذكر خلق الإنسان، ثم بما لا غنى له عنه، وهو الحبُّ الذي منه قوته، ثم بالماء الذي به سوغُه وعجنُه، ثم بالنَّارِ الذي بها نضجُه وصلاحُه، وذكرَ عَقِب كلٍ من الثلاثة الأولى ما يُفسده، فقال في الأولى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠] وفي الثانية: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥] وفي الثالثة: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠] ولم يقل في الرابعة ما يُفسدها، بل قال: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣] أي جعلناها تذكرةً تَتَّعظُون بها، ومتاعاً للمسافرين ينتفعون بها.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥].

ذكَرَ في جواب «لو» في الزرع اللَّام عملاً بالأصل، وحَذَفها منه في الماء اختصاراً، لدلالة الأول عليه، أو أن أصل هذه اللام للتأكيد، وهو أنسبُ بالمطعوم، لأنه مقدَّمٌ وجوداً، ورُتبةً على المشروب.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] أي نزِّهْ ربَّك فقوله: «باسم» زائدٌ، أو المعنى: نَزِّهْ اسم ربك، فالباء زائدةٌ والاسم باقٍ على معناه، أو هو بمعنى الذات، أو بمعنى الذِّكر، أو الباءُ متعلقةٌ بمحذوفٍ.

والمرادُ بالتسبيح الصلاةُ[1] وباسم ربك: التَّكْبيرُ، أي افتتحْ الصلاةَ بالتكبير.

---

(١) سورة الواقعة آية (٧١) الآيات وردت لإقامة الأدلة والبراهين على وجود اللّه، ووحدانيته وكمال قدرته، في بدائع خلقه وصنعه، وذلك في خلق الإنسان، وإخراج النبات من =

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

إن قلتَ: القرآن صفةٌ قديمةٌ، قائمةٌ بذات اللَّه تعالى، فكيف يكون حالاً في «كتاب مكنون» أي لوحٍ محفوظ، أو مصحفٍ؟!

قلتُ: لا يلزم من كتابته في كتابٍ، حُلولُه فيه، كما لو كُتِبَ على شيءٍ ألف دينارٍ، لا يلزم منه وجودها فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فثبت أنه ليس حالّاً في شيءٍ من ذلك، بل هو كلام اللَّهِ تعالى، وكلامه صفةٌ قديمةٌ به لا تفارقه.

فإن قلتَ: إذا لم تفارقه فكيف سمَّاه منزَّلاً؟

قلتُ: معنى «إنزاله تعالى له» أنه علَّمه جبريل، وأمَره أن يعلِّمه النبي ﷺ، ويأمره أن يُعلِّمه لأمته، مع أنه لم يزل ولا يزال، صفة للَّهِ تعالى، قائمةً به لا تفارقه.

«تمت سورة الواقعة»(*)

* * *

= الأرض، وإنزال الماء من السماء، وما أودعه اللَّه من القوة في النار، وهي من الشجر الأخضر، فسبحان الواحد القهار!!

(*) الأظهر أن التسبيح على حاله، يراد به ذكر اللَّه تعالى على الدوام، كما قال سبحانه: ﴿وتُسبِّحوه بُكْرَةً وأَصِيلاً﴾ أي في الصباح والمساء، وفي كل وقتٍ وحين.
تنبيه: ورد في فضل هذه السورة الكريمة أنَّ من قرأها كلَّ ليلة لم تصبه فاقة أبداً، فقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن (أبي ظَبْيَة) في قصة عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أنه قال: «مرِضَ عبدُ اللَّه بنُ مسعود مرضَه الذي تُوفي فيه، فعاده (عثمانُ بن عفان) رضي اللَّه عنه ـ وكان حينئذٍ خليفة المسلمين ـ فسأله: ماذا تشتكي؟ ـ أيْ من أيِّ وجعٍ تشكو ـ فقال له ابنُ مسعود: ذنوبي!! قال: فماذا تشتهي؟ ـ يعني أيَّ طعام تحبُّهُ لنحضره لك ـ قال: رحمةَ ربي!! قال: ألَا آمرُ لك بطبيب، يعالجك ويداويك؟ قال: الطبيبُ أمرضني ـ يقصد ابنُ مسعود ربَّ العزَّةِ والجلال ـ فقال له عثمانُ: ألَا آمرُ لك بعَطَاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، فأنا على أبواب الوفاة!! قال: يكون لبناتك من بعدك؟ ـ وكان عند ابن مسعودٍ خمسَ بنات ـ قال: أوَتخاف على بناتي الفقر؟ إني أمرتُ بناتي أن يقرأن كلَّ ليلةٍ سورة الواقعة، وإني سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعةِ كلَّ ليلة، لم تصبه فاقةٌ ـ أي فقر وحاجة ـ أبداً» رواه ابنُ عساكر، وأبو يعلى، وذكره الحافظ ابنُ كثير ٤/ ٣٠٢.

سُورة الحديد

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ . . .﴾ [الحديد: ١] عبَّر هنا وفي الحشر والصفُّ بالماضي[(١)]، وفي الجمعة[(٢)] والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر[(٣)]، وفي الإِسراء بالمصدر[(٤)]، استيعاباً للجهات المشهورة لهذه الكلمة، وبدأ بالمصدر في الإِسراء ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ لأنه الأصلُ، ثم بالماضي لسَبْقِ زمنه، ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل، ثم بالأمر لخصوصه بالحال، مع تأخره في النطق به، في قولهم: فَعَلَ، يَفْعَل، افعَلْ، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الحديد: ٤] و﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الحديد: ٥] وقاله في الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ والصفّ، والجمعة، والتغابن بإثباتها[(٥)]، عملاً بالأصل.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ . . .﴾ الآية [الحديد: ٥].

ذكره مرتين وليس بتكرارٍ، لأن الأول في الدنيا، لقوله عَقِبه ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ [الحديد: ٢].

والثاني في العُقبى لقوله عَقِبَه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الحديد: ٥].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ . . .﴾

---

(١) قال تعالى في الحشر: ﴿سَبَّحَ للَّهِ ما في السَّمَوَاتِ وما في الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحكيمُ﴾.

(٢) وقال في الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ للَّهِ ما في السمواتِ وما في الأَرْضِ . .﴾ الآية.

(٣) وقال في الأعلى: ﴿سبح اسمَ رَبِّكَ الأعلَى﴾.

(٤) وقال في الإِسراء: ﴿سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلاً . .﴾ الآية. وكلُّ ذلك لينبهنا تعالى، على أنه تعالى ينزِّههُ كلُّ ما في الكون، في الماضي، والحاضر، والمستقبل، بجميع صيغ التسبيح، وبشتى صور التسبيح والتنزيه.

(٥) أي بإثبات ﴿ما في﴾ في هذه السور الكريمة، وأمّا في سورة الحديد، فجاءت بدونها ﴿سبّح للَّه ما في السمٰوات والأرض﴾ ولم يذكر «ما في».

[الحديد: ١٠] تقديره: من أنفق وقاتل قبلَ الفتح، ومن أنفق وقاتَلَ بَعده، لأن الاستواء إنما يكون بين اثنين فأكثر، وإنما حَذَفه لدلالة ما بعده عليه.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد: ١٩] سمّاهم شهداءَ تغليباً، أو المرادُ لهم أجرُ الشُّهداء، وإلا فبعضُهم لم يُقتل، حتى يكونَ شَهيداً.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ...﴾ الآية [الحديد: ٢٢].

قاله هنا، وقال في التغابن: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ [التغابن: ١١] فصَّل هنا، وأجمل ثَمَّ(١)، موافقةً لما قبلهما، لأنه فصَّل هنا بقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية [الحديد: ٢٠]، بخلافه ثَمَّ.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ...﴾ [الحديد: ٢٣] ليس المرادُ به الانتهاء عن الحزن والفرح، اللَّذَينِ لا ينفكُّ عنهما الإِنسانُ بطبعه، بل المرادُ الحزنُ المُخْرِجُ لصاحبه إلى الذُّهول، عن الصبر والتسليم لأمر اللَّه تعالى، والفرحُ المُلْهي عن الشكر، نعوذ باللَّه منهما.

٧ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ ...﴾ [الحديد: ٢٥].

المرادُ بالميزان: العدلُ، أو العقل، وقيل: هو الميزان المعروف، أنزله جبريل عليه السلام، فدفعه إلى نوح عليه السلام، وقال له: مرْ قومَكَ يَزِنُوا به.

٨ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ...﴾ [الحديد: ٢٨].

إن قلتَ: كيف قال ذلك مع أن المؤمنين مؤمنون برسوله؟!

قلتُ: معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى، آمنوا بمحمد ﷺ، فيكون

---

(١) أي اقتصرَ على قوله: ﴿بإذنِ اللّهِ﴾ ولم يذكر قولَه: ﴿في الأرض ولا في أنفسكم﴾ لأنه في سورة الحديد جاء الحديث مفصّلاً في قوله تعالى: ﴿إعلموا أنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولَهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم...﴾ الآية.

خطاباً لأهل الكتاب خاصة، أو معناه: يا أيها الذين آمَنوا يوم الميثاق، آمِنوا باللَّه ورسوله اليوم،أو يا أيها الذين آمنوا في العلانية باللسان، اتقوا اللَّه وآمنوا برسوله في السِّر بتصديق القلب[١].

«تمت سورة الحديد»

* * *

(١) الأرجح أن المراد: أثبتوا على الإِيمان، وواظبوا عليه، باتباع شريعة نبيِّه محمد ﷺ، فهو كقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذينَ آمَنوا آمِنوا باللَّهِ ورسُولِهِ..**﴾ الآية، أي أثبتوا على إيمانكم ودينكم، ولا تتركوا دينكم فتَهلكوا.

سُورَة المُجَادَلة

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ...﴾ [المجادلة: ٢].

قال ذلك هنا، وقال بعده ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [المجادلة: ٣] لأن الأول خطابٌ للعرب خاصة، وكان طلاقهم في الجاهلية الظهار، والثاني بيان أحكام الظهار للنَّاسِ عامة.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤].

ختمه هنا بـ«أليمٌ» وبعده بـ«مهينٌ» لأن الأول متَّصل بضدِّه وهو الإيمان، فتوعَّدهم على الكفر بالعذاب الأليم، الذي هو جزاء الكافرين، والثاني متصل بقوله: «كُبِتوا» وهو الإذلالُ والإهانة، فوصف العذاب بمثل ذلك فقال: «مهين».

٣ ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ...﴾ الآية [المجادلة: ٧].

إن قلتَ: لمَ خصَّ «الثلاثة» و«الخمسة» بالذِّكر؟

قلتُ: لأن قوماً من المنافقين تحلَّقوا للتناجي، وكانوا بعدَّة العدد المذكور، مغايظةً للمؤمنين، فنزلت الآية[1] بصفة حالهم عند تناجيهم، أو لأن

---

(١) غرض الآية أنه تعالى لا يخفى عليه سرّ ولا علانية، فإنه لا يحدث سرّ أو كلامٌ في الخفاء، بين ثلاثة أشخاص إلا كان اللَّه رابعهم بعلمه، يعلم ما يتحدثون ويتهامسون به، ولا يقع حديثٌ ولا مناجاة بين خمسة أشخاص، إلَّا كان اللَّه معهم بعلمه، والمرادُ بالمعيَّة معيَّةُ العلم لا معيَّةُ الذات، ومما يدلُّ عليه أن اللَّه تعالى بدأ الآية بالعلم فقال: ﴿ألم تر أنَّ اللَّه يعلمُ﴾ وختمها بالعلم فقال: ﴿إنَّ اللَّه بكل شيءٍ عليمٌ﴾، قال ابن كثير: وقد حكى غير واحدٍ الإجماع على أن المراد بالمعيَّة في هذه الآية، معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، فسمعه مع علمه محيطٌ بهم، لا يغيب عنه من أمورهم شيء. المختصر ٣/ ٤٦١.

العدد الفرد أشرفُ من الزوج، لأن الله تعالى وترٌ يحبُّ الوتر، فخُصِّص العددان المذكوران بالذّكر، تنبيهاً على أنه لا بدَّ من رعاية الأمور الإلَهية في جميع الأمور، ثم بعدد ذكرهما زيد عليهما ما يعمُّ غيرهما من المتناجين بقوله: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [المجادلة: ٧] تعميماً للفائدة.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الحديد: ١٤] أي أنهم كاذبون.

إن قلتَ: ما فائدةُ الإخبار عنهم بذلك؟

قلتُ: فائدتُه بيانُ ذمِّهم بارتكابهم اليمين الغموس.

«تمت سورة المجادلة»

* * *

سُورة الحشْر

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ . . .﴾ الآية [الحشر: ٦].

قاله هنا بالواو، عطفاً على قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] وقاله بعد بحذفها[1]، لأنه مستأنفٌ عمَّا قبلهِ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ . . .﴾[2] [الحشر: ٩].

«الدَّارَ» أي المدينة اتخذوها منزلاً، فقولُه بعده ﴿وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ منصوبٌ بـ«تبوَّءوا» بتضمنه لزموا، أو بمقدَّر أي واعتقدوا، أو وأخلصوا، أو واختاروا الإِيمان، لأن الإِيمان لا يُتَّخذ منزلاً، فهو على الثاني من باب «علفتُها تِبْناً وماءً بارِداً» أو منصوب بتبوءوا بلا تضمين، على أنه مجازٌ، بجعله منزلاً لهم، لتمكنهم فيه كتمَكُّنِهم في المدينة، ففي «تبوَّءُوا» جمعٌ بين الحقيقة والمجاز، وهو جائزٌ عند الشافعي رضي اللَّه عنه.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ . . .﴾ [الحشر: ١٢].

إن قلتَ: «إنْ» الشرطية إنما تدخل على ما يحتمل وجوده وعدمه، فكيف قال تعالى ذلك، مع إخباره بأنهم لا ينصرون؟

قلتُ: معناه: ولئن نصروهم فَرْضاً وتقديراً، كقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣] أي

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ما أفاء اللَّه على رسُولِهِ من أهلِ القُرى . .﴾ آية (٧).

(٢) معنى الآية: والذين اتخذوا المدينة منزلاً وسكناً، واعتقدوا الإِيمان وأخلصوه، وهم الأنصار رضوان اللَّه عليهم.

أشدُّ خوفاً في صدور المنافقين أو اليهود، وظاهرُه لأنتم أشدُّ خوفاً من اللَّه تعالى.

فإن قلتَ: إن عُلِّق قولُه ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأشدَّ، لزم ثبوتُ الخوف للَّهِ وهو مُحال، أو بالرهبة لزم كونُ المؤمنين أشدَّ خوفاً من المذكورين، وليس مراداً؟

قلتُ: الرهبةُ مصدر «رُهِب» بالبناء للمفعول هنا، فالمعنى أشدُّ مرهوبيةً، يعني أنكم في صدورهم أهيبُ من كونِ اللَّه تعالى فيها، ونظيرُه قولُك: زيدٌ أشدُّ ضرباً في الدار من عمرو، يعني مضروبيةً.

٥ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

ختمه هنا بقوله: «لا يفقهون» وبعده بقوله: «لا يعقلون»(١) لأن الأول متصل بقوله: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي لأنهم يفقهون ظاهر الشيء دون باطنه، والفقهُ معرفةُ الظاهر والباطن، فناسب نفيُه الفقه عنهم.

والثاني متَّصلٌ بقوله: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر: ١٤] أي لو عقلوا لاجتمعوا على الحقِّ ولم يتفرَّقوا، فناسب نَفيُ العقلِ عنهم.

إن قلتَ: كيف يستقيم التفضيلُ بأشدِّيةِ الرهبة، مع أنهم لا يرهبون اللَّه، لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر؟!

قلتُ: معناه أن رهبتَهم في السرِّ منكم، أشدُّ من رهبتهم من اللَّه تعالى، التي يظهرونها لكم، وكانوا يُظهرون للمؤمنين رهبةً شديدةً من اللَّه تعالى.

٦ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ . . .﴾ [الحشر: ١٨] أي ليوم القيامة، وفائدة تنكير النَّفْس، بيانُ أنَّ الأنفس الناظرة في معادها قليلةٌ جداً، **كأنه قيل**: ولْتنظرْ نفسٌ واحدةٌ في ذلك، وأين تلك النَّفسُ!! **وفائدةُ** تنكير «الغَدِ» تعظيمُه، وإبهامُ أمره، كأنه قيل: لا تعرف النفسُ كُنه عَظَمتِهِ وهولِه، فالتنكيرُ فيه للتعظيم، وفي النَّفس للتقليل.

فإن قلتَ: الغَدُ اليومُ الذي يعقب ليلتك، فكيف أُطلق على يوم القيامة؟

قلتُ: الغَدُ له معنيان: ما ذكرتم، ومطلقُ الزمان والمستقبل، كما أن للأمسِ معنييْن مقابلين لما ذكرنا، **وقيل**: إنما أطلق الغد على يوم القيامة تقريباً

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿**تحسبُهم جميعاً وقلوبُهم شتَّى ذلِكَ بأنهُمْ قومٌ لا يعقلون**﴾.

له، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] فكأنه لقربه أشبهَ اليومَ الذي يعقب ليلتك.

٧ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا ...﴾ الآية [الحشر: ٢١]، أي لو جعلنا في جبل ـ على قساوته ـ تمييزاً كما في الإِنسان، ثم أنزلنا عليه القرآن، لتَشقَّق خشيةً من اللَّه تعالى، وخوفاً ألَّا يؤدي حقه في تعظيم القرآن.

والمقصودُ تنبيهُ الإِنسان على قسوة قلبه، وقلَّةِ خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضِه عن تدبر زواجره.

٨ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ...﴾ [الحشر: ٢٤].

الخالقُ: هو الذي قدَّر ما يوجده، **والبارىءُ**: هو الذي يُميِّز بعضَه عن بعضٍ بالأشكال المختلفة.

وقيلَ: الخالقُ: المبدي، والبارئ: المعيدُ.

«تمت سورة الحشر»

* * *

سُورة المُمْتَحِنَة

١ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

بدأه هنا بـ«تُلقُونَ» وبعده بـ«تُسِرُّونَ» تنبيهاً بالأول على ذمِّ مودَّة الأعداء، جهراً وسِرّاً، وبالثاني على تأكيد ذمِّها سرّاً، وخَصَّ الأول بالعموم لتقدمه، وباءُ «بالمودَّة» زائدةٌ، وقيل: سببيَّةٌ، والمفعولُ محذوفٌ والتقديرُ: يُلْقون إليهم أخبار النبي ﷺ، بسبب المودَّة التي بينكم وبينهم.

٢ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ . . .﴾ [الممتحنة: ٤].

قاله هنا بتأنيث الفعل مع الفاصل، لقربه وإن جاز التذكيرُ، وأعاده في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة: ٦] بتذكيره مع الفاصل، لكثرته وإن جاز التأنيثُ، وإنما كرَّر ذلك، لأن الأول في القول، والثاني في الفعل، وقيل: الأول في إبراهيم، والثاني في محمد ﷺ.

٣ ـ قَولُه تَعالَى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ . . .﴾ [الممتحنة: ٤] مستثنى من قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤] ليس مستثنى، وإنما ذُكر لكونه من تمام قول إبراهيم عليه السلام، كأنه قال: أنا أستغفر لك، وليس في طاقتي إلَّا الاستغفار[١].

«تمت سورة الممتحنة»

* * *

(١) أمر اللّه تعالى المؤمنين بالاقتداء بالخليل إبراهيم عليه السلام، في عداوة المشركين والتبرؤ منهم، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، لأنه إنما استغفر له رجاء إسلامه، فلما ظهر له عداوته للّه تبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿فلما تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . .﴾.

سُورَةُ الصَّفّ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥].

فائدةُ ذكر «قد» التأكيد أو التكثيرُ، كما تكون للتقليل[(١)].

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

إن قلتَ: كيف خصَّ عيسى «أحمد» بالذكر دون «محمد» مع أنه أشهر أسماء النبي ﷺ؟

قلتُ: خصَّه بالذِّكر لأنه في الإِنجيل مسمَّى بهذا الإِسم، ولأن اسمه في السَّماء أحمد[(٢)] فذُكر باسمه السَّماوي، لأنه أَحْمدُ الناسِ لربه، لأن حمده لربه، بما يفتحه اللَّه عليه يوم القيامة من المحامد، قبل شفاعته لأمته، سابقٌ على حمدهم له تعالى، على طلبه الشفاعة من نبيّه ﷺ لهم.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [الصف: ٧].

قاله هنا بتعريف الكذب، إشارةً إلى قول اليهود ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وقاله في مواضع بتنكيره[(٣)]، جرياً على الأكثر، من استعمال المصدر مُنكَّراً.

---

(١) الأصل أنَّ «قد» إذا دخلت على الماضي تفيدُ التحقيق مثل ﴿قد جاءكُمْ منَ اللَّهِ نُورٌ﴾ وإذا دخلت على المضارع تفيد التقليل، كقولهم: قد يجود البخيلُ، وقد ينزلُ المطر، ولكنها في القرآن الكريم تفيد التأكيد والتحقيق، سواءً دخلت على الماضي أو المضارع كقوله: ﴿قَدْ يعلمُ اللَّه﴾ وقوله: ﴿قد جَاءَكُمْ منَ اللَّهِ نورٌ وكتَابٌ مُبِينٌ﴾.

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناسُ على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو اللَّه بي الكفر، وأنا العاقب» أي الذي لا نبي بعده.

(٣) كقوله تعالى: ﴿ومَنْ أظلمُ ممن افترى على اللَّه كذباً أو كذَّب بآياته..﴾.

٤ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ... ﴾ [الصف: ٨] اللّام زائدةٌ للتأكيد في مفعول «يريد» وأصلُهُ يُريدون أن يُطفئوا، كما في براءة[1]، أو تعليلية والمفعولُ محذوفٌ تقديره: يريدون إبطال القرآن ليطفئوا.

٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ ... ﴾ [الصف: ١٢] مجزومٌ جواباً للأمر المأخوذ من «تُؤمنون» أو جواباً للاستفهام في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ ﴾؟ [الصف: ١٠] أو مجزومٌ بشرطٍ مقدَّر أي إنْ تُؤمنوا يغفر لكم.

٦ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ الآية [الصف: ١٤].

إن قلتَ: ظاهرهُ تشبيهُ كونهم أنصار اللَّه، بقول عيسى عليه السلام: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] وليس مراداً؟!

قلتُ: التشبيهُ محمولٌ على المعنى، تقديره: كونوا أنصارَ اللَّهِ كما كانَ الحواريون أنصاراً لعيسى حين قال لهم: من أنصاري إلى اللَّهِ؟

«تمت سورة الصف»

* * *

(١) في براءة: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾.

سُورَة الجُمُعة

١ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

إن قلتَ: ما وجهُ التقييدِ في بعث الرسول، بكونهِ أمّياً منهم؟

قلتُ: مشاكلةُ حاله لأحوالهم، فيكون أقربَ إلى موافقتهم له، أو انتفاء سوء الظنّ عنه ﷺ[١]، في أنَّ ما دعاهم إليه، تعلّمه من كُتُبٍ قرأها، وحِكَم تلاها.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ...﴾ [الجمعة: ٩].

المرادُ بالسعي هنا: القصدُ لا العَدْوُ[٢] كقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] وقول الداعي: وإليكَ نَسْعَى ونحفِدُ.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ...﴾ [الجمعة: ١١] فيه حذفٌ تقديره: وإذا رأوا تجارةً انفضُّوا إليها، أو لَهْواً انفضُّوا إليه، فَحُذِف الثاني لدلالة الأول عليه، وقرأ ابن مسعودٍ: «انفضُّوا إليهما»[٣] وعليه فلا حذف.

«تمت سورة الجمعة»

* * *

(١) كما قال تعالى: ﴿وما كُنتَ تَتْلُو من قَبْلهِ من كتابٍ ولا تَخُطُّه بِيَمِينِكَ، إذاً لَارْتَابَ المُبْطِلُونَ﴾.

(٢) معنى العَدْوِ: الركضُ، قال الحسن البصري رضي اللّه عنه: واللّه ما هو بالسّعي على الأقدام، ولكنه سعيٌ بالقلوب، والنيّة، والخشوع، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلّا وعليهم السكينةُ والوقار.

(٣) هذه قراءة شاذة لا يمكن أن يُعتمد عليها لأنها خالفت قراءة الجمهور.

سُورَة المُنافِقُون

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] أي في شهادتهم التي يعتقدونها، فالتكذيبُ للشهادة، لا للمشهود به[١].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣]، «ذلِكَ بأنَّهمْ» أي المنافقين «آمنوا ثُمَّ كَفَرُوا» أي آمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم، فـ«ثُمَّ» للترتيب الإِخباري لا الإِيجادي.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، «كُلّ» مفعول أول ليحسب، و«عليهم» مفعولٌ ثانٍ له، والتقديرُ: يحسبون كل صيحةٍ واقعةً عليهم، وقولُه «هم العَدُوُّ» استئنافٌ، وقيل: هو المفعول الثاني ليحسب، وعليه فـ«عليهم» حالٌ.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

ختمه هنا بـ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ وبعده بـ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢] لأن الأول متَّصلٌ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] وفي معرفتها غموضٌ يحتاج إلى فِطنةٍ وَفِقْه، فناسبَ نفيَ الفقه عنهم، والثاني متصلٌ بقوله ﴿وَلِلَّهِ

---

(١) المشهود به هو لأنَّ محمداً رسولُ، الله فاللهُ تعالى كذَّبهم في هذه الدعوى، التي قالوها بألسنتهم دون اعتقادهم بها، ولهذا جاءت الجملة الاعتراضية ﴿والله يَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ولو لم تُذكر هذه الجملة، لأوهم أن قولهم: (محمد رسول الله) كذبٌ، وأن الله لم يرسله رسولاً للخلق، فتنبَّهْ لهذا السرِّ الدقيق.

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿ولِلهِ العِزَّةُ ولرسولِه وللمؤمنين ولكنَّ المنافقينَ لا يَعْلمونَ﴾ إنما ختم الأولى بقوله: ﴿لا يفقهون﴾ لأن الرزق والعطاء، راجعٌ إلى الحكمة والتدبير، فالمنافقون لم يدركوا حكمة الله، ولم يفقهوا تدبيره في الغنى والفقر، فلذلك يقولون ما يقولون، وختم الثانية بقوله: ﴿لا يعلمون﴾ لأنها متعلقة بالعزة والغلبة وهي من أسرار العلم الإلٓهي، فتدبر أسرار القرآن.

ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] وفي معرفتها غموضٌ زائدٌ، يحتاج إلى علم، فناسب نفيَ العلم عنهم، فالمعنى: لا يعلمون أن اللَّه معزُّ أوليائه، ومذلُّ أعدائه.

«تمت سورة المنافقين»

* * *

سُورَةُ التَّغَابُن

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١].

كرَّر «ما» هنا وفي قوله بعدُ ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤] تأكيداً وتعميماً للاختلاف، فناسبَ ذكرُ «ما» فيهما، لأن تسبيحَ ما في السَّمواتِ، مخالفٌ لتسبيح ما في الأرض، كثرةً وقلَّةً، ووقوعاً، من حيوانٍ وجماد، وأسرارُنا مخالفةٌ لعلانيتنا، فناسب ذكرُ «ما» فيهما، ولم يكرِّرها في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [التغابن: ٤] لعدم اختلاف علمه تعالى، إذْ علمُه بما تحتَ الأرض، كعلمه بما فوقها، وعلمُه بما يكونُ كعلمِه بما كان، فناسب حذفها فيه.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ [التغابن: ٦].

قولُه ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ مُرتَّبٌ على قولِه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

فإن قلتَ: ظاهرُه أن استغناءه بعد إتيانِ الرسل بالبيِّنات، مع أنه مستَغْنٍ دائماً؟!

قلتُ: معناه ظهر استغناؤه عن إيمانهم، حيث لم يُلجئْهم إليه مع قدرته على ذلك.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا ...﴾ إلى قوله: ﴿أَبَدًا﴾ [التغابن: ٩].

ذكر مثلَه في الطلاق[1]، لكنْ زادَ هنا ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [التغابن: ٩] لأن

---

(١) أشار إلى قوله تعالى في الطلاق: ﴿ومن يؤمنْ باللهِ ويعملْ صالحاً يُدخِلْهُ جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ الطلاق آية (١١).

ما هنا تقدّمه ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ الآيات، وأخبر فيها عن الكفار بسيئاتٍ تحتاج إلى تكفيرٍ، فناسب ذكر ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ بخلاف ما في الطلاق لم يتقدَّمْه شيءٌ من ذلك.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ . . .﴾ [التغابن: ١١].

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع أن الهدايةَ سابقةٌ على الإِيمان؟

قلتُ: ليس المرادُ يهدِ قلبه للإِيمان، بل المرادُ يهده لليقين عند نزول المصائب، فيعلم أنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، أو يهده للرضى والتسليم عند وجود المصائب، أو للاسترجاع عند نزولها بأن يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

«تمت سورة التغابن»

* * *

سُورَةُ الطَّلاَق

١ ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ . . . ﴾ [الطلاق: ١].

إن قلتَ: كيف أفردَ نبيَّه بالخطاب، مع أنه جمعه مع غيره عقبه؟!

قلتُ: أفرده به أولاً لأنه إمامُ أمَّته[(١)]، وسادُ مسدِّهم، أو معناه: يا أيها النبيُّ قل لأمتك ﴿ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ أي أردتم طلاق نسائكم فطلِّقوهن.. الخ.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا . . . ﴾ [الطلاق: ٢].

ذكره ثلاث مرات، **وختم الأول** بقوله: ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

والثاني بقوله تعالى: ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٤].

والثالث بقوله تعالى: ﴿ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾ [الطلاق: ٥].

إشارةً إلى تَعْداد النِّعم المترتِّبة على التَّقوى، من أنَّ اللَّهَ يجعلُ لمن اتَّقاه في دنياه، مَخْرجاً من كُرَب الدنيا والآخرة، ويرزقه من حيثُ لا يخطرُ بباله، ويجعل له في دنياه وآخرته من أمره يُسراً، ويكفِّر عنه في آخرته سيِّئاته، ويُعْظم له أجراً.

إن قلتَ: كيف قال ما ختم به في الأول، مع أنَّا نرى كثيراً من الأتقياء مضيَّقاً عليهم رزقهم؟

قلتُ: معناه ما مَرَّ ثَمَّ، وذلك لا يُنافي تضييقَ الرِّزق[(٢)]، أو معناه أنه

---

(١) خُصَّ ﷺ بالنداء تعظيماً له، كما يُقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كذا وكذا، أي افعل أنت وقومك، فهو نداءٌ على سبيل التكريم والتعظيم.

(٢) الرزق ليس قاصراً على المال، بل هو عامٌ يشمل كلَّ فضلٍ وإنعام، فيمكن أن يكون المعنى: يرزقه الرضى والقناعة، يرزقه الصحة والعافية، يرزقه العلم والفهم، يرزقه البنين والأولاد.. الخ.

يجعل لكل متَّقٍ، مخرجاً من كل ما يَضيقُ على من لا يتَّقي، مع أنَّ في تضييقه في المتقي لطفاً له ورحمةً، لتقلَّ عوائقه عن الاشتغال بمولاه في الدنيا، ويتوفر حظُّه، ويخفَّ حسابُه في الآخرة.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ ... ﴾ الآية [الطلاق: ٤].

إن قلتَ: كيف قيَّد عدَّةَ الآيسة والتي لم تحِضْ ثلاثة أشهر بارتيابنا، مع أنه ليس بقيدٍ؟

قلتُ: المرادُ بالارتياب الشكُّ، بمعنى الجهل بمقدار عدَّتهما، وإذا كان هذه عدَّة المرتاب فيها، فغيرُها أولى.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾ [الطلاق: ٦].

فائدة ذكر الغاية فيه، رفعُ توهم أن النفقةَ تتقيَّدُ، بمضيِّ مقدارِ عدَّة الأقراء[١]، أو أنه إذا طالت مدَّةُ الحملِ، لا تجب النفقةُ من الإِطالة.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٧].

لا يُنافي قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ [الشرح: ٦] لأن «مع» بمعنى بعد، وإلَّا فيلزم اجتماعُ الضِّدين وهو محالٌ.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ... ﴾ الآية [الطلاق: ٨].

إن قلتَ: كيف قال فيها ﴿ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٨] بلفظ الماضي، مع أنَّ الحساب والعذاب المرتَّبيْن على العُتوِّ إنما هما في الآخرة؟

قلتُ: أتى بذلك على لفظ الماضي، تحقيقاً له وتقريراً، لأن المنتظَر من وعدِ الله ووعيده، آتٍ لا محالة، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف: ٥٠].

«تمت سورة الطلاق»

---

(١) المراد بالأقراء: الحِيَضِ أو الأطهار على خلافٍ بين الفقهاء، والحكم في المطلقات مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿والمطلّقاتُ يتربصْنَ بأنفسهنَّ ثلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة آية (٢٢٨).

سُورة التَّحْريم

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [التحريم: ٤].

إن قلتَ: إن كان المرادُ به الفردُ فأيُّ فردٍ هو، مع أنه لا يناسب جمع الملائكةِ بعده؟ أو الجمعُ فهلَّا كُتِب في المصحف بالواو[١]؟

قلتُ: هو فردٌ أُريد به الجمعُ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] وقولهِ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] أو هو جمعٌ لكنه كُتب في المصحف بغير واو على اللفظ، كما جاءت ألفاظ كثيرةٌ في المصحف على اللفظ، دون إصلاح الخطِّ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وُضِعَ فيه المفردُ موضع الجمع أي ظهراء، أو أن «فعيلاً» يستوي فيه الواحد وغيره كقعيد[٢].

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ...﴾ الآية [التحريم: ٥].

إن قلتَ: كيف أثبت الخيرية[٣] لهنَّ بالصفات المذكورة بقوله «مسلماتٍ» إلى آخره مع اتِّصاف أزواجه ﷺ بها أيضاً؟

قلتُ: المرادُ «خيراً منكنَّ» في حفظ قلبه، ومتابعة رضاه، مع اتصافهنَّ بهذه الصفات المشتركة بينكنَّ وبينهنَّ.

فإن قلتَ: لِمَ ذكرَ الواو في «أبكاراً» وحذفَها في بقية الصفات؟

---

(١) يريد أن الأصل أن تكتب «وصالِحُو المؤمنين» بالجمع.

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿عَنِ اليَمِينِ وعنِ الشِّمالِ قعيدٌ﴾ قٓ آية (١٧).

(٣) في المخطوطة الخبرية وهو خطأ، وصوابُه ما ذكرناه.

قلتُ: لأن أبكاراً مباينٌ للثُّيَاب، فذكِرَ بالواو لامتناع اجتماعهما في ذاتٍ واحدة، بخلاف بقية الصفات، لا تباين فيها فذُكرت بلا واوٍ.

فإن قلتَ: أيُّ مدحٍ في كونهنَّ ثيِّباتٍ؟!

قلتُ: الثَّيِّبُ تُمدحُ من جهة أنها أكثر تجربةً وعقلاً[1]، وأسرعُ حَبَلاً غالباً، **والبكرُ** تُمدح من جهة أنها أطهرُ وأطيبُ، وأكثرُ مداعبةً وملاعبةً غالباً.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ **[التحريم: ٦]**.

فائدةُ ذكره بعد ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ التأكيدُ، لاتحادهما صدقاً، أو التأسيسُ لاختلافهما مفهوماً، **أو المرادُ** بالأمر الأول: العباداتُ والطَّاعاتُ، **وبالثاني**: الأمرُ بتعذيب أهل النَّار.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا . . .﴾ **[التحريم: ٨]**.

لم يقل نَصُوحةً، لأن «فَعُولاً» يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث، كقولهم: امرأةٌ صبورٌ وشكور.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ **[التحريم: ١٠]**.

فائدةُ قوله «مِنْ عِبَادنا» بعد عبديْنِ، مدحُهما والثناءُ عليهما، بإضافتهما إليه إضافة التشريف والتخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ **[الفرقان: ٦٣]** وقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ **[الفجر: ٢٩]** وفي ذلك مبالغةٌ في المعنى المقصود، وهو أن الإنسان لا تنفعه عادةً إلَّا صلاح نفسه، لا صلاحُ غيره، وإن كان ذلك الغيرُ في أعلا المراتب.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ **[التحريم: ١٢]**.

إن قلتَ: القياسُ من القانتات، فلِم عَدَل عنه إلى القانتينَ؟

قلتُ: رعايةً للفواصل[2]، أو معناه من القوم القانتين.

«تمت سورة التحريم»

---

(١) قال ابن كثير: قسمهنَّ إلى نوعين، ليكون ذلك أشهى للنفس، فإن التنوُّع يبسط النفس.

(٢) المراد بالفواصل: أواخر الآيات الكريمة، فإن ما قبلها ﴿مع الداخلين﴾ ﴿القوم الظالمين﴾ فجاءت لفظة ﴿القانتين﴾ مراعاةً للفواصل ليبقى الكلام متناسقاً.

سُورَةُ المُلْك

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

قدَّم الموتَ لأنه هو المخلوقُ أولاً، لقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ .... ﴾ [الملك: ٣].

أي من خَلَل وعيبٍ، وإلَّا فالتفاوتُ بين المخلوقاتِ، بالصِّغَرِ والكِبَر وغيرهما كثيرٌ.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣].

قال بعده: ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك: ٤] قيل: أي من الكرَّة الأولى، فتصير ثلاث مرَّاتٍ، والمشهورُ أنَّ المراد بهذه التثنيةِ التكثيرُ، بدليل قوله تعالى: ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا ﴾ [الملك: ٤] أي ذليلاً ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ أي كليلٌ، وهذان الوصفان لا يتأتَّيان بنظرتين ولا ثلاث، فالمعنى كرَّاتٍ كثيرةً، كنظيره في قولهم: لبَّيْكَ وسعدَيْكَ، وحنانَيْكَ ودوالَيْكَ، وهذا كذلك.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ .... ﴾ [الملك: ١٦].

ليس بتكرار مع قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الملك: ١٧]، **لأن الأول** في تخويفهم بخسف الأرض بهم، **والثاني** في تخويفهم بالحصْبِ من السماء، وقدَّم الأول لأن الأرض التي جعلها اللَّهُ مقراً لهم، وعبدوا فيها غيره، أقربُ إليهم من السماء البعيدة عنهم.

إن قلتَ: كيف قال ﴿ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ مع أنه تعالى ليس فيها ولا في غيرها، بل هو تعالى منزَّهٌ عن كلِّ مكان؟!

قلتُ: المعنى مَنْ ملكوتُه في السَّماء[(١)]، التي هي مسكنُ ملائكته، ومحلُّ عرشه وكرسيِّه، واللوحُ المحفوظ، منه تنزلُ أقضيتُه وكتُبُه.

«تمت سورة المُلك»

* * *

(١) للّهِ تعالى جهةُ العلوِّ المطلق، فهو تعالى على عرشه، وعرشُه قد أحاط بالسمواتِ والأرض، وإذا كان الكرسيُّ وهو أصغر من العرش، قد أحاط بالكون وبالسماء والأرض ﴿وسع كرسيُّه السمواتِ والأرضَ﴾ فكيف بالعرش العظيم؟! فنجنح في مثل هذا إلى التفويض والتسليم، كما هو مذهب السلف.

سُورَةُ القَلَم

١ ـ قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

يأتي فيهما ما مرَّ في سورة «صٓ» لكنَّ جواب القسم هنا مذكورٌ، وهو الجملة المنفية[١]، وفي جوابه يُعرف ممَّا مرَّ ثَمَّ.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ . . .﴾ [القلم: ٤٢].

أي توبيخاً وتعنيفاً لهم على تركه في الدنيا، لا تكليفاً وتعبُّداً، إذْ لا تكليف في الآخرة.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ . . .﴾ [القلم: ٤٣]. أي إلى الصلاة ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] أي صحيحون.

فإن قلتَ: الصحَّةُ ليست شرطاً في وجوبِ الصلاة؟

قلتُ: المرادُ الخروجُ إلى الصلاة في جماعةٍ مشروطٌ بالصحة[٢].

«تمت سورة القلم»

* * *

---

(١) الجملة المنفية هي قوله تعالى: **﴿ما أنتَ بنعمةِ ربك بمجنون﴾**.

(٢) يُدعى الكفار حقيقة إلى السجود لرب العالمين، ولكنهم لا يستطيعون، لأن اللّه يسلب عنهم القدرة على السجود، لتزداد حسرتُهم، ويصبح ظهر أحدهم كأنه قطعة واحدة من الحديد لا ينثني، كما روى البخاريُ ومسلم عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «يسجد للّهِ كلُّ مؤمن ومؤمنةٍ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهبُ ليسجد فيعودُ ظهرُه طبقاً واحداً». فالآية وردت مورد التوبيخ للكفار، حيث لم يعبدوا اللّه في الدنيا مع سلامة أبدانهم وصحة أجسامهم.

سُورَة الحَاقَّة

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. إنما لم يقل «صَرْصرَة» كما قال «عاتية» مع أن الريح مؤنثة، لأن الصَّرصر وصفٌ مختصٌّ بالريح، فأشبه باب «حائض، وطامث، وحامل» بخلاف عاتية فإنها غير الريح، من الأسماء المؤنثة يُوصف به.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

«فيها» أي في تلك الليالي والأيام، متعلِّقٌ بصرعى لا بـ«ترى»، والرؤيةُ علميةٌ لا بصرية، لأنه ﷺ ما أبصرهم صرعى فيها، ولا رآهم، فصار المعنى: فتعلمهم صرعى فيها بإعلامنا، حتى كأنك تشاهدهم.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ ـ ١٨].

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن المراد بهذه النفخة «النفخة الأولى» وهي نفخةُ الصَّعْقِ، والعرضُ إنما يكونُ بعد النفخةِ الثانية، وبين النفختيْنِ زمنٌ طويل؟

قلتُ: المرادُ باليومِ: الوقتُ الواسعُ الذي يقع فيه النفختان وما بعدهما.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

إن قلتَ: كيف عبَّر بأنه يظنُّ ذلك، مع أنه يعلمه؟!

قلتُ: الظنُّ مطلقٌ بمعنى العلم، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1] [البقرة: ٤٦].

---

(١) الظنُّ: كما يأتي بمعنى الشكِّ يأتي بمعنى اليقين كما أشارت الآية الكريمة، والمعنى أنهم يوقنون أنهم ملاقوا ربهم، وكما في قوله تعالى: ﴿**وظنُّوا أنهم أُحيط بهم**﴾ أي أيقنوا.

٥ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥،٣٦].

إن قلتَ: ما التوفيقُ بينه وبين قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] وفي آخر: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] وفي آخر ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾؟ [البقرة: ١٧٤].

قلتُ: لا منافاةَ إذْ يجوز أن يكون طعامُهم جميع ذلك، أو أنَّ العذاب أنواعٌ، والمعذبين طبقاتٌ، فمنهم أَكَلَةُ غِسلين(١)، ومنهم أَكَلَةُ الضَّريع، ومنهم أكلةُ الزقُّومِ، ومنهم أَكَلةُ النَّارِ، لكل بابٍ منهم جزءٌ مقسومٌ.

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١، ٤٢].

إن قلتَ: لِمَ ختمَ الأُولى بقلَّةِ الإيمانِ، والثانيةَ بقلَّةِ التذكّرِ؟

قلتُ: لأن من نَسَبَ النبيَّ ﷺ إلى أنه شاعرٌ، وأنَّ ما أتى به شعرٌ فهو كافرٌ، وأنَّ من نسبه إلى الكَهَانة، فإنما نسبه إليها لقلَّةِ تذكُّرِهِ في ألفاظ القرآن، إذْ كلامُ الكهَنَةِ نثرٌ لا شعر، فناسبَ ختمَهُ بقلَّةِ التذكّر، وختمَ الأول بقلَّةِ الإيمان.

«تمت سورة الحاقة»

* * *

---

(١) غسلين: صديدُ أهلِ النّار، الذي يسيلُ من جراحاتهم، وقال قتادة: شرُّ الطعامِ وأخبثُه وأبشعُه، والأول هو قول ابن عباس.

سُورَةُ المعَارِج

١ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩].

فسَّرَ «هَلُوعاً» بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠، ٢١].

فإن قلتَ: الإِنسانُ في حال خلْقه، لم يكن موصوفاً بذلك؟

قلتُ: «هَلُوعاً» حالٌ مقدَّرةٌ أي مقدَّرٌ في خلقه الهَلَعُ، كما في قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح: ٢٧] أي لتدخلنَّ المسجد الحرام مقدِّرين حَلْق رؤوسكم.

٢ ـ قَوْلُه تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

ختمه هنا بقوله «دَائِمونَ» وبعدُ بقوله: «يُحَافِظونَ» لأن المراد بدوامهم عليها، ألا يتركوها في وقتٍ من أوقاتها، وبمحافظتهم عليها، أن يأتوا بها على أكمل أحوالها[١]، من الإِتيان بها بجميع واجباتها وسُنَنها، ومنها الاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسوسة، والرياء، والسُّمْعةِ.

«تمت سورة المعارج»

* * *

(١) لما كانت الصلاة عمود الإِسلام، بُولغ في التوكيد فيها، فذُكرت في أول الخصال التي اتصف بها المؤمنون الصادقون، وفي آخرها، لينبهنا تعالى على عظيم شأنها، وجليل قدرها، فهم يواظبون على الصلاة في أوقاتها دون تأخير، ويحافظون عليها بأدائها على أكمل الوجوه، من الخضوع والخشوع، والمحافظة على أركانها وواجباتها وسننها، والبعد عن كل شيء يخلُّ بما يجب أن يتحقَّق فيها.

سُورَةُ نُوحٍ

١ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤].

خطابٌ لقوم نوح عليه السلام.

فإن قلتَ: إن كان المرادُ تأخيرهم عن الأَجَل، المقدَّر أزلاً فهو محالٌ، لقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] أو تأخيرهم إلى مجيء أجلهِم المقدَّر، فهم كغيرهم سواءً آمنوا أم لا؟

قلت: معناه يؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم[1]، على تقدير الإِيمان، فلا يُعذِّبكم في الدنيا، إن وقع منكم ذنبٌ، كما عذَّب غيركم من الأمم الكافرة فيها، أو يؤخر موتكم كأن قضى اللّه بتعميركم ألف سنة إن آمنوا، وبخمسمائة سنة إن لم يُؤمنوا.

٢ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ . . .﴾ [نوح: ١٠] أي من الشرك بالتوحيد.

٣ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى . . .﴾ [نوح: ٢١].

قاله هنا بلا واوٍ، وقال بعدُ بواوٍ[2]، لأن الأول استئنافٌ، والثاني معطوفٌ عليه.

٤ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا﴾ [نوح: ٢٤].

ختمه بقوله «ضلالاً» موافقةً لقوله قَبْلُ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤] وختمه بعدُ بقوله «تَبَارا» أي هلاكاً، موافقةً لقوله قبل: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾.

---

(١) معنى الآية: ﴿وَيُؤَخِرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًى﴾ أي يمدُّ في أعماركم إن أطعتم ربكم، إلى وقتٍ مقدَّرٍ، ومقرّر في علمه تعالى، مع العيش السعيد، أو يمهلهم في الدنيا بدون عذاب إلى انتهاء آجالهم كما قاله المصنّف رحمه اللّه.

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَرْ علَى الأَرْضِ منَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

إن قلتَ: كيف دعا نوحٌ على قومه بذلك، مع أنه أُرسل إليهم ليهديهم ويُرشدهم؟

قلتُ: إنما دعا عليهم بذلك، بعد أن أعلمه اللَّه تعالى أنهم لا يؤمنون[١].

٦ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] من كلام نوح عليه السلام.

فإن قلتَ: كيف وصفهم بالفجور والكفر، حال ولادتهم، وكيف عرف أنهم لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً؟!

قلتُ: وصفَهم بما يؤلون إليه، من الفجور والكفر، وعلمَ ذلكَ بإعلام اللَّهِ إيَّاه[٢].

«تمت سورة نوح»

* * *

---

(١) وذلك في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نوح أَنَّه لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾.

(٢) يمكن أن يُقال: عرف ذلك بالاستقراء، فإنه مكث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، فعرف طباعهم وجرَّبهم، ورأى الأجداد والآباء والأحفاد ﴿كلما دخلت أمةٌ لعنتْ أختها﴾ فلذلك حكم بكفرهم وفجورهم، كما قيل: «هل تلدُ الحيَّةُ إلا الحيَّة»؟!

سُورة الجِنّ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ . . .﴾ [الجن: ١٩].

أي النبي ﷺ، وإنما عَدَل عنه إلى ﴿عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾[1] تواضعاً، لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه.

«تمت سورة الجن»

* * *

(١) (تواضعاً) يعني تواضعاً منه ﷺ، لأنه جاء في سياق كلامه ﷺ، فأعظم شرف لرسول الله ﷺ أن يكون عبداً لله، ولهذا تحدث القرآن الكريم عن الرسول فوصفه بلفظ العبودية ولم يذكره باسمه زيادةً في تشريفه وتكريمه ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً**..﴾ وهكذا.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

وصفَ القرآن بالثِّقَل، لِثِقله بنزول الوحي على نبيِّه، حتى كان يعرَقُ في اليوم الشَّاتي، أو لثقل العمل بما فيه، أو لثقله في الميزان، أو لثقله على المنافقين.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ...﴾ [المزمل: ١٨] أي بذلك اليوم لشدَّته، وإنما لم يُؤنث صفة السماء مع أنها مؤنثة، لأنها بمعنى السقف، تقول: هذا سماءُ البيتِ أي سقفُه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

أو لأنها تُذكَّرُ وتؤنَّثُ، **أو جاء** «مُنفَطِرٌ» على النَّسب أي ذاتُ انفطارٍ، كامرأةٍ مرضعٍ وحائض، أي ذاتُ إرضاعٍ، وذاتُ حيضٍ.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].

إن قلتَ: إن جُعل ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ جواباً فأين الشرطُ؟ أو «شاءَ» لا يصلح شرطاً بدون ذكر مفعوله، أو جعل المجموع شرطاً فأين الجواب؟

قلتُ: معناه فمن شاء النَّجاة، اتَّخذ إلى ربه سبيلاً.

أو فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، اتَّخذ إلى ربه سبيلاً، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] أي فمن شاء الإيمانَ فلْيؤمن، ومن شاءَ الكفرَ فلْيكفرْ.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ...﴾ [المزمل: ٢٠] أي في الصَّلاة، بأن تُصلُّوا ما تيسَّر من الصَّلاة، بما تيسَّر من القرآن، وهذا يرجع إلى قول بعضهم: إن المراد بـ«اقْرَءُوا» صلُّوا، وإن عبَّر بالقراءة عن الصلاة، التي

هي بعضُ واجباتها، فهو من إطلاق «الجزء على الكل»[١] وقوله بعده «فَاقرءُوا ما تَيَسَّر مِنْهُ» تأكيدٌ، حثّاً على قيام الليل بما تيسَّر.

«تمت سورة المزمل»

* * *

---

(١) يسمى هذا في علم البلاغة «المجاز المرسل» فقد أطلق القراءة وأراد بها الصلاة، فهو من إطلاق الجزء على الكلّ، لأن القراءة أحدُ أركان الصلاة.

سُورَةُ المُدَّثِر

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

فائدةُ ذكره بعد قوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ رفعُ توهُّم أن يُراد بـ«عسير» عسيرٌ يُرجى تيسيرُه، كما يُرْجى تيسير العُسرِ من أمور الدنيا، **وقيل:** فائدتُه التوكيدُ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨ ـ ٢٠].

ذكر «قَدرَ» ثلاثَ مرَّات، و«قُتِلَ كيف قَدَّر» مرتين، لأن المعنى أن الوليد[1] فكَّر في شأن النبي ﷺ وما أتى به، وقدَّر ماذا يمكنه أن يقول فيهما، فقال اللَّه: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي على أيِّ حالٍ كان تقديرُه، فالتقديرُ الأول مغايرٌ للثاني والثالث، لاختلاف المقدَّر، وقولُه: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ كرَّره للمبالغة فهو تأكيدٌ، ولزمَ منه أن «قدَّرَ» الثالثَ تأكيدٌ للثاني، وأن «قُتِلَ» الثاني تأكيدٌ للأول، و«ثُمَّ» للدلالة على أن مدخولها أبلغُ ممَّا قبلها.

وقيل: المرادُ بالقتل الأول: لعنُ الوليدِ وتعذيبُه، فهو مغايرٌ للثاني.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٨ ـ ٣٠].

قيل: معناهما واحدٌ، أي لا تُبقي ولا تذرُ للكفَّارِ شيئاً، من لحمٍ ولا عَصَب إلَّا أهلكته، ثم يعود كما كان. **وقيل:** متغايران، أي لا تُبقي لهم لحماً، ولا تذرُ لهم عظماً، **أو لا تُبقيهم** أحياء، ولا تذرهم أمواتاً.

فإن قلتَ: لأَيِ معنى خصَّ عدد خزنةِ جهنم بـ«تِسْعَةَ عَشَرَ»؟!

---

(١) هو «الوليدُ بن المغيرة» الذي سمع القرآن وتأثَّر به، وكاد أن يُسلم وقال لقومه: لقد سمعت كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا الجن، واللَّه إن له لحلاوةً، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمرٌ، وأنه ليعلو وما يُعلى عليه. الخ، وانظر قصته في كتابنا صفوة التفاسير ٣/ ٤٧٥.

قلتُ: لأنها موافقةٌ لعدد أسباب فسادِ النفس الإِنسانية[١]، وهي القُوى «الإِنسانية، والطبيعيةُ» إذِ القُوى الإِنسانية اثنتا عشرة: الخمسةُ الظاهرةُ، والخمسةُ الباطنة، والشهوةُ والغضب.

والقُوى الطبيعيةُ سبعةٌ: الجاذبةُ، والماسكةُ، والهاضمةُ، والدافعةُ، والغاذيةُ، والنَّامية، والمولِّدة، والمجموعُ تسعة عشرَ.

«تمت سورة المدثر»

* * *

(١) هذا التعليل لعدد خزنة جهنم بأسباب فساد النفس غريبٌ وبعيد، والأظهر أن يُقال: إنه ابتلاءٌ وامتحانٌ لإِيمان الناس، ثم هو موافقٌ لما جاء في التوراة والإِنجيل من أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر مَلَكاً، ولهذا قال تعالى: ﴿**وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنةً للذين كفروا ليستيقن الذينَ أُوتوا الكتابَ ويزداد الذين آمنوا إيماناً**﴾ والله أعلم.

سُورَةُ القِيَامَة

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] أي بقراءة جبريل عليكَ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

إن قلتَ: الذي يُوصف بالنظر بمعنى الإبصار، النظرُ بالعينِ لا بالوجه؟

قلتُ: أطلق الوجه فيه وأراد جزءَه[١]، ففي لفظ «وجوهٌ» بالنظر إلى «ناضِرة» و«ناظرة» جمعٌ بين الحقيقة والمجاز، وهو جائزٌ.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤] أي أولاك اللَّهُ ما تكره[٢]، وكرَّره مراراً بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٥] مبالغةً في التهديد والوعيد، فهو تهديدٌ بعد تهديد، ووعيدٌ بعد وعيد.

«تمت سورة القيامة»

* * *

---

(١) هذا من (المجاز المرسل) من باب إطلاق الكلِّ وإرادة الجزء، أي أبصارُ المؤمنين تستمتع بالنظر إلى وجه اللَّه الكريم، الذي هو أعظمُ نعيم أهل الجنة، وهذا المجاز يشبه قوله تعالى: ﴿يجعلون أصَابِعَهُمْ في آذانهم﴾ أطلق الأصابع وأراد بها الأنامل، لأن الأصبع لا يمكن أن تدخل كلها في الأذن.

(٢) هذه الآية ذهبت مذهب المثل، في التخويف والتحذير والتهديد، ومعناها: ويلٌ لك أيها الشقيُّ ثم ويلٌ لك، وأصلها من وليَهُ الشيءُ أي قاربه ودنا منه.

سُورَةُ الإنسان

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ . . .﴾ [الإنسان: ٢].

وصفَ النطفةَ مع أنها مفردٌ بـ«أَمْشَاج»(١) وهو جمعٌ لأنها في معنى الجمع، كقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] أو بجعلِ أجزائها نُطَفاً، **وقيل**: «أمشاجٌ» مفردٌ لا جمعٌ، كبرمةٍ أعشار، وثوب أخلاقٍ.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

إن قلتَ: كيف عَطَفَ على «نبْتَلِيهِ» ما بعدَه بالفاء، مع أنَّ الابتلاء متأخرٌ عنه؟

قلتُ: «نبْتليهِ» حالٌ مُقدَّرة أي مريدين ابتلاءه حين تأهُّله، فجعلناه سميعاً بصيراً، فالمعطوفُ عليه هو إرادةُ الابتلاء لا الإبتلاءُ.

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ . . .﴾ [الإنسان: ١٥].

ذَكَرَه بالبناءِ للمفعول، وقال بعدُ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾ [الإنسان: ١٩] بالبناء للفاعل، **لأن المقصودَ في الأول**: ما يطاف به لا الطائفون، بقرينة قوله ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ **والمقصودُ في الثاني**: الطائفون، فذكَر في كلٍّ منهما ما يناسبُه.

٤ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥] معناه تكوَّنت، لا أنها كانت قبلُ قوارير(٢)، فهو من قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وكذا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

٥ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

إن قلتَ: ما الحكمةُ في تشبيههم باللؤلؤِ المنثور دون المنظوم؟

---

(١) أمشاج: أخلاط جمعُ مَشَج ومَشِيج، أي اختلطت نطفةُ الرجل بنطفةَ المرأة، فتكوَّن منه هذا الإِنسان السميع البصيرَ، بقدرةَ اللّه العلي القدير، فهذا معنى الأمشاج.

(٢) القوارير: جمع قارورة وهي الزجاجة الصافية، وهذه القوارير جمعت بين صفاء الزجاج وحسن الفضة وبياضها، ولهذا قال: ﴿**قوارير من فضة**﴾.

قلتُ: لأنه تعالى أراد تشبيههم ـ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ـ باللؤلؤ الذي لم يُثقب، وهو أشدُّ صفاءً، وأحسنُ منظراً، ممَّا ثُقب[١]، لأنه إذا ثُقب نقص صفاؤه ومائيَّته، وما لم يُثقب لا يكون إلا منثوراً.

٦ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

إن قلتَ: أيُّ شرفٍ لتلك الدَّار، مع أنه سقاهم ذلك في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧] أي عذباً؟

قلتُ: المرادُ سقاهم في تلك الدار بغير واسطة[٢]، وأيضاً فشتَّان ما بين الشرابين، والآنيتيْنِ، والمنزلَيْن.

٧ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

ـ **أفادَ** بالتعبير بـ«أو» النهي عن طاعتهما معاً بالأوْلى، ولو عطَفَ بالواو لأفهم جواز طاعة أحدهما، وليس مراداً.

٨ ـ قوْلُه تَعالَى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ...﴾ [الإنسان: ٢٨] أي خَلْقهم.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك هنا، وقال في النساء ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾؟ [النساء: ٢٨].

قلتُ: قال ابن عباسٍ وغيرهُ: المرادُ به: ضعيفٌ عن الصبر عن النساء، فلذلك أباح اللَّه له نكاح الأَمَةِ، وقالَ الزَجَّاج: معناه يغلبُه هَواه وشهوتُه، فلذلِكَ وُصف بالضعف، ومعنى قوله: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، أو المرادُ بالأسر: عَجْبُ الذنب، لأنه لا يتفتت في القبر.

«تمت سورة الإنسان»

---

(١) إنما شبههم تعالى باللؤلؤ المنثور، لانتشارهم وتفرقهم في الجنة تفرُّق الدُرِّ المنثور، فإن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً، كان أجمل وأحسن في المنظر، لوقوع شعاع بعضه على بعض، فيكون أروع وأبدع.

(٢) أي شراباً طاهراً لم تدنسه الأيدي، وأنه من طهره لا يصير بولاً نجساً، كما هو حال الدنيا، بل يخرج من أبدانهم رشحٌ كرشح المسك، هو فضلات أهل الجنة، متعنا اللّه بدخولها.

سُورَة المُرْسَلات

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥].

كُرِّر هنا عشرَ مرَّاتٍ، والتكرار في مقام الترغيب والترهيب مستحسنٌ، لا سيما إذا تغايرت الآياتُ السابقةُ على المرَّات المكرَّرة كما هنا.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

إن قلتَ: نفيُ النطق عنهم، يدلُّ على انتفاء الاعتذار منهم، إذِ الإعتذارُ لا يكونُ إلَّا بالنُّطق، فما فائدةُ قوله عَقِبه ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

قلتُ: معناه لا ينطقون ابتداءً بعذرٍ مقبول، ولا بعد أن يُؤذنَ لهم في الاعتذار، لو أُذن لهم فيه، إذِ الخائفُ عادةً قد لا ينطق لسانُه بعذرٍ وحجةٍ لخوفه، لكنْ إذا أُذن له فيه نَطَق[1]، ففائدةُ ذلك نفيُ هذا المعنى، أي لا ينطقون ابتداءً بعذرٍ، ولا بعد الإذن.

فإن قلتَ: مَا ذُكر يُنافيه ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] من وقوع الاعتذار منهم؟

قلتُ: لا يُنافيه لأن يوم القيامة يومٌ طويلٌ، فيعتذرون في وقتٍ، ولا يعتذرون في آخر، والجوابُ بأن المراد بتلك الآية «الظالمونَ» من المسلمين، وبما هنا «الكافرونَ» ضعيفٌ، لتعقيب تلك الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

«تمت سورة المرسلات»

* * *

---

(١) المراد أنهم في ذلك اليوم الرهيب كالخُرْس، لا يتكلمون بكلام ينفعهم لهول ذلك اليوم، ولا يُقبل لهم عذرٌ وحجةٌ إذا اعتذروا، بل لا يُؤذن لهم في الاعتذار، لأنهم كفرةٌ أشرار.

سُورَةُ النَّبَأ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤، ٥].

كرَّره تأكيداً، **أو الأول** توعُّدٌ للكفَّار بما يرونه عند النزع، **والثاني** توعُّدٌ لهم بما يصيرون إليه من عذاب الآخرة، **أو الأولُ** توعدٌ بأهوال القيامة، **والثاني** توعدٌ بما بعدها من النار وحرِّها، **أو الأولُ** ردعٌ عن الاختلاف، **والثاني** عن الكفر، و«ثُمَّ» للإِشعار بأن الوعيد الثاني أشدُّ.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧].

وجهُ اتّصالهِ بما قبلَه، أنهم لمَّا اختلفوا في النبأ العظيم ـ وهو البعثُ ـ ثم أنكروه، نبَّههم اللَّهُ تعالى بما خلقه وأوجدهُ، على كمال قدرته[١]، وغايةِ قهره، وأن جميعَ الأشياء طوعُ إرادته، وفي مشيئته.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٥، ٢٦].

قال ذلك هنا، وقال بعدُ ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] **لأن الأول** للكفار، فناسب ذكر ﴿وِفَاقًا﴾ أي جزاءً موافقاً لأعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] **والثاني** للمؤمنين، فناسب ذكرُ «حساباً» أي كافياً وافياً لأعمالهم، من قولك حسبي أي كفاني.

«تمت سورة النبأ»

* * *

(١) أشار تعالى في هذه الآيات إلى الأدلة الدالة على قدرته، وكمال عظمته، ليقيم الحجة على الكفار، فيما أنكروه من أمر البعث والجزاء، وكأنه يقول: إن الإِله العظيم الذي قدر إيجاد هذه الأشياء، قادر على إحياء الناس بعد موتهم، فهذا وجهُ المناسبة.

سُورَة النَّازِعَات

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١، ٢].

الواوُ فيه للقَسَم، وجوابه محذوفٌ أي لتبعثنَّ[١]، والمرادُ بالنازعات وما عُطِف عليه: الملائكةُ، وذُكروا بلفظ التأنيث، مع أنهم ليسوا إناثاً، لأنه تعالى أقسم بطوائفها، والطائفةُ مؤنثة.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٩] أي ذليلةٌ لما ترى.

فإن قلتَ: كيف أضاف الأبصارَ إلى القلوب، مع أنها لا تُضافُ إليها؟

قلتُ: فيه حذفُ مضافٍ أي أبصارُ أربابها.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠] أي العَصَا، واليد.

قلتُ: كيف قال ذلك، مع أنه أراه الآياتِ كلَّها، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا﴾ [طه: ٥٦] وكلُّ آياته كبرى.

قلتُ: الإخبارُ هنا عمَّا أراه له أوَّلَ ملاقاته إيَّاه، وهو العَصَا، واليد، وأطلق عليهما ﴿ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ لاتحاد معناهما، أو أراد بالكبرى: العَصَا وحدها، لأنها كانت مقدَّمة على الأخرى.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾[٢] [النازعات: ٢٩].

---

(١) أقسم اللَّه في هذه السورة بخمسة أصناف من الملائكة: «ملائكة العذاب» التي تنزع أرواح الكفار بشدة وعسرٍ، و «ملائكة الرحمة» التي تنزع أرواح المؤمنين بلطف ولين، و«ملائكة الوحي» التي تنزل بأمر اللَّه ووحيه على أنبيائه ورسله، و «ملائكة الرضوان»، التي تسبق بأرواح المتقين إلى الجنان، و «ملائكة التدبير» التي تدبر شؤون الكون.. أقسم على أن القيامة حق والبعث لا بدَّ منه، فجواب القسم محذوف «كما نبَّه المصنف رحمه اللَّه».

(٢) معنى «أَغْطَش ليلَها» أي جعل ليلها مظلماً حالكاً «وأخرج ضُحاها» أي جعل نهارها مشرقاً مضيئاً، قال ابن عباس: أظلم ليلها وأنار نهارها. اهـ. وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٣/ ٤١٥.

أضاف الليلَ إلى السماءِ، مع أنه إنما هو في الأرض، لأنه هو أول ما يظهر عند الغروب من أُفُق السَّماءِ.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤] أي الداهيةُ العظمى التي تَطمُّ على غيرها، وهي «النفخةُ الثانية»، وخصَّ ما هنا بالطامَّة، موافقةً لما قبله من داهية فرعون، وهي قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ولذلك وُصفت الطامةُ بالكبرى، موافقةً لقوله قبلُ ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ بخلاف ما في «عَبَس» لم يتقدّمه شيء من ذلك، فخُصَّت بالصاخَّة، وإن شاركت الطامَّة في أنها النفخة الثانية، لأنها الصوتُ الشديدُ، والصَّوتُ يكون بعد الطمِّ، فناسبَ جعلُ الطمِّ للسَّابقة، والصخُّ للَّاحقة، وجواب «إذا» قولُه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ الخ، وقيل: محذوفٌ[1] تقديره: فإن الجحيم مأواه.

«تمت سورة النازعات»

* * *

(١) ما قاله الشيخ فيه نظرٌ، فإن جواب «إذا» مذكورٌ، وهو قولُه تعالى: ﴿يومَ يتذكَّرُ الإنسانُ ما سَعَىٰ﴾ والمعنى: فإذا جاءت القيامة، التي تغطي بأهوالها على كل أمرٍ هائل فظيع، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شرٍّ، فيراه مدوَّناً في صحيفة أعماله، فلا حاجة إلى الحذف والتقدير.

سُورَةُ عَبَسَ

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١١، ١٢] «إِنها» أي الآياتُ، أو السورةُ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي القرآنُ، أو ما ذُكر من الآيات[١].

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [عبس: ٣٠، ٣١] **الأبُّ**: ما ترعاه البهائم، **وقيل**: التِّبنُ، **وقيل**: يابسُ الفاكهة.

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٣، ٣٤].

جوابُ «إذَا» محذوفٌ يدلُّ عليه قولُه بعدُ ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

«تمت سورة عبس»

* * *

(١) في المدثر ﴿كَلَّا إنهُ تذكرة * فمن شاء ذَكَرَهُ﴾ فالضمير يعود على القران.

(٢) قد يُحذف الجواب للتهويل والتفظيع، كأنه يقول: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخُّ الآذان حتى تكاد تصمُّها، كان من الشدائد والأهوال، ما لا يخطر على البال.

سُورَةُ التَّكْوِير

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي أُوقدت فصارت ناراً.

قال ذلك هنا، وقال في **الانفطار** ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] أي سالت مياهُها على الأرض، فصارت بحراً واحداً، واختلط العذبُ بالملح، **موافقةً في الأول** لقوله بعده ﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢] ليقع الوعيد بتسجير البحار وتسعير النار، **وفي الثاني** لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] أي تساقطت على الأرض، وصيرورةُ البحار ناراً مسجَّرة، يصيرُ أحدهما في وقتٍ، والآخرُ في آخر، لطول يوم القيامة.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾؟ [التكوير: ٨، ٩].

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن سؤال ما ذُكر إنما يحسُن من القاتل لا من المقتول؟

قلتُ: إنما سُئلت لتبكيتِ قاتلها، وتوبيخه بما يجيب به، فإنها قُتِلَتْ بغير ذنب.

ونظيره قولُه تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾؟ [المائدة: ١١٦].

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى:** ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] أي علمت كلُّ نفسٍ، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] الآيةَ.

فإن قلتَ: لمَ ختمَ الآية هنا بقوله: ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ أي من خير وشرٍّ، وفي الانفطار بقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] أي ما قدَّمته من الأعمال، وما أخَّرته منها فلم تعمله [(١)].

---

(١) قال الإمام الطبري: ما قدَّمتْ من عملٍ صالح، وما أخَّرتْ من شيءٍ سنَّه، فعُمل به بعده، وما ذكره الطبري أولى مما قاله المصنف.

قلتُ: رعايةً للمناسبة، إذْ شروط الجواب هنا طالتْ بكثرتها، فحسُن اختصارهُ ليوقف عليه، وشروطُه ثَمّ قصُرتْ بقلّتها، فحَسُن بسطُه، تيسُّر الوقف عليه حينئذٍ.

«تمت سورة التكوير»

* * *

سُورَةُ الانفطار

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

إن قلتَ: ما فائدةُ تخصيص ذكر صفة الكرم، من بين سائر صفاته تعالى؟

قلتُ: فائدتُه اللُّطفُ بعبده، وتلقينُه حجَّتَه وعذره، ليقول: غرَّني كرمُ الكريم(١).

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [١٧، ١٨].

كرَّره تعظيماً للدِّين(٢)، **وقيل:** الأول للمؤمنين، والثاني للكفار.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ...﴾ [الانفطار: ١٩].

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن النفوس المقبولة الشفاعة، تملك لمن شفعت فيه شيئاً، وهو الشفاعة؟

قلتُ: المنفيُّ ثبوتُ المُلْك بالسَّلطنةِ، والشفاعةُ ليست بطريق السَّلْطنة، فلا تدخل في النفي، ويؤيده قوله تعالى ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

«تمت سورة الانفطار»

* * *

---

(١) ما ذكره الشيخ قولٌ لبعض المفسرين مرجوحٌ، والأظهر والأرجح أن الآية الكريمة وردت مورد التوبيخ والعتاب للمذنب العاصي، كأنه يقول: كيف قابلتَ إحسانَ ربك الكريم بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان؟! وكيف تجرَّأْتَ على مخالفة أمره مع عطفه عليك وإحسانه إليك، ومما يؤيد ما ذكرناه قول عمر رضي الله عنه: غرَّه حمقُه وجهلُه.

(٢) كرَّره تعظيماً وتهويلاً لأمره، فالتكرار هنا للتفخيم والتهويل لأمر القيامة.

سُورَةُ المُطَفِّفِين

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ١، ٢].

فإن قلتَ: هلَّا قال: اكتالوا واتَّزنوا، كما قال في مقابله ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾؟! [المطففين: ٣].

قلتُ: لأن المطفّفين كانت عادتُهم، ألَّا يأخذوا ما يُكال وما يُوزن، إلَّا بالمكيال، لأن استيفاء الزيادة بالمكيال أمكنُ لهم، وأهونُ عليهم منه بالميزان، وإذا أَعطَوْا كالوا ووزنوا، لتمكنهم من البخس فيهما[١].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٨ ـ ٢٠].

إن قلتَ: كيف فسَّر «سِجِّيناً» و«عِلِّيينَ» بكتاب مرقوم، مع أن سِجِّيناً اسمُ للأرضِ السابعة[٢]، و«عِلِّيِّين» اسمٌ لأعلى الجنة، أو لأعلى الأمكنة، أو للسماء السابعة، أو لسدرة المنتهى؟!

قلتُ: ﴿كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ وصفٌ معنويٌّ لكتاب الفُجّار، ولكتاب الأبرار، لا تفسيرٌ لسجِّين ولعلّيين، والتقديرُ: وهو كتابٌ مرقومٌ.

«تمت سورة المطففين»

* * *

---

(١) قوله تعالى: ﴿كالُوهمْ أو وَزنوهمْ﴾ أي إذا كالوا لهم، أو وزنوا لهم، عند البيع، نقصوا لهم حقَّهم، فهم ظلمة يأخذون حقَّهم وافياً كاملاً عند الشراء، ويبخسون حقوق الآخرين عند البيع.

(٢) سجِّينٌ: مأخوذٌ من السِّجن وهو الضِّيقُ، وكتابُ الفُجّار في مكان ضيّق، في أسفل سافلين، أما كتاب الأبرار، ففي مكانٍ عليّ رفيع، في أعلى الجنة، فالآية الكريمة ذكرت مكان كلّ من الأشرار والأبرار.

سُورَة الانْشِقاق

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

جواب «إذا» إن جُعلت شرطية محذوفٌ، تقديره: علمت نفسٌ ما أحضرتْ، أو علمتْ نفسٌ ما قدَّمتْ وأخَّرت، أو بُعثتم، أو لاقى كلُّ إنسانٌ كدحه، أو مذكورٌ وهو: يا أيها الإنسانُ بتقدير الفاء، أو بتقدير يُقال، أو هو «فملاقيه» أي فأنت ملاقيه، أو هو ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ [الانشقاق: ٧] إلى آخره[١]، والعاملُ فيها بكل تقديرِ جوابُها، وإن جُعلت غير شرطية فهي منصوبة بـ«اذكر» مقدَّراً، أو مرفوعة مبتدأً خبرُه «إذا» الثانية بزيادة الواو، أي وقتُ انشقاق السماء، وقتُ امتدادِ الأرض.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٥].

ذكره مرتين، لأن الأول متَّصل بالسماء، والثاني بالأرض، ومعنى «أَذِنَتْ» سمعتْ وأطاعتْ، وحُقَّ لها أن تَسمعَ وتُطيع.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٢].

قاله هنا بلفظ «يُكذِّبون» وفي البروج[٢] بلفظ «في تَكْذِيب» رعايةً للفواصل فيهما.

«تمت سورة الانشقاق»

* * *

---

(١) الجواب كما قال المصنف محذوف، والأفضل أن يُقدَّر بالآتي: إذا تشقَّقَت السماء وتصدَّعتْ مؤذنةً بخراب الكون... لقي الإنسان من الشدائد والأهوال، ما لا يحيط به الخيال.

(٢) في سورة البروج ﴿بل الذينَ كَفَروا في تَكْذِيبٍ﴾.

سُورَة البُرُوج

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٢، ٣].

الشاهدُ: يومُ الجمعة، **والمشهودُ:** يومُ عرفة، ونكَّرهما دون بقيَّة ما أقسم به، لاختصاصهما من بين الأيام، بفضيلةٍ ليست لغيرهما، فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس، وهذا جوابٌ أيضاً عمَّا يُقال: لمَ خصَّهما بالذكر دون بقيَّةِ الأيام، وإنما لم يُعرَّفا بلام العهدِ، لأن التنكير أدلُّ على التفخيم والتعظيم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [البروج: ٤، ٥].

هو جواب القَسَم، بحذف اللام، أو بحذفها مع «قد» إن جُعل خبراً، فإن جعل دعاءً فجوابُ القسم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا﴾ [البروج: ١٠] أو ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] أو هو محذوفٌ تقديره: لتُبعثنَّ.

«تمت سورة البروج»

* * *

سُورَةُ الطَّارِق

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى : ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق : ٤] .

هو جوابُ القسم، و«مَا» مُخفَّفة مزيدة، أو «إِنْ» نافية، و«لَمَّا» بالتشديد بمعنى إلَّا .

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى : ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق : ١٧] .

كرَّره تأكيداً، وخُولف بين لفظيهما طلباً لِلخفَّة .

«تمت سورة الطارق»

* * *

سُورَةُ الأَعْلى

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩].

فإن قلتَ: إنه ﷺ مأمورٌ بالتذكير، وإن لم تنفع الذِّكرى؟

قلتُ: إن معنى «إنْ» هنا «إذْ» كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أو التقديرُ: إن نفعت الذِّكرى أو لم تنفع[١]، كما في قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣].

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الإنسان لا يخلو عن الاتِّصافِ بأحدهما؟

قلتُ: معناه لا يموتُ موتاً يستريحُ به، ولا يحيا حياةً ينتفع بها، كقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] **وقيل**: معناه تصعدُ نفسُه إلى الحلقوم، ثم لا تفارقه فيموتُ[٢]، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا، و«ثُمَّ» للتراخي بين الرُّتب في الشدَّة.

«تمت سورة الأعلى»

* * *

---

(١) الأَوْلى أن يُقال المعنى: فذكرْ يا محمد بهذا القرآن، حيثُ تنفع الذكرى والموعظة، كقوله تعالى ﴿**فذكِّر بالقرآنِ من يخاف وعيد**﴾ ومن هذه الآية يُؤخذ الأدبُ في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله.

(٢) المعنى الأول أظهر، أي لا يموت فيستريح، ولا يحيا الحياة الطيِّبة الكريمة، بل هو دائمٌ في العذاب والشقاء، قال الطبري: العرب إذا أرادوا وصْفَ رجلٍ بوقوعه في شدة شديدة قالوا: لا هو حيٌ ولا هو ميِّتٌ، فخاطبهم تعالى بما يعرفون.

سُورَةُ الغَاشِيَة

١ ـ **قوله تعالى**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢، ٣].

قال ذلك هنا، وقال بعده ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] وليس بتكرارٍ، لأن الأول في الكفار، والثاني في المؤمنين، والمرادُ بالوجوه فيهما جميعُ الأبدان[١]، لأنَّ ما ذُكر من الأوصاف، لا يختصُّ بالوجوه، فهو كقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[طه: ١١١] **أو المرادُ بها الأعيانُ** والرؤساءُ، كما يُقال: هؤلاء وجوهُ القومِ، ويا وجهَ العربِ.

٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] الخ.

إن قلتَ: كيف ارتبط هذا بما قبله، وأيُّ مناسبةٍ بين الإِبلِ، والمعطوفاتِ عليها حتى جُمع بينهما؟

قلتُ: أمَّا الجوابُ عن الأول، فلأنه لَمَّا وصف اللَّه تعالى الجنة بما وصف، عجب الكفَّارُ من ذلك، فذكَّرهم غرائب صنعه، ولأنه لَمَّا ذكر ارتفاع سُرُرها[٢]. قالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت هذه الآية.

أو المعنى: أفلا ينظرون إلى الإِبلِ نظر اعتبارٍ، كيف خُلقت للأثقال، وحملها إلى البلاد البعيدة، وبروكها لتُحَمَّل، ونهوضها بما حملته، وسُخِّرتْ لكلّ من قادها، حتى الصبيُّ الصغير، وأُعطيت الصبرَ على العطش عشرة أيام فأكثر، وجُعلتْ ترعى كلَّ نباتٍ في المفاوز، دون غيرها من الدوابِّ، وإنما لم يُذكر الفيلُ، والزَّرافةُ، والكركند وغيرها، مما هو أعظم من الجمل، لأن العرب لم يروا شيئاً من ذلك، ولا عرفوه.

وأما الجوابُ عن الثاني، فلأنَّ الإِبل كانت أنفسَ أموالهم وأكثَرَها، وإنما

---

(١) هذا من المجاز المرسل وهو إطلاق الجزء وإرادة الكل، كقوله تعالى ﴿**ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام**﴾ أي تبقى ذاته المقدسة.

(٢) في المخطوطة: ارتفاع شررها وهو خطأ ظاهر، والصواب ما أثبتناه.

جمع بينها وبين ما بعدها، لأنهما جاءا على وفق عادة العرب، في انتفاعهم بالإِبل أكثر، ولا يحصل إلَّا بأن ترعى وتشرب، وذلك بنزول المطر من السماء، فعطفها في الذكر على الإِبل، ثم لا بدَّ لهم من حصنٍ يتحصنون به، ولا شيء في ذلك لهم كالجبال، فعطفَها على ما قبلَها، فإذا فتَّش البدويُّ في نفسه، وجد هذه الأشياء حاضرةً عنده على الترتيب المذكور[1]، بخلاف الحضريُّ.

«تمت سورة الغاشية»

* * *

(١) الحكمةُ في تخصيص هذه الأشياء بالذكر «الإِبل، السماء، الجبال، الأرض» أن العرب كانوا يسافرون كثيراً في الأودية والقفار، منفردين عن الناس، والإِنسان إذا ابتعد عن المدينة أقبلَ على التفكر، فأوَّلُ ما يقع بصرهُ على البعير الذي يركبه، فيرى من خَلْقه وصنعه منظراً عجيباً، وإن نظر فوقه لم ير غير السماء، وما فيها من الكواكب الزهراء، وإن نظر يميناً وشمالاً، لم ير غير الجبال الشاهقة أمامه، وإن نظر أسفل لم ير غير الأرض تحته، فَنَبَّهه تعالى بهذه الأمور على قدرة خالقها ومبدعها، لأن دقة الصنعة، تدلُّ على عظم الصانع، وهو الله رب العالمين.

سُورَةُ الفَجْر

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢] قسمٌ وجوابه مع ما بعده محذوفٌ، تقديرهُ: لتعذبُنَّ يا كفارَ مكة، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي ليالي عشر ذي الحجة.

إن قلتَ: كيف نكَّرها دون بقيَّةِ ما أقسم به؟

قلتُ: لاختصاصها من بين الليالي، بفضيلةٍ ليست لغيرها، فلم يُجمع بينها وبين البقيَّة بلام الجنس، وإنَّما لم تُعرَّف بلامِ العهد، لما مرَّ في سورة البروج.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].

إن قلتَ: كيف ذمَّ من يقول ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾[١] مع أنه صادقٌ فيه لقوله تعالى: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر: ١٥] ومع أنه متحدِّث بالنعمة وهو مأمورٌ بالتحدث بها لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؟ [الضحى: ١١].

قلتُ: المرادُ أن يقول ذلك، مفتخراً به على غيره، ومستدلاً به على علوِّ منزلته في الآخرة، ومعتقداً استحقاق ذلك على ربه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] وكلُّ ذلك منهيٌّ عنه، وأمَّا إذا قاله على وجه الشكر، والتحدّثِ بنعمةِ الله تعالى، فليس بمذمومٍ بل ممدوح.

٣ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ...﴾ [الفجر: ٢٢] أي أمرُه[٢].

«تمت سورة الفجر»

---

(١) هذا بيانٌ من الله تعالى لطبيعة الإنسان الكافر، فإنه يبطر عند الرخاء، ويقنط عند الضرَّاء، وإنما يقول ذلك على وجه الفخر والكبر، لا على وجه الامتنان والشكر.

(٢) هذا التأويل على طريقة الخلف، وأما طريقةُ السَّلف، فإنهم لا يؤوّلون، بل يحملونها على ظاهرها من غير تكييفٍ ولا تمثيل، قال ابن كثير: جاء ربك لفصل القضاء بين خلقه، وهذا أسلم والله أعلم.

سُورَة البَلَد

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١، ٢] أي مكة.

إن قلتَ: لم كرَّر لفظ البلد؟

قلتُ: لم يكرّره، إذِ التقديرُ: لا أُقسم بهذا البلد المحرَّم، الذي جُبلت العربُ على تعظيمه وتحريمه ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أي أُحِلَّ لك فيه من حرماته، ما لم يحلَّ لأحدٍ قبلك ولا بعدك، من قتلِ «ابن خَطَل» وقتال المشركين ساعةً من نهار[١]، فالمرادُ بالبلد الأول الباقي على تحريمه، وبالثاني الذي أُحلَّ للنبي ﷺ إكراماً له، وتعظيماً لمنزلته.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] **الوالدُ**: آدم، وَمَا وَلَدَ: ذُرِّيتُهُ، وقال: «وما» ولم يقل: «ومَنْ» لأنَّ في «ما» من الإِبهام ما ليس في «مَنْ» فَقُصِد بها التفخيمُ والتعظيمُ، كأنه تعالى قال: وأيَّ شيءٍ عجيبٍ غريبٍ وَلَدَا!؟ **ونظيرُه** قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦].

«تمت سورة البلد»

* * *

---

(١) هذا قولٌ لبعض المفسرين، والأظهر أنَّ المراد بقوله «حِلٌّ» أي مقيم وساكنٌ فيه، قال البيضاوي: أقسم تعالى بالبلد الحرام، وقيَّده بحلوله عليه السلام فيه، إظهاراً لمزيد فضله، وإشعاراً بأن شرف المكان بشرفِ أهله، **قال ابن عباس**: ما خَلَقَ اللّهُ، وما ذَرَأَ، وما بَرَأَ، نَفْساً أكرمَ عليه من محمد عليه الصلاة والسلام، وما سمعتُ اللّهَ عزَّ وجلَّ يُقْسِم بحياة أحدٍ من خلقه إلَّا بحياة محمد ﷺ، وتلا الآية الكريمة **﴿لَعَمْرُكَ إنَّهم لفي سَكْرتهم يَعْمهون﴾** وهو قسمٌ بحياة محمد ﷺ، وفي سورة البلد تضخيمٌ لجريمة الكفَّار، في إخرج النبيِّ منها، وأنها من أكبر الكبائر عند اللّه تعالى.

سُورَةُ الشَّمْسِ

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧] نكَّرها دون بقيَّة ما أقسم به[١].

لأنه لا سبيل إلى لام الجنس، المدخلة لنفسٍ غير الإنسان، مع أنها ليست مرادة، لقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨] ولا إلى لام العهد، إذ ليس المرادُ نفساً واحدة معهودة، وبتقدير أنه أُريد بها «آدم» فالتنكير أدلُّ على التفخيم والتعظيم كما مرَّ في سورة الفجر.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] جوابُ القسم بحَذْفِ اللام، لطول الكلام، وقيل: جوابه محذوفٌ تقديره: لَتُبْعَثُنَّ أو لَتُدمَّرُن يا أهل مكَّةَ.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] هو «قُدارُ بنُ سالف»[٢] وقيل هو: مصدع بن دهر.

«تمت سورة الشمس»

* * *

---

(١) أقسم سبحانه في هذه السورة بسبعةِ أشياء «الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والنفس البشرية» وذلك إظهاراً لعظمة قدرته، وانفراده بالألوهية، وكلُّها معرَّفةٌ بـ «أل» سوى الأخيرة، فإنه أراد بها النفس الإنسانية العجيبة، فالتنكير للتفخيم والتعظيم.

(٢) هذا هو المشهور والمعروف عند المفسِّرين، أنه (قُدَارُ بنُ سَالِف) كما ورد ذكره في الحديث الشريف.

سُورَة اللَّيْل

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] جوابُ القسم، **وقيل**: جوابُه محذوفٌ، كما مرَّ في نظائره السابقة.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] المرادُ به: الشَّقيُّ.

«تمت سورة الليل»

* * *

سُورَة والضُّحى

١ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] جوابُ القَسَم.

٢ ـ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] أي ضَالّاً بحقِّ معالم النبوّة[١]، وأحكام الشريعة فهداك إليها، أو ضالّاً في صِغرِكَ في شِعابِ مكة، فردَّك إلى جدِّكَ عبد المطلب، أو وجدك ناسياً فهداك إلى الذّكر، لأن الإضلال جاء بمعنى النسيان، كما في قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وإنما جَمَعَ بينهما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] لأن الضلال ثَمَّ، ليس بمعنى (النسيان)، بل بمعنى الخطأ أو الغفلة.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨] أي فقيراً فأغناكَ بما قنَّعك به من الغنيمة وغيرها، لا بكثرة المال، وفي الحديث «ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، وإنَّما الغِنَى غِنَى النَّفس»[٢].

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٩ ـ ١١] كرَّر فيه «أمَّا» ثلاث مرَّات، لوقوعها في مقابلة ثلاث آيات مناسباتٍ لها وهي: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨] فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ واذكرْ يُتْمكَ، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ واذكرْ فقرك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ التي هي النبوة أو الإسلام، فحدّث واذكرْ ضلالك.

«تمت سورة الضحى»

* * *

(١) هذا هو الصحيح في معنى الآية أي وجدك تائهاً وغافلاً عن معرفة الشريعة والدين، فهداك إليها كما قال تعالى: ﴿**ما كنت تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ**﴾ ولا يُراد به الضلال الذي يقابلُه الهدى، فإنه ﷺ معصومٌ عن ذلك، فقد كان منذ صغره ﷺ منوَّر القلب بالإيمان، بإلهام الرحمن جلَّ وعلا.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

سُورَة الشَّرْح

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ «لَكَ» فيه و«عَنْكَ» فيما بعده، مع أن الكلام تامٌّ بدونهما؟

قلتُ: فائدتُه الإبهامُ ثم الإيضاح، وذلك من أنواع البلاغة، فلمَّا قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ فُهم أن هناكَ مشروحاً، ثم قال: ﴿صَدْرَكَ﴾ فأوضح ما عُلم بهما، وكذا الكلام في «وَضَعْنَا لَكَ».

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

إن قلتَ: «مَعَ» للمصاحبة، فما معنى مصاحبةِ العُسر اليُسْرَ؟

قلتُ: لَمَّا عيَّر المشركون المسلمين بفقرهم، وعدهم اللَّه يُسْراً قريباً، من زمانِ عسرهم، وأراد تأكيدَ الوعد، وتسليةَ قلوبهم، فجعل اليُسر كالمصاحب للعُسْرِ في سرعة مجيئه.

فإن قلتَ: لَم ذكرَ ذلكَ مرَّتين بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]؟

قلتُ: لأن معناه فإنَّ مع العُسر، الذي أنت فيه من مقاساة الكفار، يُسْراً في العاجل، إنَّ مع العسر الذي أنت فيه من مقاساتهم، يُسْراً في الآجل، فلا تكرارَ، فالعُسْر واحدٌ، والتعريفُ أولاً للجنس، وثانياً للعهد، واليُسر اثنانِ، بدليل تنكيرهما، والتنكيرُ فيهما للتفخيم والتعظيم، ولذلك رُوي عن عمر وابن عباس وابن مسعود، بل عن النبي ﷺ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[1] وقيل: كُرِّر ذلك للتأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٩] لتعزيز معناه في النفوس، وتمكينه في القلوب، فاليُسْران متحدان كالعسرين.

«تمت سورة الانشراح»

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي.

سُورَةُ التِّين

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

قال ذلك هنا: وقال في سورة البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] ولا منافاة بينهما، لمراعاة الفواصل في السورتين، ولأنَّ معناه هنا ـ عند كثير من المفسرين ـ منتصب القامة، معتدلَها، فيكون في المعنى أحسن تقويم، وذلك لا ينافي كونه في كَبَد[١].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . .﴾ الآية [التين: ٥، ٦].

إن فُسِّرَ بالردِّ إلى جهنم، فهو سُفْلٌ حقيقيٌّ، والاستثناءُ بعده متَّصلٌ، وعليه فقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] قائم مقام قوله: فلا نردُّهم أسفل سافلين.

أو بالردِّ: إلى أسفل العُمر، فهو تسفُّلٌ في الرُّتبِ والأوصاف، بالنسبة إلى رُتَب الشَّباب وأوصافِه، والاستثناءُ بعده منقطعٌ، وعليه فقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] أي غير مقطوع بالهرم والضَّعف، والمعنى: إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ في حال شبابهم[٢] وقُوَّتهم، إذا عجزوا بالَهرم عن العمل، كُتب لهم ثوابُ ما كانوا يعملون، إلى وقت موتهم.

«تمت سورة التين»

* * *

---

(١) لا منافاة بين الآيتين، فإن كلاً منهما في غرضٍ غير الآخر، فإن الآية الأولى لبيان كمال خلق الإنسان، فقد خلقه الله في أجمل صورةٍ وأحسن شكل، والثانية لبيان ما يكابده ويقاسيه من شدائد وأهوال في هذه الحياة الدنيا، من بداية ولادته، إلى نهاية حياته.

(٢) في مخطوطة الجامعة: شبَّتهم، وهو خطأ ظاهر، لأنه عطف عليه القوّة فهو حال الشباب.

سُورَة العَلق

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ١، ٢].

أي أوجِدْ القراءة مبتدئاً باسم ربك، و «اقرأْ» الثاني تأكيدٌ له «الذَّي خَلَقَ» أي الخلائق، وخصَّ قوله: «خَلَقَ الإِنسانَ» بالذُكر، مع دخوله في الأول، لشرفِهِ ونزولِ القرآن إليه، وقولُه: «مِنْ عَلَقٍ» لم يقل: من عَلَقة، لأنَّ الإِنسان في معنى الجمعِ، أو رعايةً للفاصلةِ قبله...

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾ [العلق: ٤] مبهمٌ فسَّره بقوله بعده: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ٥].

«تمت سورة العلق»

* * *

سُورَة القَدْر

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]

عَدَل عن الضمير إلى الظاهر[1]، في لفظ القَدْر، تعظيماً لليْلته.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] متعلِّقٌ بـ «تَنَزَّلُ» و «مِنْ» بمعنى الباء[2]، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] وقوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافر: ١٥].

«تمت سورة القدر»

* * *

(١) لم يقل: وما أدراك ما هي؟ بل أتى بالظاهر تعظيماً وتفخيماً لأمرها، وسُمّيت ليلة القدر، لأنها ليلةُ الشرف والمجد، لعظمها وقدرها وشرفها، تقول: فلانٌ عظيم القدر، أي المكانة والمنزلة.

(٢) أي تتنزل الملائكة وجبريل بأمر ربهم، من أجل كل أمرٍ قضاه الله وقدّره.

سُورَةُ البَيِّنَة

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البينة: ٢] أي من عنده، كما أظهره في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠١].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢].

إن قلتَ: ظاهره أنه يقرأ المكتوبَ من الكتاب، مع أنه مُنْتفٍ في حقه ﷺ لكونه أُمّياً؟

قُلتُ: المراد يتلو ما في الصحف عن ظهر قلبه.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين الصُّحف والكتُب حتَّى جمع بينهما في الآية؟

قلتُ الصُّحُفِ قراطيس ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ من الشرك والباطل، والكتب بمعنى المكتوبات، أي في القراطيس مكتوبةٌ ﴿قَيِّمَةٌ﴾ أي مستقيمة، ناطقةٌ، بالعدل والحقِّ.

٣ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم اليهودُ والنصارى ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي محمد ﷺ، أو القرآن. المعنى إنهم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فلمَّا جاء تفرّقوا، فمنهم من كفر بغياً وحَسَداً، ومنهم من آمن به، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

«تمت سورة البينة»

* * *

سُورَةُ الزَّلْزَلَة

١ ـ **قوله تعالى**: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

إن قلتَ: لم أضاف الزلزال إلى الأرض[١]، ولم يقل: زلزالاً، كما قال: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]؟

قلتُ: ليدُلَّ على أنها زُلزلت الزلزل، الذي تستحقه في حكمته تعالى ومشيئته، في ذلك اليوم، وهو الزلزال الذي ليس بعده زلزالٌ.

٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ . . .﴾ الآيتين [الزلزلة: ٧].

ليس بتكرارٍ لأن الأول متَّصلٌ بقوله تعالى: «خيراً يَرَهُ» والثاني متصِلٌ بقوله تعالى: «شرّاً يَرَهُ».

فإن قلتَ: كيف عمّم فيهما مع أن حسناتِ الكافر محبطةٌ بالكفر، وسيئاتُ المؤمن الصغائر، مغفورةٌ باجتناب الكبائر؟

قلتُ: معناه فمن يعمل مثقال ذرَّةٍ من فريق السعداء خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ من فريق الأشقياء شراً يَرَه[٢].

«تمت سورة الزلزلة»

* * *

---

(١) إنما أُضيفت الزلزلة إليها تهويلاً لشأنها، كأنه يقول: الزلزلة التي تقطع القلوب، وتُفزع الألباب كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الناسُ اتقُوا ربَّكم إنَّ زلزَلةَ السَّاعةِ شيءٌ عظيمٌ**﴾.

(٢) يعني جزاءه، إن خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌ، كما قال تعالى: ﴿**ولا يُظلمون فتيلاً**﴾.

سُورَة العَاديَات

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ١ ـ ٣].

أقسم تعالى بثلاثة أشياء(١)، وجعل جوابها ثلاثةَ أشياء، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٦ ـ ٨].

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١].

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع أنه تعالى خبيرٌ بهم في كلِّ زمنٍ؟

قلتُ: معناه إن ربهم تعالى، مجازيهم يومئذٍ على أعمالهم، فجوَّز بالعلم عن المجازاة(٢)، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] أي مجازيهم على ما فيها.

«تمت سورة العاديات»

* * *

---

(١) القَسَمُ كان بخيل المجاهدين، والعادياتُ جمعُ عادية وهي الخيلُ الجاريةُ بسرعة، والضبحُ: صوتُ أنفاسِها إذا ركضت نحو الأعداء، وهذا هو الشيءُ الذي أقسم اللَّهُ به، كما أقسم بها وهي تقدح بحوافرها الحجارة بسرعة، فيتطاير منها الشرر، وأخيراً أقسم بها وهي تثير النَّقعَ أي الغبارَ، وهي تغير على الأعداء، فإذا كان القسم بخيل المجاهدين تكريماً لها، فما بالكَ بالمجاهدين أنفسهم، ومكانتهم الرفيعة عند اللَّه!؟

(٢) لا يراد بقوله تعالى: ﴿إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير﴾ اطِّلاعَ اللَّهِ على أعمالهم فحسب، بل الفرضُ جزاؤهم على ما اقترفوه في الدنيا من ذنوب وآثام، فعبَّر بالخبرة عن الجزاء الذي ينتظرهم، كما فيه تذكيرهم بالفضيحة أمام الخلائق على رؤوسِ الأشهاد، وأمام ربّ العالمين جلّ جلالُه، الذي لا تخفى عليه خافية.

سُورَة القَارعَة

١ ـ قـولـه تـعـالـى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧].

جَمَع فيه وفيما بعده (الميزان) مع أنه واحدٌ، باعتبار تعدُّد الموزوناتِ، والموزونِ لهم، وقيل: هي جمع موزون.

إن قلتَ: كيف قال فيمن خفَّتْ موازينُه «فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ» أي فمسكنُه النَّارُ، مع أن أكثر المؤمنين، سيِّئاتهم راجحةٌ على حسناتهم.

قلتُ: قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] لا يدلُّ على خلوده فيها، فيسكن المؤمنُ فيها بقدر ما تقتضيه ذنوبُه، ثم يخرج منها إلى الجنة.

وقيل: المرادُ بخفَّة الموازينِ: خلُوها من الحسناتِ بالكلّية[١]، وتلك موازين الكفار.

«تمت سورة القارعة»

* * *

---

(١) الكفار لا يقام لهم وزن يوم القيامة لقوله تعالى ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ لأن جرائمهم الكثيرة، أعظمُ من أن تُحصر، فليس بعد الكفر ذنب، ومن مات كافراً لا يؤمن باللَّه، فنارُ جهنم أمُّه ومصيرُه ومأواه، لا مسكنَ له غيرها، أجارنا اللَّه وإياكم من نار الجحيم.

سُورَةُ التَّكَاثُر

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٣ ـ ٥].

«كلا» في المواضع الثلاثة، قيل: للرّدع والزجر عن التكاثر، **وقيل**: بمعنى حقاً، **وقيل**: الأوّلان للردع والزجر[(١)]، والثالث بمعنى حقاً، وهو أشهرها.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ذكره مرتين للتأكيد، **أو الأول** للقبر، والثاني للقيامة، **أو الأولُ** للكفار، والثاني للمؤمنين.

٣ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾.

جوابُ «لَوْ» محذوفٌ[(٢)]، تقديره: لو تعلَمون الأمر يقيناً، **لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر**.

٤ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦ ـ ٧]

أعاده بقوله: «ثمَّ لَتَرَوُنَّها» تأكيداً، **أو الأول** قبل دخولهم الجحيم، والثاني بعده، ولهذا قال عَقِبه «عَيْنَ اليَقِينِ» **أو الأولُ** من رؤيةِ العين، **والثاني** من رؤية القلب.

---

(١) هذا زجرٌ وتهديدٌ، أي ارتدعوا أيها الناسُ وانزجروا، عن الاشتغال بالدنيا الفانية، وتكديس الأموال والثروات، فسوف تعرفون عاقبةَ تفريطكم في جنب اللّه، وغفلتكم عن الآخرة، ثم كرّر الوعيد والتهديد بقوله: **﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾** أي تعلمون عاقبة تفاخركم في الدنيا، إذا نزل بكم الموتُ. **قال الحسن البصري**: لا يَغُرنَّك كثرةُ من ترى حولك! فإنك تموتُ وحدَك، وتُبعث وحدَك، وتُحاسب وحدك.

(٢) جواب «لَوْ» محذوفٌ للتهويل، أي لو عرفتم هول ذلك اليوم، لَمَا شغلكم التكاثر في الدنيا عن طاعة اللّه، ولما خُدعتم بهذه الحياة الفانية، وإنَّما لم يصلح أن يكون قوله تعالى **﴿لترونَّ الجحيم﴾** جواباً لها، لأن هذا في الآخرة، والخطابُ لهم هنا في الدنيا.

٥ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، يعمُّ المؤمن والكافر[١]، فالمؤمن يُسأل عن شكره النِّعمَة، والكافرُ يُسألُ عنها سؤال توبيخ.

«تمت سورة التكاثر»

* * *

(١) أي لتُسألنَّ عن نِعَم الله التي أنعم بها عليكم، والآيةُ إنما وردتْ فيمن لم يشكر ربه على نعمه، أمّا من شَكَرَ النعمةَ، فقد أدّى حقَّها.

سُورَة العَصْر

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢].

المرادُ بالإنسان الجنسُ[١]، فالاستثناءُ بعده متَّصل، **وقيل**: المرادُ به «أبو جهل» فالاستثناء منقطعٌ.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] كرَّره لاختلاف المفعولين[٢].

«تمت سورة العصر»

* * *

(١) المراد بالإنسان هنا: جنسُ البشر، أي جميع الناس في شقاء وخُسران، إلّا من اتَّصف بهذه الصفات الأربع: (الإيمان، والعمل الصالح، والتَّواصي بما يرضي اللَّهَ، والتَّواصي بالصبر) فهذه عناصرُ الفلاح والنجاح، وسبيلُ الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال الإمام الشافعي: (لو لم يُنزل الله من القرآن، سوى هذه السورة الكريمة، لكَفَت النّاسَ) وقد كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا، لم يتفرَّقا حتى يقرأ أحدُهُما على الآخر سورة العصر، ثم يُسلِّم أحدهما على الآخر. اهـ تفسير الحافظ ابن كثير.

(٢) تكرار الفعل ﴿وتواصوا﴾ من باب الإطناب، لإبراز كمال العناية بالمأمور به.

سُورَةُ الهُمَزَة

١ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] أي كثير الهَمْز واللَّمْزِ، والهَمْزِ: اللَّمْسُ باليد أو نحوها، **واللَّمْزُ**: العيبُ، **وقيل**: هما بمعنى، فالثاني تأكيدٌ للأول، **وقيل**: الأول المغتابُ، **والثاني**: القتَّاتُ أي النَّمام، **وقيل**: الأول العيَّابُ في الوجه، **والثاني**: العيَّابُ في القفا، **وقيل**: الأول يكون بالعين، والثاني باللسان، وقيل عكسه.

٢ ـ **قَوْلُه تَعَالَى**: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٢] ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ بالجَر بدلٌ من «كلّ» أو بالنصب بإضمار أذمُّ، أو بالرفع مبتدأٌ خبرُه يحسب.

«تمت سورة الهمزة»

* * *

سُورَةُ الفِيل

١ ـ **قوله تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]

مفعول «ترى محذوفٌ»(١)، لا «كَيْفَ» لأنه استفهامٌ، فلا يعمل فيه ما قبله، فهو مفعول فعلٍ بعده.

٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣].

«**أَبَابِيلَ**» أي جماعاتٍ جماعاتٍ، **وقيل**: لا واحد له، **وقيل**: واحدُه إبَّالٌ، وإبَّالةٌ، أو أَبُولٌ، أو أَبِّيلٌ.

«تمت سورة الفيل»

* * *

---

(١) تقديره: ألم تر عَمَل ربك العجيب، كيف فعل بأصحاب الفيل!!

سُورَة قُرَيْش

١ ـ قَـوْلُـه تَـعَـالَـى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش: ١ ـ ٢]

إيلافهم الثاني: تأكيدٌ للأول، أو بدلٌ منه، واللّامُ متعلقةٌ بـ «جَعَلَهُمْ» من سورة الفيلِ، لأنهما كالسورة الواحدة، بدليل إسقاط البسملة من بينهما في «مُصْحفِ أُبيٍّ» **والمعنى**: إنه أهلك أصحابَ الفيل لإِيلاف قريش[1]، **وقيل**: معناه أعجبوا لإِيلاف قريش، وكان لها في كل سنة رحلتان للتجارة، **رحلةٌ** في الشتاء إلى اليمن، **ورحلةٌ** في الصيف إلى الشام.

«تمت سورة قريش»

* * *

(١) الأظهر أن اللام متعلقة بالفعل الذي بعدها وهو «فليعبدوا» والتقدير: من أجل تسهيل الله على قريش، وتيسيره لهم ما كانوا يألفونه، ويعتادونه، من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فليعبدوا ربهم شكراً على النعمة الجليلة، إن لم يعبدوه على سائرِ نِعمهِ التي لا تُحصى.

سُورَةُ المَاعُون

١ ـ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

فإن قلت: كيف توعَّد اللَّهُ السَّاهي عن الصَّلاة، مع أنه غيرُ مؤاخذٍ بالسَّهوِ، لخبر «رُفع عن أُمَّتي الخطأُ والنسيانُ»؟

قلتُ: المرادُ بالسَّهْو هنا: التغافلُ والتكاسلُ عن أدائها، وقلّةِ الالتفاتِ إليها، وذلك فعلُ المنافقين، أو الفَسَقةِ من المسلمين، لا ما يتَّفقُ فيها من السَّهو بالوسوسة، أو حديث النفس عمَّا لا صُنع للعبد فيه.

«تمت سورة الماعون»

* * *

سُورَة الكَوْثَر

هو نهرٌ في الجنة[١]، أو هو حوضُه ﷺ تَرِدُ عليه أمته، أو هو الخيرُ الكثيرُ من النبّوةِ، والقرآن، والشفاعة ونحوها.

«تمت سورة الكوثر»

* * *

(١) ثبت في الصحيح أن الكوثر «نهرٌ في الجنة» حافتاه من ذهب، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت، تربتُه أطيبُ من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيضُ من الثلج، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً» رواه الترمذي، والمراد به هنا في السورة: الخيرُ الكثير الذي لا يكاد يُحصى، كما قال ابن عباس، وهذا النهرُ من جملة ما يُعطاه خاتمُ الأنبياء والمرسلين ﷺ.

سُورَة الكَافِرُون

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥].

لم يقل «مَنْ» مع أنه القياسُ، رعايةً لمقابلِه «ما» في قوله: «ما تَعْبُدُونَ». وكرَّر قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢ ـ ٣] مرتين، لأن الأولى للحال[(١)]، والثانية للاستقبال، وقيل: لمقابلة سؤالهم مرتين، حيث قالوا يا محمد: تعبدُ آلهتنا كذا مُدةً، ونعبدُ إلٰهكَ كذا مدَّة[(٢)].

«تمت سورة الكافرون»

* * *

(١) كأنه يقول لهم: لا أعبد هذه الأصنام في الحال، ولا في الاستقبال، تيئيساً للمشركين.

(٢) من سفاهة وحماقة كفار مكة، أنهم عرضوا على رسول الله ﷺ أمراً غريباً، جاءوا إليه فقالوا يا محمد: نصطلح بيننا: نعبدُ إلٰهك سنةً، وتعبدُ آلهتنا سنةً، فنزلت السورة الكريمة ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون...﴾ السورة، ومجابهتُه ﷺ لهم بوصفهم بالكفر، مع أنه وحيدٌ، وهم كثرةٌ كثيرة، يدلُّ على ثقته عليه السلام بربِّه، فهو لا يخافهم ولا يهابهم مهما كان معهم من القوة، لأنه واثق بحفظ الله له.

سُورَة النّصْر

وتسمّى سورة التوديع[١].

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]

جواب «إذا» فسبِّحْ، أو محذوفٌ تقديره: حَضَر أَجَلُك، أي إذا جاء نصرُ اللّهِ إيَّاك على من عاداك، حضر أجلُك، وكان رسول اللّه ﷺ يقول لما نزلت هذه السورة: نَعَى اللّهُ إليَّ نفسي، **وقال الحسنُ:** أُعلم النبيُّ ﷺ أنه قد اقترب أجلُه، فأُمر بالتسبيح والاستغفار، ليُختم له في عمره بالزيادة في العمل الصالح، فكان يُكثر من قوله: **(سُبحانك اللهمَّ، اللهمَّ اغفرْ لي، إنَّك أنتَ التَّوَّاب الرحيم)** ورُوي أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها سنتين.

«تمت سورة النصر»

* * *

(١) إنما سميت سورة التوديع، لأن الرسول ﷺ ودَّع الحياة بعد نزولها، وحين نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها: «ما أُراه إلَّا حضورُ أجلي» وسؤال عمر رضي اللّه عنه للصحابة عن هذه السورة ودلالتها على نعي النبي ﷺ معروفٌ، وانظر القصة في صحيح البخاري وفي كتابنا صفوة التفاسير٣/٦١٦.

سُورَةُ المَسَد

١ ـ **قوله تعالى**: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]. ليس بتكرارٍ مع ما بعده، لأنه دعاءٌ، والثاني خبرٌ، فقد تبَّ أي خسر، **وقيل**: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١] أي عمله «وتبّ» أبو لهب.

إن قلتَ: كيف ذكَرَ اللَّهُ تعالى بكنيتِهِ، دون اسمِهِ، وهو «عبدُ العُزَّى» مع أنَّ ذلك إكرامٌ واحترامٌ؟

قلتُ: لأنه لم يشتهر إلَّا بكنيته، أو **لأن ذكره** باسمه خلاف الواقع حقيقةً، لأنه (عبدُ اللَّه) لا عبدُ العزَّى، **أو لأنه ذكره** بكنيته، لموافقة حاله لها، فإنَّ مصيره إلى النَّارِ ذاتِ اللَّهب[1]، وإنما كُنّي بذلك لتلهُّب وجنَتيْهِ وإشراقهما.

«تمت سورة المسد»

* * *

---

(١) أبو لهب: هو عمُّ النبي ﷺ، وامرأته العوراء «أم جميل»، وقد كانَ كلٌّ منهما شديد العداوة للرسول، وقد اشتهر بكنيته أكثر من اسمه العَلَم، ولما كان من أهل النار، ومآله النَّارُ ذات الشَّرر واللهب، ناسب أن يُذكر بكنيته دون اسمه، فالتكنية هنا ليست للتفخيم والتعظيم، بل هي للإهانة، والإذلال، كما يقال لأبي جهل وهو يتلقَّى صنوف العذاب ﴿ذُقۡ إنك أنت العزيزُ الكريم﴾.

سُورَةُ الإخْلَاص

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الاخلاص: ١ ـ ٢][1].

كُرِّر لفظ «اللّه» لتكون الجملةُ الثانيةُ، مستقلةً بذاتها كالأولى، غير محتاجةٍ إلى الأولى.

فإن قلتَ: كيف ذكر «أَحَدٌ» في الإثبات، مع أن المشهور أنه يُستعمل بعد النفي، كما أن الواحدَ لا يُستعمل إلَّا بعد الإثبات، يُقال: في الدارِ واحدٌ، وما في الدَّار أحدٌ، ومن ذلك قولهُ تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾؟ [البقرة: ٢٨٥].

قلتُ: قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: لا فرق بينهما في المعنى.

واختاره أبو عُبيدة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، و عليه فلا يختصُّ أحدهما بمحلٍّ دون الآخر في الإثباتِ، ويجوز أن يكون العدول عن المشهور هنا، رعاية للفاصلةِ بعدُ.

«تمت سورة الإخلاص»

* * *

(١) هذه السورة الكريمة أربع آيات فقط، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، فالآية الأولى أثبتت الوحدانية ونفت التعدُّد ﴿قل هو اللّه أحد﴾ والثانية أثبتت صفات الكمال ونفت العجز ﴿اللّهُ الصَّمدُ﴾ والثالثة أثبتت الأزلية ونفت الذريَّة ﴿لم يلد ولم يُولد﴾ والرابعة نفت الأنداد الأضداد ﴿ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ﴾ فلا غرابة أن تكونَ ثلث القرآن.

سُورَةُ الفَلَق

١ ـ قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٢، ٣]، «مِنْ شرّ» كرَّره أربع مراتٍ، لأن شرَّ كلٍ منهما، غيرُ شرِّ البقيةِ عنها.

فإن قلتَ: أوَّلُها يشمل البقيَّة، فما فائدةُ إعادتها؟

قلتُ: فائدتُها تعظيم شرِّها، ودفعُ توهُّم أنه لا شرَّ لها، لخفائه فيها.

فإن قلتَ: كيف عرَّف «النفاثات»[(١)] ونكَّر ما قبلها وما بعدها؟

قلتُ: لأن كل نفَّاثةٍ لها شرٌّ، وليس كلُّ غاسقٍ وحاسدٍ له شرٌّ، والغاسقُ: الليلُ[(٢)].

«تمت سورة الفلق»

---

(١) الغاسقُ: الليلُ إذا اشتدَّ ظَلامُه، فإن في ظلمة الليل ينتشر أهل الفساد والشرّ، وفي الأمثال «الليلُ أخفى للويل».

(٢) إنما خصَّ تعالى النساء بالذكر ﴿ومن شر النفاثات﴾ أي النساء السَّواحر، لأن السحر أكثرُ ما يقع منهنَّ، فالنساءُ يَكِدْن بعضهنَّ بعضاً، بسبب الغَيْرة الشديدة بينهن. هذا وقد أنكر بعض المتفلسفة مسألة سحر النبيِّ ﷺ، مع أن الحديث مروي في البخاري ومسلم والنسائي، ومسند الإمام أحمد، وزعموا أنه يُنقص من قدر النبوة، ويقدح في الوحي، والجواب عن ذلك ما يلي:

١ ـ إن السحر لم يؤثِّر على عقل النبي ﷺ وإنما أثَّر على جسده الشريف فقط.

٢ ـ الرسول ﷺ بشر، يأكل ويشرب، ويموت ويمرض، فلا عجب أن يُسحر للدلالة على بشريته.

٣ ـ زعم المشركون أن محمداً ﷺ كان ساحراً ﴿وقالوا ساحرٌ كذَّاب﴾ كما أخبر عنهم القرآن، ولو كان ساحراً كما زعموا لأمكنه أن يدفع السحر عن نفسه، فلمَّا أضرَّ في جسده الشريف، عُلِمَ أنه ليس بساحر.

٤ ـ نزلت المعوذتان رُقيةً للنبي ﷺ فكانت علاجاً وسبباً لشفائه.

٥ ـ رقاه جبريل بالمعوذتين وبهذه الرقية (باسم اللَّه أرقيك، من كل شرٍ يؤذيك، من كل حاسد وعين، اللَّهُ يشفيك) والخلاصة أن ما أصابه للدلالة على بشريته، وأنه ﷺ ليس له من خصائص الألوهية، ما يمنع من لحاق الأذى والضرر به، فلا داعي إذاً لإنكار أو تكذيب ما صحَّ وثبت، باتفاق أئمة علماء الحديث على ما حدث لخاتم الأنبياء ﷺ.

سُورَة النَّاس

١ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣] الآيات.

ذكر فيها الناس خمس مرَّاتٍ تبجيلاً[١] لهم، أو لانفصال كل آية منها عن الأخرى لعدم العاطف، **أو المرادُ** بالأول الأطفالُ بقرينة معنى «الربوبية».

وبالثاني الشبَّانُ بقرينة ذكر «المَلِك» الدالِّ على السياسة، **وبالثالث** الشيوخُ بقرينة ذكر «الإله» الدالِّ على العبادة، **وبالرابع** الصالحون بقرينة وسوسة الخنَّاس، وهو الشيطان المولع بإغوائهم، **وبالخامس** المفسدون بقرينة عطفه على الجِنَّة المتَعوَّذ منهم[٢].

فإن قلتَ: لَم خصَّ النَّاس بالذِّكر في الثلاثة الأولى، مع أنه تعالى ربُّ كل شيء، وملِكه، وإلهُهُ؟

قلتُ: تشريفاً لهم وتفضيلاً على غيرهم.

٢ ـ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥، ٦].

أي يوسوس في قلوبهم، ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيانٌ للشيطان الموسوس، فهو جنيٌّ وإنسيٌّ، كقوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

(١) في تكرار ذكر الناس ناحية بلاغية، هي زيادة الاعتناء بشأنهم، والتعظيم لهم، ولو قال: ملكهم، إلَهم، لما كان لهم هذا الشأن العظيم، فإن بني آدمَ مكرَّمون عند الله ﴿**ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾.

(٢) **هذا الوجه بعيدٌ عن مفهوم الآية الكريمة، والصحيح ما ذكرناه من العناية بأمر الخلق المكرَّمين.**

واعتُرض بأن النَّاس لا يوسوسون في صدور النَّاس، إنما يوسوس في صدورهم الجنُّ.

وأُجيب بأن النَّاس يوسوسون في صدور النَّاس أيضاً، بواسطة وسوستهم لهم، بمعنى يليق بهم في الظاهر، حتى تصل وسوستُهم إلى الصدور، والله أعلم.

«تمت سورة الناس»

وتمَّ بعونه تعالى الكتاب، والحمد لله في البدء والختام

* * *

فهرس المحتويات

مقدّمة المحقّق ٥
مُقَدّمَة المؤلِّفْ ٧
سُورَة الفَاتِحة ٩
سُورَة البَقَرَة ١١
سُورَة آل عِمْرَان ٤٨
سُورة النِّسَاء ٦٤
سُورَة المائِدَة ٧٧
سُورَة الأَنْعَام ٩٣
سورة الأعراف ١٠٩
سُورَة الأنفَال ١٢٦
سُورَة التَّوبَة ١٣١
سُورَة يُونسُ ١٤٠
سُورَة هود ١٤٨
سُورَة يُوسُف ١٥٨
سُورَة الرَّعْد ١٦٥
سُورَة إبراهِيم ١٦٩
سُورَة الحِجْر ١٧١
سُورَة النَّحل ١٧٤
سُورَة الإِسْرَاء ١٨٤
سُورَة الكَهف ١٩٥
سُورَة مَرْيَم ٢٠٢
سُورَة طه ٢٠٧

سُورَة الأَنبِيَاء ٢١٤
سُورَة الحَجّ ٢٢١
سُورَة المؤمِنُون ٢٢٦
سُورَة النُّور ٢٢٩
سُورَة الفُرْقان ٢٣٥
سُورَة الشُّعَراء ٢٣٨
سورة النَّمْل ٢٤٤
سُورَة القَصَص ٢٥٠
سُورَة العَنكَبُوت ٢٥٥
سُورَة الرُّوم ٢٥٩
سُورة لُقْمَان ٢٦٣
سُورَة السَّجْدة ٢٦٦
سُورَة الأَحْزاب ٢٧٠
سُورَة سَبَأ ٢٧٥
سورة فاطِر ٢٧٨
سُوَرة يسٓ ٢٨٠
سُورَة الصَّافَّات ٢٨٣
سورة صٓ ٢٨٩
سُورَة الزُّمَر ٢٩٣
سُورَ غَافِر ٢٩٨
سُورَة فُصِّلَتْ ٣٠١
سُورَة الشُّورى ٣٠٤
سُورَة الزُّخْرُف ٣٠٧
سُورَة الدُّخَان ٣١٠
سُورَة الجَاثِيَة ٣١٢
سُورَة الأَحقَاف ٣١٤
سُورَة مُحَمَّد ﷺ ٣١٦

سُورَة الفَتْح ٣١٧
سُورَة الحُجُرات ٣٢٠
سُورَة قَ ٣٢٣
سُورَة الذّارِيَات ٣٢٥
سُورَة الطُّور ٣٢٧
سُورَة النَّجْم ٣٢٩
سُورَة القَمَر ٣٣١
سُورَة الرَّحمٰن ٣٣٣
سُورَة الوَاقِعَة ٣٣٧
سُورة الحديد ٣٤٠
سُورَة المُجَادَلة ٣٤٣
سُورة الحشْر ٣٤٥
سُورة المُمْتَحِنَة ٣٤٨
سُورَة الصَّفّ ٣٤٩
سُورَة الجُمُعة ٣٥١
سُورَة المُنافِقُون ٣٥٢
سُورَة التَغَابُن ٣٥٤
سُورَة الطَّلَاق ٣٥٦
سُورة التَّحْريم ٣٥٨
سُورَة المُلْك ٣٦٠
سُورَة القَلَم ٣٦٢
سُورَة الحَاقَّة ٣٦٣
سُورَة المعَارج ٣٦٥
سُورَة نُوح ٣٦٦
سُورة الجِنّ ٣٦٨
سُورَة المُزَّمِّل ٣٦٩
سُورَة المُدَّثِر ٣٧١

سُورَة القِيَامَة ٣٧٣
سُورَة الإنسَان ٣٧٤
سُورَة المُرْسَلات ٣٧٦
سُورَة النَّبَأ ٣٧٧
سُورَة النَّازِعَات ٣٧٨
سُورَة عَبَس ٣٨٠
سُورَة التَّكْوير ٣٨١
سُورَة الانفطار ٣٨٣
سُورَة المُطَفِّفين ٣٨٤
سُورَة الانْشِقاق ٣٨٥
سُورَة البُرُوج ٣٨٦
سُورَة الطَّارِق ٣٨٧
سُورَة الأَعْلى ٣٨٨
سُورَة الغَاشِيَة ٣٨٩
سُورَة الفَجْر ٣٩١
سُورَة البَلَد ٣٩٢
سُورَة الشَّمْس ٣٩٣
سُورَة اللَّيْل ٣٩٤
سُورَة والضُّحى ٣٩٥
سُورَة الشَّرْح ٣٩٦
سُورَة التِّين ٣٩٧
سُورَة العَلَق ٣٩٨
سُورَة القَدْر ٣٩٩
سُورَة البَيِّنَة ٤٠٠
سُورَة الزَّلْزَلَة ٤٠١
سُورَة العَادِيَات ٤٠٢
سُورَة القَارِعَة ٤٠٣

سُورَة التَّكَاثر ٤٠٤
سُورَة العَصْر ٤٠٦
سُورَة الهُمَزَة ٤٠٧
سُورَة الفِيل ٤٠٨
سُورَة قرَيْش ٤٠٩
سُورَة المَاعُون ٤١٠
سُورَة الكَوْثَر ٤١١
سُورَة الكَافِرُون ٤١٢
سُورَة النَّصْر ٤١٣
سُورَة المَسَد ٤١٤
سُورَة الإِخْلَاص ٤١٥
سُورَة الفَلَق ٤١٦
سُورَة النَّاس ٤١٧